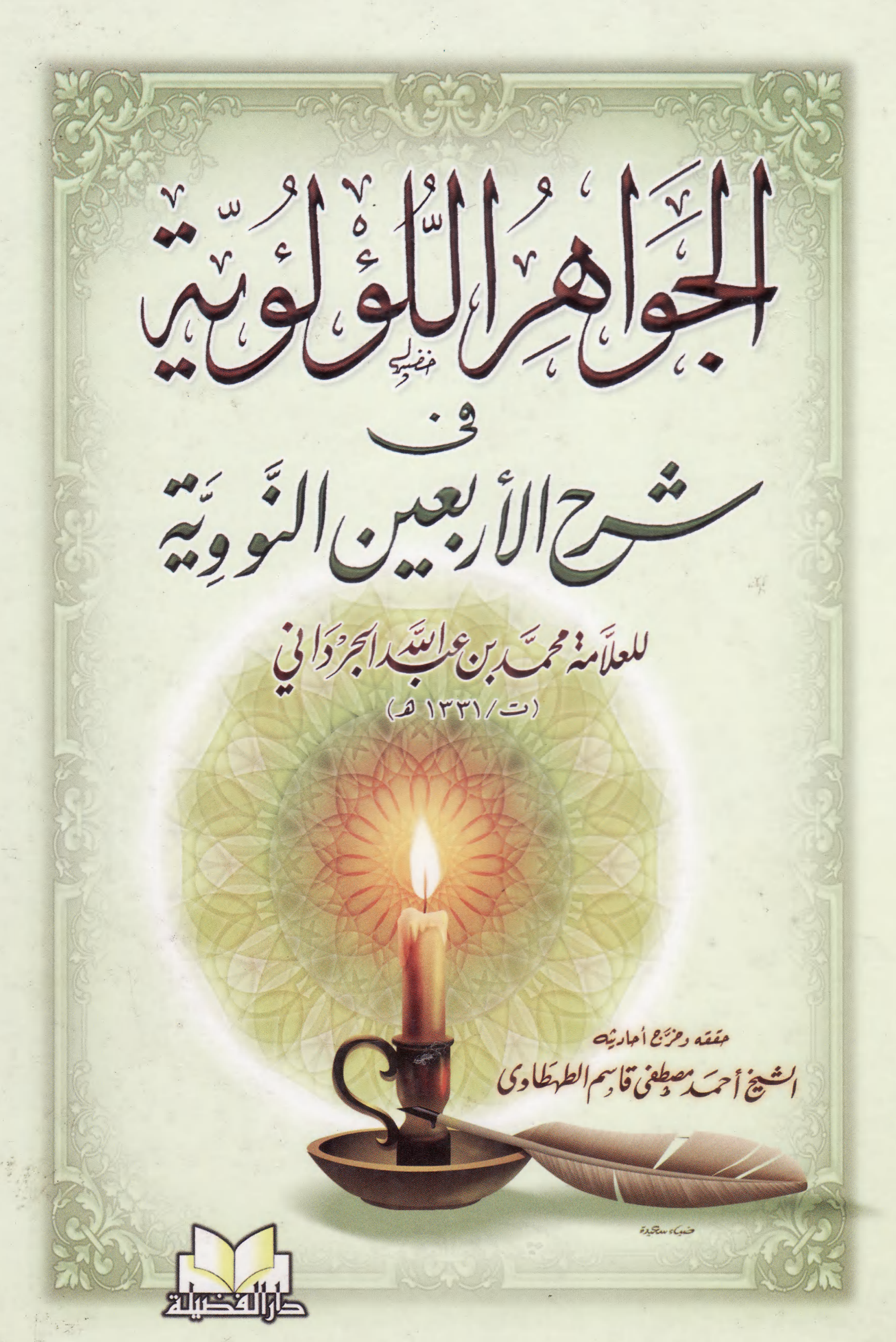

الجواهر اللؤلؤية
في
شرح الأربعين النووية
للعلامة محمد بن عبد الله الجرداني
(ت/ ١٣٣١ هـ)
حققه وخرج أحاديثه
الشيخ أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي
دار الفضيلة

الجواهر اللؤلؤية

في

شرح الأربعين النووية

للعلامة محمد بن عبد الله الجرداني

(ت/ ١٣٣١ هـ)

حققه وخرج أحاديثه

الشيخ أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي

دار الفضيلة

بطاقة فهرسة

أثناء النشر

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

الجرداني، محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف.

الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية / للعلّامة محمد بن عبد الله الجرداني؛ حققه وخرج أحاديثه: أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي.

ط 1 - القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 2012 م

384 ص، 24 سم

رقم الإيداع: 1505 / 2012 م

تدمك: 5 - 470 - 297 - 977 - 978.

1- الحديث - الأربعون حديثًا.

أ- النووي، يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (مؤلف مشارك).

ب- الطهطاوي، أحمد مصطفى قاسم (محقق ومخرج أحاديث).

ج- العنوان. 237.7

دار الفضيلة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٨ شارع عبد القاهر الجرجاني مدينة نصر - ت: ٢٢٧١٣٨٦٥ - فاكس: ٢٢٧١٣٨٧٥

المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٠٩٢٣١

الإمارات: دبي - ديرة. ص ب ١٥٧٦٥ ت ٢٦٥٧٢١١ فاكس ٢٦٥٧٢١٢

E-mail. Alfadeela @ Windowslive.com



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقِّق

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن كتاب « **الأربعين النووية** » التي جمعها الإمام الحافظ المُحَدِّث **أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي** من الكتب المباركة التي كتب الله لها القبول والانتشار بين عموم المسلمين منذ عصر مؤلِّفها وحتى وقتنا هذا ، وانتفع بها الناس على مرِّ الأزمان ، وما ذاك إلا لإخلاص مصنِّفها ، وحُسن طويته ، وصلاح نِيَّته ؛ ولذا تنافس العلماء والطُّلَّاب على حفظها ، وتدريسها ، والاعتناء بشرح معانيها وألفاظها ، نظرًا لحسن اختيار مصنِّفها للأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، ومعالم الحلال والحرام ، ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بشرح الأربعين **الإمام النووي** جامعها ، ومن بعده تلميذه **علاء الدين العطار** ، **وابن دقيق العيد** ، **وابن رجب** ، **وابن حجر الهيتمي** ، وغيرهم ممن يطول المقام بذكرهم .

ومن هذه الشروح الماتعة : شرح **العلاَّمة محمد بن عبد الله الجرداني** ، أحد أعيان علماء الشافعية بدمياط ، وذلك في كتابه المسمَّى بـ« **الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية** » ، وهو من الشروح الموسعة الجامعة ، والتي جمع فيها **العلاَّمة الجرداني خلاصة الشروح المدونة على الأربعين** ، والتي قد سبقته ، كما توسَّع في ذكر الأحاديث والآثار المرتبطة بأحاديث الأربعين ، وحرص على الاستشهاد بالقصص والمُلح المأثورة عن السلف من الصحابة ، ومن بعدهم من التابعين ، وأئمة الزهد والتَّصوّف مما له صلة بأحاديث الأربعين ، حتى صار كتابه « **الجواهر اللؤلؤية** » من أَجْمع ما صُنِّف في **شرح الأربعين** ؛ ولهذا رأينا نشر هذا السِّفر الجامع ، والعناية به من خلال تخريج أحاديثه

وآثاره وتوثيق نصوصه والترجمة لغير المشهورين من أعلامه ، مع إصلاح ما وقع في طباعته السابقة من تحريف وسَقْطٍ من خلال الرجوع إلى المصادر التي ينقل عنها المصنِّف .

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجزيَ خيرًا كل من أعان وأشار بطبعه ، إنه نِعْمَ المولى ونعم النصير .

كتبه أفقر العباد إلى الله

أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي

ترجمة المصنِّف(*)

هو العلَّامة الفقيه الواعظ **محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف الجرداني** ، الفقيه المصريّ ، من فضلاء الشافعية ، من أهل « دمياط » مولدًا ، وسكنًا ، ووفاةً .

له مصنَّفات تدلّ على تبحّرهِ وسَعَة اطّلاعه في الفقه ، والحديث ، والعقائد ، **منها** :

* « **الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية** » ، وهو الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه .
* « نيل المرام من أحاديث خير الأنام ﷺ » .
* « مصباح الظلام وبهجة الأنام شرح نيل المرام » .
* « مرشد الأنام إلى ما يجب معرفته من العقائد والأحكام » .
* « فتح العلّام شرح مرشد الأنام » .
* « إتحاف الناسك ببيان المناسك » .
* « البهجة السنية في صحيح حديث خير البرية ﷺ » .
* « النفحة المسكية شرح البهجة السنية » .

وفاته :

بعد حياة مليئة بالعلم والإفادة ونشر العلم ، انتقل **العلاَّمة الجرداني** إلى جوار ربّه في سنة 1331 هـ ، ودفن بمسقط رأسه « دمياط » ، رحم الله المصنِّف وأسكنه فسيح جناته .



(*) **انظر ترجمته في** : « إيضاح المكنون » لإسماعيل باشا (4/ 465 ، 492 ، 698) ، « هدية العارفين » له (6/ 385) ، « معجم المطبوعات » لسركيس ص 685 ، 887 ، 1100 ، « معجم المؤلفين المعاصرين » لمحمد رمضان (2/ 648) ، « معجم المؤلفين » لكحّالة (3/ 434) ، « الأعلام » للزركلي (6 / 244) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، قيوم السموات والأرضين ، مدبِّر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل - صلواته وسلامه عليهم - إلى المكلفين لهدايتهم ، وبيان شرائع الدين بالدلائل القطعية وواضحات البراهين ، أحمده على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، الكريم الغفار ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، أفضل المخلوقين ، المكرم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين ، المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين - صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين ، وآل كلٍّ وسائر الصالحين .

أما بعد : فقد روينا عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ﷺ ، من طرق كثيرات بروايات متنوعات أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الفُقَهَاءِ وَالعُلَمَاءِ** »[1] ، وفي رواية : « **بَعَثَهُ اللهُ فَقِيهًا عَالِمًا** »[2] ، وفي رواية أبي الدرداء : « **وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا** »[3] ، وفي رواية ابن مسعود : « **قِيلَ لَهُ : ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتَ** »[4] ، وفي رواية ابن عمر : « **كُتِبَ فِي زُمْرَةِ العُلَمَاءِ ، وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ** »[5] .

---

(1) **لا يصح** : رواه الرامهرمزي في « المحدِّث الفاصل » ص173، وابن عبد البر في « جامع العلم » (1/ 44) ، وابن عساكر في « الأربعين البلدانية » ص41 ، وضعَّفَهُ ابن عساكر والبيهقي كما في « فيض القدير » (6/ 119) .

(2) **ضعيف** : رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (1/ 248) ، والخطيب في « شرف أصحاب الحديث » ص20 ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (1/ 125) وضعَّفَهُ .

(3) ، (4) ، (5) ساق ابن الجوزي هذه الألفاظ بأسانيدها في « العلل المتناهية » (1/ 122 - 128) ، **وقال** : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، **وانظر** : « توضيح الأفكار » للصنعاني (1/ 192) .

واتفق الحفَّاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه ، وقد صنَّف العلماء - رضي الله تعالى عنهم - في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات ، فأول من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ، ثم محمد بن أسلم الطوسي العالم الرباني ، ثم الحسن بن سفيان النسوي ، وأبو بكر الآجري ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني ، والدارقطني ، والحاكم ، وأبو نعيم ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو سعد الماليني ، وأبو عثمان الصابوني ، وعبد الله بن محمد الأنصاري ، وأبو بكر البيهقي ، وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين .

وقد استخرت الله في جمع أربعين حديثًا اقتداءً بهؤلاء الأئمة الأعلام ، وحفَّاظ الإسلام .

وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف[1] في فضائل الأعمال[2] ، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث ؛ بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة : « **لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُم الغَائِبَ** »[3] ، وقوله ﷺ : « **نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاها كَمَا سَمِعَهَا** »[4] .

---

(1) في هذا الاتفاق الذي حكاه **الإمام النووي** نظر ؛ لأن جمعًا من كبار أهل العلم ذهبوا إلى عدم قبول الحديث الضعيف مطلقًا ، وقد حكى ذلك ابن سيد الناس عن ابن معين وابن العربي ، وعُزي إلى البخاري ومسلم ، وبه أخذ ابن حزم ، وإن كان ما ذكره النووي هو ما ذهب إليه **جمهور العلماء** .

انظر تفصيل ذلك في : « فتح المغيث » للسخاوي (1 / 323) ، « تدريب الراوي » (1 / 299) ، « الفصل » لابن حزم (2/ 82) ، « قواعد التحديث » للقاسمي ص113 ، « فن أصول مصطلح الحديث » للجرجاني ص85 ، 86 بتحقيقي . **ط : دار الفضيلة** .

(2) اشترط العلماء الذين ذهبوا إلى جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال عدة شروط :

الأول : أن يكون ضعف الحديث غير شديد ، كأن يكون راويه من الكذابين أو المتهمين بالكذب ، ومن فحش غلطه .

الثاني : أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به .

الثالث : أن يعتقد العامل كون ذلك الحديث ضعيفًا ، وأن لا يشهر ذلك ؛ لأن بعض الجهال قد يراه فيظن أنه سنة صحيحة ، وقد صرح بذلك **العز بن عبد السلام** .

انظر تفصيل ذلك في : « تبيين العجب » لابن حجر ص 11 ، 12 ، « فتح المغيث » (1 / 323) ، « قواعد التحديث » ص 116 ، « تدريب الراوي » (1 / 299) ، « الأجوبة الفاضلة » لعبد الحيّ اللكنوي ص 40 ، 41 ، « فن أصول مصطلح الحديث » للجرجاني ص 86 .

(3) **صحيح** : رواه البخاري (67) ، (105) ، ومسلم (1679) .

(4) **صحيح** : رواه أبو داود (3660) ، والترمذي (2656) ، وابن ماجه (230) ، وكذا ابن حبان (66) ، والحاكم (1/ 162) ، وصححاه ، وكذا الذهبي .

ثم من العلماء من جمع الأربعين **في أصول الدين** ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب ، وكلها مقاصد صالحة - رضي الله عن قاصديها - وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله ؛ وهي أربعون حديثًا مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام ، أو ثلثه ، أو نحو ذلك ، ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم ، وأذكرها محذوفة الأسانيد ؛ ليسهل حفظها ، ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى ، ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها .

وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات ، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات ، وذلك ظاهر لمن تدبره .

وعلى الله اعتمادي ، وإليه تفويضي واستنادي ، وله الحمد والنعمة ، وبه التوفيق والعصمة .



مقدِّمة الشارح

الحمد لله الذي شرَّف قدر من اشتغل بحديث سيد المخلوقات ﷺ وعلى آله وأصحابه ما دامت الأرض والسموات .

وبعد ؛ فيقول راجي عفو ربه الغني ، **محمد بن عبد الله الجرداني** : طلب مني بعض إخواني المحبين ، أن أجمع له شرحًا وجيزًا[1] على متن الأربعين ، فأجبته لما طلب ، راجيًا من الله تعالى الإعانة وبلوغ الأرب[2] ، وبادرت بالشروع فيه ، مؤملاً الدخول في حديث : « **والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** »[3] ، وسميته : « **الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية** » جعله الله خالصًا لوجهه الكريم ، ونفع به النفع العميم ، آمين .

ثم إن مصنِّف هذه الأربعين كان قطب[4] زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، واسمه **يحيى ابن شرف الدين** ، ولقِّب **بمحيي الدين** لكونه حرر مذهب الشافعي - رضي الله تعالى عنه - وقيل له : **النووي** ؛ لأنه ولد بنوى قرية من قرى دمشق ، ودفن فيها ، وكان مولده في المحرم سنة ستمائة وثلاثين ، **وقيل** : وإحدى وثلاثين .

وكان شديد الورع والزهد ، صابرًا على خشونة العيش ، تاركًا لجميع ملاذ الدنيا ، وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد العشاء ، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر ، ولم يجمع بين إدامين .

وله رضي الله عنه كرامات كثيرة[5] ، منها :أن سبابة يده اليسرى أضاءت له حين فَقَدَ وقت

---

(1) **وجيزًا** : أي قصيرًا سريع الوصول إلى الفهم .

(2) **الأرَب** : الحاجة .

(3) **صحيح**: رواه مسلم (2699) ، وأبو داود (4946) ، والترمذي (1425) .

(4) **قطب** : القطب في الأصل : الحديدة التي تدور عليها الرحى ، **وقيل** : نجم صغير تبنى عليه القِبْلة ، **والقطب هنا** : بمعنى سيد القوم حِسًّا ومعنى ، **يقال** : هو قُطْب بني فلان : أي سيدهم الذي يدور عليه أمرُهُمْ .
انظر : « جمهرة اللغة » (1 / 359) ، « مقاييس اللغة » (5 / 105) ، « تاج العروس » (4 / 57) .

(5) أهل السنة يثبتون ما قد يقع من كرامات لأهل الإيمان والتقى من الأولياء والصالحين ، مع ملاحظة أن إثبات هذه الخوارق التي فشا ذكرها في كتب جمع من المتأخرين من أهل الزهد والتصَوّف هي مسألة تاريخية بَحْتة لمن شاء تقصي العجائب ولا ارتباط لها بأصل الإيمان ؛ لأنهم لا يجزمون بشيء من ذلك إلا بما صحّت به الرواية وثبت به النقل .

التصنيف ما يسرجه ، ومنها : أنه كان من أصحاب الخطوة ؛ فكان يذهب إلى مكة ليلاً ويطوف ويرجع ، واشتهر أن الخضر[1] عليه السلام كان يجتمع به .

ولما مَرِضَ مَرَضَ الموت اشتهى التفاح ، فجيء له به فلم يأكله ، فلما مات رآه بعض أهله **فقال له** : ما فعل الله بك؟ **فقال** : أَكْرَمَ نُزُلِي ، وتقبّل عملي ، وأول قرائي جاءني بالتفاح .

وكانت وفاته في رجب سنة ست وسبعين وستمائة[2] ، وعمره نحو ست وأربعين سنة – رحمة الله تعالى عليه .

وافتتح كتابه بقوله : (**بسم الله الرحمن الرحيم**) اقتداء بالقرآن العزيز ، وعملاً بحديث : « **كل أمر ذي بال** » أي صاحب حال يهتم به شرعًا « **لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم** » أي لا تُذكر البسملة في أوله « **فهو أجذم** »[3] أي ناقص وقليل البركة . فهو وإن تم حسًّا لا يتم معنًى .

وورد : « **إذا كتبتم كتابًا فاكتبوا في أوله بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا كتبتموها فاقرءوها** »[4] .

---

(1) اشتُهِرَ القول بحياة الخضر عند جمع من الزُّهاد والمتصوفة ، وكثرت دعوى لقائه في القفارى والخلوات ، والإيمان باستمرار حياة أحد من الناس إلى ما دامت السموات والأرض يحتاج إلى دليل نقلي صريح ؛ لأنه يمس جانب العقيدة ؛ ولذا جزم جمع من كبار أهل العلم بعدم حياته ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : 34] ، وذكر ابن حجر عن البخاري أنه سُئِلَ عن حياة الخضر فأنكر ذلك ، ونقله أبو حيان عن جمهور أهل العلم ، ونقل عن أبي الفضل المرسي أن الخضر صاحب موسى مات ؛ لأنه لو كان حيًا لزمه المجيء إلى النبي ﷺ والإيمان به واتباعه ، وقد ألّف ابن المنادي وابن الجوزي جزءًا في إثبات وفاته ، ونُقِلَ ذلك عن ابن العربي المالكي والنقاش وأبي يعلى وابن القيم وابن تيمية ، وهو ما بسطه الحافظ ابن حجر في كتابه « **الزهر النضر في أنباء الخضر** » **انظر** منه ص 49 – 86 ، « **المنتظم** » لابن الجوزي (1 / 361 ، 362) ، « **المنار المنيف** » لابن القيم ص 75، « **البداية والنهاية** » لابن كثير (1 / 336) ، « **الإصابة** » لابن حجر (2 / 298) ، « **الفوائد المجموعة** » للشوكاني ص 80، « **منهاج السنة** » لابن تيمية (8 / 262) .

(2) **انظر** تفصيل ترجمته وأخبار وفاته في : « **المنهل العذب الروي في ترجمة النووي** » للسخاوي ص 183 .

(3) **ضعيف** : رواه الخطيب في « **الجامع لأخلاق الرواي** » (2 / 69) ، والرُّهاوي في « **الأربعين** » بسند ضعيف كما قال ابن حجر والمناوي . **انظر** : « **فيض القدير** » (5 / 13) ، « **تخرج الآثار** » للزيلعي (1 / 24) .

(4) الخبر بلفظ : « **إذا كتبتم كتابًا فَجَوِّدوا بسم الله الرحمن الرحيم تقضى لكم الحوائج** » ذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (1 / 270) وذكره السيوطي في « **اللآلئ المصنوعة** » (1 / 185) ، والمناوي في « **فيض القدير** » (1 / 433) ، والشوكاني في « **الفوائد المجموعة** » ص277 ؛ **وقالوا** : خبر موضوع لا يصح .

ومن خواصها : أنَّ مَن تلاها عند النوم إحدى وعشرين مرة أَمِنَ تلك الليلة من الشيطان ، ومن موتِ الفجأة ، وأمن بيته من السرقة . ومن كتبها ثلاثمائة مرة وحملها رُزِق الحفظ والقبول عند جميع الخلق . **وقيل** : إن من كتبها في أول يوم من المحرم مئة وثلاث عشرة مرة وحملها لم ينله مكروه هو وأهل بيته مُدةَ عُمره . ومن استيقظ من منامه وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » رَزَقَهُ اللهُ رضوانه الأكبر .

وفي الحديث : « **إذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالت الجنة : لبيك وسعديك ، اللهم إنَّ عبدَكَ فلانًا قال : بسم الله الرحمن الرحيم : اللهم زحزحه** (أي : باعده) **عن النار وأدخله جنتك** »[1] .

(**الحمد**) أي الثناء بكلّ كمالٍ ثابت ومستحق . (**لله**) فلا فرد منه لغيره سبحانه وتعالى ؛ لأنَّ الكمالَ إمَّا قديم فهو وصفه ، وإمَّا حادث فهو فعله . وأتى المصنِّف بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالقرآن الكريم ، وعملاً بقوله ﷺ : « **إن الله يحب الحمد يحمد به ليثيبَ حامده** »[2] . وورد أنه ﷺ قال : « **حَمْدُ اللهِ أمانٌ للنعمة من زوالها** »[3] .

وقال بعض العارفين[4] : الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية ، فمن قال : الحمد لله استحق أن تُفْتَحَ له الأبواب الثمانية يدخل من أيها شاء ، فيخيَّر بينها إكرامًا له .

واختلف العلماءُ هل الأفضل قول الحمد لله أو قول لا إله إلا الله؟ فذهب جَمْعٌ إلى الأول ، واحتجوا بقوله ﷺ : « **من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة وحطّ عنه عشرون سيئة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة وحطّ عنه ثلاثون سيئة** »[5] .

---

(1) ذكره البكري في « إعانة الطالبين » (1 / 4) ولم يعزه إلى أحد ، ولم أجده عند غيره .

(2) **ضعيف** : ذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (1 / 155) بهذا اللفظ ، وهو بنحوه عند الطبراني في « الكبير » (1 / 283) ، والمقدسي في « المختارة » (4 / 251) بسند منقطع ، وضعّفه السيوطي كما في « فيض القدير » (2 / 296) .

(3) ذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (2 / 155) ، وعزاه السيوطي في « الجامع الكبير » (4 / 249) إلى الديلميّ ، والهندي في « كنز العمال » (3 / 104) إلى البيهقي .

(4) أصل هذا القول للرازي في « تفسيره الكبير » (1 / 180) ، ونقله عنه النيسابوري في « غرائب القرآن » (1 / 95) ، وابن عادل في « اللباب في علوم الكتاب » (1 / 175) .

(5) **صحيح** : رواه أحمد (2 / 302) والنسائي في « الكبرى » (6 / 210) ، وابن أبي شيبة (6 / 104) ، والحاكم (1 / 693) ، والطبراني في « الدعاء » (1681) ، والبيهقي في « الشعب » (1 / 415) وصححه الحاكم والذهبي .

وذهب جمعٌ إلى الثاني ، واحتجوا بقوله ﷺ : « **مفتاح الجنة لا إله إلا الله** »[1] . واختار هذا ابن عطية[2] ، واستدل له بقوله ﷺ : « **أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له** »[3] .

(**رب العالمين**) أي مالك جميع المخلوقين من الإنس والجن والملائكة والدَّوابّ وغيرهم . ولا يجوز إطلاق لفظ رب على غيره تعالى إلاَّ مُقيَّدًا ، كربّ الدار .

قال بعضهم : وفي هذا اللفظ خصوصية لا تُوجد في غيره من أسماء الله تعالى ، وهي أنك إذا قرأته طردًا ، أي مستقيمًا ، كان من أسمائه تعالى ، وإذا قلبته كان من أسمائه أيضًا وهو بَرّ بفتح الباء بمعنى محسن . **وقيل** : إنه اسم الله الأعظم لما ورد في الحديث : « **إذا قال العبد : يا رب يا رب ، قال الله تعالى : لبيك عبدي سَلْ تُعط** »[4] . وقال بعضهم : من أكثر ذِكرَ هذا الاسم أجاب الله دعوته وقضى حاجته .

(**قيوم السموات والأرضين**) أي القائم بتدبيرهما وحفظهما وحفظ ما فيهما .

فائدة : من قال يا حي يا قيوم أذهب الله عنه كل هَمٍّ وحزن وغمّ ، ورَزَقه من حيث لا يحتسب .

وقال بعضهم : مَن قال ذلك كُلَّ يوم أربعين مرّة عند طلوع الشمس أحيا الله قلبه ، ونوَّر فكره ، ويسَّر عسره ، وأنطقه بالحكمة ، وشرح بالمعرفة صدره .

---

(1) **ضعيف مرفوعًا** : رواه أحمد (5/ 242) ، والطبراني في « الدعاء » (1479) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (2/ 38) ، والبيهقي في « الصفات » (1 / 205) ، وسنده ضعيف لانقطاعه كما في « مجمع الزوائد » (1 / 16) ، وهو مروي عن التابعي الجليل وهب بن منبّه ﷺ عند أبي نعيم في « صفة الجنة » (2 / 39) ، و« الحلية » (4 / 66) ، والبيهقي في « الصفات » (1 / 221) ، وسنده حسن كما في « فتح الباري » (3 / 110) .

(2) عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي ، فقيه ، مالكي ، مفسر ، له تفسيره المعروف بـ« المحرر الوجيز » ، « فهرس شيوخه » توفي سنة 542 هـ .

انظر ترجمته في : « الوافي بالوفيات » (18 / 40 ، 41) ، « سير أعلام النبلاء » للذهبي (20 / 133) .

(3) **حسن لغيره** : رواه مالك (1 / 214) ، وعبد الرزاق (4 / 378) ، والبيهقي في « فضائل الأوقات » (191) ، **وقال** : هذا مرسل حسن ، وضعِّف وصله ، ورُوِيَ موصولاً عند الترمذي (3585) ، والطبراني في « الدعاء » (874) ، وبه يحسن الحديث .

(4) **ضعيف مرفوعًا** : رواه ابن أبي الدنيا كما في « الترغيب » (2/ 320) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (1 / 286) ، والبزار « كشف الأستار » (3145) ، وابن عساكر في « تاريخه » (51/ 165) ، وفيه الحكم بن سعيد الأموي وهو ضعيف ، وقد روي عن عائشة موقوفًا ، وهو الأشبه .**انظر** : « مجمع الزوائد » (10 / 159) ، « فيض القدير » (1 / 411) .

وقال جعفر بن محمد[1] : عجبت لمن بلي بأربع ، كيف يغفل عن أربع : مَن بلي بالغم كيف لا يقول : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : 87] .

والله تعالى يقول : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : 88] .

ومن خاف شيئًا كيف لا يقول : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : 173] .

والله تعالى يقول : ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران : 174] .

ومن مُكِرَ به كيف لا يقول : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر : 44] .

والله تعالى يقول : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ [غافر : 45] .

ومن رغب في شيء كيف لا يقول : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [الكهف : 39] .

والله تعالى يقول : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف : 40] .

(**مدبر الخلائق أجمعين**) أي مُصرِّف أمورهم على وفق مشيئته من إيجاد وإعدام ، وإعطاء ومنع ، وإعزاز وإذلال ، وصحّة ومرض ، وغير ذلك على حسب ما تقتضيه حكمتُه البالغةُ . فينبغي للعاقل ألا يهتمَّ بأحوال الدنيا بل يُسلِّمَ أمره لمولاه ، كما قال الشيخُ أبو الحسن البكري[2] – نفعنا الله به – :

سَلِّم أُمورَكَ لِلَّطيفِ العالمِ ... وَأرِحْ فُؤادَكَ من جميعِ العالمِ

واعلمْ بأنَّ الأمرَ ليس كما تشا ... بل ما يشاءُ اللهُ أحكمُ حاكمِ

فاطربْ وطِبْ وانسَ الهمومَ جميعَها ... إنَّ الهمومَ تزيلُ لُبَّ الحازمِ[3]

لا ينفعُ التدبيرُ عبدًا عاجزًا ... فاتركه تبقَ في نعيمٍ دائمِ

---

(1) **جعفر بن محمد الصّادق أبو عبد الله** ، فقيه ، ثقة ، **قال أبو حنيفة** : ما رأيتُ أفقه منه . توفي سنة 148 هـ .
انظر : الكاشف (1 / 295) ، « التقريب » ص 141 .

(2) **على بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي** ، أبو الحسن ، فقيه ، مصري ، ناظم ، له : « الكنز في شرح المنهاج » ، حاشية على شرَح المحلّي . توفي سنة 952 هـ .
انظر : « الكواكب السائرة » للغزي (2 / 194 – 197) ، « شذرات الذهب » (8 / 292 ، 293) .

(3) **الحَازِم** : المتقن الذي يضبط الأمور .

وقيل :

سيكونُ ما هو كائنٌ في وقته   وأخو الجهالةِ مُتعبٌ محزون
ولعلَّ ما تخشاه ليس بكائنٍ   ولعل ما ترجوه ليس يكون

وقال **سيدي أبو الحسن الشاذلي**[1] : من أراد عِزَّ الدَّارَيْن فليرحْ من الدنيا جسده وقلبه[2] .

(**باعث الرسل**) أي مرسلهم بالأوامر والنواهي ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر ، يجب علينا أن نعرفَ خمسةً وعشرين منهم بأسمائهم . وقد نظمهم الشيخ محمد الدمنهوري[3] على حسب ترتيبهم في الإرسال ، **فقال** :

أَلا إنَّ إيمانًا برسلٍ تحتَّما   وهم آدمُ إدريس نوح على الولا
وهود وصالح لوط مع إبراهيم أتى   كذا نجله إسماعيل إسحاق فضلا
ويعقوب يوسف ثم يتلو شعيبهم   وهارون مع موسى وداود ذُو العلا
سليمان أيوب وذو الكفل يونس   وإلياس أيضًا واليسع ذاك فاعقلا
كذا زكريا ثم يحيى غلامه   وعيسى وطه خاتمًا قد تكملا

(**صلواته**) المتكررة . وفي بعض النسخ : **صلاته** بالإفراد ، أي رحمته المقرونة بالتعظيم ، (**وسلامه**) أي تحيته ، (**عليهم**) أي الرسل . وجَمَعَ المصنِّفُ بين الصلاة والسلام خُروجًا من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر لفظًا أو خطًّا . واستظهر المناوي أنَّ أصلَ السنة يحصل بالإتيان بأحدهما ، وكمالها إنما يحصل بجمعهما . وقوله : (**إلى المكلفين**) متعلق بباعث . **والمكلفون** : هم البالغون العاقلون ؛ سُمُّوا بذلك لتحمَلهم

---

(1) **علي بن عبد الله بن عبد الجبَّار الشاذلي** ، نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية ، نور الدين أبو الحسن ، الزَّاهد الوَرِع المتصوف الذي تنسب إليه الطريقة الشاذلية . توفي سنة 656 هـ .
انظر : « طبقات الأولياء » لابن الملقن ص 458 ، « شذرات الذهب » (5 / 278) ، « هدية العارفين » (1 / 709) .

(2) **انظر** أصل كلامه ﷺ في « الطبقات الكبرى » للشعراني (ص293) .

(3) **محمد الدَّمَنْهُوري المصري** ، فقيه ، شافعي ، لغوي ، شاعر ، من مدرسي الأزهر ، **من مؤلفاته** : أبيات فيمن يجب الإيمان بهم من الرسل مع ترتيبهم في الإرسال ، والإرشاد الشافي في العروض والقوافي . توفي سنة 1288 هـ .
انظر : « معجم المطبوعات » (883 ، 884) ، و« اكتفاء القنوع » (475) ، و« معجم المؤلفين » (3 / 287) .

كلفة ، أي مشقة الأوامر والنواهي . وقوله : (**لهدايتهم**) متعلِّق أيضًا بباعث ، والهداية معناها الدلالة والإرشاد ؛ أي لأجل إرشادهم ودلالتهم على سلوك سبيل الهدى ، وتجنّب طريق الردى ، أي الهلاك . (**وبيان شرائع الدين**) : أي ما شرعه الله من الأحكام .

وقوله : (**بالدلائل القطعية**) متعلق ببيان ، والقطعية ؛ ما تقطع مجادلة الخصم ومعارضته . وقوله : (**وواضحات البراهين**) من إضافة الصِّفة إلى الموصوف ، أي : البراهين الواضحة التي لا إشكال فيها ، (**أحمده**) أي : أثني عليه ثناءً جميلًا ، (**على جميع نعمه**) : وهي كثيرة لا تحصى ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : 34] .

وأعظم النعم الدنيوية الإيمان ، وأعظم النعم الأخروية مشاهدة ذات الله تعالى في الجنان ، (**وأسأله المزيد**) : أي أطلب منه مزيد النعم ، أي زيادتها ، (**من فضله**) : أي إحسانه ، (**وكرمه**) : أي إكرامه .

حُكي أن رجلين أعميين جلسا على طريق أم جعفر ، وكانت موصوفة بالكرم ، وكان **أحدهما يقول** : اللهم أعطني من فضلك ، **والآخر يقول** : اللهم أعطني من فضل أم جعفر . فكانت ترسل كُلَّ يوم للأول درهمين وللثاني رغيفين معهما دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير ، فكان طالبُ فضلها **يقول لصاحبه** : أعطني الدرهمين وخذ الدجاجة لأولادك ، وهو لا يعلم ما في جوفها ، ففعل ذلك مدة . **فقالت أم جعفر** : قولوا لطالب فضلنا : أما أغناك عطاؤنا ؟ **فقال** : لا والله إنما كنتم تُعطوني رغيفين ودجاجة ، فكنتُ أبيع ذلك لصاحبي بدرهمين ، **فقالت** : صدق ، ذلك يطلبُ من فضل الله فأعطاه الله من حيث لم نقصدْ غِناه ، وهذا طَلَبَ فضلنا فحرَمهُ الله من حيث أردنا غناه ؛ ليعلمَ الخلقُ أنَّ المقاديرَ لا تُغالب ، وأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

(**وأشهد**) : أي أقرّ وأذعن ، (**أن لا إله**) : لا معبودَ بحقّ ، (**إلاَّ الله**) : الواجب وجوده . **قال بعضهم** : وحظ العبد من لا إله إلا الله ؛ أن يعلمَ أنه لا مُعطي ، ولا مانع إلا مَن ثبتتْ له الألوهيَّةُ ؛ **ولذا قيل** : إذا قال أحد : لا إله إلا الله طالبه بحقّها ، وهو أنه لا ينسب شيئًا إلا إليه .

(**الواحد**) : أي المنفرد في ذاته ، وصفاته وأفعاله ، لا شريك له ولا نظير ولا

مشابهة بينه وبين غيره بوجهٍ من الوجوه . (**القهّار**) : أي الذي لا موجودَ إلا وهو مقهورٌ تحت قدرته ، مُسَخَّر بقضائه ، عاجز في قبضته . **وقيل** : هو الذي أذلَّ الجبابرة وأهلكهم . (**الكريم**) : أي الذي إذا قدرَ عفا ، وإذا وعد وَفَى ، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ، ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى ، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ؛ بل يغنيه عن الوسائل والشفعاء . (**الغفّار**) : أي الكثير المغفرة لعباده .

فائدة : قال بعضُ السلف : مَن أحبَّ أن يكثر ماله وولده ويُبارَك له في رزقه **فليقل** : أستغفر الله إنه كان غفارًا ، في اليوم سبعين مرة .

(**وأشهد أنَّ**) سيدنا (**محمَّدًا**) : علمٌ على نبينا ﷺ . (**عبده ورسوله**) : قدَّم وَصْفَ العبودية امتثالاً لما في الحديث الصحيح : « **ولكن قولوا عبد الله ورسوله** »[1] . ولأنها أشرف أوصافه ، ومن ثَمَّ لما خُيِّر بين أن يكونَ مَلِكًا رسولاً أو عبدًا رسولاً ، اختار أن يكونَ عبدًا رسولاً[2] لِعِلْمِهِ بشرف العبودية ، **والرسول** : **لغةً** : المرسَل . **واصطلاحًا** : ذَكَر ، حُرّ ، من بني آدم ، أُوحِيَ إليه بشرعٍ يعمل به وأمر بتبليغه . وهو أخصّ من النبي ؛ إذ هو مأمورٌ بالعمل بما أوحي إليه فقط ، فكلُّ رسول نبي ، ولا عكس . (**وحبيبه وخليله**) : أي الذي أحبّه الله تعالى ، وجعله خليلًا . رُوي أنه صعد المنبر يومًا مستبشرًا فرحًا فقال : « **إنَّ الله قد اتّخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ، فأنا حبيبُ الله ، وأنا خليلُ الله** »[3] .

ومحبة الله للعبد : ثناؤه عليه ورضاه عنه ، وهي تكونُ بحسب معرفته به ولا شك أنّ أعرفَ الناس به نبينا محمد ﷺ ، فهو أحبّهم وأحقّهم باسم الحبيب . وخلّة الله للعبد تمكينه من طاعته وعصمته . **ومعنى كون المصطفى خليل الله** : أنه شديد الطاعة لمولاه ، وأن الله اصطفاه وخصَّه بالكرامات : من إجابة الدعوة ، وإظهار الخوارق على يديه ، والنصرة على أعدائه .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (3261) ، وأحمد (1 / 47) ، والدارمي (2 / 412).

(2) **ورد ذلك في حديث صحيح** : رواه أحمد (2 / 231) ، وأبو يعلى (10 / 491) ، وابن حبان (6365) وصحّحَهُ .

(3) ذكره الغزالي بهذا السياق في « الإحياء » (2 / 193) ، وشطره الأول إلى قوله خليلًا ، هو عند مسلم (532) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 328) ، وابن حبان (6425) ، وأما شطره الثاني فلم يرد بهذا السياق كما أشار إليه العراقي في « تخريج الإحياء » (2 / 144) ، وإنما ورد عند الترمذي (3616) ، والدارمي (47) ، بلفظ : « . . . **وأنا حبيب الله ولا فخر** . . . » وضعَّفَه الترمذي.

(**أفضل المخلوقين**) : من أهل السموات والأرضين ، أي أرفعهم وأشرفهم في الدنيا والآخرة ، ويليه سيدنا إبراهيم ، ثم سيدنا موسى ، ثم سيدنا عيسى ، ثم سيدنا نوح ، ثم بقية الرسل ، ثم الأنبياء غير الرسل ، وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى . ثم جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم عزرائيل ، ثم بقية رؤساء الملائكة : كرضوان ، ومالك ، وحملة العرش ، والكروبيين ، وهم الحافّون به ؛ سُمُّوا بذلك لأنهم مُتصدُّون للدعاء برفع ما نزل بالأمة من الكُرُوب . ثم صُلَحاء هذه الأمة كالصحابة والتابعين والشهداء ، ثم عوامّ الملائكة وهم غير رؤسائهم ، وأفضل الصلحاء : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم الستة الباقون من العشرة المبشرين بالجنة ، ثم أهل غزوة بدر ، ثم أهل غزوة أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم بقية الصحابة ، ثم التابعون وأفضلهم أُوَيْس القَرَني[1] ، ثم أتباع التابعين - رضي الله تعالى عنهم أجمعين . (**المكرَّم**) : على غيره من الرسل . (**بالقرآن**) : وهو الكلام المنزل إليه للإعجاز المتعبّد بتلاوته ؛ أي المثاب على قراءته ولو بدون معرفة معناه ، بخلاف غيره من الأذكار فإنه لا يُثاب عليه قارئه إلا إذا عرف معناه ولو إجمالاً ، والأحاديث وباقي العلوم لا يُثاب عليها من حيْث قراءة لفظها ، وإنما يُثاب عليها من حيث تعليمها ، وتعلّمها ، وكتابتها . (**العزيز**) : أي الذي لا نظيرَ له ، الممنوع من تغييره أو تحريفه لحفظ الله له . (**المعجزة**) : أي الذي أعجز الفصحاء من العرب عن معارضته ، وذلك أنه ﷺ دعاهم للإتيان بمثله فعجزوا ، ثمّ بعشر سور فعجزوا ، ثمّ بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ، ثم نادى بذلك على جميع البلغاء والفصحاء منهم مع كثرتهم فعجزوا ، حتى إنّهم آثروا مقارعة السيوف على معارضة الألفاظ والحروف ، ووجه إعجازه كونه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة ، مع اشتماله على الأخبار بالمغيبات الماضية والآتية ، وعلى دقائق العلوم وأحوال المبدأ والمعاد ، ومكارم الأخلاق والإرشاد إلى المصالح الدينية والدنيوية ، وجاء أنهم كانوا يتعجّبون من حُسْنِ نظمه وبلاغة معانيه ، حتّى إنَّ جماعة منهم كانوا يرقصون رءوسهم عند سماع قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ

---

(1) هو التابعي الجليل **أويس بن عامر بن جزء المرادي القرني** العابد الزاهد ، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة **وقال** : كان ثقة أدرك النبي ﷺ ولم يره ، وهو الذي قال فيه ﷺ : « **خير التابعين رجلٌ يقال له : أُوَيس** » [رواه مسلم (2542) ، وأحمد (1 / 38)] .

انظر : « الثقات » لابن حبان (4 / 52) ، « الإصابة » (1 / 219) ، « اللسان » (1 / 471) .

ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ [سورة هود : 44] . وسجد واحد منهم عند سماع قوله تعالى :
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الحِجْر : 94] .
وقال : سجدتُ لفصاحة هذا الكلام .

ورُوي أن الأصمعي - بفتح الميم - سمع بنتًا صغيرة تتكلم فتعجَّب من فصاحتها ، **فقالت له** : يا هذا وهل ترك القرآن لأحدٍ فصاحة ؟! اقرأ قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة القصص : 7] .

فقد جمع فيها بين أمرين ، ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين[1] . **وقيل** : إن بعضَ بطارقة[2] الروم سمع من يقرأ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [سورة النور : 52] . فأسلم ، وجاء إلى سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه - وأخبره أنَّ هذه الآية جمعت كلَّ ما أنزل على سيدنا عيسى من أحوال الدنيا والآخرة .

فائدة : ذَكَرَ بعضُ العلماء أنَّ كمال الإيمان متوقِّفٌ على معرفة علم المعاني والبيان والبديع ؛ لتوقّف إدراك إعجاز القرآن ، الذي هو معجزة المصطفى ﷺ ، على معرفتها .

فلذا كانت معرفتها فرض كفاية .

(**المستمرَّة**) : أي الدائمة ، (**على تعاقب**) : أي توالي ، (**السنين**) : فيعارض بها من طعن في رسالته في كلّ زمان إلى يوم القيامة ، بخلاف باقي معجزاته ، وكذا معجزات سائر الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، فإنها انقرضتْ بانقراضهم ، (**وبالسنن**) ، أي والمكرّم بالسُّنَن ، جمع : سُنّة ، وهي لغةً : الطريقة . والمراد بها هنا ما أوحي إليه به وألهمه .

وقال بعضهم : هي ما سَنّه النبي ﷺ ، أي : ما شرعه من الأحكام فرضًا أو نفلًا .

---

(1) ذكره أسامة بن منقذ الكناني في « لباب الآداب » ص 95 ، وفي آخره **قال الأصمعي** : فرجعت بفائدة وكأن تلك الآية ما مرّت بمسامعي .

(2) **بطارقة** : جمع بَطْرِيق . **قيل** : هو القائد أو الرئيس الشريف الذي تحت يده عشرة آلاف رَجُل ، **وقيل** : هو الحاذق بأمور الحرب وذو المنصب والمُقَدَّم عندهم . **وقيل** : هو العظيم من الروم .
انظر : « تاج العروس » (25 / 84) ، « المحكم » (6 / 623) .

(**المستنيرة**) : أي الواضحة ، (**للمسترشدين**) : أي طالبين الرّشد والاستقامة ، (**المخصوص**) : دون غيره من الأنبياء والرسل ، (**بجوامع الكلم**) : من إضافة الصفة للموصوف ، أي بالكلم الجوامع ، وهي إيجاز اللفظ مع سعة المعنى ، فيجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل ، وهذا أمر محمود ؛ فقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : **خيرُ الكلام ما قل ودلّ**[1] .

وجوامع الكَلِم التي خُصَّ بها ﷺ نوعان :

أحدهما : ما هو في القرآن كقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ ﴾ [سورة النحل : 90] .

قال الحسن : لم تترك هذه الآيةُ خيرًا إلا أمرتْ به ولا شرًّا إلا نهت عنه[2] .

وثانيهما : ما هو في كلامه ﷺ كقوله : « **من حُسْنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه** »[3] . وقوله لمن سأله الوصية : « **لا تغضب** »[4] . وقوله : « **اتَّقِ الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن** »[5] . وقوله : « **كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل** »[6] . وقوله : « **رَحِمَ اللهُ امرأ تكلّم فغنم أو سكتَ فسلم** »[7] . وقوله : « **الدَّالُّ على الخير كفاعله** »[8] .

---

(1) عزاه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما : الماوردي في « الحاوي الكبير » (1 / 11) ، وابن أمير الحاج في « التقرير والتحبير » (1 / 16) ، وعُزي إلى علي رضي الله عنه في : « التحبير شرح التحرير » للمرداوي (1 / 124) ، و« منار السبيل » لابن ضويان (1 / 13) ، وعُزي إلى جعفر بن يحيى وزير المهدي كما في : « الإعجاز والإيجاز » للثعالبي ص 98 ، و« غرر الخصائص الواضحة » لابن الوطواط ص 94 .

(2) ذكره ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » ص 5 بهذا اللفظ ، وذكره البيهقي مسندًا عن الحسن بلفظ : « والله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله إلا جمعاه ، ولا تركت الفحشاء والمنكر والبغي شيئًا من معصية الله إلا جمعوه ».

انظر الأثر في : « زاد المسير » (4 / 484) ، « الدر المنثور » (5 / 160) ، « الحلية » (2 / 158) .

(3) ، (4) ، (5) ، (6) سيأتي تخريج هذه الأحاديث ضمن الأربعين النووية .

(7) **خبر مرسل** : رُوي عن الحسن مرسلًا عند هناد في « الزهد » (2 / 535) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (41) ، وأحمد في « الزهد » ص 277، وروي مسندًا عن أنس عند القضاعي في « مسند الشهاب » (582) والبيهقي في « الشُّعب » بسند فيه ضعف كما في « تخريج الإحياء » (2 / 769) للعراقي ، رُوي بلفظ مقارب عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله كما في « المقاصد الحسنة » للسخاوي ص 364 .

(8) **صحيح** : رواه أحمد (5 / 357) ، والترمذي (2670) ، والطبراني في « الكبير » (17 / 226) ، و « الأوسط » (3 / 34) ، والبزار (1742) .

وجوّز ابن حبيب[1] أن يكونَ المرادُ بجوامع الكلم ما جاء أنه ﷺ كان يُكلِّم كُلّ قبيلة بلسانها وإن لم يكن رآها قبل .

(**وسماحة الدِّين**) : معطوف على جوامع الكلم ، أي : والمخصوص سماحة الدين ، أي : سهولته وخلوّه من المشاق التي كانت على اليهود ؛ كعدم إجزاء أخذ الدية في القتل ولو خطأ ، وكقطع الأعضاء الخاطئة ، وفقء العين في النظر إلى ما لا يحلّ ، وأداء ربع المال في الزكاة ، واسترقاق السارق للمسروق منه ، وتحريم مجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها ، وكون مَن أذنب منهم يحرمُ عليه أكل الطيبات ويصبح ذنبه مكتوبًا على بابه فيُقام عليه حدّه . وكما أن هذا الدِّين خالٍ من المشاق ، فهو خال أيضًا من التفريط المفوّت لمحاسن الآداب ، كما كان في النصرانية ، **من نحو** : جواز مخامرة النجاسة ، أي مخالطتها ، ووطء الحائض . وقد ورد : « **أحبُّ الأديان إلى الله تعالى الحنيفية السمحة** »[2] ؛ أي الملة المائلة عن دِين اليهود والنصارى ، السهلة التي لا حَرَج فيها ولا تضييق ، وهي مِلّةُ الإسلام التي تمنّى الأنبياء أن يتَّبعوه فيها . كما جاء أنه ﷺ قال : « **لو كان موسى وعيسى حَيَّين لما وسعهما إلا اتباعي** »[3] .

(**صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر**) : أي باقي أو جميع (**النبيِّين**) : وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا والرسل منهم . وتقدَّم أنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر . وأعاد المصنِّف الصلاة والسلام عليه ﷺ خصوصًا ثم على الأنبياء عمومًا ؛ لمزيد التعظيم لهم ؛ إذْ هم الواسطة بين الله وبين العباد ، وجميع النعم الواصلة إليهم التي أعظمها الإنقاذ من الضلالة ، والإرشاد إلى ما يوصل إلى السعادة الأبدية ، إنما هي بسببهم واغتنامًا للثواب الوارد في قوله ﷺ : « **من صلى عليَّ في**

---

(1) **عبد الملك بن حبيب بن سليمان أبو مروان السلمي** ، فقيه ، مُحَدِّث من كبار أصحاب مالك الحافظين لمذهبه . توفي سنة 238 هـ .

انظر : « ترتيب المدارك » (2 / 30) ، « سير أعلام النبلاء » (12 / 102) ، « الديباج » (2 / 8) .

(2) **صحيح** : روي مرسلًا عند معمر بن راشد في « جامعه » (11 / 194) ، وابن سعد في « الطبقات » (3 / 395) ، وموصولاً عند أحمد (1 / 236) ، والبخاري في « الأدب » (287) ، والطبراني في « الكبير » (11 / 227) ، وصححه ابن مفلح في « الآداب » (2 / 99) ، وكذا ابن حجر في « الفتح » (2 / 41) .

(3) **فيه مقال** : رواه أحمد (3 / 338) ، وابن أبي شيبة (5 / 312) ، وأبو يعلى (4 / 102) ، **قال الحافظ** : وفي سنده مُجَالد بن سعيد وهو لين الحديث .**قلتُ** : والحديث ليس فيه ذكر عيسى ﷺ .

كتاب لم تزلِ الملائكةُ تستغفرُ له »[1] . وفي رواية : « **تصلّي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب** » ، وعملاً بقوله ﷺ : « **صلّوا على النبيين إذا ذكرتموني فإنهم بُعثوا كما بُعِثت** »[2] .

فائدة : مَن قال ثلاث مرات حين يُمسي وحين يصبح : « **اللهم صلِّ على سيدنا محمد في الأولين ، وصلِّ على سيدنا محمد في الآخرين ، وصلِّ على سيدنا محمد في النبيين ، وصلِّ على سيدنا محمد في المرسلين ، وصلِّ على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدِّين** » ، هدمت ذنوبه ومُحيت خطاياه ودام سروره واستُجيب دعاؤه وأعطي أمله وأُعين على عدوه .

(وآل كل) : أي وعلى آل كُلِّ واحدٍ مِمَّن ذكر . **والمراد بالآل** : الأقارب أو الأتباع ، وهو أولى ؛ لأنه اللائق بمقام الدعاء **(وسائر الصَّالحين)** : وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده ، واعلم أنَّ الصلاة على الأنبياء والملائكة مطلوبة استقلالاً بخلاف غيرهم ، فَتُطْلَب لهم تبعًا كما هنا ، وتُكره استقلالاً . **وقيل** : تحرم ، وأما قوله ﷺ : « **اللهم صلِّ على آل أبي أوفى** »[3] فهو من خصائصه ؛ لأن الصلاة حقّه ، فله أن يخصّ بها مَن شاء[4] . ومثله في ذلك باقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

(1) **لا يصح** : رواه الطبراني في « الأوسط » (2 / 232) ، والخطيب في « شرف أصحاب الحديث » ص 63 ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (6 / 81) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (1 / 165) ، وضعّفه المنذري في « الترغيب » (1 / 62) **وقال** : ورُوِيَ من كلام جعفر بن محمد من قوله ، وهو أشبه .

(2) **ضعيف** : رواه العقيلي في « الضعفاء » (4 / 59) ، والخطيب في « تاريخه » (8 / 105) ، والشجري في « الأمالي » (1 / 163) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (62 / 391) وسنده ضعيف ، كما في « فيض القدير » (4 / 205) .

(3) **متفق عليه** : رواه البخاري (1426) ، ومسلم (1078) .

(4) **قال النووي وغيره** : اختلف العلماء في جواز الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً ، **فقال مالك** ، **والشافعي** ، **والأكثرون** : لا يصلى على غير الأنبياء استقلالاً ، **فلا يُقالُ** : اللهم صلّ على أبي بكر وعمر أو غيرهم ، ولكن يصلى عليهم تبعًا ، **فيقال** : اللهم صلّ على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه كما جاء في الأحاديث .

وقال أحمد وجماعة : يصلى على كل أحد من المؤمنين مستقلاًّ .

واحتجوا بحديث الباب ، **وأجاب الجمهور** بأن ما كان من الله ورسوله – من ذكر الصلاة – فهو على سبيل الدعاء والترحم ، وليس فيه معنى التعظيم والتوقير الذي يكون من غيرهما ، وأما الصلاة على الآل والأزواج والذرية فإنما جاء على التبع لا على الاستقلال . =

(**أمّا بعد**) : هذه كلمة تُذكر للانتقال من نوع من الكلام إلى نوع آخر منه ، ويُستحبّ الإتيان بها في أوّل الكتب والخُطَب اقتداءً به ﷺ . وأصلها مهما يكن من شيء بعد ، فَحُذِفت مهما ويكن وأقيمت أمّا مقامهما ، أي بعدما تقدّم من البسملة ، والحمدلة ، وما معهما . (**فقد روينا**) : أي فأقول لك : قد روينا أي نقلنا ، (**عن**) : أمير المؤمنين (**عليٍّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدَّرداء**) : عويمر بن زيد ، (**و**) : عبد الله ، (**ابن عمرو**) : عبد الله (**ابن عبَّاس ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة**) : عبد الرحمن بن صخر (**وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم**) : أي حفظهم من سخطه (**من طرق كثيرات**) : متعلق برويناً ، (**بروايات متنوعات**) : أي مختلفة الألفاظ ، (**أن رسولَ الله ﷺ قال : من حفظ على أمتي**) : أي نقل لها وبلغها ، (**أربعين حديثًا من أمر دينها**) : أي ممّا يتعلّق بأمر دينها أصولاً وفروعًا ، (**بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة**) : أي جماعة (**الفقهاء**) : أي الذين يعرفون المسائل الفقهية ، (**والعلماء**) : أي المتَّصفين بالعلم فقهًا كان أو غيره كالحديث والتفسير فهو أعمّ مما قبله (**وفي رواية : بعثه الله فقيهًا عالمًا**) : **قال بعضهم** : استفتيتُ أبا الحسن الكيا الطبري[1] فيمن أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء أو وقف وقفًا عليهم هل يدخل فيهم كتبة الحديث ؟ **فكتب** : نعم ، كيف لا يدخل وقد قال النبي ﷺ : « **من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا** » .

(**وفي رواية أبي الدرداء : وكنتُ له يوم القيامة شافعًا**) : أي سائلاً من الله أن يتجاوز عن ذنوبه ، (**وشهيدًا**) : أي شاهدًا له باستحقاقه رفعة درجته وعلوّ مرتبته ، (**وفي رواية ابن مسعود : قيل له ادخل من أيِّ أبواب الجنَّة شئتَ**) : بفتح المثناة الفوقية . أي فتُفتح له أبوابها الثمانية ، وكل بوّاب يدعوه إلى الدخول من الباب الذي هو مُوكّل به تعظيمًا له وإكرامًا ، ولا يدخل إلا من الباب الذي سبق في علمه تعالى أنه

= انظر : « شرح مسلم » للنووي (4 / 127) ، « غذاء الألباب » للسفاريني (1 / 23 ، 24) ، « عمدة القاري » (9 / 95) ، « الاستذكار » (2 / 299) .

(1) **على بن محمد بن علي المعروف بالكيا الهراسي الطبري** ، فقيه شافعي متكلم ، أصولي ، أخذ عن إمام الحرمين ، له : « أحكام القرآن » ، و« التعليق في أصول الفقه » . توفي سنة 504 هـ .

انظر : « وفيات الأعيان » (1 / 590) ، « شذرات الذهب » (4 / 8) ، « هدية العارفين » (1 / 694) .

يدخل منه بأن يزيّنه له ويُزهِّده في الباقي ، (**وفي رواية ابن عمر : كُتِب في زمرة العلماء**) : أي ضُمَّ إليهم . وفائدة ذلك أن يكون له أجرٌ من نوع أجورهم ، (**وحُشِر في زمرة الشُّهداء**) : فيُعطى مثل منازلهم . **بل قيل** : إنه يأخذ ثوابًا أكثر منهم ، فقد ورد أنه يُوزن مِدادُ العلماء أي الحبر الذي يكتبون به فيرجح على دم الشهداء . وورد أنَّ أوّل من يشفع المرسلون ، ثم النبيون ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، وجُمِعَ بين هذه الروايات بأن حُفّاظ الأربعين مختلفو المراتب .

(**واتفق الحفَّاظ**) : أي أئمة الحديث (**على أنه**) : أي هذا الحديث المذكور في المتن (**حديث ضعيف وإن كثرت طرقه**) : وقد أوضح ضَعْفها ابن الجوزي وغيره . والحديث الضعيف : هو ما فُقِد فيه شرط من شروط القبول ، **وهي ستة** : اتصال السند ، والعدالة ، والضبط ، ونفي الشذوذ ، ونفي العلة القادحة ، والعاضد عند الاحتياج إليه . (**وقد صنَّف العلماءُ - رضي الله تعالى عنهم - في هذا الباب**) : أي باب الأربعينات (**ما لا يُحصى من المصنفات**) : أي ما لا يُعَدّ منها ، وهذا من المبالغة ، **فالمراد** أنه يعسر إحصاؤها لبلوغها في الكثرة حدًّا عظيمًا (**فأول من علمته صنَّف فيه عبد الله بن المبارك**) : صاحب أبي حنيفة ، وُلد سنة تسع عشرة ومائة ومات سنة إحدى وثمانين ومائة ، (**ثم محمد بن أسْلَم**) : بفتح الهمزة واللام ، (**الطُّوسي**) : بضم الطاء نسبة إلى طوس بلد من خراسان (**العالم الرباني**) : وهو من أفيضت عليه معارفُ ربّه ورُبِّي الناسُ بعلمه ، توفي في المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

(**ثم الحسن بن سفيان**) : مثلث السين (**النَّسَوي**) : بنون فمهملة مفتوحتين فواو نسبة إلى نسا مدينة بخراسان ، ويقال في النسبة إليها أيضًا نسائي بهمزة بعد الألف ، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة .

(**وأبو بكر**) : محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (**الآجري**) : بهمزة مفتوحة ممدودة مع ضم الجيم وتشديد الراء ، نسبة إلى الآجر ، وهو الطوب المحرّق لبيعه أو عمله . مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاثمائة .

(**وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني**) : بالفاء أو الباء مع فتح الهمزة أو كسرها نسبة إلى أصفهان أو أصبهان بلدة من بلاد العجم . توفي سنة ست وستين وأربعمائة .

(**والدارقطني**) : بفتح الدال والراء بينهما ألف ، نسبة إلى دار القطن ، حارة كبيرة ببغداد ، واسمه علي بن عمر ، ولد سنة خمس أو ست وثلاثمائة ، ومات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

(**والحاكم**) : محمد بن عبد الله النيسابوري ، وُلد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وأربعمائة .

(**وأبو نعيم**) : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، وُلد سنة ست أو سبع وثلاثين وثلاثمائة ، ومات سنة ثلاثين وأربعمائة .

(**وأبو عبد الرحمن**) : محمد بن الحسين (**السلمي**) : بضم السين وفتح اللام ، نسبة إلى سليم قبيلة مشهورة من قبائل العرب . توفي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة .

(**وأبو سعيد**) : بالياء ، وفي نسخة أبو سعد بلا ياء وهو الصواب ؛ كما نُقِل عن ابن الأثير ، واسمه أحمد بن محمد (**الماليني**) بفتح الميم وكسر اللام ثم مثناة تحتية ساكنة ثم نون نسبة إلى مالين ، وهي قرى مجتمعة من أعمال هراة يُقال لجميعها مالين ، مات سنة اثنتي عشرة وأربعمائة .

(**وأبو عثمان**) : إسماعيل (**الصَّابوني**) : نسبةً إلى عمله . **قال بعضهم** : ولعل أحد أجداده كان يعمله .

(**وعبد الله بن محمد الأنصاري**) : نسبةً إلى الأنصار ، وهم الأوس والخزرج ، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وتوفي بهراة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وما في بعض النسخ من أنه محمد بن عبد الله انقلاب من الكاتب .

(**وأبو بكر**) : أحمد بن الحسين بن علي (**البيهقيُّ**) : نسبةً إلى بَيهق بفتح الباء قرية على عشرين فرسخًا من نيسابور . ولد بها سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . ونُقِل إلى بيهق فَدُفن بها .

ولعلَّ المصنف أتى بثم في الأولين لعلمه بالتأخّر الزماني فيهما بخلاف الباقين ، ولما خصّص المشاهير بالذكر عمَّم ، فقال : (**وخلائق لا يحصون**) : بالبناء للمجهول ، أي لا يعدّون لكثرتهم (**من المتقدمين**) : أي بعد الصحابة والتابعين : كالطائي والشيخ عز الدين بن عبد السلام (**والمتأخرين**) : كالمنذري والزين العراقي ، وولده ، وابن حجر ، والمناوي . (**وقد استخرتُ الله**) : تعالى (**في جمع أربعين حديثًا اقتداء**

بهؤلاء الأئمة الأعلام) : أي الذين يُهتدى بعلمهم كما يُهتدى بالأعلام إلى الطريق (وحفّاظ الإسلام) : أي حُفّاظ أحكامه الشرعية بتعليمها للناس ، وقدّم المصنّف الاستخارة على جمع هذه الأربعين لطلبها من كُلِّ عازم على أمر ، فقد رُوي أنّ : « **مِن سعادة ابن آدم الرضا بالقضاء واستخارة الله في أموره ، ومن شقاوته ترك ذلك** »[1] ، وورد : « **لا خابَ مَن استخارَ ، ولا نَدِمَ مَن استشار** »[2] . وصفتها الشرعية أن يُصلِّي الشخصُ ركعتين ، يقرأ في الأولى الفاتحة والكافرون ، وفي الثانية الفاتحة والإخلاص ، ثم بعد السلام منها أو في أثنائها في سجود الركعة الأخيرة أو بعد التشهد يقول : « **اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علاّمُ الغيوب ، اللهم إن كنتَ تعلم أن كذا خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن كذا شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخيرَ حيث كان ، ثم رضني به** »[3] . ويفعل ما ينشرح إليه صدره من الفعل أو الترك ، فإن لم ينشرح لشيء كرر الصلاة والدعاء أو الدعاء فقط حتى ينشرحَ صدرُه لشيء ، فلو فرض عدم انشراحه مع التكرار أخَّر ما هو عازمٌ عليه إن أمكن ، وإلاَّ توكَّل على الله ، وشَرَعَ فيما تيسر له ، فيكون الخيرُ فيه - إن شاء الله تعالى - ببركة الاستخارة .

(وقد اتفق العلماءُ) : أي أكثرهم **(على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال)** : لأن مقتضاه لا يترتّب عليه تحليل ولا تحريم ، بل هو طاعة والطاعة لا حرج على فاعلها . نعم إن اشتدَّ ضعفه بأن لا يخلو طريقٌ من طرقه من كذّاب أو مُتَّهم بالكذب فلا يعمل[4] . **(ومع هذا)** : الذي ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف

---

(1) **فيه مقال** : ذكره الشارح بمعناه ، وأصله عند الترمذي (2151) ، وأحمد (1 / 168) ، وأبو يعلى (2 / 60) ، والدينوري في « المجالسة » (2667) ، وصحَّحه الحاكم ، وفيه ضعف كما في « الترغيب » للمنذري (1 / 275) ، « مجمع الزوائد » للهيثمي (2 / 279) .

(2) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الأوسط » (6 / 365) ، و« الصغير » (2 / 175) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (774) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (54 / 3) بسند ضعيف جدًا كما في « مجمع الزوائد » (2 / 280) .

(3) **صحيح** : رواه البخاري (1109) ، وأبو داود (1538) ، والترمذي (480) .

(4) سبق بيان ذلك فراجعه .

في الفضائل (**فليس اعتمادي على هذا الحديث**) : أي المتقدِّم ، وهو : « **من حفظ على أمتي** . . » إلخ ، أي : لست مستندًا إليه فقط (**بل**) : عليه و : (**على قوله ﷺ**) : الداخل (**في الأحاديث الصحيحة ليبلّغ**) : بكسر اللامين مع تشديد الثانية ، ويجوز تخفيفها ، وفي الغين الكسر والفتح و(**الشاهد**) : بالرفع فاعل يبلغ و (**منكم**) : خطاب للصحابة ثم لمن بعدهم إلى يوم القيامة و (**الغائب**) : بالنصب على المفعولية . المعنى ليبلغ الحاضر منكم السامع ما أقوله الغائب الذي لم يسمع .

(**وقوله ﷺ نضّر الله امرأ**) : أي إنسانًا ، **ونضّر** : رُوي بتشديد الضاد المعجمة وبتخفيفها النضارة ، وهي حسن الوجه وبريقه ، **والمعنى** ألبسه الله النّضرة وهي الحسن والإضاءة ، **يعني** جمّله الله وزيّنه وخصّه بالبهجة والسرور ، **وقيل** : المعنى أوصله الله إلى نضرة الجنة أي بهجة نعيمها (**سمع مقالتي**) : أي كلامي مني أو من أصحابي أو من أتباعي (**فوعاها**) : أي حفظها (**فأداها**) : أي بلّغها إلى من لم تبلغه (**كما سمعها**) : أي مثل ما سمعها من غير زيادة ولا نقص ، فمن زاد أو نقص فهو مغيّر لا مؤدٍّ .

فائدة : رأى بعضُ العلماء[1] المصطفى ﷺ في المنام ، **فقال له** : أنت قلت : « نضّر الله امرأ » إلخ؟ **قال** : نعم ، ووجهه يتهلّل بالسرور ، أنا قلته ، وكرَّره ثلاثًا . ونُقِل عن سيدي محمد الشاذلي[2] أن أهل الحديث اختصّوا من دون سائر العلماء بأنهم لا تزال وجوههم نَضِرة لدعوة النبي ﷺ لهم بقوله : « **نضّر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره** »[3] ومن نظم الجلال السيوطي - رحمه الله تعالى ونفعنا به :

مَن كانَ مِن أهلِ الحديثِ فإنه ... ذو نضرةٍ في وجهه نورٌ سطع

---

(1) هو القاضي **أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري** أحد فقهاء الشافعية الكبار المتوفى سنة 450 هـ . كما أورد الذهبي وغيره القصة في ترجمته . **انظر** : « سير أعلام النبلاء » (17 / 670) ، « تاريخ الإسلام » (30 / 243) ، « طبقات الشافعية الكبرى » (5 / 15) .

(2) **لعلّه محمد المصري الشاذلي** ، جمال الدين أبو المواهب صوفي ، **من آثاره** : قوانين حكم الإشراق ، القانون في علم الطائفة . توفي سنة 881 هـ . وذكر الكتاني علمًا آخر يشترك في هذا الاسم وهو محمد الشاذلي بن عمر ، ووصفه بأنه شيخ الطريقة الشاذلية ، والله أعلم بالصواب .

انظر : « معجم المؤلفين » (3 / 717) ، « إيضاح المكنون » (2 / 344) ، « فهرس الفهارس » للكتاني (1 / 280) .

(3) **انظر هذا النقل في** : « **الفتوحات الوهبية شرح الأربعين النووية** » للشبراخيتي ، ص 41 .

إن الـنَّـبـيَّ دعـا بـنـضـرةٍ وجـهِ مـن   أدَّى الـحـديـثَ كـمـا تـحـمَّـل واتـبـع

وفي الحديث : « **مَن أدَّى إلى أمتي حديثًا واحدًا يُقيمُ به سُنّةً أو يردُّ به بدعةً فله الجنة** »[1] ، (**ثم من**) : وفي نسخة : ثم إن من (**العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين**) : والمراد بها الأمور الاعتقادية المتعلّقة بالإله ﷻ ، وبالأنبياء ، والحشر ، والنشر (**وبعضهم**) : جمعها (**في الفروع**) : أي المسائل الفقهية (**وبعضهم**) : جمعها (**في الجهاد**) : أي في فضل قتال الكفار (**وبعضهم**) : جمعها (**في الزهد**) : أي في فضل ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا ، والإعراض عمَّا يشغل عن الأخرى (**وبعضهم**) : جمعها (**في الآداب**) : بالمدّ ، جمع أدب ، وهو استعمال ما يُحْمَدُ قولاً وفعلاً (**وبعضهم**) : جمعها (**في الخطب**) : أي في فضلها وكيفيتها ، **والمراد** الخطب التي كان يخطبُ بها النبي ﷺ في نحو جمعة ، وعيد ، وعند نزول الأمور المهمة ، وقدوم الوفود عليه ، ونحو ذلك . ومن بعض خطبه : « **أيها الناس إن العبدَ لا يكتب من المسلمين حتى يسلم الناسُ من يده ولسانه ، ولا ينال درجةَ المؤمنين حتى يأمنَ جاره بوائقه أو بوادره ، ولا يُعَدّ من المتقين حتى يدَع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس** »[2] .

والبوائق : الظلم والشر . **والبوادر** : السقطات عند الحدّة .

(**وكلها**) : أي الأربعينات التي جمعوها (**مقاصد صالحة**) : أي أغراض حسنة (**رضي الله عن قاصديها**) : أي مريديها (**وقد رأيت**) : أي اخترت (**جمع أربعين أهمّ**

---

(1) **لا يصح** : رواه ابن عساكر في « الأربعين البلدانية » ص 44 ، وفي « الأربعين في المناقب » ص 33 ، ونحوه عند أبي نعيم في « الحلية » (10 / 44) ، وفي إسناده راوٍ كذَّاب كما في « فيض القدير » (6 / 44) .

(2) لم أجده مجموعًا بهذا السياق ، وإنما ورد معناه في ثلاثة أحاديث :

الأول : قوله ﷺ : « **المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده** » رواه البخاري (10) ، ومسلم (40) .

الثاني : قوله ﷺ : « **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** » . **قيل** : مَنْ يا رسول الله ؟ قال : « **الذي لا يأمن جارهُ بوائقه** » رواه البخاري (5670) ، ونحوه عند مسلم (46) بلفظ : « **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه** » **والبوائق** : هي الظلم والشرّ والشيء المهلك .

الثالث : قوله ﷺ : « **لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس** » .

رواه الترمذي (2451) ، وابن ماجه (4215) ، والحاكم (4 / 355) ، وصححه وأقرّه الذهبي ، وحسَّنَهُ الترمذي .

من هذا كله) : أي أشدّ فائدة ممّا جمعه هؤلاء **(وهي أربعون حديثًا مشتملة)** : أي محتوية **(على جميع ذلك)** : أي الذي جمعوه **(وكل حديث منها قاعدة عظيمة)** : أي أمر كُلِّي **(من قواعد الدِّين)** : أي أموره الكليّة التي يرجع إليها غالب الأحكام يعني أنّ كلًّا منها لظهور أحكامه منه للأفهام كأنه قاعدة مرفوع عليها أبنية ظاهرة للأبصار **(قد وصفه العلماء بأنَّ مدار)** : أي مرجع **(الإسلام عليه)** : أي غالب أحكام الإسلام مستفادة منه **(أو هو نصف الإسلام)** : أي نصف أدلة أحكامه **(أو ثلثه)** : أي ثلث أدلّته **(أو نحو ذلك)** : كالربع ، أي ربع أدلته .

والمراد أنّ كُلَّ حديث منها لا يخلو من وصفه بواحدٍ من تلك الأوصاف .

(ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكونَ صحيحة) : ليعمل بها في الفضائل وغيرها . **والمراد** بكونها صحيحة أنها غير ضعيفة فتشمل الحسن **(ومعظمها)** : بالرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبر ، أو على أنه معطوف على اسم تكون . **والتقدير** : وألتزم أن يكونَ معظمها أي أكثرها **(في صحيحي البخاري ومسلم)** : لأنهما أجلّ الكتب المؤلّفة في الحديث .

وقد وفَّى المصنِّفُ بما قال ؛ إذ فيها منهما تسع وعشرون حديثًا ، اتّفقا على اثني عشر ، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بثلاثة عشر . ولا شكَّ أنَّ ذلك أكثرها . وفيها لغيرهما ثلاثة عشر : خمسة للترمذي ، وواحد لابن ماجه ، وواحد للبيهقي ، وواحد للدارقطني ، وواحد للترمذي مع النسائي ، وواحد له أيضًا مع أبي داود ، وواحد لابن ماجه مع البيهقي ، وواحد له أيضًا مع الدارقطني ، وواحد في كتاب الحجة .

(وأذكرها) : بالرفع عطفًا على ألتزم ، وبالنصب عطفًا على تكون أي وأن أذكرها **(محذوفة الأسانيد)** : جمع إسناد ، وهو حكاية الطريق الموصلة إلى ألفاظ الحديث ، وعلّل ذلك بقوله : **(ليسهل حفظها)** : أي بسبب قلّة ألفاظها **(ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى)** : وقد حقق الله له ما تمناه **(ثم أُتبِعُها)** : بالرفع أي ألحقها بعد تمامها **(بباب)** : أي بجملةٍ من العلم مترجمة بلفظ باب **(في ضبط خفي ألفاظها)** : من إضافة الصفة للموصوف ، أي ألفاظها الخفية باعتبار غرابة مبانيها أو معانيها على بعض المشتغلين بها ؛ لئلا يغلط في شيء منها ، وليستغنى به عن مراجعة غيره .

(**وينبغي**) : أي يطلب (**لكل راغب في الآخرة**) : أي في نيل درجاتها (**أن يعرف هذه الأحاديث**) : أي يعلم ألفاظها ، ويبحث عن معناها ، وينقلها ، ويعمل بما فيها . وعلّل ذلك بقوله : (**لما اشتملت عليه من المهمّات**) : أي من الأمور التي يجب الاعتناء بها (**واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطّاعات وذلك**) : أي ما ذكر من الاشتمال والاحتواء (**ظاهر**) : أي منكشف (**لمن تدبره**) : أي تأمّله وتفكّر فيه . وَوَجْهُ ظهوره أنَّ الشرعَ وُضِعَ لبيان مصالح الخلق وانتظام أحوالهم في معاشهم ومعادهم . وانتظام حال الأول إنما يتم بوضع قانون المعاملات على وفق العدل . وانتظام حال الثاني إنما يوجد بالتوحيد ، ويتمّ بالطاعات القلبية والعلمية والعملية . وهذه الأحاديث بعضها ناصٌّ على الأول وبعضها على الثاني .

(**وعلى الله**) : وفي نسخة زيادة الكريم (**اعتمادي**) : أي معتمدي في هذا الجمع وغيره (**وإليه تفويضي**) : أي ردّ أموري (**واستنادي**) : أي التجائي . وفي الحديث القدسي : « **يا ابن آدم عليك التوكّل وعليّ الكفاية ، يا ابن آدم عليك التفويض وعليّ الحِفْظ** »[1] .

وفيه أيضًا : « من فَوَّضَ أمرَه إليّ من أُمَّتِكَ حفظته من آفات الدنيا وأعتقتُه من النار في العقبى »[2] . (**وله الحمد**) : ملكًا واستحقاقًا واختصاصًا (**والنعمة**) : إيجادًا وإيصالاً إلى خلقه (**وبه**) : أي بسبب عونه ، وفي نسخة وبيده ، أي بقدرته وتصريفه (**التوفيق**) : وهو خلق قدرة الطاعة في العبد (**والعصمة**) أي الحفظ من المعصية .



(1) ، (2) لم أقف عليهما في شيء من الكتب .

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمؤْمِنِين أَبِي حَفْص ، عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله تعالى عنه - ، **قَالَ** : سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَة يَنْكِحُهَا ، فَهِجرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ** »[1] .

رَوَاهُ إِمَامَا المُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغِيرَة بن بَرْدِزبَه الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ (مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاجِ بن مُسْلِم الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ) فِي صَحِيحَيْهِمَا اللذينِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ .

. . . .

(**عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه**) : هو أوّل من سُمِّي أمير المؤمنين على العموم ، سمّاه بذلك بعضُ الصحابة . **وقيل** : إنه قال للناس في بعض خطبه : أيها الناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فَسُمِّي أمير المؤمنين . وكان قبل ذلك يُقال له يا خليفة خليفةِ رسول الله ﷺ . والذي كنّاه بأبي حفص النبيُّ ﷺ لِما رأى فيه من الشدة . **والحفص لغةً** : الأسد . ولقّبه بالفاروق لأنَّ الله تعالى فرّق به بين الحق والباطل ، فهو أوّلُ مَن جهر بالإسلام . وأيّد الله به دعوة الصادق المصدوق لما قال ﷺ : « **اللهم أعز الإسلام بأحبّ الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام** »[2] يعني أبا جهل ، فأصبح عمر فأسلمَ . فقال رسول الله ﷺ : « **أتاني جبريل فقال : قد استبشر** - أي فرح - **أهلُ السماء بإسلام عمر** »[3] .

وكان إسلامه سنة ست ، **وقيل** : خمس من النبوة . وسببه أنه لما بلغه إسلام أخته

---

(1) **متفق عليه** : رواه البخاري (1) ، ومسلم (1907) .

(2) **صحيح** : رواه الترمذي (3681) ، وابن سعد في « الطبقات » (3 / 267) وأحمد (2 / 95) ، والحاكم (3 / 574) وصححه ، وكذا الترمذي .

(3) **لا يصح رفعه** : رواه ابن ماجه (103) ، وابن حبان (6883) ، والحاكم (3 / 90) مرفوعًا ، وفيه ضعف ، ورواه ابن سعد في « الطبقات » (3 / 269) ، وابن شبّة في « أخبار المدينة » (1 / 349) عن الزهري مرسلاً ، وهو الأشبه بالصواب .

فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قصدهما ليعاقبهما ، فقرأتْ عليه شيئًا من القرآن فأوقع الله في قلبه الإسلام فأسلم ، ثم جاء إلى النبي ﷺ وهو مع أصحابه في دارٍ عند الصّفا فأظهر إسلامه فكبّر المسلمون فرحًا بذلك ، وبشّره النبي ﷺ بالجنة ، وشهد له بأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه وأن الشيطان يفرّ منه ، ثم إنه خَرَجَ إلى مجامع قريش فنادى بإسلامه ، فأصابهم من ذلك كآبة[1] ، لم يصبهم مثلها . **قال صهيب** : « لما أسلم عمر جلسنا حول البيت وتحلّقنا وطفنا وانتصفنا ممن غلَّظ علينا »[2] .

وهو - رضي الله تعالى عنه - أفضل الصحابة بعد أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - وأجمعوا على كثرة علمه ، ووفور فهمه وزهده وتواضعه ، ورفقه بالمسلمين واهتمامه بمصالحهم وكان يبكي ليلاً ونهارا فَسُئِل عن ذلك **فقال** : « قد وُلِّيت أمرًا إن أعدل أُحاسب ، وإن أظلم أُعاقب ، وإن نمتُ نهارًا أضعتُ الرعية ، وإن نمت ليلاً أَضعتُ نفسي[3] .

وكان يتصفَّحُ الناس أي ينظر في شئونهم وأحوالهم ويسألهم عن أمرائهم ، وإذا بلغه عن أحد منهم أنه لا يعود المريض ولا يدخل على الضعيف عزله . ودخل عليه عاملٌ له فوجده - رضي الله تعالى عنه - مستلقيًا وصبيانه يلعبون على بطنه ، فأنكر ذلك ، **فقال له عمر** - رضي الله تعالى عنه - : كيف أنت مع أهلك؟ **قال** : إذا دخلتُ عليهم سكتَ الناطقُ . فقال له : « **اعتزل عنا فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفقُ بأمة محمد ﷺ ؟!** » .

وكان - رضي الله تعالى عنه - يتعاهدُ العميان والزّمْنى[4] والعجائز والصبيان ليلاً ، ويحملُ إليهم الماء والحطب بنفسه ، ويُخْرِجُ عنهم الأذى . وكان يأتي إلى النساء اللاتي غاب عنهن أزواجهن **ويقول لهن** : ألكن حاجة ؟ فيرسلن معه جواريهن فيشتري لهن ما يحتجن إليه ، ومن كانت لا تملك شيئًا يشتري لها من عنده .

---

(1) **كآبة** : أي غم وحزن شديد .

(2) رواه ابن سعد في « الطبقات » (3 / 269) ، وابن شبة في « أخبار المدينة » (1 / 349) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (44 / 44) .

(3) **قوله** : إن نمت . . . إلى آخره ؛ رواه ابن عبد الحكم ، كما في « كنز العمال » للهندي (12 / 259) ، و« الجامع الكبير » للسيوطي (13 / 293) .

(4) **الزَّمْنَى** : جمع الزَّمِن ، وهو المرض الذي يدوم بصاحبه .

ومناقبه – رضي الله تعالى عنه – كثيرة ، منها : أنه أرسل جيشًا وأمَّر عليهم سَارية[1] فاشتدَّ عليهم الحالُ وكثرت جموع الأعداء عليهم فبينما هو يخطب بالمدينة إذ نادى بأعلى صوته ثلاث مرات : يا سارية الجبل! فسمعه ساريةُ ومن معه ، وهم بأرض العجم ، فانحازوا إلى الجبل فنصرهم الله على الأعداء[2] .

وأتت زلزلةٌ عظيمة في زمنه حتى كادتِ الجبالُ أن تقعَ ، فضرب الأرض بسوطه ، **وقال لها** : اسكني إن لم أكن عدلاً فويلٌ لعمر فسكنت ولم يأتِ بعدها مثلها[3] .

وكتب إليه عمرو بن العاص – وهو أمير على مصر – أن النيل لا يزيدُ زيادته المعتادة إلا أن تُلقى فيه امرأة بكر ، فأرسل إليه عمر كتابًا فيه : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإنْ كنتَ تجري من قَبِلِكَ فلا تجري ، وإن كان الواحدُ القهّار يُجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك . وأمره أن يلقيه في النيل بدل المرأة . فألقاه عمرو فيه ، فزاد زيادةً عظيمة ، و لم يُلْقَ فيه بعد ذلك امرأةٌ[4] .

وكانت نارٌ تأتي كُلَّ عام إلى المدينة المنورة فشكا المسلمون له ذلك[5] ، **فقال لغلامه** : خذ هذا الرداء فإذا جاءت النار فأفرده في وجهك ، **وقل** : يا نار هذا رداءُ عمر

---

(1) هو **سارية بن زنيم** ، تابعي جليل – على ما اعتمده ابن حبّان – ، أمّره عمر ﷺ على جيش وسيّره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين . **انظر** : « الإصابة » (3 / 5) ، « تاريخ دمشق » (20 / 19) .

(2) القصة عند اللالكائي في « كرامات الأولياء » ص 120، 121، والبيهقي في « الاعتقاد » ص 314، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (20 / 26) وحسَّن الحافظ سندها في « الإصابة » (3 / 6) .

(3) ذكر الرازي في « تفسيره الكبير » (21 / 75) ، والقميّ في « غرائب القرآن » (4 / 416) نحو هذه القصة بلا إسناد ، ورويت القصة مسندة عند نعيم بن حمّاد في « الفتن » (2 / 620) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (2 / 104) ، وابن عبد البر (3 / 318) عن صفية ﷺ **قالت** : « زُلزلت المدينة على عهد عمر ﷺ فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما هذا ، ما أسرع ما أحدثتم ، فسكنت ، ثم **قال** : لئن عادت لا أساكنكم فيها . . » .
قال العيني : « فخشي ﷺ أن تصيبه العقوبة معهم كما قيل لرسول ﷺ : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » . « عمدة القاري » (7 / 57) .

(4) **انظر** القصة عند الواقدي في « فتوح الشام » (2 / 69) ، واللالكائي في « كرامات الأولياء » ص 120، والطيوري في « الطيوريات » (13 / 1096) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (44 / 337) .

(5) الذي في المصادر التي بين يديّ أن النار وقعت في بعض دور المدينة فكتب عمر ﷺ على خزفة : يا نار اسكني بإذن الله فألقوها في النار فانطفأت في الحال .
انظر : « التفسير الكبير » (21 / 75) ، « غرائب القرآن » (4 / 416) للقميّ ، « نصاب الاحتساب » للسناميّ ص 326 .

ابن الخطاب ، فهي ترجعُ لوقتها . فلما جاءت فَعَلَ الغلامُ ما أمره به سيِّده ، فرجعتْ في الحال ، ولم تَعُدْ .

ورُوي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثًا . وعاش ثلاثًا وستين سنة . ومات شهيدًا بطعنة طعنها له أبو لؤلؤة النصراني[1] ، ودُفِن في الحجرة عند النبي ﷺ .

قيل : كان عليها قفل فانفتح من غير أن يفتحه أحد ، وسمعوا قائلاً منها يقول : أدخلوا الحبيب إلى الحبيب ، فإنَّ الحبيبَ إلى الحبيب مشتاق[2] ، ولما توفي أظلمت الأرض فجعل الصبيُّ يقول لأبيه : أقامت القيامة؟ فيقول : لا يا بني ، ولكن قُتِل عمر[3] . وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليالٍ .

(**قال**) : نفعنا الله به (**سمعتُ رسول الله ﷺ**) : أي سمعتُ صوته حال كونه (**يقول إنما الأعمال بالنيات**) : أي إنما صِحَّتها بنِياتها ، فلا يصحُّ العملُ بدون نية . وقيل لا حاجة إلى تقدير هذا المضاف وهو صحة ؛ لأنّ المرادَ نفيُ حقيقة العمل بانتفاء ركنه أو شرطه ، وهو النية . والتقدير إنما وجود الأعمال شرعًا كائن بالنيات ، فإذا انتفتِ النية انتفى العمل ، بمعنى أنه غير معتبر شرعًا . ثم إن الحصر المستفاد من إنما أكثري لا كُلِّي ، إذ قد يصحُّ العمل بلا نِيَّة ؛ كالأذان والقراءة وغسل الميت وإزالة النجاسة .

(**وإنما لكل امرئ**) : أي إنسان (**ما نوى**) : أي جزاء ما نواه في عمله من خير أو شر .

فهذه الجملة أفادت غير ما أفادته التي قبلها ؛ لأن تلك أفادت أن العمل لا يكونُ معتبرًا شرعًا إلاَّ بالنية ، وهذه أفادتْ أنَّ الإنسان يعودُ عليه من نفع عمله وضرره بحسب

---

(1) أكثر المصادر على أنه كان مجوسيًا ، قال الدميري في « حياة الحيوان » (1 / 81) : وكان أبو لؤلؤة مجوسيًا ، ويُقالُ : كان نصرانيًا .

(2) ذكرت هذه القصة بألفاظها في حقّ أبي بكر ﷺ عند دفنه ، انظرها في « الشريعة » للآجري (5 / 2383) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (30 / 436) ، وقال : هذا منكرٌ - يعني من ناحية سنده - وانظرها في « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور (4 / 301) .

(3) القصة أسندها الخطيب البغدادي في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (1 / 548) ، وذكرها ابن سمعون في « أماليه » (1 / 49) ، والدميري في « حياة الحيوان » (1 / 81) .

نيته . كما حُكِي أنَّ أخوين كان أحدهما عابدًا والآخر عاصيًا ، فجاء إبليسُ يومًا إلى العابد **وقال له** : واأسفًا عليك ضيَّعْتَ عمرك في حصر نفسك[1] وإتعاب بدنك ، فأطلقْ نفسك في شهواتها ، **فقال في نفسه** : لعلّي أنزل إلى أخي في أسفل الدار وأوافقه على ما هو فيه من اللذات ثم أتوب ، وأما العاصي فإنه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة رديئة قد بالَ على ثيابه وهو مطروح على التراب ، **فقال** : قد أفنيتُ عمري في المعاصي وأخي يتلذذ بطاعة ربه ، ثم تاب ونوى الخير ، وطلع ليوافق أخاه على الطاعة ، ونزل أخوه على نية المعصية ، فسقط على أخيه فوقعا مَيِّتين ، فيحشر العابدُ على نية المعصية ، ويُحشر العاصي على نية الطاعة .

وقيل : إنها تفيد تخصيص الألفاظ بالنية في الزمان والمكان ، وإن لم يكن في اللفظ ما يقتضي ذلك ، كمن حلف لا يدخل دار فلان وأراد في شهر كذا أو سنة كذا ، أو حلف لا يكلّم فلانًا وأراد كلامه بالقاهرة مثلاً دون غيرها ، فإن له ما نوى ولا كفارة عليه .

وقيل : إنها تفيدُ أن الأعمال العادية تصيرُ طاعةً يُثاب عليها فاعلها إذا نوى بها القربة ؛ كالأكل والشرب ، إذا قصد بهما التقوي على العبادة . والنوم إذا قصد به الاستراحة لأجل الاستيقاظ لصلاة الصبح أداءً . والوطء إذا أراد به العفة عن الزنى وحصول النسل . والتنظّف إذا نوى به دفع الروائح المؤذية لعباد الله . والإنفاق على الزوجة والرقيق والدابة إذا قصد به امتثال أمر الشارع .

وقيل : إنها تدلُّ على أن مَن نوى شيئًا يحصل له وإن لم يعمله لمانعٍ شرعي ، كمريض تخلّف عن الجماعة وكان قصده فعلها لولا المرض .

وقد ورد : **أنَّ الله تعالى يقول للحفظة يوم القيامة : اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الأجر . فيقولون : يا ربنا لم نحفظْ ذلك منه ، ولا هو في صحيفته! فيقول الله تعالى : إنه نواه**[2] .

وقيل : إنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيُدفع له كتاب فيأخذه بيمينه ، فيجد فيه حَجًّا وجهادًا وصدقة وما فعلها ، **فيقول** : هذا ليس بكتابي فإني ما فعلتُ شيئًا من ذلك ،

---

(1) **حصر نفسك** : أي حبسها والتضييق عليها .

(2) أصله عند أبي نعيم في « الحلية » (2 / 313) ، والدينوري في « المجالسة » ص 596 عن أبي عمران الجوني رضي الله عنه ، وعزاه العيني في « عمدة القاري » (1 / 35) إلى أبي يعلى في « مسنده » ولم أجده عنده .

فيقولُ الله تعالى : هذا كتابُك لأنك عشتَ عمرًا طويلاً وأنت تقولُ : لو كان لي مالٌ حججتُ منه ، لو كان لي مالٌ تصدَّقْتُ منه ، فعرفتُ ذلك من صِدْقِ نيتك وأعطيتُك ثوابَ ذلك كله .

وفي الحديث : « **نيةُ المؤمن أبلغُ من عمله ، ونيةُ الفاجر شر من عمله** »[1] ، وفي رواية : « **وإن الله ﷻ ليعطي العبد على نيته ما لا يُعطيه على عمله** »[2] . أي لأنَّ النية لا رياء فيها ، والعمل يخالطه الرياء ، ولأنها تحتمل التعدّد والتكثر في العمل الواحد ، فيتضاعفُ أجرُه بقدر النيات فيه ، كما إذا جلس شخصٌ في المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والعزلة وقراءة القرآن وحفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر . فينبغي للعاقل أن يُكْثِرَ من النيات الصالحة ليحوزَ ثوابها .

حُكي أنَّ جماعةً دخلوا على بعض الصوفية يعودونه في مرضه ، **فقال لهم** : انووا بنا حجًّا ، انووا بنا كذا ، وعدَّد لهم أنواعًا من البر ، **فقالوا له** : كيف وأنتَ على هذه الحالة ؟ **فقال** : إن عشنا وفّينا ، وإن متنا حصل لنا أجر النية .

(**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**) : الفاء واقعة في جواب شرط مقدّر ، ومن شرطية وجوابها قوله (**فهجرته إلى الله ورسوله**) : **والتقدير** : إذا عرفتَ أن الأعمال بحسب النيات . وإنّ حظَّ العبد من عمله نيّته لا صورته ، فمن كانت نيته في الهجرة التقرب إلى الله تعالى والامتثال لرسوله ، فهجرتُه إلى طاعة الله تعالى وامتثال رسوله مقبولةٌ عندهما ، ويثاب عليها . فالجزاءُ كناية عن قبولها والإثابة عليها . والمذكور مستلزم لذلك دالّ عليه ، فأقيم السببُ مقام المسبب . **وقال بعضُهم** : إذا اتَّحد لفظُ الشرط والجواب يُعلم منه المبالغة إما في التعظيم كما في هذه الجملة ، وإما في التحقير كما في الجملة التي بعدها وهي (**ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها**) : أي يحصّلها (**أو امرأة ينكحها**) : بكسر الكاف أي يتزوجها (**فهجرته إلى ما هاجر إليه**) : من الدنيا أو المرأة ، أي هي منصرفة لهما ؛ وإن كانت صورتها صورة الهجرة إلى الله ورسوله .

---

(1) **فيه مقال** : رواه الطبراني في (6/ 185) ، وأبو الشيخ في « الأمثال » ص 89 – 90 ، وأبو نعيم في « الحلية » (3/ 255) ، والبيهقي في « الشعب » (5 / 343) وضعّفه ، وهو عند أبي نعيم في « الحلية » (2 / 326) عن ثابت البناني من قوله ، ومال السخاوي إلى تقويته بمجموع طرقه .

انظر : « المقاصد الحسنة » ص 702، « التذكرة » للزركشي ص 65 .

(2) ذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (4 / 286) ، **وانظره في** « المقاصد » ص 702 للسخاوي .

والمعنى : ومن كانت نيته في الهجرة تحصيل الدنيا أو التزوج بالمرأة فهجرتُه إلى ما هاجر إليه من الدنيا أو المرأة قبيحة غير مقبولة فلا ثوابَ له فيها ؛ لأن قاصد الأولى تاجر ، وقاصد الثانية خاطب ، وليس واحد منهما بمهاجر لله ورسوله .

ومعنى الهجرة شرعًا : مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام ، وهي واجبة على مَن لا يمكنه إظهار دينه أو يخاف فتنة وقد أطاقها في الحالتين .

وقد وقعت في زمنه ﷺ على وجهين :

الأول : انتقال بعض الصحابة من مكة إلى الحبشة ، وذلك أنه لما اشتدَّ عليهم الأذى من المشركين أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى أرض الحبشة سنة خمس من النبوة ، ثم بلغهم أن أهل مكة أسلموا فقدموا في تلك السنة فوجدوهم لم يسلموا واستقبلوهم بالأذى . فلما كان سنة سبع من النبوة ذهبوا ثانيًا إلى أرض الحبشة بأمره ﷺ ، ثم لحقوه إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته .

الثاني : انتقال مَن كان منهم بمكة إلى المدينة بعد البعثة بثلاث عشرة سنة .

ثم اعلم أنَّ حقيقة الدنيا جميع المخلوقات قبل الدار الآخرة . وتُطلق على ما يتمتع به من ذهب وفضة وامرأة وملبوس ونحو ذلك ، وهذا هو المراد هنا .

ونصَّ ﷺ على المرأة مع دخولها في مُسمَّى الدنيا إيذانًا وإعلامًا بشدة فتنتها ، ولأنَّ سبب هذا الحديث أنَّ رجلًا أرادَ أن يتزوَّجَ بامرأةٍ يقال لها أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجرَ ، فهاجر لأجلها[1] .

وقال بعضهم : يُحتمل أنه هاجر لمالها مع نكاحها فجمعهما لذلك . ولم يكرر ذكرهما كما كرر ذكر الله ورسوله حثًّا على الإعراض عن الدنيا والنساء ، وعدم الاحتفال بشأنهما ، وتنبيهًا على أنَّ العدولَ عن ذكرهما أبلغُ في الزجر عن قصدهما لدناءتهما ، أي خستهما ، **قال الشاعر** :

أعافُ دنيا تُسمَّى من دناءتها … دُنيا وإلاَّ فمن مكروهها الداني[2]

---

(1) **انظر** ذلك في « الإصابة » لابن حجر (8 / 281) .

(2) قوله : « **أعاف** » : أي أكره . وقوله : « **من دناءتها** » : أي خسّتها .
وقوله : « **الداني** » : أي القريب .

وقال غيره :

أف للدنيا الدنيّة خبثت فعلًا ونيّة

عيشُها بدؤه هَمٌّ وفي عقباه المنيّة

وقال الفرزدق :

لا تُعْجِبَنَّكَ دنيا أنتَ تاركُها كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

وقال بعضهم :

أرى طالبَ الدُّنيا وإن طالَ عُمرُه ونال من الدنيا سُرورًا وأنعما

كبانٍ بنى بنيانة فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدَّما

وقال آخر :

إنَّ للهِ عِبادًا فطنا طلَّقوا الدُّنيا وخافوا الفِتَنا

نظروا فيها فلمَّا عَرَفُوا أنَّها ليست لحيّ وَطنا

جَعَلُوها لجة[1] واتَّخَذُوا صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

ومما جاء في ذم النساء ما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ما تركتُ في الناس بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء** »[2] ، أي لعدم الاستغناء عنهن ، وهو يحمل على الزنى ، وعلى ما يُشْغِلُ عن طلب أمور الآخرة من الانهماك على طلب الدنيا ، وذلك أشرّ الفساد .

وقال الإمام علي – كرم الله وجهه – :

رأيت الهمَّ في الدُّنيا كثيرًا وأكثرُه يكونُ من النساء

فلا تأمن لأنثى قطّ يومًا ولو قالتْ : نزلتُ من السماء

وقال بعضهم :

إنَّ النِّساءَ شياطين خُلِقْنَ لنا نعوذُ بالله من شَرِّ الشياطين[3]

---

(1) قوله : « **جعلوها لجّة** » : أي كاللّجة ، وهي الماء الكثير .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (4808) ، ومسلم (2740) ، والترمذي (2780) .

(3) **انظر البيت في** : « ثمار القلوب » ص 270 ، و« الأذكياء » ص 220، و« فاكهة الخلفاء » ص 65 .

فهنَّ أصلُ البليّاتِ التي ظهرتْ   بين البريّة في الدُّنيا وفي الدِّينْ

وقيل : إنَّ كيدَهُنَّ أعظمُ من كيد الشيطان ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : 76] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف : 28] .

وفي كلام سيدنا علي - رضي الله تعالى عنه - : إنّ فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود : يتظَلَّمْنَ وهن الظالمات ، ويتمنعن وهُنَّ الراغبات ، ويحلفن وهن الكاذبات . فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن[1] . **وقال بعضهم** : ما نُهِيَت امرأةٌ عن شيء قط إلا أتته . وفي معنى ذلك قال الشاعر :

إنَّ النساء مَتى يُنهين عن خُلُقٍ   فإنّه واجبٌ لا بُدَّ مفعولُ[2]

ثم إنَّ هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ . وقد تواتر النقلُ عن الأعلام بعموم نفعه وعظيم وقعه . وابتدأ المصنف كتابَه به تبعًا للسلف ، فإنّهم كانوا يُحِبُّون افتتاح مصنفاتهم به لعموم الحاجة إليه .

وقال أبو عبيد : ليس في الأحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدةً منه .

وقال بعضهم : إنه نصفُ العلم لتضمّنه حُكْم النيات التي محلها القلب . وأعمالُ القلب تقابلُ أعمالَ الجوارح . **وقال كثيرون** : إنه ثلثه ؛ لأن كسب العبد إما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه ، فالنية أحدها ، بل هي أرجحها ؛ لأنهما تابعان لها صحة ، وفسادًا ، وثوابًا ، وحرمانًا .

(رواه) : أي نقله **(إماما المحدِّثين)** : أي المصنِّفين في علم الحديث ، وسُمِّيا إمامين لأنهما بلغا الغاية في الزهد والورع والاجتهاد في تخريج الصحيح من الحديث حتى ائتمّ بهما مَن جاء بعدهما . **أحدهما** : **(أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة)** بضم فكسر **(ابن بَرْدِزْبَهْ)** بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة مفتوحة فهاء ساكنة ، اسم فارسي ، **ومعناه** : الزارع **(البُخاري)**

---

(1) ذكره الصفوريّ في « نزهة المجالس » (2 / 266) ، والسخاوي في « المقاصد » ص 458 ، والعجلوني في « كشف الخفا » (2 / 174) .

(2) انظر ذلك في : « عيون الأخبار » لابن قتيبة ص 405 ، « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (18 / 97) .

بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبالراء المكسورة بعد الألف ، نسبةً إلى بُخارى بلدة معروفة . وُلِد بها - رضي الله تعالى عنه - بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شوال سنة أربع وتسعين ومائة (**الجُعفي**) بضم الجيم وسكون العين المهملة ففاء ، نسبةً إلى اليمان بن أخنس الجعفي والى بُخارى . وإنما نُسِب إليه لما له عليه من ولاء الإسلام بسبب أن جده المغيرة أسلم على يديه ، ومات بردزبه على دين قومه ، وكان مجوسيًا - نعوذ بالله من سوء الخاتمة آمين . ومحاسن هذا الإمام لا تُحصى ، ومناقبه لا تُستقصى ، أُلْهِم حِفْظَ الحديث وهو ابن عشر سنين أو أقل . **وقيل** : إنه كان يحفظُ وهو صبي سبعين ألف حديث سَرْدًا ، وكان إذا نظر في الكتاب مَرّةً واحدةً حفظ ما فيه . ورُوي عنه أنه **قال** : أحفظُ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظُ مائتي ألف حديث غير صحيح .

وكان - رضي الله تعالى عنه - يختُم في رمضان كُلَّ يوم ختمةً ، ويقوم بعد التراويح كُلّ ثلاث ليال بختمة . وكان في سَعَةٍ من الدنيا ، قد وَرِثَ من أبيه مالاً كثيرًا ، وكان يتصدَّق به ، وربما كان يأتي عليه نهارٌ ولا يأكل فيه إلا لوزتين أو ثلاثًا . **وقيل** : إنه كان يصومُ الدهر ، لا يفطر إلا لعذر شرعي ، وكان زاهدًا ورعًا مُفْرطًا في الكرم ، وكان من العلماء العاملين ، وممن تنزل الرحمة عند ذكرهم ، ومن كلامه - رضي الله تعالى عنه - :

اغتنمْ في الفراغ فَضلَ رُكوعٍ　　فعسى أن يكونَ موتك بغتة
كم صحيحٍ رأيت من غير سقمٍ　　ذهبتْ نفسُه الصحيحةُ فَلْتة[1]

ومن مناقبه - رضي الله تعالى عنه - أنّ كتابه المشهور لم يُقرأ في كرب إلا فرج ، ولا رُكِبَ به في مركب فغرقت وقد دعا لقارئه . **ويقال** : إنه أخرجه من نحو ستمائة ألف حديث ، وإنّ مدة تصنيفه ست عشرة سنة .

وحُكي أنَّ أميرَ بُخارى طلب منه أن يأتيه بكتابه المذكور ويحدّثه به في قصره ، فامتنع من ذلك ، **وقال** : لا أذلُّ العلمَ ولا أحمله إلى أبواب الناس فطلب منه أن يعقدَ مجلسًا لأولاده ولا يحضر معهم غيرهم فامتنعَ من ذلك أيضًا ، **وقال** : لا يسعني أن

---

(1) **فَلْتة** : أي فجأة .

أخصَّ قومًا بالسماع دون قومٍ . فحصل بينهما وحشة بسبب ذلك ، فأمره الأميرُ بالخروج من البلد ، فدعا عليه ، فلم يمض شهرٌ حتى وَرَدَ أمرُ الخليفة بأن يُنادَى عليه في البلد فنُودي عليه ، وهو على حمار وحُبس إلى أن مات ، ولم يَبْقَ أحدٌ ممن ساعده إلاّ ابتُلي ببلاء شديد .

ولما خَرَجَ من بُخارى كتب إليه أهلُ سمرقند يطلبونه إلى بلدهم ، فسار إليهم . فلما كان بخرتنك - بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح المثناة الفوقية وسكون النون - قرية على فرسخين من سمرقند ، بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنةٌ ، فقومٌ يريدون دخوله وقوم يكرهونه ، فأقام بخرتنك حتى ينجلي الأمر ، فضجر ليلةً فدعا وقد فرغ من صلاة الليل ، **فقال** : اللهم قد ضاقتْ عليّ الأرض بما رحبت ، فاقبضني إليك . فمات في ذلك الشهر ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، وعمره اثنان وستون ، ودُفِنَ بالقرية المذكورة ، وفاح من قبره رائحةٌ أطيب من المسك ، واستمرت أيامًا كثيرة حتى تواترت عند جميع أهل تلك الناحية .

(و) : **ثانيهما** : (**أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القُشَيْري**) : بضم القاف وفتح الشين المعجمة ، وسكون الياء المثناة تحت . نسبةً إلى قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة . (**النيسابوري**) : بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة إلى نَيسابور ، بفتح النون ، أعظم مدائن خراسان . وُلد - رضي الله تعالى عنه - سنة أربع ومائتين ، وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل وحرملة وخلائق كثيرين ، وصنف صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث ، ومات سنة إحدى وستين ومائتين . ودُفِنَ بنيسابور ، وقبره بها مشهور يُزار ويُتبرَّك به[1] . **قيل** : إنَّ وفاته كانت بسببٍ غريبٍ نشأ من غمرة ، أي (شدة) ، فكرة علمية ، وذلك أنه عُقِدَ له مجلسٌ للمذاكرة ، فَذُكِرَ له

(1) **التبرك بالقبور** : بمعنى مسحها وقصد الدعاء عندها وأخذ ترابها لاستشفاء ، ونحوه من الأمور المحدثة في الإسلام ، وما أجمل ما نقله الإمام البُرْزلي عن بعض العلماء من عدم جواز أخذ تراب قبر الرجل الصالح **قال** :

« . . وإلاَّ فالتبرّك على الحقيقة [إنما يكون] باستعمال ما كانوا عليه من الأوصاف الدينية واستعمال الأمور الشرعية .

وقد رأى الحسن البصري قومًا يزدحمون على جنازة رجل صالح ، فذمهم وقال : يزدحمون على نعشه ولا يزدحمون على عمله » .

انظر : « جامع مسائل الأحكام » (1 / 508) .

حديث فلم يعرفه ، فانصرف إلى منزله فأوقد السراج **وقال لمن بداره** : لا يدخل عليَّ أحد منكم ، **فقالوا** : أهديت لنا سلّة[1] تمر وقدموها له . فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث ، فمات . نفعنا الله به (**في صحيحيهما**) : متعلّق برواه ، والضمير عائد على الإمامين البخاري ومسلم . يعني أنهما رويا هذا الحديث ، أي نقلاه في صحيحيهما (**اللذين هما أصحُّ الكتب المصنَّفة**) : أي المؤلّفة في الحديث بإجماع المحقِّقين من العلماء . وقول الإمام الشافعي : ما بعد كتاب الله أصح من الموطأ ، لا يقدح في ذلك ؛ لأنه كان قبل وجودهما . وذهب الجمهور إلى أنَّ أصحّهما كتاب البخاري ؛ لأنه أي البخاري كان لا يروي عن شخص حتى يجتمعَ به ، ومسلم يكتفي بالمعاصرة . ويدلُّ لما ذكر تقسيم المحدثين الحديث الصحيح إلى سبعة أقسام :

أحدها : ما اتفق عليه الشيخان .

ثانيها : ما انفرد به البخاري .

ثالثها : ما انفرد به مسلم .

رابعها : ما خرج على شرطهما .

خامسها : ما خرج على شرط البخاري .

سادسها : ما خرج على شرط مسلم .

سابعها : ما حكم بصحته إمام معتبر ولا معارض له .



(1) سلة : وعاء يحمل فيه الفاكهة .

الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ ﷺ ، أَيْضًا **قَالَ** : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلاَ يَعْرِفُه مِنَّا أَحَدٌ . حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : « **يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ** » . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** » .

قَالَ : « **صَدَقْتَ** » . فَعجِبْنا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ .

قَالَ : « **فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ** » .

قَالَ : « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِه ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » .

قَالَ : « **صَدَقْتَ** » . قَالَ : « **فَأَخْبِرنِي عَنِ الإِحْسَانِ** » .

قَالَ : « **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » .

قَالَ : « **فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ** » .

قَالَ : « **مَا الْمَسئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** » .

قَالَ : « **فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا** » .

قَالَ : « **أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ ، رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ** » . ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : « **يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟** » . قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (8) ، وأبو داود (4695) ، والترمذي (2610) .

(**عن**) : سيدنا (**عمر**) : بن الخطاب (**أيضًا**) : أي كما عنه الحديث الأول ، وقد تقدمتْ ترجمتُه (**- رضي الله تعالى عنه - قال** : **بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا**) : أي ظهر لنا (**رجل**) : وهو جبريل عليه السلام ، أتى إلى النبي ﷺ في صورة رجل لا يعرفونه ، وكان في الغالب يأتيه في صورة دِحية - بكسر الدال - الكلبي الصحابي ، وكان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة . وجملة نزول جبريل على النبي ﷺ أربعة وعشرون ألف مرّة ، وقيل غير ذلك . (**شديد بياض الثِّياب شديد سواد الشعَر**) : بفتح العين وتسكن ، أي شعر اللحية كما وقع مصرّحًا به في روايةٍ لابن حبان[1] . ومجيئه في تلك الهيئة الحسنة يدلُّ على استحباب التجمُّل للقادم على الكبراء ولطالب العلم ومعلّمه ؛ لأنه قَدِمَ على سيد الكبراء معلّمًا للصحابة في صورة متعلّم . ونقل عن ابن عبد السلام أنه **قال** : لا بأس بلباس شِعار العلماء الذين يعرفون به ، فإني كنتُ محرمًا فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخلّوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا ، فلما لبستُ ثياب الفقهاء وأنكرتُ عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا ، فإذا لبسها فقيه لمثل ذلك كان له أجر ؛ لأنه سببٌ لامتثال أمر الله والانتهاء عما نهى عنه .

وقوله : (**لا يُرى عليه أثر السفر**) : رُوي بضم المثناة التحتية مبنيًّا للمفعول فأثر بالرفع نائب الفاعل ، ورُوي بالنون المفتوحة مبنيًّا للفاعل فأثر بالنصب مفعول . والرواية الأولى أبلغ . **والمعنى** : لا يرى أحد عليه أثر السفر أي علامته وهيئته من غبرة وشعوثة (**ولا يعرفه منا**) : أي معاشر الصحابة (**أحد**) . وقوله (**حتى جلس**) : أي فجلس ، فحتى ابتدائية . ويصحُّ أن تكونَ غائية ، فتتعلّق بمحذوف . أي فسلّم واستأذن ودنا حتى جلس (**إلى النبي ﷺ**) : أي عنده أو معه قريبًا منه (**فأسند**) : أي ألصق (**ركبتيه إلى ركبتيه**) : أي وضع الرجل ركبتيه مُتَّصلتين بركبتي رسول الله ﷺ (**ووضع**) : أي الرجل (**كفَّيه على فخذيه**) : أي فخذي النبي ﷺ . وإنما فعل ذلك للتنبيه على أنه ينبغي للسائل عدم الاستحياء عند السؤال ، وينبغي للمسئول الصَّفْح عن السائل وإن تعدّى ما ينبغي من الاحترام للمسئول والأدب معه (**وقال** : **يا محمد أخبرني**

---

(1) يشير إلى ما جاء عند ابن حبان (168) ، وفي روايته للحديث « . . **إذ جاء رجل شديد سواد اللحية** » وهو عند ابن منده في « الإيمان » (1 / 132) .

عن الإسلام) : أي عن حقيقته . وكذا يُقال فيما بعده . وناداه باسمه مع أنه حرام ؛ لأنَّ ذلك كان قبل التحريم ، أو لأنَّ الحرمة مُختصَّةٌ بالآدميين دون الملائكة . وإنما فعل ذلك ليقوّي ظَنَّ الصحابة أنه من جفاة الأعراب[1] لمزيد التعمية عليهم **(فقال رسول الله ﷺ)** : مجيبًا له **(الإسلام أن تشهد)** : أي تعلم وتُصدِّق وتُسلِّم **(أنْ لا إله إلاَّ الله)** : أي لا معبود بحقّ إلا الله **(وأن محمدًا)** : أي وأن تشهدَ أنَّ محمدًا **(رسول الله)** : أرسله إلى الناس ليعلّمهم دينهم **(و)** أن **(تقيم الصَّلاة)** أي تأتي بها بأركانها وشروطها وتواظب عليها في أوقاتها **(و)** أن **(تؤتي الزَّكاة)** : أي تعطيها لمستحقيها أو للإمام ليدفعها لهم **(و)** : أن **(تصوم)** شهر **(رمضان)** : أي تمتنع عن جميع المفطرات في أيامه **(و)** أن **(تحجَّ البيت)** : أي تقصد بيت الله الحرام للنسك ، وتأتي بأفعاله **(إن استطعت إليه سبيلاً)** : أي إن قدرتَ على الوصول إليه بدون مشقّة عظيمة ، مع الأمن على النفس والمال ووجود مؤن السفر .

(قال) : أي الرجل **(صدقت)** : أي فيما أجبتَ به . قال عمر - رضي الله تعالى عنه - **(فعجبنا له)** : أي منه **(يسأله ويصدِّقه)** : وَوَجْهُ تعجّبهم أنّ سؤاله قرينة على عدم علمه بما سأل عنه ، وتصديقه يقتضي أنه عالم به ، ثم زال تعجُّبُهم لما علموا أنه جبريل لأنه ظهر أنه كان عالمًا في صورة متعلّم تعليمًا لهم وتقوية لإيمانهم .

(قال) : أي الرجل **(فأخبرني عن الإيمان قال)** : أي النبي ﷺ مجيبًا له عن ذلك **(أن تؤمن)** : إن وصلتها في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف ، أي الإيمان هو أن تؤمنَ أي تُصدِّق **(بالله)** : أي بوجوده وربوبيته ووحدانيته ، وأنَّه مُتَّصفٌ بكل كمال ، ومنزَّه عن كُلِّ نقص ومحال **(وملائكته)** : أي وأن تؤمنَ بملائكته ، وهم أجسام نورانية قادرون على التشكّل بأشكال مختلفة . ومعنى الإيمان بهم التصديق بوجودهم ، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم بالغون في الكثرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى . وقد ورد مرفوعًا : « **ما في السموات السَّبع موضعُ قدم ولا شبر ولا كفّ إلاَّ وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد** »[2] . وذكر بعضهم أن من أعجب ما

---

(1) قوله : « **جفاة الأعراب** » جمع جافٍ وهو الفظّ الغليظ .

(2) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الكبير » (2 / 184) ، و« الأوسط » (4 / 44) ، وفيه راوٍ ضعيف كما في « مجمع الزوائد » (10 / 358) ومعناه ثابت عن جمع من الصحابة . **انظر** : « تفسير ابن كثير » (4 / 445 - 446) .

خلق الله فيهم ملكًا نصفه من نار ونصفه من ثلج ، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يُطفئ النار ، وهو يُسبِّحُ الله تعالى ويقدِّسه ويُمجِّده ويُوحِّده ، ويقول في كلامه : **اللهم يا من أَلَّف بين الثلج والنار أَلِّف بين قلوب عبادك المؤمنين**[1] .

فائدة : يجب علينا معرفة عشرة من الملائكة تفصيلاً ، وهم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، ومنكر ، ونكير ، ورضوان ، ومالك ، وكاتبا الحسنات والسيئات ، ويُسمَّى كلٌّ منهما رقيبًا عتيدًا . (**وكتبه**) : أي وأن تؤمن بكتبه التي أنزلها على رُسُله . **ومعنى الإيمان بها** : التصديق بأنها كلام الله تعالى ، وأن جميع ما تضمّنته حقّ ، واختلف في عددها **فقيل** : إنها مائة وأربعة ، وقيل غير ذلك . ويجب معرفة أربعة منها تفصيلاً ، وهي : التوراة لسيدنا موسى ، والإنجيل لسيدنا عيسى ، والزبور لسيدنا داود ، والقرآن لسيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين (**ورسله**) : أي وأن تؤمنَ برسله بأن تُصدِّق بأنَّ اللهَ تعالى أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم إلى طريق الحق وأنهم صادقون في جميع ما جاءوا به عن الله تعالى . وتقدّم أنه يجب معرفة خمسة وعشرين منهم بأسمائهم ومرَّ بيانهم[2] . (**واليوم الآخر**) : أي وأن تؤمنَ باليوم الآخر وهو يوم القيامة . وسُمِّي آخرًا لأنه لا ليل بعده . ومعنى الإيمان به التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه من : بعث المخلوقات ، وحسابهم ، ووزن أعمالهم ، ومرورهم على الصراط ، وإدخال بعضهم النار بالعدل وبعضهم الجنة بالفضل . (**وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه**) : أي بأن تعتقدَ وتُصدِّق بأنَّ الله تعالى قدَّر الخير والشر قَبْلَ خلْق الخلق ، وأنّ جميعَ ما كان وما يكون بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته . وأعاد العامل وهو تؤمن إما لبعد العهد وإما للاهتمام بشأن الإيمان بالقدر ، إذ لا يؤمن به كلّ أحد ولا يعلمه إلا حاذق[3] بأمور الدين ، وقد جاء في الحديث : « **أَنَّ الإيمان به يُذْهِبُ الهمَّ**

---

(1) ورد حديث مرفوع بهذا المعنى عند أبي الشيخ في « العظمة » (2 / 749) ، وخبر آخر من كلام زياد بن أبي حبيب (3 / 962) ، والمرفوع إسناده ضعيف كما قال العراقي في « تخريج الإحياء » (1 / 468) .

(2) قوله : « **مرّ بيانهم** » : هم آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وشعيب ، وهارون ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، وذو الكفل ، ويونس ، وإلياس ، واليسع ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد (ﷺ وعليهم أجمعين) . اهـ مؤلف .

(3) **الحَاذِق** : هو الماهر العارف بغوامض الأمور ودقائقها .

والحزن »[1] . وكان السَّلفُ الصَّالحُ يجيبون مَن سألهم عن القضاء والقدر **بقولهم** : أنْ تعلمَ أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . ورُوي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما أرسلني في حاجة فلم تتهيَّأ إلا قال : « **لو قضي كان ولو قدّر كان** »[2] . وورد أن الله تعالى قال : « **خلقتُ الخير والشر ، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه ، وويلٌ لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال لِمَ وكيف** »[3] .

وبالجملة فجميعُ أفعال العباد وما يحصل لهم من نفع أو ضر إنما هو على حسب ما سبق في علمه تعالى ، فلا ينفع حذر من قدر .

حُكي أنَّ ملكًا **قال له منجموه** : إنك تموتُ في اليوم الفلاني ، في الوقت الفلاني بلدغة عقرب ، فلما آن الوقتُ تجرَّد من ثيابه وركب فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ودخل بها البحر حذرًا ، فعطستْ فخرجَ من منخرها عقربٌ فلدغته ، فمات ، وما أغناه الحذرُ من القدر .

(**قال**) : أي الرجل السائل (**صدقت**) : أي فيما أخبرتني به .

ثم (**قال فأخبرني عن الإحسان**) : يعني به الإخلاص . ويجوز أن يُراد به إتقان العمل من قولهم : أحسن في كذا إذا أتقنه وأجاد فعله .

(**قال**) : أي النبي ﷺ (**أن تعبد الله كأنك تراه**) : أي أن تطيعه وأنت مخلصٌ له في العبادة ، خاضعٌ ذليل خاشع ، كأنك تعاينه (**فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**) : أي فإن لم تكن في عبادته كأنك تراه بأن غفلت عن تلك المشاهدة فاستمرّ على إحسان العبادة ،

---

(1) **لا يصح** : رواه القضاعي في « مسند الشهاب » (1 / 187) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (1 / 113) ، وأبو يعلى في « طبقات الحنابلة » (2 / 120) ، وابن الجوزي في « العلل » (1 / 156) **وقال** : لا يصح . **وانظر** : « أسنى المطالب » ص 102 .

(2) **صحيح** : رواه ابن حبان (7179) ، وابن بطة في « الإبانة » (2 / 88) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 258) وصحّحه ابن حبان وغيره .

(3) **ضعيف** : رواه البيهقي في « الاعتقاد » ص 145، والخطيب في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (2 / 153) ، والرافعي في « أخبار قزوين » (4 / 89 - 90) ، وابن شاهين في « السنة » ، وسنده ضعيف كما قال العراقي في « تخريج الإحياء » (2 / 1058) ، وليس فيه عندهم جملة : « **ويل ثم ويل لمن قال لِمَ وكيف** » .

واستحضرْ أنك بين يدي الله تعالى وأنه مُطّلع على سرك وعلانيتك ؛ ليحصل لك أصلُ الكمال ، وقد ذكر العلماء أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات :

الأول : أن يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب ، بأن تكون مستوفيةً للشروط والأركان .

الثاني : أن يفعلها كذلك ، وقد استغرق في بحر المكاشفة حتى كأنه يرى الله تعالى وهذا مقام المشاهدة[1] .

الثالث : أن يفعلها كذلك ، وقد غلب عليه أنَّ الله تعالى يشاهده ، وهذا مقام المراقبة .

وكُلٌّ من المقامات الثلاثة إحسان ، إلاَّ أنَّ الإحسان المشروط في صِحَّة العبادة إنما هو الأول ، وأما الإحسان بالمعنيين الأخيرين فهو من صفة الخواصّ ، ومتعذّر من كثيرين . **وقال بعضهم** : مَن راقب اللهَ في خواطره عصمه الله في جوارحه . **وسُئِل ابن عطاء**[2] : ما أفضلُ الطاعات ؟ **فقال** : مراقبة الحق على دوام الأوقات[3] ، وحُكي أنّ بعضَ المشايخ كان يخصُّ بعضَ تلامذته بإقباله عليه ، فقالوا له في ذلك ، فدفع إلى كُلّ واحدٍ منهم طيرًا ، **وقال** : اذبحه بحيث لا يراه أحدٌ . فمضى كُلُّ واحدٍ فذبح ما معه بمكانٍ خالٍ . وجاء هذا التلميذُ ومعه الطير غير مذبوح ، فسأله الشيخ عن عدم ذبحه ، **فقال** : إنك أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ، ولم يكن موضعٌ إلا والحقُّ سبحانه وتعالى يراه . **فقال الشيخ لتلامذته** : لهذا أُقدِّمه عليكم ، فإنَّ الغالبَ عليكم رؤية الخلق ، وهذا غير غافل عن الحق[4] .

---

(1) **مقام المشاهدة** : هو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله ﷻ بقلبه ، وهو أن يتنوّر القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان ، فمن عَبَدَ الله على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة .

انظر تفصيل ذلك في : « معارج القبول » (3 / 999) ، « مدارج السالكين » لابن القيم (3 / 231 - 232) ، « جامع العلوم والحكم » ص 37 .

(2) هو **أبو العباس ابن عطاء الأدمي** ، واسمه : أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم ، صحب الجنيد والخرّاز ، وكان له لسان في فهم القرآن . توفي سنة 309 أو 311 هـ .

انظر : « طبقات الصوفية » للأزدي ص 207 ، « المنتظم » (13 / 200) .

(3) **انظر** هذا النقل في : « الرسالة القشيرية » ص 226 ، « الإحياء » (4 / 397) .

(4) **انظره** في « الإحياء » (4 / 397) .

وقال الأستاذ البكري نفعنا الله تعالى به :

إنْ رمتَ تدنو من المعالي	**وترتقي أحسنَ المسالك**
وتحظى بالقُرْب والتَّداني	**وتنجو أيضًا من المهالك**
وعنك حُجْبُ البعاد تُجلى[1]	**وتجري ما شئتَ في الممالك**
وينجلي عنك كُلُّ غيمِ	**وتنمحي ظلمةُ الحوالك[2]**
ففرِّغ القلبَ من سواه	**وراقبِ الله في فعالك**

(**قال**) أي الرجل (**فأخبرني عن السَّاعة**) أي عن وقت مجيئها . **والمراد بها** القيامة .

وسُمِّيت ساعة لأنها تأتي الناسَ بغتةً في ساعةٍ ، فيموت الخلقُ كُلُّهم في مكانهم بصيحة واحدة ، حتى إنَّ أحدهم يرفعُ اللقمةَ إلى فيه فلا يطعمها (**قال**) النبي ﷺ : (**ما المسئول عنها**) : أي عن وقت مجيئها (**بأعلم من السَّائل**) أي كلانا سواء في عدم العلم بزمن وقوعها ، **وقيل** : إنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ **فقال له** : متى قيام الساعة ؟ وإني قد ألقيتُ حبّاتي فمتى السماء تمطر ؟ وحَمْلُ امرأتي ذكر أم أنثى ؟ وما أعمل غدًا ؟ وأين أموتُ ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان : 34][3] الآية .

والحق أنَّ الله سُبحانه وتعالى لم يقبض نبيّنا ﷺ حتى أطلعه على كُل ما أبهمه عليه إلا أنه أمره بكتم البعض والإعلام بالبعض[4] . (**قال**) - أي الرجل - : (**فأخبرني عن أمارتها**) بفتح الهمزة . وروي أماراتها بالجمع ، أي علاماتها ومقدّماتها التي تظهر قبل قيامها وتدلُّ على قربها (**قال**) أي النبي ﷺ مجيبًا له عن ذلك : (**أن تلد الأمة**) أي

---

(1) **تُجلى** : أي تكشف .

(2) **الحوالك** : الحَلَك : السّواد .

(3) **انظر** أصل الخبر في : « تفسير البغوي » (3 / 496) ، « لباب التأويل » (5 / 220) للخازن ، « الدر المنثور » (6 / 531) .

(4) هذا غير صحيح ، وقدر رُوِيَ عن ابن مسعود ﷺ **قال** : « من كل شيء قد أوتي نبيكم علمه إلا من خمس ، ثم تلا قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ . . إلى آخرها » ، ورُوِيَ نحوه عن ابن عمر وعائشة وغيرهم من الصحابة . **انظر** هذه الآثار في : « مسند الطيالسي » (1809) ، « تفسير عبد الرزّاق » (3 / 252) ، « مسند الحميدي » (1 / 68) ، « مصنف ابن أبي شيبة » (6 / 317) .

الجارية المملوكة (**ربتها**) أي سيدتها . وفي رواية ربّها ، أي سيدها ، واختُلِف في معنى ذلك على أقوال ، منها : أنه كناية عن كثرة اتخاذ السراري ، فتلد السُّرِّيَّة[1] مولودًا من سيدها والولد بمنزلة أبيه في السيادة عليها . ومنها : أنه كناية عن كون الأرقّاء يلدن الملوك ، فتكون أمُّ الملك من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من الرعية ، ويُؤيِّدُ هذا أن الرؤساء في الصَّدر الأول كانوا يستنكفون غالبًا عن وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر ، ثم انعكس الأمرُ سيما في أثناء دولة بني العباس . لكن رواية ربتها بالتأنيث لا تساعد ذلك ، لندرة كون الأنثى ملكة ، إلا أن تجعل التاء لتأنيث النفس . **والمعنى** أن تلد الأمة نفسًا هي ربَّتها فتشمل الذكر والأنثى (**وأن ترى الحفاة**) بضم الحاء جمع حاف وهو من لا نعل برجله (**العراة**) بضم أوله ، جمع عارٍ ، وهو من لا شيء على جسده ، والمراد به هنا من ليس عليه ثياب أشراف الناس ؛ بدليل رواية الحفدة بالتحريك أي الخدمة (**العالة**) بفتح اللام المخففة أي الفقراء الذين يعولون على غيرهم في أمر المعيشة (**رعاء الشاء**) بكسر الراء والمدّ ، ويجوز ضمّها ، جمع راع ويجمع أيضًا على رعاة كقضاة ، وعلى رعيان كشبان ، **والشاء** : الغنم ، وهو جمع شاة . وخصَّهم بالذِّكْر لأنهم أضعف أهل البادية (**يتطاولون في البنيان**) أي يتفاخرون بطوله وكثرته وارتفاعه . والمراد أن أسافلَ الناس يصيرون أكابر وأصحاب ثروة ظاهرة ، وتكثر أموالُهم ، وتنصرف هِمَمُهم إلى تشييد البنيان وزخرفته ، حتى إنهم يتباهون ويتفاخرون به ، **فيقول الواحد منهم لصاحبه** : بنياني أطول من بنيانك . **ويقول الآخر** : بنياني أحسن من بنيانك . يقولون ذلك عجبًا وتكبّرًا . واعلم أن إطالة البناء لم تكن معروفة في زمن النبي ﷺ بل كان بُنيانهم قصيرًا بقدر الحاجة .

وعن الحسن البصري أنه قال : كنتُ وأنا مراهق أدخلُ بيتَ أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان ، فأتناول سقفها بيدي[2] .

(1) **السُّرِّيَّةُ** : الجارية المملوكة ، **والجمع** سَرَاري ، **قيل** : نُسبت إلى السِّرِّ وهو الجماع ، أو من السُّرور ؛ ولأنها موضع سرور الرجل .

انظر : « تهذيب اللغة » (12 / 203) ، « تحرير ألفاظ التنبيه » للنووي ص 250 .

(2) رواه ابن سعد في « الطبقات » (1 / 500) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (450) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » ص 163 .

وروى أبو داود عن أنس **قال** : رأى رسولُ الله ﷺ قبّةً مشرفة ، أي عالية ، **فقال** : « ما هذه؟ » **قالوا** : هذه لفلان فسكت حتى جاء فأعرض عنه ، فشكا لأصحابه ، فَأُخْبِرَ الخبر فهدمها . فخرج رسولُ الله ﷺ فلم يرها ، فسأل عنها ، **فقالوا** : شكا إلينا صاحبُها إعراضك فأخبرناه فهدمها . فقال : « **أما إن كلّ بناء فهو وَبَالٌ على صاحبه إلا ما لابد منه** »[1] .

وروي عن ابن مسعود : مَن بنى فوق ما يكفيه ناداه منادٍ من السماء : يا عدوَّ الله إلى أين تريد ؟[2] .

وينبغي لمن مرّ على بناء مُزخرفٍ عالٍ ألا ينظر إليه . فقد حُكي أنَّ سفيان الثوري مشى مع رفيق له ، فرآه ينظر إلى باب دار مرفوع معمور ، **فقال له** : لا تنظر إليه فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف . فالناظرُ إليه معين له على الإسراف . ونُقِلَ عن ابن مطيع أنه نظر يومًا إلى داره فأعجبه حسنُها ، فبكى ، ثم **قال** : والله لولا الموت لكنتُ بك مسرورًا ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرّت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى حتى ارتفع صوته ، رحمة الله تعالى عليه .

تنبيه : للساعة علامات كثيرة صُغرى وكبرى . **أما الصغرى فمنها** : قبض العلم بموت أهله ، وكثرة الزلازل والفتن والزنى ، وشرب الخمر والربا وعقوق الوالدين ، والتجاهر بالمعاصي وإضاعة الصلاة والأمانة ، وتعطيل الحدود وقلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعراض الأكابر عن الأذان وتركه للسفلة . **وأما الكبرى فمنها** : ظهور المهدي وخروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها . ولعلَّ اقتصار المصطفى ﷺ على ما ذكره هنا لقرب وقوعه ، فحذّر الحاضرين منه .

قال عمر - رضي الله تعالى عنه - : **(ثم انطلق)** وفي نسخة فانطلق بالفاء بدل ثم .

---

(1) **حسن بشواهده** : رواه أبو داود (5237) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » ص 157 ، 183 ، والبزار في « مسنده » (7473) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (2 / 415) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 390) ، وسنده حسن ، **وانظر** : « الترغيب » للمنذري (3 / 12) ، و« تخريج الإحياء » للعراقي (2 / 1116) حيث **قال** : إسناده جيد .

(2) ذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (3 / 550) ، وعزاه في « الفتح الكبير » (3 / 166) إلى الطبراني ، **وقال المناوي** : فيه الربيع بن سليمان أورده الذهبي في « الضعفاء » . **انظر** : « فيض القدير » (6 / 98) .

أي ذهب الرجل السائل عما ذكر (**فلبثتُ**) بضم تاء المتكلم ، أي مكثتُ لا أدري مَنِ الرجل ، **وفي رواية** : فلبث أي النبي ﷺ ، يعني أمسكَ عن الكلام في هذه القضية (**مليًا**) بفتح الميم وكسر اللام وتشديد المثناة التحتية أي زمنًا طويلًا ؛ وهو ثلاثة أيام كما في بعض الروايات (**ثم قال**) أي النبي ﷺ : (**يا عمر أتدري**) أي أتعرف (**من السائل ؟ قلت** : **الله ورسوله أعلم**) أي من غيرهما .

وتخصيص عمر بالنداء من بين الحاضرين يدلُّ على جلالته ورفعة مقامه ومنزلته عند رسول الله ﷺ ويؤخذ منه ندب تنبيه العالم أكبر تلامذته على فوائد العلم والغرائب ؛ لتفهمهم وتيقظهم . ولا يخفى ما في قول عمر : (**الله ورسوله أعلم**) من حسن الأدب من جهة تفويض العلم إليهما . ويؤخذ منه أنّ التلميذ إذا سأله شيْخه عن شيء هل يعلمه أم لا ؟ لا يقول أعلم ؛ لأنه إن لم يعلمه فقد كذب ، وإن علمه حُرِم من بركة لفظ أستاذه ، ومن فائدة يستفيدها زيادة على ما عنده ، بل **يقول** : الله وأهل العلم أعلم . ثم لما قال عمر ما ذكر (**قال**) أي النبي ﷺ له : (**فإنه**) وفي نسخة هذا (**جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم**) أي يفهّمكم أمر دينكم بسبب سؤاله . وهذا الحديث عظيم الموقع لاشتماله على وظائف العبادات الظاهرة والباطنة .

(**رواه**) الإمام (**مسلم**) في كتاب الإيمان بهذا اللفظ ، وظاهره مخالف لما في الحديث الذي رواه هو والبخاري عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – ، من أنَّ الرجل أدبر ، فقال ﷺ : « **ردوه عليّ** »[1] فأخذوا يردونه فلم يروا شيئًا ، فأخبرهم حينئذ أنه جبريل . وأُجيب عن ذلك بأنّ عمر – رضي الله تعالى عنه – لم يكن حاضرًا وقت هذا الإخبار ، بل كان قام من المجلس ، و لم يتّفق الإخبار له إلا بعد ثلاثة أيام .



(1) **صحيح** : رواه البخاري (50) ، ومسلم (9) ، (10) .

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – **قَالَ** : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمسْلِم[1] .

. . . .

(**عن أبي عبد الرَّحمن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنهما**) أي عن عبد الله وأبيه عمر . وأشار المصنف بذلك إلى أنه ينبغي لمن يذكر صحابيًا ولأبيه صحبة أن يترضَّى عنهما . أسلم عبد الله هذا بمكة مع أبيه وهو صغير ، وهاجر معه إلى المدينة ، وكان من فقهاء الصحابة ومُتَّقيهم وزُهَّادهم . حجَّ سِتِّين حجة ، واعتمر ألف عمرة ، وأعتق ألف رقبة ، وحمل على ألف فرس في سبيل الله ، وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقمْ حتى فرَّقها .

وكان كثيرًا ما يتقرَّبُ بما يعجبه ويستحسنه من ماله . ولما عرف أرقاؤه منه ذلك كانوا يُقبلون على الطاعة ويُلازمون المسجد ليعتقهم ، **فقيل له** : « إنهم يخدعونك . **فقال** : مَن خَدَعنا بالله انخدعنا له »[2] . وكان عنده جارية يُحِبُّها **فقال لها** : إني سمعتُ الله تعالى يقول :

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [سورة آل عمران : 92] .

فاذهبي فأنتِ حرة لوجه الله تعالى ، ثم أنكحها نافعًا ، **وقال** : لولا أني لا أعودُ في شيءٍ جعلته لله لنكحتها[3] . وكان نافع هذا رقيقه فدُفِع له فيه عشرة آلاف دينار ، **فقال له عاصم بن محمد** : يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر أن تبيع ؟ **فقال** : فهلاّ ما هو خير من

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (8) ، ومسلم (16) ، والترمذي (2609) .

(2) رواه ابن سعد في « الطبقات » (4/ 167) ، وأبو نعيم في « الحلية » (1/ 294) ، وفي « معرفة الصحابة » (3/ 1709) .

(3) الأثر عند أبي داود في « الزهد » ص 330، والحاكم في « المستدرك » (3 / 647) ، **وانظره** في « تاريخ الإسلام » للذهبي (5 / 460) .

ذلك ؟ هو حر لوجه الله تعالى[1] . وجِيءَ له وهو مريض بعنقود عِنبٍ ، فجاء مسكينٌ **فقال** : أعطوه إياه ، فذهب إليه إنسان فاشتراه منه ، ثم جاء به إليه ، فجاءه المسكين يسأله **فقال** : أعطوه إياه ، فذهب إليه إنسانٌ فاشتراه منه . وأراد السائلُ أن يرجعَ فمنع . ولو عَلِمَ ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه .

وجاءه سائلٌ **فقال لابنه** : أعطه دينارًا ، فلما انصرف **قال له ابنه** : تقبَّل الله منك يا أبتاه . **فقال** : لو علمتُ أنَّ الله ﷻ تقبَّلَ مني سجدةً واحدةً أو صدقة واحدة بدرهم واحد لم يكن غائبٌ أحبّ إليّ من الموت ، أتدري مِمَّن يتقبل الله ؟ إنما يتقبل الله من المتقين .

وكان يقول : لا يصيب عبد شيئًا من الدنيا إلاَّ انتقص من درجاته عند الله ﷻ وإن كان على الله كريمًا .

ومن مناقبه - رضي الله تعالى عنه - أنه خَرَجَ في بعض أسفاره ، فبينما هو يسير إذ وجد قومًا وقوفًا ، **فقال** : ما لهؤلاء القوم ؟ **قالوا** : أسدٌ على الطريق قد أخافهم . فنزل عن دابته ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه ونحّاه عن الطريق .

رُوي له عن رسول الله ﷺ ألف وستمائة وثلاثون حديثًا ، وعاش أربعًا وثمانين سنة ، ومات بمكة شهيدًا ؛ وسببه أنّ الحجاج خطب يومًا فأخّر الصلاة ، **فقال له ابن عمر** : إن الشمس لا تنتظرك ، **فقال له الحجاج** : لقد صممتُ أن أضربَ الذي فيه عيناك ، **فقال له ابن عمر** : إنك سفيه مُسَلّط . فتغير من ذلك وأمر رجلاً فسمّ طرفَ رمح وزاحمه في الطواف حتى وضعه على قدمه ، فمرض أيامًا ثم مات رحمة الله تعالى عليه[2] .

(قال : سمعت رسول الله) وفي نسخة : النبي **(ﷺ يقول : بني الإسلام على خمس)** أي أسِّس على خمس قواعد ، **وفي رواية لمسلم** : على خمسة ، أي خمسة أشياء أو أصول أو أركان . **والمراد** أنَّ دينَ الإسلام يتحقَّقُ ويوجد بهذه الخمس

---

(1) **انظر** هذا الأثر ، وذُكِرَ بعده في مناقب ابن عمر ﷺ في « تاريخ الإسلام » للذهبي (5 / 460، 461) ، « وفيات الأعيان » لابن خلكان (3 / 30) ، « صفة الصفوة » (1 / 568 ، 569) .

(2) **انظر** ذلك في « أسد الغابة » لابن الأثير (3 / 351) ، « الاستيعاب » لابن عبد البر (3 / 952) ، « وفيات الأعيان » (3 / 31) .

(**شهادة**) بالجرّ على أنه عطف بيان أو بدل من خمس ، ويجوز رفعه على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره : منها ، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره : **أحدها** ، ويجوز أيضًا نصبه بفعلٍ محذوف تقديره : أعني شهادة (**أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**) وفي نسخة : وأنّ محمدًا عبده ورسوله (**وإقام الصلاة**) أي المعهودة شرعًا ، وهي خمس في كل يوم وليلة ، **والمراد** بإقامتها المحافظة عليها في أوقاتها مع استيفاء شروطها وأركانها .

وقد ورد في الحديث : « **من حافظ على الصلواتِ الخمس ، على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ، يراها أنها حقٌّ لله سبحانه وتعالى كان جسده حرامًا على النار** »[1] .

ورُوي : إذا كان يوم القيامة أُمِرَ بطبقات المصلِّين إلى الجنة ، فتأتي أول زمرة كالشمس ، **فتقول الملائكة** : من أنتم ؟ **قالوا** : نحن المحافظون على الصلاة . **قالوا** : كيف كانت محافظتكم ؟ **قالوا** : كُنَّا نسمع الأذان ونحن في المسجد . ثم تأتي زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر ، **فتقول الملائكة** : من أنتم ؟ **قالوا** : نحن المحافظون على الصلاة . **قالوا** : كيف كانت محافظتكم ؟ **قالوا** : كنا نتوضأ قبل الوقت ، ثم نحضر مع سماع الأذان . ثم تأتي زمرة أخرى كالكواكب ، **فتقول الملائكةُ** : من أنتم ؟ **قالوا** : نحن المحافظون على الصلاة . **قالوا** : كيف كانت محافظتكم ؟ **قالوا** : كنا نتوضأ بعد الأذان[2] .

ورُوي مرفوعًا : « **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحتْ صلح سائرُ عمله ، وإن فسدتْ فسدَ سائر عمله** »[3] .

(**وإيتاء الزكاة**) أي دفعها لمستحقيها . وسُمِّيتْ زكاةً لأنها سببٌ في زكاء المال

---

(1) **جيد** : رواه ابن أبي شيبة في « مسنده » (2 / 335) ، وأحمد (4 / 267) والطبراني في « الكبير » (4 / 12) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 46) ، **قال المنذري** : رواه أحمد بإسناد جيد ، ورواته رواة الصحيح .

(2) ذكره الصفوري في « نزهة المجالس » (1 / 126) .

(3) **حسن لشواهده** : رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » ص 195 ، والطبراني في « الأوسط » (2 / 240) ، والمقدسي في « المختارة » (7 / 144) **وقال المنذري** في « الترغيب » (1 / 150) : إسناده لا بأس به .

ونموه وحصول البركة فيه . وقد ورد : « **حَصِّنوا أموالَكم بالزَّكاة وداووا مرضاكم بالصدقة** »[1] .

وورد : « **ما ضاع مال في برّ أو بحر إلا من عدم الزكاة** »[2] . وجاء : « **إنَّ من لم يخرج زكاة ماله سلَّط الله عليه وجوهًا من الظلم أو الهلكة يصرفه فيها** »[3] .

وفي الحديث : « **ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يُؤدِّي حَقَّها إلاَّ إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ له صفائحُ من نار ، فَتُكوى بها جبهتُه وجنباه وظهره ، كُلَّما بردت أعيدتْ له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضيَ اللهُ بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** »[4] .

وورَدَ : أنه يجيء مالُ مانع الزكاة يوم القيامة طوقًا في عنقه من نار لو أنَّ ذلك الطوق وُضِع في الدنيا لاحترقتْ منه ، وتقطعت جبالها ، ويبست بحارها . وما من عبد أدَّى زكاة ماله بطيب نفس إلا جاء عقدًا من نور في رقبته يشرق نور ذلك العقد على المؤمنين يوم القيامة ، حتى يمشي في نوره على الصراط ويدخل الجنة[5] .

(**وحج البيت**) وهو واجبٌ على المستطيع ، وفعله يُكفِّر الصغائر والكبائر ، حتى

---

(1) **لا يصح رفعه** : رواه الطبراني في « الأوسط » (2 / 274) ، وفي « الدعاء » (34) ، وفي « الكبير » (10 / 128) ، وابن عدي في « الكامل » (6 / 340 ، 341) ، **وقال أبو حاتم** : حديث منكر ، وهو عند أبي داود في « المراسيل » 128 عن الحسن البصري مرسلاً ، وهو الأشبه .
انظر : « العلل » لابن أبي حاتم (1 / 220) ، « العلل المتناهية » لابن الجوزي (2 / 494) .

(2) ورد في بعض الطرق عند الطبراني في « مسند الشاميين » (1 / 34) ، وفي « الدعاء » (34) ، وابن عساكر في « تاريخه » (40 / 165) ولا يصح رفعه كما في « المقاصد » للسخاوي ص 309 .

(3) ورد هذا المعنى في أحاديث عدة منها قوله ﷺ : « **ولم يمنع قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يُمطَروا** . . » رواه ابن ماجه (4019) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (2 / 391) ، و« الأوسط » (5 / 62) ، والحاكم (4 / 583) وصحَّحَهُ ، وكذا الذهبي .
وعن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **ما مَنَع قوم الزكاة إلاَّ ابتلاهم الله بالسنين** » رواه الطبراني في « الأوسط » (5 / 26) ، وتمام الرازي في « فوائده » (1 / 369) . **وقال المنذري في** « الترغيب » (1 / 309) : رواته ثقات ، وكذا في « مجمع الزوائد » (3 / 66) . وقوله : **بالسنين** : أي بالجدب سنة بعد سنة ، **وقيل** : نقص الحبوب .
انظر : « غريب الحديث » لابن قتيبة (1 / 599) ، « تفسير الطبري » (9 / 28) .

(4) **صحيح** : رواه مسلم (987) ، وأبو داود (1658) ، وأحمد (2 / 383) .

(5) هذا النص بتمامه ذكره ابن الجوزي في كتابه « بستان الواعظين » ص257 في : عظة في الحضِّ على الزكاة ، ولم يرد بهذا السياق في شيء من الأخبار .

التبعات ، وهي حقوق الآدميين إن مات في حجِّه أو بعده وقبل التمكن من أدائها ، مع عزمه عليه عند القدرة . وذكر ابن العماد[1] أن حكمة تركبّه من الحاء والجيم الإشارة إلى أنَّ الحاء من الحلم والجيم من الجرم فكأنَّ العبد **يقول** : يا رب جئتك بجرمي[2] أي ذنبي لتغفره بحلمك ، ولا يجب الحجُّ إلا مرة واحدة في العمر . **فقد ورد** : من حج حجة أدَّى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرَّم الله شعره وبشره على النار ، ووجوبه على التراخي عند الشافعية ، وبه قال محمد صاحب أبي حنيفة . وقال مالك وأحمد : على الفور ، وبه قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، وكذلك المزني ، ولو تعارض الحجُّ والنكاح فالأفضل لمن لم يخف العنت أي الفجور والزنى تقديم الحج ، ولخائف العنت تقديم النكاح ، بل يجبُ عليه ذلك إن تحقَّق أو غلب على ظنّه الوقوع في الزنى . ومثل الحج العمرة فهي واجبة عند الشافعي في العمر مرة واحدة . ونقل عن أبي حنيفة ومالك أنها سُنَّة وهو قول للشافعي ، وعن أحمد أنها فرض كالحج .

وقد جاء في فضلهما أخبار كثيرة منها قوله ﷺ : « **من خرج من بيته حاجًا أو معتمرًا ومات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة** »[3] .

ومنها قوله ﷺ : « **تابعوا بين الحج والعمرة** » أي ائتوا بهما متتابعين بدون فاصل كبير « **فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد** »[4] وفي رواية : « **فإن**

---

(1) هو الشيخ الفقيه **أحمد بن عماد بن محمد الأقفهسي** ، المصري الشافعي أحد الفقهاء المُحَدِّثين ، له : تسهيل المقاصد لزوار المساجد ، ورفع الإلباس عن وهم الوسواس . توفي سنة 808 هـ . **انظر** : « طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (4 / 16) ، « إنباء الغمر » (5 / 313) ، « كشف الظنون » (1 / 407) .

(2) **انظر** أصل النقل في : « حاشية الجمل على المنهج » (2 / 370) ، « البجيرمي على الخطيب » (3 / 175) ، « إعانة الطالبين » للبكري (2 / 274) .

(3) **فيه مقال** : رواه أبو يعلى في « مسنده » (11 / 238) ، وأعلّه المنذري في « الترغيب » (2 / 111) ، والهيثمي في « المجمع » (3 / 208) بأن في سنده ابن إسحاق وهو مدلس ، وذكره الدارقطني في « العلل » (11 / 110) وأوضح أن الرواية المرفوعة وهمٌ ، وصوَّب أنه من كلام أبي هريرة ﷺ .

(4) **صحيح** : رواه الترمذي (810) ، والنسائي (5 / 115) ، وابن ماجه (2887) ، وأحمد (1 / 387) ، وكذا ابن خزيمة (2512) ، وابن حبان (3693) وصححاه .

متابعة ما بينهما تزيد في العمر والرزق »[1] أي يبارك فيهما .

ومنها قوله ﷺ : « **العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »**[2] .

وحُكي عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثًا وثلاثين حَجَّةً ، فلما كان في آخر حجّة حجها **قال وهو في عرفات** : اللهم إنك تعلم أني وقفتُ في موقفي هذا ثلاثًا وثلاثين وقفة ، فواحدة عن فرضي ، والثانية عن أبي ، والثالثة عن أمي ، وأشهدك يا ربّ أني وهبتُ الثلاثين لمن وقف بموقفي هذا ولم تتقبّل منه . فلما دفع من عرفات ، أي رحل عنها وفارقها ، **نُودي** : يا ابن المنكدر أتتكرم على مَن خَلَقَ الكرم والجود ؟ وعزتي وجلالي لقد غفرتُ لمن وقف بعرفات قبل أن أخلقَ عرفات بألف عام[3] .

(وصوم رمضان) أي الإمساك عن المفطرات في نهاره بنيته . وفُرِضَ في السنة الثانية من الهجرة ، فصام ﷺ تسعة : رمضانات كلها ناقصة إلا واحدًا . ولعل الحكمة في ذلك تطمينُ نفوس من يصومه ناقصًا من أمته ، وقد جاء في فضل رمضان وصومه أخبار كثيرة ، منها ما روي : « **إنَّ الجنة لتتزيَّنُ من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كان أوّل ليلة من رمضان هبَّتْ ريحٌ من تحت العرش يقال لها المثيرة ، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع** - أي الأبواب - **فَيُسْمَعُ لذلك طنينٌ لم يَسْمَعِ السامعون أحسنَ منه ، فتبرز الحورُ العين حتى يقمن على شرف الجنة ، فينادين : هل من خاطب ؟ ثم يقلن : يا رضوان ما هذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية ، فيقول : يا خيرات حسان هذه أول ليلة من رمضان »**[4] .

---

(1) وردت هذه الرواية بلفظ : « **فإن متابعة بينهما يزيدان في الأجل وينفيان الفقر والذنوب** . . » عند الحميدي في « مسنده » (1 / 10) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 472) ، وابن عساكر في « تاريخه » (25 / 260) ، وهو حسن بشواهده كما في « مصباح الزجاجة » (3 / 181) .

(2) **صحيح** : رواه مالك (1 / 346) ، والبخاري (1683) ، ومسلم (1349) .

(3) **انظر** الخبر في « إعانة الطالبين » (2 / 288) للبكري .

(4) **لا يصح** : رواه الفاكهي في « أخبار مكة » (2 / 315) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 335) ، وفي « فضائل الأوقات » ص 250 ، وابن عساكر في « تاريخه » (52 / 291) ، وابن الجوزي في « العلل » (2 / 535) ، و« الموضوعات » (2 / 432) وحكم ببطلانه .

وقال ﷺ : « **لو يعلم الناسُ ما في رمضان من اليمن والبركة لتمنّوا أن يكون حولاً كاملاً** »[1] . وقال ﷺ : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدّم من ذنبه** »[2] وفي رواية : « **وما تأخر** » .

وورد : « **لو أذنَ الله للسموات والأرض أن تتكلّما لشهدتا لمن صامَ رمضان بالجنة** »[3] .

وما أحسنَ قول بعضهم :

شهرُ الصيام لقد علوتَ مُكَرَّمًا ... وغدوتَ من بين الشهور مُعَظَّما

يا صائمي رمضانَ هذا شهركم ... فيه أباحكم المهيمنُ مَغْنَما

يا فوزَ مَن فيه أطاعَ إلَههُ ... مُتَقَرِّبًا مُتَجَنِّبًا ما حرما

فالويلُ كُلّ الويل للعاصي الذي ... في شهره أكل الحرامَ وأجرما

فائدة : نقل عن ابن حجر : إنَّ تمنّي زوال رمضان من الكبائر . ولعلّه كما قال الأمير إذا كان بُغضًا للعبادة . وربما يُخشى منه الكفر والعياذ بالله تعالى . ومما يخالفُ تعظيم شعائر الله تعالى قول العوام : رمضان مريض أو يطالع في الروح أو نحو ذلك ، فينبغي تجنّب ما ذكر . ثم إنَّ هذا الحديث قد اشتملَ على أركان الإسلام فهو من قواعد الدين العظيمة (**رواه البخاري**) في الإيمان والتفسير (**ومسلم**) في الإيمان والحج .



(1) **لا يصح** : رواه ابن أبي الدنيا في « فضائل رمضان » ص 24 ، وأبو يعلى (9 / 180) ، والشاشي في « مسنده » (2 / 277) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 103) ، وسنده لا يصح كما في « المطالب العالية » لابن حجر (6 / 42) ، و« مجمع الزوائد » (3 / 141) .

(2) **متفق عليه** : رواه البخاري (38) ، ومسلم (759) .

(3) **ضعيف** : رواه الفاكهي في « أخبار مكة » (2 / 317) ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (3 / 68) ، وابن عدي في « الكامل » (1 / 208) ، ولا يصح كما في « ذخيرة الحُفّاظ » لابن طاهر (4 / 1996) ، و« الموضوعات » لابن الجوزي (2 / 106) .

الحديث الرابع

قَالَ : عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - ، **قَالَ** حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : « **إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً**[1] ، **ثُمَّ يكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِك ، ثُمَّ يرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيه الرُّوح ، وَيُؤمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ؛ فَوالَّذي لا إلَهَ غَيْرُه إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا . وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلهَا** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[2] .

. . . .

(**عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه) أسلم بمكة قديمًا . ويُقال إنّه سادس ستة في الإسلام ، وسبب إسلامه أنَّ النبي ﷺ مرَّ به وهو يرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط **فقال له** : « يا غلام هل عندك من لبنٍ تسقينا ؟ » **قال** : نعم ، ولكني مؤتَمَنٌ . **قال** : « هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل ؟ » **قال** : نعم ، فأتاه بها فمسح ﷺ ضرعها ودعا فامتلأ ضرعها باللبن ، فحلب في إناء أتاه به أبو بكر ، وشرب وسقى أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - ، ثم **قال للضرع** : « اقلِص » بكسر اللام فقلَص[3] بفتحها ، أي رجع كما كان لا لبن فيه ، فلما رأى ذلك أسلم - رضي الله تعالى عنه - ، وكان شديد الأدمة بالضم أي السمرة ، خفيف اللحم ، قصيرًا جدًّا نحو ذراع ، دقيق

---

(1) لفظ : « **نطفة** » ليس في شيء من روايات الحديث في كتبه المطبوعة ، وإنما وقع عند أبي عوانة كما في « فتح الباري » (11 / 479) ، وابن الجعد في مسنده (2594) ، وأبي نعيم في « ما روي عن الفضل بن دكين » ص 70 .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (3036) ، ومسلم (2643) ، وأبو داود (4708) ، والترمذي (2137) ، وابن ماجه (76) .

(3) **حسن** : رواه الطيالسي في « مسنده » (353) ، وابن أبي شيبة (6 / 327) ، وأحمد (1 / 379) ، وابن حبان (6504) وصححه ، وإسناده حسن .

الساقين ، أي رفيعهما ، أخذ يجتني سواكًا من الأراك فجعلت الريحُ تكفؤه[1] ، فضحك القومُ منه فقال رسول الله ﷺ : « **مم تضحكون ؟** » .

فقالوا : يا رسول الله من دِقَّة ساقيه . **فقال** : « والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد »[2] .

وكان - رضي الله تعالى عنه - صاحب سِرِّ المصطفى ﷺ . وكان يمشي أمامه بالعصا ، ويوقظه إذا نام ويلبسه نعليه إذا قامَ[3] . وكان من أجود الناس ثوبًا ، وأطيبهم ريحًا تعظيمًا لنعلي رسول الله ﷺ ؛ فإنه كان يحملهما إذا جلس . وكان النبي ﷺ يكرمه ويقرّبه ولا يحجبه ؛ فلذا كان كثيرَ الدخول عليه ﷺ . وكان رضي الله تعالى عنه **يقول** : والله الذي لا إله غيره ما نزلت آيةٌ من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو أعلم أن أحدًا أعلمُ بكتاب الله مني تناله المطايا[4] لأتيته[5] .

وهو - رضي الله تعالى عنه - أوّل مَن جهر بالقرآن من الصحابة ، وذلك أنه لما نزلت سورة الرحمن قال المصطفى ﷺ : « **من يقرؤها على قريش؟** » فقال ابن مسعود : أنا يا رسول الله . وذهب إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة ، فافتتح القراءة بها ، فقام أبو جهل فلطمه وشق أذنه وأدماه ، فذهب وعينه تدمع ، فاغتمَّ المصطفى ﷺ ، فنزل جبريل عليه السلام ضاحكًا ، فقال المصطفى ﷺ : « **أنت تضحك وابن مسعود يبكي؟** » **فقال** : ستعلم يا رسول الله مِمَّ أضحك ، فلما كان يوم بدر ونَصَرَ الله المسلمين أمر المصطفى ﷺ ابن مسعود أن يأخذ رمحه ويلتمس في الجرحى مَن به رمق ، أي بقية حياة فيقتله ، فمرَّ بأبي جهل وهو مُلقى في شدائد الهلاك ، فخاف أن يكونَ به قوة فوضع الرمح في أنفه من بُعْدٍ ، فلما عرف عجزه ارتقى على صدره وقطع رأسه وشقَّ أذنه ، وجعل فيها خيطًا وجرّه - أي الرأس - إلى أن ألقاه بين يدي النبي ﷺ ، وجبريل

---

(1) **تكفؤه** : تُميله .

(2) **صحيح** : رواه أحمد (1 / 420) ، والبزار (1827) ، والطبراني في « الكبير » (8 / 78) ، وابن حبان (7069) وصحّحه .

(3) **انظر** تفصيل مناقبه في : « الطبقات الكبرى » لابن سعد (3 / 151) ، « الاستيعاب » (3 / 988) ، « صفة الصفوة » (1 / 395 - 400) ، « سير أعلام النبلاء » (1 / 465 - 482) ، « نهاية الأرب » (18 / 150) .

(4) **المطايا** : الإبل ، أي يمكن أن يوصل إليه ، وهو مبالغة في نفي أن يكون أحد أعلم منه بهذا .

(5) **صحيح** : رواه البخاري (4716) ، ومسلم (2463) ، والطبراني في « الكبير » (9 / 72 ، 73) .

بين يديه يضحك ، **ويقول** : أذن بأذن والرأس زيادة[1] .

وُلِّي - رضي الله تعالى عنه - قضاءَ الكوفة وبيت مالها لعمر وصدرًا من خلافة عثمان ، ثم أتى إلى المدينة وتمرّض بها ، فدخل عليه عثمان - رضي الله تعالى عنه - **فقال له** : ما تشتكي ؟ **فقال** : ذنوبي . **قال** : فما تشتهي ؟ **قال** : المغفرة . **قال** : ألا آمر لك بطبيب ؟ **قال** : الطبيب أمرضني . **قال** : ألا آمر لك بعطاء ؟ **قال** : لا حاجة لي به . **قال** : يكون لأولادك من بعدك ؟ **قال** : إني لا أخشي عليهم الفقر بعد أن علمتهم سورة الواقعة يقرءونها كُل ليلة ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة** - أي فقر واحتياج - **أبدًا** »[2] .

رُوي له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثًا ، ومات بالمدينة على الأصح سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وهو ابن بضع[3] وستين سنة ، ودفن بالبقيع . ورُوي أنه خلّف ستين ألف دينار سوى الرقيق والماشية رحمة الله تعالى عليه (**قال** : **حدثنا رسول الله** ﷺ **وهو الصادق**) أي الآتي بالصِّدْق (**المصدوق**) أي الذي يُصدِّقه الله تعالى في دعواه الرسالة بإظهار المعجزات على يديه ويُصدِّقه الخلق فيما يقول ، أو الذي يأتيه جبريلُ بالصدق من عند الله تعالى (**إن**) بكسر الهمزة وفتحها (**أحدكم**) أي معشر بني آدم (**يجمع**) بالبناء للمفعول أي يضمّ ويحفظ (**خلقه**) نائب الفاعل ، وهو على حذف مضاف أي مادة خلقه ، وهو المني الذي يُخلق منه (**في بطن أمه**) أي في رحمها الذي هو في بطنها ، والرحم ما يشتمل على الولد يكون فيه تخليقه من كونه نطفة إلى كونه خلقًا آخر . **وقيل** : إنه خشن كالسفنج وله أفواه وأبواب ، فإذا دخل المني من باب واحد خَلَقَ اللهُ منه جنينًا ، وإذا دخل من بابين خلق الله منه ولدين ، وإذا دخل من ثلاثة

---

(1) **انظر** أصل القصة بهذا السياق عند الصفوري في « نزهة المجالس » (2 / 321) ، و« التفسير الكبير » للرازي (32 / 24) ، « روح المعاني » للآلوسي (30 / 187) .

(2) **ضعيف** : هو بهذا السياق عند البيهقي في « الشعب » (2 / 491) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (5 / 969) ، وابن الشجري في « الأمالي » (2 / 391) ، ورواه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (1 / 459) ، والحارث في « مسنده » ، (زوائده : 721) ، وابن السنيّ في « عمل اليوم والليلة » (680) مقتصرين على القدر المرفوع منه ، وضعّفه أحمد وابن الجوزي ، وابن القطّان وغيرهم انظر بسط ذلك في : « العلل المتناهية » (1 / 112) ، « بيان الوهم » لابن القطان (4 / 663) ، « تخريج الآثار » للزيلعي (3 / 411 ، 412) ، « فيض القدير » (6 / 201) .

(3) قوله : « **بِضع** » بكسر الباء ، وهو ما بين الثلاث والتسع .

أبواب خلق الله منه ثلاثة أولاد ، فيكون عددُ الأجنة في الرحم بعدد دخول المني من أفواه الرحم[1]! (**أربعين يومًا**) ظرف ليجمع ، وقوله : (**نطفة**) حال من خلقه ، أي حال كونه نطفة أي منيًا ، يعني أنه يمكث في الرحم هذه المدة مجموعًا بعد انتشاره في جميع بدن المرأة وفي تلك المدة لا يختلط مني الرجل بمني المرأة ، بل يكونان متجاورين لا يغير أحدهما الآخر[2] . وفي الأربعين الثانية يختلطان ؛ لأنَّ مني المرأة لا يصلحُ للتخلّق إلاّ بضمّ مني الرجل له ، فهو بمنزلة الإِنْفَحَة[3] للبن ، فلا يصلح اللبن للجبن إلا بعد ضم الإنفحة إليه .

موعظة : رُوي عن - علّي كرم الله تعالى وجهه - أنه **قال** : ما لابن آدم والفخر ؛ أوله نطفة قذرة - أي خبيثة - ، وآخره جيفة قذرة ، وما بينهما يحمل العذرة ، أي النجاسة .

وحُكي أنَّ بعض أولاد المهلّب مرَّ بمالك بن دينار **فقال له مالك** : لو تركتَ الخيلاء لكان أحسن لك . **فقال** : أما تعرفني ؟ **فقال** : والله أعرفك معرفة جيدة . أوّلك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت مع ذلك تحمل العذرة . فأرخى الفتى رأسَه وكفَّ عمَّا كان عليه .

(**ثم**) عقب تلك الأربعين (**يكون**) أي يصير (**علقة**) بعد ذرّ التراب عليه وعجنه به من المكان الذي يُدفن فيه . فقد ورد أنَّ الملك الموكّل بالأرحام ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يُدفن فيه ، فيذر على النطفة ، فيخلق من التراب ومن النطفة والعَلَقة ، بفتح اللام ، قطعة دم غليظ ، وسُمِّيت بذلك لكونها تعلق بما يمرّ عليها (**مثل ذلك**) بالنصب صفة لموصوف محذوف ، أي زمنًا مثل ذلك ، أي مقدار ذلك الزمن الذي مَرَّ وهو أربعون يومًا .

(**ثم**) عقب الأربعين الثانية (**يكون مُضغة**) بضم الميم وسكون المعجمة ، أي قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (**مثل ذلك**) الزمن المذكور ، وهو أربعون يومًا ، وهي

---

(1) ، (2) ما قاله الشارح ﷺ إنما هو بحسب ما كان من المعتقدات السائدة في عصره ، وهو لا يتوافق مع علم الطب الحديث ، فلا يعول عليه .

(3) **الإِنْفَحَةُ** : مادة تستخرج من بطن الحَمَل أو الجدي أو العجل ما لم يأكل تستعمل في صناعة الجُبن .
انظر : « القاموس » ص 314 ، « مختار الصحاح » ص 688 ، « المغرب » (2 / 316) .

الأربعون الثالثة ، وفيها يصوِّرها اللهُ ويجعل لها فمًا وسمعًا وبَصَرًا وأمعاء وغير ذلك من الأعضاء .

(**ثم**) إذا تمَّ التصوير وكملت الأجزاء وصار ابن أربعة أشهر (**يُرسَل إليه المَلك**) بالبناء للمجهول ، والمُرسِل هو الله تعالى كما صرّح به مسلم في رواية . وهذا الملك هو الموكّل بالرحم . والمراد بإرساله أمره بالتَّصرُّف أي يأمر الله الملك (**فينفخ فيه الروح**) التي بها يحيا الإنسانُ . وحقيقةُ النفخ إخراجُ ريحٍ من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه ، والمراد به هنا الإدخال ، أي يدخل الملكُ الروحَ في البدن بعد تمام خلقته ، فتسري في أجزائه الظاهرة والباطنة ، فيجدُ اللذَّةَ والألم . وهذا الإدخالُ يكون من اليأفوخ كما أن خروجها عند الموت يكون منه . واليأفوخ - بالهمز - وسط الرأس حيث يكون لينًا من الصبي . **وقال بعضهم** : نَفْخُ الملكِ في الصورة سَبَبٌ لإيجاد الله تعالى فيها عنده الروح والحياة . وأوَّل شيء تحله الحياةُ العينَ ، وهي آخر شيء تنزع منه الروح ، وأول شيء يسرع إليه الفساد . ويجوز التسبُّب في إلقاء الحمل قبل نفخ الروح فيه ويحرم بعده . ورُوي أنَّ السقطَ يأتي يوم القيامة وله سوطٌ مثل الرعد يستغيثُ وينادي : أنا المظلوم ، فيتعلَّق بأمه ، ويقول : يا رب سَلْ هذه لم قتلتني؟ فيقول الله تعالى : لم قتلته وقد حرَّمتُ قتل النفس إلا بالحق؟ يا ملائكتي سَلِّمُوها لمالك خازن النار يحبسها في جبِّ الأحزان ، فتغلّ يدها إلى عنقها ، ويُوضع الطوقُ والسلسلة فيه ، وتُسحب إلى النار . فيرميها مالك في جبِّ الأحزان ، وفيه نار وسباع وزنابير وحيات وعقارب تنهش المعذَّبين ، وزبانية بأيديهم حرابٌ من نار تطعنُ القاتلين . وأفتى بعضُهم بأنه لا يحلّ للمرأة أن تستعملَ دواءً يمنع الحبل اتفق العلماء على أنَّ نفخَ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر أي عقبها كما صرَّح به جماعة ، فيتحرَّكُ الجنينُ بين نفخها وعشرة أيام بعده ، فتحسّ أمُّه بحركته ؛ ولذا صارتْ عِدَّةُ الوفاة أربعة أشهر وعشرًا . ونُقِلَ عن أهل التشريح أنَّ الولد يتحرَّكُ لمثل ما يتخلق فيه ، ويوضع لمثل ما يتحرك فيه . وتخلُّقه يختلفُ في العادة ؛ فتارة يكون لشهر ، وتارة يكون لشهر وخمسة أيام ، وتارة يكون لشهر ونصف . فإذا تخلَّق لشهر تحرَّك لشهرين وَوُضِع لستة . وإذا تخلَّق لشهر وخمسة أيام تحرَّك لشهرين وثلث وَوُضِع لسبعة . وإذا تخلَّق لشهر ونصف تحرّك لثلاثة ووُضِع لتسعة . ولذلك لا ينقص الحملُ عن ستة ولا يعيش ابن ثمانية إلا

كرامةً ، كما وقع لسيدنا عيسى عليه السلام فإنه وُلِد في الشهر الثامن .

وقال بعض الأطباء : إنَّ الولدَ عند استكمال سبعة أشهر يتحرَّكُ للخروج حركةً عنيفةً أقوى من حركته في الشهر السادس ، فإذا تهيّأ له الخروج خرج وعاش ، وإن لم يتهيأ له الخروج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فتقلُّ حركتُه في البطن في الشهر الثامن ، ولا يتحرَّك فيه للخروج . فإن اتفق تحرُّكه للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف ، فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه ، ولو فُرِضَ أنَّه يعيشُ يكونُ معلولاً .

(**ويؤمر**) بالبناء للمفعول ، وهو معطوف على (**فينفخ**) ، أي يأمر الله الملك (**بأربع كلمات**) أي بكتابة أربع قضايا ، وهذه الكتابة على جبهته ، أو بطن كفّه ، أو في ورقة تُعلَّق بعنقه . **قيل** : ولا مانع من الكتابة على الثلاثة . وظاهر هذا الحديث أنه يُؤمر بهذه الكتابة ابتداءً ، وليس كذلك بل إنَّما يُؤمَرُ بها بعد أن يسأل عنها **بقوله** : يا رب ما الرزق؟ ما الأجل ؟ ما العمل ؟ وهذا شقي أو سعيد ؟ وقوله : (**بكتب**) بكسر الباء الموحدة بدل من قوله بأربع ، وكتب مضاف .

وقوله : (**رزقه**) بالجر مضاف إليه . **والمراد بكتبه** كتب قدره قليلاً أو كثيرًا ، وصفته حلالاً أو حرامًا أو مكروهًا ، ومن أي جهة ، وهو عند أهل السنة ما ساقه الله إلى الحيوان فانتفع به بالفعل مأكولاً أو غيره كملبوس ومركوب ومنكوح ، **وقيل** : إنه يتناول العلوم ونحوها ؛ لأنَّ الرزق نوعان : ظاهر للأبدان كالقوت ، وباطن للقلوب والنفوس كالعلوم والمعارف . (**وأجله**) أي قَدَره طويلاً أو قصيرًا ، وفي أيّ ساعة ، وأي موضع يكون انتهاؤه ؟ (**وعمله**) أي بيانه صالحًا أو فاسدًا (**وشقي أو سعيد**) مرفوعًا على الخبرية لمبتدأ محذوف ، والتقدير وهو شقي في الآخرة أو سعيد فيها . والمراد أنه يكتب لكلّ واحدٍ إمَّا الشقاوة وإمَّا السعادة ، ولا يكتبان لواحد معًا . **قيل** : لما حضرتْ عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشي عليه ثم أفاق ، **فقال** : أتاني الساعة ملكان فقالا لي : قُمْ نحاكمك بين يدي العزيز الحكيم ، ففزعتُ منهما ، فإذا بملكٍ ثالث قد نزل من السماء ، فقال : خَلِّيا عنه فإنَّه كُتِب في بطن أمه سعيدًا [1] .

---

(1) الأثر عند ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (1 / 134) ، والبرتي في « مسند عبد الرحمن بن عوف » ص 64 ، وأبي نعيم في « معرفة الصحابة » (1 / 122) .

(**فوالذي لا إله غيره**) الفاء فصيحة[1] واقعة في جواب شرط مقدر والواو للقسم ، والذي صفة لمقسم به محذوف ، والتقدير إذا كان كُلٌّ من الشقاوة والسعادة مكتوبًا فأقسم بالله الذي لا معبودَ بحقٍّ غيره (**أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة**) أي بأن يأتي بالطاعات ويترك المنهيات (**حتى ما يكون**) بالنصب والرفع[2] فيه وفيما بعده ، والمعنى إلى أن لا يوجد (**بينه وبينها**) أي الجنة (**إلاّ ذراع**) زاد البخاري : أو باع ، وهذا كناية عن شِدَّة القرب (**فيسبق**) أي يغلب (**عليه الكتاب**) أي مضمونه وحكمه الذي كتب له في بطن أمه (**فيعمل بعمل أهل النار**) وهو المعاصي كفرًا كانت أو كبيرة (**فيدخلها**) أي النار يوم القيامة ، ويفتح له في قبره طاقة منها ، فالمرادُ مطلق من تغير حاله قبل موته ، وهو قسمان : **الأوّل** : من تغيّر حاله بالكفر والعياذ بالله تعالى ، وهذا يتحتَّم دخولُه النار ويخلد فيها . **والثاني** : من تغير حالُه بمُفْسِقٍ كأن ارتكبَ كبيرةً ومات بلا توبة ، وهذا يَدْخُلُ النارَ إن لم تنله رحمةُ العزيز الغَفّار ، ولا يخلد فيها ، بل لابُدَّ من خروجه منها ودخوله الجنة (**وإن أحدكم ليعملُ بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة**) بأن يتوبَ من ذنبه ؛ إما بالإسلام إن كان كافرًا ، وإمَّا بالإقلاع والندامة وردّ المظالم إن كان مسلمًا عاصيًا (**فيدخلها**) أي الجنة بحكم القدر الجاري عليه ، فمن سبقت له السعادةُ صَرَفَ الله قلبَه إلى الخير قبل موته . ومَن سبقت له الشقاوةُ - والعياذ بالله تعالى - كان بعكسه .

حُكي أنَّ رجلًا مُسْلِمًا كان يهوى امرأةً نصرانيةً فمرض مرض الموت ، **فقال في نفسه** : أنا أعشق هذه ولم أجتمع بها في الدنيا ، وإن متُّ على الإسلام لم أجتمعْ بها في الآخرة ، فتنصَّر ومات على النصرانية - حفظنا الله من ذلك - ولما مرضت المرأةُ **وقالت** : إنَّ فلانًا كان يهواني ولم يجتمعْ بي في الدنيا ، وأخشى إن متُّ على النصرانية ألاّ أجتمع به في الآخرة ، فأسلمت ، وماتت على الإسلام .

وحُكي أنَّ رجلًا دخلَ بلاد الروم فرأى جاريةً ، فافتتن بها فخطبها ، فأبوا أن يُزوِّجوه

---

(1) **الفاء الفصيحة** : هي التي يُحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سببًا للمعطوف من غير تقدير حرف الشرط . **وقال بعضهم** : هي الداخلة على جملة مُسَبَّبة عن جملة غير مذكورة؛ نحو قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ [البقرة : 60] أي ضَرَبَ فانفجرتْ .

انظر : « معجم قواعد العربية » للدّقر ، ص 321 .

(2) قوله : « **بالنصب والرفع** » ، أي لأن الفعل يحتمل أن يكون مستقبلًا فيجب النصب ، أو مؤوّلاً بالحال فيجوز نصبه ورفعه . المؤلف .

بها حتى يتنصَّر ، فأجابهم إلى ذلك ، فأحضروا له القسيسين وتنصَّر ، فخرجت الجارية وبصقتْ في وجهه ، **وقالت** : ويحك تركتَ دين الحق لشهوة ، فكيف لا أتركُ أنا دين الباطل لنعيم الأبد ؟ أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

ثم إنَّ من لُطْفِ الله تعالى وسعة رحمته أن انقلابَ الناس من الشر إلى الخير كثير ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القِلّة ، ولا يكون إلاّ لمن أصرَّ على الكبائر .

قال بعضُهم : الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة - والعياذ بالله تعالى - أربعة : التهاون بالصلاة ، أي التكاسل عن فعلها ، وشرب الخمر ، وأذى المسلمين ، وعقوق الوالدين . ورُوي أنَّ رجلًا جاء إلى النبي ﷺ **فقال** : يا رسول الله إن هاهنا غلامًا قد احتضر ، **فيُقال له** : قُلْ لا إله إلا الله فلا يستطيعُ أن يقولَها . **قال** : « أليس كان يقوُلها في حياته؟ » **قالوا** : بلى . **قال** : « فما منعه منها عند موته؟ » فنهض النَّبيُّ ﷺ ونهضنا معه ، حتى أتى الغلام ، **فقال** : « يا غلام قلْ : لا إله إلا الله » **فقال** : لا أستطيع أن أقولها . **قال** : « ولم؟ » **قال** : لعقوق والدتي . **قال** : « أحيَّةٌ هي ؟ » **قال** : نعم . **قال** : « أرسلوا إليها » فجاءته ، **فقال لها رسولُ الله** ﷺ : « آبنك هو ؟ » **قالت** : نعم . **قال** : « أرأيت لو أنَّ نارًا أجّجت ، فقيل لك : إن لم تشفعي فيه قذفناه في هذه النار » **فقالت** : إذًا كنتُ أشفع . **قال** : « فأشهدي الله وأشهدينا بأنك قد رضيت » **فقالت** : قد رضيتُ عن ابني . **فقال** : « يا غُلام قل : لا إله إلا الله » **فقال** : لا إله إلا الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « **الحمد لله الذي أنقذه من النار** »[1] .

وفي الحديث : « **علامة الشقاوة : جمود العين** » أي قلة دمعها « **وقساوة القلب وحبّ الدنيا** » أي الرغبة فيها والانهماك عليها « **وطول الأمل** »[2] أي رجاء الإكثار من الإقامة في الدنيا .

---

(1) **ضعيف** : أصله عند أحمد (4 / 382) مختصرًا ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 198) ، والطبراني كما في « الترغيب » (3 / 226) ، الدينوري في « المجالسة » ص 87 وقال الهيثمي في « المجمع » (8 / 148) : فيه فائدة ابن أبي الورقاء ، وهو متروك ، **وانظر** : « اللآلئ المصنوعة » (2 / 251) للسيوطي .

(2) **لا يصح** : رواه البزار في « مسنده » [(13 / 87) - (6442)] ، وابن عدي في « الكامل » (3 / 248) ، وأبو نعيم في « الحلية » (6 / 175) ، وفي « تاريخ أصبهان » (3 / 432) ، وفي سنده مرفوعًا أبو داود النخعيّ ، وهو كذّاب كما في « ذخيرة الحفاظ » (1 / 384) ، و« الموضوعات » لابن الجوزي (2 / 313) ، و« الميزان » (7 / 72) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » ص 37 عن الحسن البصري من قوله ، وهو الأشبه بالصواب .

وقال ذو النون المصري[1] : علامةُ السعادة حُبّ الصالحين والدنوّ منهم ، وتلاوة القرآن ، وسهر الليل ، ومجالسة العلماء ، ورِقّة القلب .

وقيل : علامة السعادة أن تطيعَ الله ، وتخاف أن تكونَ مردودًا . وعلامة الشقاوة أن تعصيه وترجو أن تكونَ مقبولاً[2] .

خاتمة : قال أبو إدريس الخولاني : سألتُ السيد الخضر[3] - عليه الصلاة والسلام - ، **فقلت** : يا نبيَّ الله! أي عمل إذا عمله العبدُ آمنه الله على الإيمان ؟ **فقال لي** : أدركتُ مائة ألف نبي وسألتهم عن استعمال شيء يأمن العبد به من سلب الإيمان فلم يجبني أحدٌ منهم ، حتى اجتمعتُ بمحمد ﷺ ، فسألته عن ذلك ، **فقال** : حتى أسأل جبريل عن ذلك ، فسأله عن ذلك ، **فقال** : حتى أسأل رب العزة عن ذلك ، فسأل ربَّ العزة عن ذلك ، فقال الله ﷻ : من واظب على قراءة آية الكرسي و﴿ ءَامَنَ

---

(1) الذي وقفتُ عليه لذي النون المصري هو ما رواه عنه أبو الحسن المهلبيّ حيث **قال** : **علامة السعادة ثلاث** : متى زيد في عمره نقص من حرصه ، ومتى زيد في ماله زاد هو في سخائه ، ومتى زيد في قَدْرِه زاد هو في تواضعه . **وعلامة الشقاء ثلاث** : متى زيد في عمره زاد في حرصه ، ومتى زيد في ماله زاد في بُخْلِهِ ، ومتى زيدَ في قَدْرِه زاد في تجبّره وقهره وتكبّره .

انظر : « تاريخ دمشق » لابن عساكر (17 / 412) ، « لُباب الآداب » لابن منقذ ص 75 .

(2) ذُكِرَ ذلك عن أبي عثمان الحيري النيسابوري أحد أئمة الزهد والتصوف كما في « الحلية » (10 / 246) ، « طبقات الصوفية » للأزدي ص 144 ، « فتح الباري » (11 / 301) .

فائدة : قال أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني ﷺ ، وكان من أكابر مشايخ خراسان في الزهد والمجاهدة : من علامة السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه ، وموافقته للسُّنّة في أفعاله ، ومحبّته لأهل الصلاح ، وحفظ أخلاقه مع الإخوان ، وبذل معروفه للخَلْق ، واهتمامه بأمر المسلمين ، ومراعاته لأوقاته ، وعلامة الشقاوة على العبد أن يكون بالضد من هذه الصفات .

انظر : « طبقات الصوفية » للأزدي ص 197 ، « الاعتصام » للشاطبي (1 / 92) .

(3) حياة الخضر محلّ خلاف بين العلماء ، والمعوّل عليه عند جمع من أكابر أهل العلم إنكار بقائه وتعميره في الدنيا وهو ما نقله أبو حيان عن جماهير العلماء ، وقد أَلَّف في بيان ذلك جمع من العلماء منهم : أبو الحسين بن المنادي ، وابن الجوزي في كتابه : « عجالة المنتظر في شرح حال الخضر » بيَّن ما ورد فيه من الأحاديث والحكايات الواهية ، ومخالفة القائلين ببقائه لقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : 34] .

وانظر ما كتبه الحافظ ابن حجر في هذا الشأن في رسالته « الزهر النضر في أخبار الخضر » 65 وما بعدها .

انظر : « المنتظم لابن الجوزي » (1 / 361) ، « المنار المنيف » لابن القيم ، « البداية والنهاية » لابن كثير (1 / 336) ، « الإصابة » لابن حجر (2 / 298) .

ﭐلرَّسُولُ ﴾ [البقرة : 285] ، إلى آخر السورة .

و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : 18] ، إلى قوله : ﴿ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [سورة آل عمران : 19] .

و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [سورة آل عمران : 26] .

إلى قوله : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة آل عمران : 27] .

وسورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة عقب كُلِّ صلاة أَمِنَ من سلب الإيمان .

وقال الحكيم الترمذي[1] : رأيتُ رب العزة[2] ألف مرة ، **فقلت** : يا ربِّ إني أخافُ من زوال الإيمان ، فأمرني بقراءة هذا الدعاء بين سُنَّة الفجر وفريضته وهو هذا : بسم الله الرحمن الرحيم : [اللهم بحرمة الحسين وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه نجِّني من الغمِّ الذي أنا فيه][3] . يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تُحيي قلبي بنور معرفتك ، يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين .

وذكر في « حياة الحيوان »[4] أنَّ مَن صَلَّى بعد سُنَّة المغرب ركعتين كُلَّ ليلةٍ يقرأُ في كُلِّ ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ، فإذا سلَّم منهما

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي ، متصوف ، زاهد ، من حُفَّاظ الحديث له مصنفات كثيرة ، توفي سنة 320 هـ .

انظر : « حلية الأولياء » (10 / 233) ، « تذكرة الحفاظ » (2 / 645) ، « لسان الميزان » (5 / 308) .

(2) لعلّه يقصد الرؤية المناميّة ، وقد اتفق العلماء على جواز وقوعها في المنام ، **قال الباقلاني** : رؤية الله تعالى في المنام خواطر في القلب ، وهي دلالات للرائي على أمور مما كان أو يكون ، أما رؤيته تعالى عيانًا في الدنيا ويقظة بالأبصار في غير حال المنام فقد اتفق العلماء - كما ذكر ابن تيمية وغيره - على امتناعها في غير حقّ نبينا ﷺ ، وذهب بعض العلماء إلى أنها جائزة عقلًا ، لكنها لا تقع .

انظر تفصيل ذلك في : « شرح مسلم » للنووي (15 / 25) ، « مجموع الفتاوى » (2 / 336) ، « عمدة القاري » (18 / 172) ، « فتح الباري » (1 / 120) .

(3) ما بين المعقوفتين في ثبوته عن الحكيم الترمذي نظر ؛ لأن أصل النقل موجودٌ في « نزهة المجالس » للصفوريّ (2 / 282) ومنه ينقل الشارح هذه القصص ولا توجد فيه هذه الزيادة ، هذا فضلًا عن هَدْيه ﷺ أولى بالاتباع من هذه الأدعية المخترعة والمشكوك في صحتها ، فقد ثبت أنه ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول : « **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » .

[رواه البخاري في « الأدب » (683) ، وابن ماجه (199) ، وأحمد (4/ 182) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (109) ، وصححه الحاكم (1 / 706) وغيره] .

(4) **انظر** أصل النقل في « حياة الحيوان الكبرى » (1 / 58) لمحمد بن موسى الدميري (ت 808 هـ) ، والدعاء في « حاشية البجيرمي على الخطيب » (2 / 587) .

صلّى على النبي ﷺ عشرًا وقال – ثلاثًا – : اللهم إني أستودعك ديني فاحْفَظْهُ عليَّ في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي أمنَ من سوء الخاتمة .

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « **من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله . اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**[1] . **سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، كُتِب برقٍّ (أي فيه) ثم طُبع بطابع فلم يُكسر إلى يوم القيامة** »[2] أي لم يتطرق إليه إبطال .

قال العلماء – رضي الله تعالى عنهم – : وهذا يدلُّ على أنَّ قائل ذلك يموتُ على الإيمان ، إذ صريحة عدم تطرّق البطلان له أصلًا ، ولو مات كافرًا لتطرّق إليه ، وحينئذ فيتأكد قولُ ذلك حرصًا على هذه البشارة ، ويا لها من بشارة .

ثم إن هذا الحديثَ حديثٌ عظيم جامع لجميع أحوال الشخص ، إذ فيه بيانُ حال مبدئه وهو خلقه ، وحال معاده وهو السعادة أو الشقاوة ، وما بينهما وهو الأجل ، وما يتصرّف فيه وهو الرزق .

(**رواه البخاري ومسلم**) في صحيحيهما – رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما .



---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (55) ، والطبراني في « الأوسط » (5 / 140) وابن السني في « عمل اليوم » (32) ، وفيه : « **فُتحت له ثمانية أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء** » ، وهو عند مسلم (234) ، وغيره وليس فيه قوله : « **اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين** » .

(2) **صحيح** : رواه النسائي في « الكبرى » (6 / 25) ، والطبراني في « الأوسط » (2 / 123) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (30) مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدريّ ﷺ ، ورواه ابن أبي شيبة (6 / 113) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 25) موقوفًا عنه ، ورجّحه ، وكذا الدارقطني ، وصحّح الحاكم (1 / 752) ، وابن الملقن في « البدر المنير » (2 / 293) الرواية المرفوعة ، وانظر : « تلخيص الحبير » (1 / 102) .

الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - ، **قَالَتْ** : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(1) .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** »(2) .

. . . .

(**عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة - رضي الله تعالى عنها -**) هي الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق - رضي الله تعالى عنه - . وكنِّيت بأم المؤمنين ؛ لأنها من أزواجه - عليه الصلاة والسلام - . وقد قال الله ﷻ :

﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : 6] .

أي مُنَزَّلات منزلتهن في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح دون جواز الخلوة والنظر وتحريم البنات ، **وقيل لها** : أم عبد الله ، مع أنَّ الأصح أنها لم تلدْ ، لأنَّ النبي ﷺ كنَّاها بابن أختها أسماء ؛ عبد الله بن الزبير لما سألته أن يُكنيها ، ولعل السبب في تكنيتها به ما بينها وبينه من شدة العلاقة والمودة والرحمة والمحرمية ، وكونه أحبّ الأسماء إلى الله تعالى .

وكانت - رضي الله تعالى عنها - أحبّ نسائه إليه ﷺ بعد خديجة - رضي الله تعالى عنها - . وفي التفضيل بينهما خلاف ، والأصح أنَّ خديجةَ أفضلُ ثم عائشة وبعدها زينب بنت جحش ثم حفصة وبقية نسائه سواء . **والمتفق عليه** أنّهن كُنَّ إحدى عشرة ، مات في حياته منهن اثنتان خديجة وزينب بنت خزيمة ، وتوفي عن الباقي ، ونَظَمَهُم المقدسي **فقال** :

توفي رسولُ الله عن تسع نسوةٍ إليهن تُعزى المكرماتُ وتُنْسَبُ

فعائشة ميمونة وصفية وحَفصة تتلوهن هندٌ وزينبُ

---

(1) **متفق عليه** : رواه البخاري (2550) ، ومسلم (1718) .

(2) هذا اللفظ عند مسلم (1718 / 18) ، وأحمد (6 / 146) ، والدارقطني (4 / 227) .

جـويـريــة مــع رمـلــة ثــم ســودة   ثــلاثٌ وسِــتٌّ ذِكْــرُهُــنّ مُــهَــذَّبُ

ولم يتزوّجْ ﷺ منهن بِكْرًا غير عائشة ، وهي أول امرأة عَقَدَ عليها بعد موت خديجة ، وكان ذلك بمكة وهي بنت ست أو سبع . ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع أو عشر . رُوي أنه لما ماتت السيدة خديجة اغتمَّ النبيُّ ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام بورقة من الجنة منقوش عليها صورة السيدة عائشة **وقال** : يا محمد إنَّ الله تعالى يُقْرئك السلام **ويقول** : إنِّي زوجتُك البكر التي تُشْبِهُ هذه الصورة في السماء ، فتزوَّجها أنتَ في الأرض ، فدعا النبي ﷺ الخطَّابة ، **وقال لها** : « هل تعرفين في مكة بِكْرًا تشبه هذه الصورة ؟ » **قالت** : نعم ، بنتُ أبي بكر تشبهها . فدعا النبي ﷺ أبا بكر **وقال له** : « إنَّ لك بنتًا تشبه هذه تسمى عائشة زوَّجني اللهُ تعالى بها في السماء ، وأمركَ أن تزوِّجَني بها في الأرض » **فقال** : يا رسول الله إنها صغيرة لا تصلحُ لك . **قال** : « لو لم تكن صالحة لما زوَّجني الله تعالى بها » . فعقد النكاح ، ورجع أبو بكر إلى منزله ، وأرسل مع عائشة طبقًا من تمر ، **وقال لها** : اذهبي بهذا إلى رسول الله ﷺ وقولي له : يا رسول الله هذا الذي ذكرته لأبي ، إن كان يصلح لك فمباركٌ عليك . فمضتْ وهي تظنُّ أنَّ أبا بكر يقصدُ التمر ، فدخلتْ على رسول الله ﷺ وبلَّغته الرسالة ، **فقال** : « قبلنا يا عائشة ، قبلنا » وجذب طرفَ ثوبها ، فنظرتْ إليه مغضبةً وذهبتْ ، فدخلتْ على أبيها فأخبرته بما وقع ، **فقال** : يا بنية لا تظني برسول الله ﷺ ظَنَّ سوءٍ إنَّ الله تعالى قد زوَّجَكِ به ، وإنِّي قد زوَّجتُكِ منه . **قالت** : فما فرحتُ بشيء أشدّ من فرحي بقول أبي بكر : قد زوجتك منه[1] . **ويقال** : إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لها .

وكانت - رضي الله تعالى عنها - صائمة الدهر ، صاحبة كرم وزهد .

بعث لها معاوية - رضي الله تعالى عنه - طوقًا من ذهب فيه جوهر قيمته مائة ألف ، فقسّمته بين أزواج النبي ﷺ .

وبعث لها عبد الله بن الزبير مالاً في غِرارتين[2] نحو ثمانين ومائة ألف ففرَّقته على

---

(1) **انظر** هذه القصة بتمامها في « نزهة المجالس » للصفوري (2 / 392) ، **وانظر** : مناقب عائشة رضي الله عنها وما ورد فيها من أخبار صحيحة في « سير أعلام النبلاء » (2 / 140) ، « تاريخ الإسلام » (4 / 244) وما بعدها : « الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين » لابن عساكر ص 84 ، « صفة الصفوة » (2 / 15) .

(2) **غرارتين** : مثنى غرارة ، وهي وعاء يصنع من الخيش ونحوه .

الناس ، وأمست وهي صائمة وما عندها درهم ، وأفطرت بخبز وزيت ، **فقيل لها** : هلاَّ أبقيتِ درهمًا فتشتري به لحمًا **فقالت** : لو ذكرتُ لفعلتُ[1] وكانت - رضي الله تعالى عنها - فقيهةً عالمة حافظة فصيحة طَلَبَ منها معاويةُ رضي الله تعالى عنه أن ترسلَ إليه كتابًا توصيه فيه ولا تكثر ، **فكتبت** : من عائشة إلى معاوية سلام عليك . . أما بعد ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **من التمسَ رضا الناس بسخط الله وَكَلَهُ الله إلى الناس ، ومن التمس رضا الله بسخطهم كفاه الله مئونة الناس** »[2] والسلام عليك .

وكتبت له مرة أخرى : أمَّا بعد ، فاتَّقِ الله فإنك إن اتَّقيتَ الله كفاك الناس ، وإن اتقيتهم لم يُغْنُوا عنك من الله شيئًا والسلام[3] .

وقد ورد فيها : « **خُذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء** »[4] . تصغير حمراء ، **وقال أبو موسى** : ما أشكل علينا حديثٌ قطّ فسألنا عنه عائشة إلاَّ وجدنا عندها منه علمًا[5] .

وقيل : إنَّ الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسألونها عن الفرائض . **وقال الزهري** : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علمُ عائشة أكثر[6] .

رُوي لها ألف[7] حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث . وماتت وعمرها ست وستون سنة ، ودُفنت بالبقيع ، نفعنا الله تعالى بها .

---

(1) الأثر عند ابن سعد في « الطبقات » (8/ 67) ، وهناد في « الزهد » (1/ 337) ، وأبو نعيم في « الحلية » (2/ 47) .

(2) **صحيح** : رواه الترمذي (2414) ، وإسحاق في « مسنده » (2 / 600) ، وابن حبان (276) وصحَّحه ، وله شواهد .

(3) الأثر رواه ابن المبارك في « الزهد » (191) ، وعلي بن الجعد في « مسنده » (1903) ، وابن أبي شيبة في « المصنَّف » (7 / 244) ، واللالكائي في « الاعتقاد » (8 / 1446) .

(4) **لا أصل له** : قال ابن كثير : لا أصل له ، ولا هو مثبتٌ في شيء من أصول الإسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزي **فقال** : لا أصل له ، **انظر** : « البداية والنهاية » (8 / 92) ، « أسنى المطالب » ص 131 للبيروتي ، « تحفة الطالب » لابن كثير ص 170 ، « المقاصد الحسنة » ص 321 .

(5) رواه الترمذي (3883) ، والتيميّ في « الحجة » (2 / 402) ، وصححه الترمذي ، **وانظر** : « الأحكام » لعبد الحق الإشبيلي (4 / 406) .

(6) ذكره ابن عبد البر في « الاستيعاب » (4 / 1883) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (2 / 33) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (35 / 235) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (4 / 247) .

(7) قوله : « **ألف** » كذا هو بالإفراد في عبارة لجماعة ، وهو في عبارة لآخرين بالتثنية ، قاله الشارح .

(**قالت : قال رسول الله ﷺ : من أحدث**) أي أنشأ واخترع من قِبَلِ نفسه أمرًا حادثًا ، أي لم يكن موجودًا في زمن النبي ﷺ وهو المسمَّى بالبدعة (**في أمرنا**) أي شأننا الذي نحن عليه وهو دين الإسلام ؛ كما جاء في رواية (**في ديننا**) ، وأشار إليه بقوله : (**هذا**) تنزيلًا له منزلة المحسوس والمشاهد تعظيمًا له .

وقوله : (**ما ليس منه**) أي ليس من أمرنا ، بأن كان ينافيه أو ليس له مستند من أدلة الشرع (**فهو ردّ**) أي مردود لا يعتدّ به .

(**رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم : من عمل عملًا**) أي أحدثه هو أو غيره (**ليس عليه أمرنا**) أي حكمنا وإذننا بأن كان غير مستند إلى دليل شرعي (**فهو ردّ**) أي مردود كما مرّ ، وأتى المصنِّف بهذه الرواية لأنها تفيدُ أنَّ كُلَّ عمل لم يكن على أمر الشرع فهو مردودٌ ، وفاعله آثمٌ ، سواء كان مُحْدِثًا له أو مسبوقًا به ، فهي أعمّ مِمّا قبلها . ثم إنَّ هذا الحديثَ قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه ﷺ ، وفيه التحذير من البدع والمخترعات المذمومة مكروهة كانت أو مُحَرَّمة .

فمن الأولى : زخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف ، والتزام القبور وما عليها من نحو تابوت وشرب الدخان المعروف ؛ وأوَّلُ حدوثه كان في بلاد الإنكليز ، ثم انتشر في بلاد الإسلام بعد الألف بخمس سنين أو عشر ، ولم يجلبه الإنكليز لبلاد الإسلام إلاَّ بعد أن اجتمع أطباؤهم على منعهم من الملازمة عليه ، وألاَّ يستعملوا منه إلا القدر الذي لا ضرر فيه . **وقيل** : إنهم شَرَّحُوا رجلًا بعد موته كان ملازمًا على شربه فوجدوه ساريًا في عروقه وعصبه ؛ حتى إن مُخَّ عظامه قد اسودّ ، ووجدوا قلبه مثل السفنجة اليابسة وكبده محروقًا كأنه شُوي على النار ، ومن ذلك الوقت منعوا من المداومة عليه ، وأمروا ببيعهٰ للمسلمين ليضرّهم في الآجل ؛ ولذا نُقِل عن بعض العلماء أنه قال بتحريمه ، فالاحتياط المنعُ من شربه .

ومن أمثلة الثانية وهي المحرمة : المكوس[1] ، والاشتغال بمذهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة ، والتقرّب إلى الله تعالى بآلة اللهو كالكاس والمزمار وترك الحدود الشرعية وإبدالها بعقوبات أخرى مالية أو بدنية ، وبيع الخمر والكلب

(1) **المكوس** : جمع المكس ، وهو الضريبة التي يأخذها المكّاس ممَّن يدخل البلد من التجّار .

والخنزير ، وأكل الحشيشة المعروفة وشربها ؛ وكان حدوثها في أواخر المائة السابعة . وذكر العلماء أن فيها مائة وعشرين مَضَرَّةً دينية وأخروية .

واعلم أنَّ مَن أحدث بدعةً مُحَرَّمَةً كان عليه وزْرها ووزر من يَعْمَل بها إلى يوم القيامة . كما أنَّ مَن سَنَّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة .

وأخرج ابن ماجه عن حذيفة مرفوعًا : « **لا يقبل الله لصاحب بدْعَةٍ صلاةً ولا صومًا ، ولا صدقة ، ولا حَجًا ولا عُمْرَةً ، ولا جهادًا ولا صَرفًا ولا عَدْلاً** - أي لا فرضًا ولا سُنة - **يخرجُ من الدِّين كما تخرج الشعرة من العجين** »[1] .

وكان السلف الصالح ينكرون البدعة المباحة فضلاً عن المحرّمة والمكروهة . حُكي أنَّ أبا يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة حَضَرَ مائدة الخليفة هارون الرشيد فطلب الملاعق ، **فقال له** : يا أمير المؤمنين قد قال جدك ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : 70] .

أي جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ، ولم نجعلهم كالدواب تأكل بأفواهها ، فأبى إلا أن يأكلَ بالملاعق ، **وقيل** : إنه ردَّها وأكل بأصابعه[2] . وما أحسن قول بعض علماء الأندلس[3] : ثلاث بهن خير الدنيا والآخرة : اتبع ولا تبتدع ، اتضع ولا ترتفع ، من ورع لا يتسع[4] .



---

(1) **ضعيف جدًا** : رواه ابن ماجه (49) ، **وقال البوصيري** : فيه محمد بن محصن وقد اتفقوا على ضعفه . **انظر** : « مصباح الزجاجة » (1 / 10) .

(2) **انظر** القصة المُشار إليها في : « الكشاف » للزمخشري (2 / 636) ، وعنه الرازي في « التفسير الكبير » (21 / 11) ، والقمّيّ في « غرائب القرآن » (4 / 368) .

(3) نسبه القرافي إلى أبي العباس الأبياني ، والذهبي إلى أبي إسحاق القيرواني أحد أئمة الزهد والصلاح بالأندلس . **انظر** : « الفروق » للقرافي (4 / 348) ، « تاريخ الإسلام » (27 / 381) ، « الفواكه الدواني » (2 / 303) .

(4) كذا في الأصل ، وفي المصادر السابقة : **من تَوَرَّع لا يَتَّسع** .

الحديث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمى ، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ** » .

رَواهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي عبد الله النعمان**) بضم النون الأولى (**ابن بشير**) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة (**رضي الله**) تعالى (**عنهما**) وُلد النعمان هذا على رأس أربعة عشر شهرًا من الهجرة ، وحملته أمُّه إلى المصطفى ﷺ ، فطلب تمرةً فمضغها ثم وضعها في فمه . وهو أول مولود وُلِدَ للأنصار بعد قدوم النبي ﷺ المدينة ومات ﷺ وعمره ثماني سنين وسبعة أشهر ، فقد تحمَّل الحديثَ وهو صغير ، وأدَّاه بعد بلوغه ، ووُلِّي إمارة الكوفة وقضاء دمشق وحمص . وكان من أخطب الناس[2] .

ومن خطبه : إنَّ للشيطان مصائد وفخوخًا ، وإن من مصائده وفخوخه البطر[3] ، بنعم الله ، والفخر بعطاء الله ، والكبر على عباد الله ، واتّباع الهوى في غير ذات الله .

رُوي له مائة حديث وأربعة عشر حديثًا . وقُتِل غيلة ، أي بحيلةٍ ، سنة أربع أو خمس أو ست وستين ، وله أربع وستون سنة . وكان قتله مصداقًا لقول النبي ﷺ لأمه حين طلبت منه أن يدعو له بكثرة ماله وولده : « **أما ترضين أن يعيش حميدًا ويُقتلَ شهيدًا ويدخلَ الجنة** »[4] . (**قال**) نفعنا الله تعالى به : (**سمعت رسول الله ﷺ يقول** :

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (152) ، ومسلم (1599) .

(2) **انظر ترجمته في** : « الإصابة » (6/ 440) ، « الطبقات الكبرى » (6/ 53) لابن سعد ، « تهذيب الكمال » (29/ 41) .

(3) **البطر** : الطغيان .

(4) رواه ابن سعد كما في « الخصائص » (2 / 243) للسيوطي ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (62 / 120) ، وذكره ابن عبد البر في « الاستيعاب » (4 / 1887) .

إن الحلال بين) أي ظاهر مُتَّضح لا يخفى حِلُّه . وهو عند الشافعي ومالك ما لم يردْ دليلٌ بتحريمه ؛ بأن وَرَدَ دليلٌ بحلّه أو لم يرد دليلٌ لا بحلّه ولا بحرمته ؛ كشرب القهوة والدخان . **وعن أبي حنيفة** : أنه ما ورد دليلٌ بحلّه فهو أخصّ مما قبله لخروج المسكوت عنه فهو حرام عنده ؛ لكن الصحيح في مذهبه موافقة ما قاله الشافعي ومالك وهو الحِلُّ .

واعلم أنّ أخْذَ الشيء والاستيلاء عليه ؛ إما أن يكونَ بغير اختيار وإما أن يكون باختيار ، فالذي بغير اختيار كالإرث ، والذي باختيار إما أن يكونَ من غير مالك ، وإما أن يكون من مالك ، فالذي من غير مالك كالأشياء المباحة التي لم يسبقْ عليها ملك كثمار الجبال والبراري وحشيشها .

والذي يكون من مالك إما أن يؤخذ كرهًا وإما أن يؤخذ بالتراضي ، فالمأخوذ كرهًا كالغنائم وكالزكوات والنفقات الواجبات من الممتنعين عن دفعها ، والمأخوذ بالتراضي إما أن يؤخذ بعوضٍ كالبيع والصَّداق ، وإما بغير عوض كالهبة والصدقة ، وجميعُ هذه الأشياء حلالٌ إذا رُوعي في تحصيلها شروط الشرع المذكورة في كتب الفقه .

(وإن الحرام بيّن) أي ظاهر غير خفي ، وهو ما منع من تعاطيه دليلٌ على مذهب الشافعي ومالك ، فهو ما نصَّ الله أو رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه .

وعن أبي حنيفة : ما لم يرد دليلٌ بحلّه فهو أعمُّ مما قبله لدخول المسكوت عنه . والصحيح في مذهبه أنه ما دلَّ الدليلُ على حرمته والمنع منه ، فهو موافق لمذهب الشافعي ومالك .

ثمَّ إنَّ مَنْعَ الشارع منه إمّا لمفسدةٍ فيه ظاهرة : كالمسكرات ، أو خفية : كالزنى ، وإما لمضرة فيه ظاهرة : كالسميّات ، أو خفية : كلحم ما لا يؤكل ومذكّي[1] المجوس . وإما لخللٍ في تحصيله : كالمأخوذ بالغصب أو السرقة أو العقد الفاسد أو المعاطاة[2] ؛ وهي أن يتراضيا بغير صيغة شرعية وهي محرمة في الحقير وغيره .

---

(1) **مذكّي** : **التذكية** : الذبح والنحر ، وذكّى **الشاة** : ذبحها .

(2) **المعاطاة** : مفاعلة ، من عطوتُ الشيء إذا تناولته ، **وهي اصطلاحًا** : هو أن يعطي المشتري الثمن فيعطيه البائع السلعة من غير إيجاب ولا قبول ولا لفظ . **وقيل** : المعاطاة مثل أن يقول : أعطني بهذا الدينار خبزًا فيعطيه ما يرضيه ، أو يقول البائع : خذ هذا بدرهم فيأخذه .

انظر تفصيل ذلك في « المطلع » ص 228 ، « المدخل » لابن الحاج (1 / 156) ، « المبدع » (4 / 6) ، « البحر الرائق » (5 / 291) .

وقيل : ينعقد البيع بها في كُلِّ ما يعدُّه الناسُ بها بيعًا . **وقيل في المحقرات فقط** : كرغيف عيش ونحوه . وذهب المالكية والحنفية إلى انعقاد البيع بها في الحقير وغيره .

ونُقِل عن الغزالي أنَّ الحرام كُلَّه خبيثٌ ، ولكن بعضه أخبث من بعض ، فليس المأخوذ بالمعاطاة كالمأخوذ بالغصب ، بل المغصوب أغلظُ إذ فيه تركُ طريق الشرع وإيذاء الغير ، وليس في المعاطاة إلا الأول . ودرجات الإيذاء تختلفُ باختلاف درجات المؤذَى بفتح الذال المعجمة ، فالمأخوذُ ظلمًا من فقير أو صالح أو يتيم أخبث وأغلظ من المأخوذ من غني أو فاسق أو قوي .

وفي الحديث : « **إن لله تعالى ملكًا على بيت المقدس ينادي كل ليلة : من أكل حرامًا لم يقبل منه صرف** (أي نافلة) **ولا عدل** »[1] ، أي فريضة (**وبينهما**) أي بين الحلال والحرام الواضحين (**أمور مشتبهات**) أي غير واضحات الحلّ والحرمة . والمراد أنها تشتبه على بعضِ الناس دون بعض ؛ ولذا قال : (**لا يعلمهن**) أي لا يعرف حكمهن من التحليل والتحريم (**كثير من الناس**) بل الذي يعرف ذلك قليل ، وهم العلماء الراسخون في العلم ، وإذا عرفوا حكم شيء اتبعوا فيه ، فإن لم يظهر لهم شيء بأن تعارضَ لهم دليلان في شيء ، ولم يظهر لهم ترجيح أحدهما ، فالمختار التوقف فيه . وإذا كان الدليلُ غير خالٍ عن الاحتمال فالورع تركه .

(**فمن اتقى الشبهات**) أي تحرَّز عنها وتركها ، والمراد بها المشتبهات (**فقد استبرأ**) بالهمز وتركه أي حصل البراءة (**لدينه**) عن النقص (**وعرضه**) من الطعن فيه . واعلم أنَّ من أتى شيئًا يظنه الناسُ شبهةً وهو يعلم أنه حلال فلا حَرَجَ عليه من الله في ذلك ، ولكن إذا خشي من طعن الناس فيه بسبب ذلك كان تركه حينئذٍ حَسنًا استبراء لعرضه ، **وقال بعضُهم** : يُستحبُّ لكلِّ من ارتكب ما يدعو الناس إلى الوقيعة فيه أن يسترَ على نفسه ، كمن أحدث في صلاته أو وهو منتظر إقامتها لا سيما مع قرب الزمان ، فيستحب له أن يأخذ بأنفه ثم ينصرفَ موهمًا أنه رعف[2] ، سترًا على نفسه لئلا يخوضَ الناسُ

---

(1) **ليس له أصل** : ذكره أبو طالب المكيّ في « قوت القلوب » (2 / 472) ، وعنه الغزالي في « الإحياء » (2 / 89) بهذا اللفظ ، **وقال العراقي** : لم أقف له على أصل ، ونحوه في « الفوائد المجموعة » للشوكاني ص 145 ، **وبمعناه** : ما ورد أن ملكًا موكلاً ببيت المقدس ينادي كل يوم : « من كان طعمته حرامًا كان عمله مضروبًا به في وجهه » رواه البغدادي في « تاريخ بغداد » (4 / 157) ، والواحدي في « فضائل بيت المقدس » ص 47 ، **وقال الخطيب** : هذا حديث منكر .

(2) رَعَفَ : **الرُّعاف** : سيلان الدم من الأنف .

فيه . وجاء أن أنسًا - رضي الله تعالى عنه - خَرَجَ لصلاة الجمعة فرأى الناسَ راجعين منها ، فدخل محلاً لا يرونه ، **وقال** : من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله[1] .

وقال بعضُ السلف : من عرَّض نفسه لِلتّهم فلا يلومَنَّ من أساء به الظن[2] .

ورُوي أن السيدة صفية زوج النبي ﷺ ورضي عنها جاءت إليه تزوره ، وهو معتكف في المسجد ، فتحدَّثا ثم قامت إلى منزلها فقام النبي ﷺ معها ، حتى إذا بلغتْ بابَ المسجد مرَّ رجلان فسلَّما على رسول الله ﷺ لما رأياه ، واستحيا فرجعا مسرعين ، فقال لهما النبي ﷺ : « **امشيا على رِسْلكما** » بكسر الراء وسكون المهملة أي على هينتكما « **فليس شيئًا تكرهانه إنما هي صفية** » فشق عليهما ذلك **وقالا** : سبحان الله وهل نظنُّ بك إلا خيرًا ؟ فقال النبي ﷺ : « **ما أقول لكما هذا أن تكونا تظنان شرًّا ، ولكن قد علمتُ أنّ الشيطانَ يجري من ابن آدم مجرى الدم** (أي يتمكن من إغوائه وإضلاله تمكنًا تامًا) **وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شِرًّا** »[3] . [فمن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يقفنَّ مواقفَ التهم][4] .

ويُؤخذ من ذلك طَلَبُ التحرُّز مما يتوهّم منه نسبة الإنسان إلى ما لا ينبغي ، وهو متأكد في حق العلماء ومن يقتدي بهم ، فلا ينبغي لهم أن يفعلوا فعلاً يُوجبُ ظنَّ السوء بهم ، وإن كان لهم مخلصًا ؛ لأنَّ ذلك سببٌ إلى إبطال الانتفاع بعلمهم (**ومن وقع في الشبهات**) بأن لم يترك فعلها (**وقع في الحرام**) المحض ، أو قارب أن يقعَ فيه . يعني أنَّ مَن أكثر من تعاطي الشبهات صادفَ الحرام وهو لا يشعر به . **وقيل** : المعنى أنه يعتادُ التساهلَ في ارتكابها ، ويتمرَّن عليه ، ويتجاسر على فعل شبهة ، ثم شبهة أغلظ

---

(1) رواه الطبراني في « الأوسط » (7 / 161) عن أنس مرفوعًا ، وفي سنده جهالة ، كما في « فيض القدير » (6 / 240) ، ورُويَ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عند ابن حبان في « روضة العقلاء » ص 58، وابن عساكر في « تاريخه » (19 / 332) .

(2) ذُكِرَ ذلك عن عمر رضي الله عنه ، **وقيل** : عن سعيد بن المسيب عن واحد من أصحاب رسول الله ﷺ . **انظره في** : « الكامل » لابن عدي (7 / 152) ، « التوبيخ والتنبيه » لأبي الشيخ ص 76 ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 323) .

(3) **صحيح** : رواه البخاري (1933) ، ومسلم (2174) .

(4) ما بين المعقوفتين ليس من جملة الحديث السابق ، وقد ذكره الزمخشري في « الكشاف » (2 / 450) ، والسرخسي في « المبسوط » (10 / 169) بصيغة الرفع من قوله ﷺ ، وأفاد السخاوي أنه لا يُعرف مرفوعًا ، وإنما روي عن عمر رضي الله عنه من قوله بلفظ : « **من أقام نفسه مقام التُّهمة فلا يلومن من أساء الظن به** » ، رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (236) ، **انظر** : « المقاصد الحسنة » ص 651 .

منها ، ثم أغلظ وهكذا حتى يقعَ في الحرام عمدًا ، وربما استولتْ عليه الذنوبُ ، وأخذتْ بمجامع قلبه ، فيصيرُ بطبعه مائلاً إليها ، مستحسنًا إيَّاها ظانًا أنه لا لذَّةَ سواها ، وحينئذٍ يبغضُ مَن يمنعه عنها ، ويُعْرِضُ عَمَّنْ ينصحه فيها . **وقد قيل** : الصغيرة تجرُّ الكبيرة وهي تجر الكفر - نسأل الله السلامة - ويدل لذلك قوله تعالى :

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ ﴾ [سورة آل عمران : 112] .

أي تدرَّجوا بالمعاصي إلى قتلهم . وقوله ﷺ : « **لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده** »[1] . أي يتدَّرج منهما إلى نصاب السرقة فتقطع يده .

وحُكي عن هشام أنه قال : كنتُ أمشى خلف العلاء[2] فكان يتوقَّى الطين ، فدفعه إنسان ، فوقعتْ رجلُه في الطين فخاضه ، فلما وصل إلى الباب **قال لي** : « رأيتَ يا هشام ؟ » **قلت** : نعم . **قال** : « كذلك المرء المسلم يتوقّى الذنوب ، فإذا وقع فيها خاضها »[3] .

ثم إن النبي ﷺ لما ذكره بقوله : (**كالراعي**) أي هو أي حاله كحال الراعي الذي هو حافظ الحيوان (**يرعى**) مواشيه (**حول**) يعني جانب (**الحمى**) أي المكان المحمي ، والمراد به موضع الكلأ الذي منع منه الغير وتوعّد من رعى فيه (يوشك) بضم الياء وكسر الشين المعجمة أي يسرع ويقرب (**أن يرتع**) بفتح الياء والتاء ، وفي نسخة : يقع (**فيه**) أي المحمي ، أي تدخله الماشية وتأكل منه . وَوَجْهُ هذا التمثيل أنَّ الراعي يجرّه رعيه حول الحمى إلى وقوعه فيه ، فيستحق العقابَ . فكذلك المكثر من الشبهات ينجرّ إلى فعل الحرام فيستحقّ العقاب بسبب ذلك .

(**ألا**) هي للتنبيه ، أتى بها إشارة إلى أن ما بعدها أمْرٌ ينبغي التنبيه له . والجملة بعدها معطوفة على مقدّر بعدها ، أي ألا إنَّ الأمر كما ذكر (**وإن لكل ملِك**) بكسر اللام من ملوك العرب (**حمى**) يتحجّره لرعي خيله أو غير ذلك من مصالحه ، ويوقع العقوبة

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (6401) ، ومسلم (1687) .

(2) **هو العلاء بن زياد بن مطر أبو نصر العدوي البصري** ، أحد العُبَّاد الزُّهاد الثقات ، توفي سنة 94 هـ .
انظر : « حلية الأولياء » (2 / 242) ، « الكاشف » (2 / 103) ، « سير أعلام النبلاء » (4 / 202) .

(3) الأثر في « حلية الأولياء » (2 / 244 ، 245) .

على مَن دخله ، ومن احتاط لنفسه لا يقرب منه خوفًا من الوقوع فيه . ومن ذلك ما حُكي أن كليبًا كان إذا مَرَّ بمرعى وأعجبه حماه ، وعلامة ذلك أن يأخذَ جروًا فيقطع أذنه وذنبه ، ويتركه في ذلك المكان ينبح ، فإذا سمعتِ العربُ نباحه تجنَّبت ذلك المرعى ؛ خوفًا من حصول العقوبة لهم .

(**ألاَ وإن حمى الله محارمه**) أي معاصيه التي حَرَّمها ، فمن دخل حماه بارتكاب شيء من المعاصي فقد استحق العقوبة ، ومن قاربه يُوشِك أن يقعَ فيه . فينبغي للعاقل أن يتباعدَ عن المحرَّمات كُلَّ التباعد ، وأن يجعلَ بينه وبينها حاجزًا خوفًا من الوقوع فيها ؛ فتحلّ عليه العقوبة .

حُكي عن الجنيد - نفعنا الله تعالى به - أنه دخل مغارةً في ليلة شاتية ، وكان معه حمارة ، فأخرجها من المغارة ، **وقال** : مغارة وحمارة وليلة مطّارة ونفس أمّارة !

وحُكِي أنّ الشبلي - رضي الله تعالى عنه - دخل مَرَّةً خرابةً فرأى فيها حمارة ، **فصاح بأعلى صوته** : الحقوني فإني أخافُ أن ينهضَ بي الشيطان . أي يسرع إليَّ .

(**ألا وإن في الجسد مضغة**) أي : قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (**إذا صلحت**) بفتح اللام أي بالإيمان والعلم والعرفان (**صلح الجسد كله**) أي بالإخلاص في الأعمال للملك الديّان (**وإذا فسدت**) بفتح السين أي بالجحود والكفران (**فسد الجسد كله**) أي بالفجور والعصيان (**ألا وهي القلب**) وهو محلّ العقل المميّز بين الضارّ والنافع ، وورد في الحديث الشريف : « **لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه** »[1] . ومعنى استقامته كونه ممتلئًا من محبّة الله ومحبّة طاعته وكراهة معصيته . **وقيل** : إن لقمان كان عبدًا حبشيًا فدفع إليه سيدُه شاةً ، **وقال له** : اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها ، فأتاه بالقلب واللسان . ثم بعد أيام دفع إليه شاةً أخرى ، **وقال له** : اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها ، فأتاه بالقلب واللسان ، فسأله عن ذلك ، **فقال** : هما أطيب شيء إذا طابا ، وأخبث شيء إذا خبثا[2] .

---

(1) **حسن** : رواه أحمد (3 / 198) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » ص 48 ، وهناد في « الزهد » (2 / 502) ، والطبراني في « الكبير » (10 / 227) ، والقضاعي في « مسنده » (887) ، والبيهقي في « الشعب » (1 / 41) ، وهو حسن بمجموع طرقه . **وانظر** : « مجمع الزوائد » (1 / 53) ، و« الترغيب » (3 / 338) .

(2) ذكره الزمخشري في « ربيع الأبرار » (1 / 139) ، وابن العربي في « أحكام القرآن » (3 / 528) .

وذكر العلماءُ أنَّ صلاحَ القلب في تسعة أشياء :

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر . **ثانيها** : خلاء البطن بتقليل الأكل . **ثالثها** : قيام الليل بالعبادة . **رابعها** : التضرُّع عند السحر . **خامسها** : مجالسة الصالحين . **سادسها** : الصمت عَما لا يعني . **سابعها** : العزلة عن أهل الجهل . **ثامنها** : ترك الخوض في الناس . **تاسعها** : أكل الحلال . وهو رأسها ؛ فإنه يُنَوِّر القلب ويُصلحه ، فتزكو بذلك الجوارح ، وتدرأ المفاسد ، وتكثر المصالح .

وأكل الحرام والشبهات يُصدئ القلب ويظلمه ويقسيه . **وقد قيل** : يُخاف على آكل الحرام والشبهة ألاَّ يُقبل له عمل ولا يُرفع له دعاء ؛ لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة : 27] .

وآكلُ الحرام والمسترسل في الشبهات ليس بمتَّق على الإطلاق .

وقال أبو ذر – رضي الله تعالى عنه – : « تمام التقوى أن يتقي الله العبدُ بترك بعض الحلال[1] مخافة أن يكون حرامًا »[2] . وروي أنَّ أبا بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه – ونفعنا به أتاه غلامُه بلبن فشربه ، **فقال له الغلام** : كنتُ إذا جئتُك بشيء تسألني عنه ، ولم تسألني عن هذا اللبن! **فقال له** : وما قضيّته؟ **قال** : رقيتُ قومًا رَقْي الجاهلية بفتح الراء وسكون القاف فأعطوني هذا ، فلما سمع ذلك أجهد نفسه حتى تقاياه ، **وقال** : اللهم هذا مقدرتي فما بقي في العروق فأنت حبسته . **فقيل له** : أكل ذلك في شربة! **فقال** : والله لو لم تخرج إلا بنفسي لأخرجتها ، سمعت رسولَ الله ﷺ يقول :

« **كلُّ لحم نبتَ من سحت فالنارُ أولى به** »[3] .

فخشيتُ أن ينبتَ شيء من جسدي من هذه الجرعة . وفي رواية أنه **قال لغلامه** : هل عندك شيء ؟ **فقال** : نعم قطعة لحم ، **فقال له** : اشوها وهاتها . فلما أكلها **قال له**

---

(1) **لفظ الأثر** : حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا ؛ ليكون حجابًا بينه وبين الحرام .

(2) رواه ابن المبارك في « الزهد » (79) ، وذكره الغزالي في « الإحياء » (2 / 96) ، وأبو طالب في « قوت القلوب » (2 / 453) .

(3) رواه أبو نعيم في « الحلية » (1 / 31) بهذا السياق ، والبيهقي في « الشعب » (5 / 56) مقتصرًا على القدر المرفوع ، وفي « التذكرة » لابن القيسراني ص 180 ، والمتن ثابت من حديث كعب بن عجرة ﷺ مرفوعًا عند الترمذي (614) ، وأحمد (3 / 321) ، وابن حبان (1723) ، والحاكم (4 / 141) وصححاه .

الغلام : ما لك ما سألتَ عنها على عادتك ؟ **فقال** : كنتُ جائعًا فمن أين هي ؟ **قال** : مررتُ على قوم من الجاهلية قد عملوا عرسًا فأعطوني هذه القطعة ، فقام أبو بكر – رضي الله تعالى عنه – ولم يزل يتقايأ حتى أخرجها ، وهي مصبغة بالدم ، **فقيل له** : يا صاحب رسول الله ﷺ وما مقدار هذه ؟ **فقال** : والله لو لم تخرجْ إلاَّ بروحي لأخرجتُها ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « **كُلُّ لحم نشأ من سُحت فالنار أولى به** » .
والسحت : بضم فسكون وبضمتين : الحرام أو ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

وقال إبراهيم بن أدهم : الورعُ تركُ كُلِّ شبهة وترك ما لا يعنيك[1] .

وما أحسن قول بعضهم[2] :

المـرءُ إنْ كـانَ عـاقـلاً ورعًـا أشـغـلـه عـن عـيـوبـهـم وَرَعُـه
كـمـا الـعـلـيـلُ الـسَّـقـيـمُ أشـغـلـه عـن وَجَـع الـنـاسِ كُـلـهـم وَجَـعُـه

ورُوي عن أبي هريرة – رضى الله تعالى عنه – أن رسول الله ﷺ قال له : « **كن ورعًا تكن أعبد الناس ، وكن قَنِعًا تكن أشكر الناس ، وأحِب للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مؤمنًا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا ، وأقلّ الضحك فإن كثرة الضحك تميتُ القلب** »[3] .

وقيل : إنَّ اللهَ أوحى إلى موسى بن عمران – صلوات الله وسلامه عليه – : لا يتقرَّب إليَّ المتقربون بمثل الورع .

وقال الحسن : مثقالُ ذرّة من الورع خير من ألف مثقال ذرّة من الصوم والصلاة .

ورُؤي سفيان الثوري في المنام وله جناحان أخضران يطير بهما من شجرة إلى شجرة ، **فقيل له** : بم نلت هذا ؟ **قال** : بالورع .

لطيفة : **قيل** : إنَّ ورع العوام ترك الشبهات ، وأما ورع الخواصّ فهو صحة اليقين ،

---

(1) ذكره القشيري في « رسالته » ص 146 ، وابن القيم في « مدارج السالكين » (2 / 21) .

(2) أسنده ابن أبي الدنيا في « الورع » ص123 عن إبراهيم بن داود بن شداد ، والطيوري في « الطيوريات » (14 / 1163) عن أبي العتاهية .

(3) **حسن** : رواه ابن ماجه (4217) ، وهناد في « الزهد » (2 / 50i) ، وابن أبي الدنيا في « الورع » ص 40 ، وأبو يعلى (10 / 260) ، وحسنه البوصيري في « الزوائد » (4 / 240) .

وكمال التعلق برب العالمين ، وعدم الركون إلى غيره ، كما حُكي عن بعضهم أنه **قال** : خرجتُ من بغداد أريد الموصلَ ، فبينما أنا أسير وإذا بالدنيا قد عرضتْ عليَّ بعزّها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها وزيناتها ومشتهياتها ، فأعرضتُ عنها . فعُرِضَتْ عليَّ الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها . **فقيل لي** : لو وقفتَ مع الأولى لحجبناك عن الثانية ، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنَّا ، فها نحن لك وقسطك ، أي نصيبك من الدارين يأتيك .

ثم إن هذا الحديث قد أجمع العلماء على كثرة فوائده ومن أمعن النظر فيه وجده حاويًا لعلوم الشريعة ، إذ هو مشتمل على الحث على فعل الحلال ، واجتناب الحرام ، والإمساك عن الشبهات ، والاحتياط للدِّين والعرض ، وعدم تعاطي الأمور الموجبة لسوء الظن والوقوع في المحذور ، وتعظيم القلب ، والسعي فيما يصلحه ، وغير ذلك .

(رواه البخاري) في كتاب الإيمان والبيع **(ومسلم)** في البيع . ورواه أيضًا الأربعة[1] رحمهم الله تعالى .



(1) عند أبي داود (3329) ، والترمذي (1205) ، والنسائي (7 / 241) ، وابن ماجه (3984) .

الحديث السابع

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيم بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** » . **قُلْنَا** : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **لله ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي رقية**) بضم الراء وتشديد المثناة التحتية (**تميم بن أوس**) بفتح الهمزة وسكون الواو (**الداري رضي الله**) تعالى (**عنه**) كُنِّي بأبي رقية التي هي بنته ؛ لأنه لم يُولد له غيرها . **وقيل له** : الداري نسبة إلى جده الدار بن هانئ . **وقيل** : إلى موضع يقال له دَارِين[2] .

أسلم – رضي الله تعالى عنه – ونفعنا به سنة تسع من الهجرة ، وكان من مشاهير الصحابة وأفاضلهم – رضي الله تعالى عنهم .

وغزا مع رسول الله ﷺ ، وكان صاحب دينٍ وقيام وقراءة .

كان يختم القرآن في ركعةٍ ، وربما كان يُرَدِّدُ الآية الواحدة الليل كله إلى الصباح . واشترى حُلَّةً بألف كان يقوم فيها الليل . **وقيل** : كان يخرج فيها إلى الصلاة .

ويقال : إنه لما قدم المدينة صحب معه قناديل وحبالاً وزيتًا ، وعلَّق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدت ، فقال له رسول الله ﷺ : « **نورت مسجدنا نوَّر الله عليك في الدنيا والآخرة ، أما والله لو كان لي ابنة لأنكحتكها** » **فقال رجل** : يا رسول الله أنا أزوِّجه ابنتي ، فزوّجه إياها[3] .

ومن مناقبه – رضي الله تعالى عنه – أن النبي ﷺ حدث عنه على المنبر قصة

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (55) ، والنسائي (4197) ، وأبو داود (4944) ، وأحمد (4 / 102) .

(2) **دَارِين** : موضع بالبحرين كان يجلبُ إليه المسك ، والنسبة إليه دَارِيّ .

انظر : معجم البلدان (2 / 432) ، « مختار الصحاح » ص 218 .

(3) **فيه مقال** : رواه أبو موسى المديني في « الصحابة » كما في « أسد الغابة » (6 / 32) ، والمستغفري كما في « الإصابة » (7 / 35) لابن حجر ، وذكره القرطبي في « تفسيره » (12 / 274) **وقال ابن حجر** : وسنده ضعيف .

الجسَّاسة والدَّجال ، وحاصلها أن النبي ﷺ جمع الناس ، فلما حضروا وقضى صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك ، **فقال** : « ليلزم كل إنسان مصلاه » ، **ثم قال** : « أتدرون لِمَ جمعتكم؟ » **قالوا** : الله ورسوله أعلم . **قال** : « والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن **تميمًا الداري** كان رجلاً نصرانيًا ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أُحَدِّثُكُم به عن المسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من **لخم وجذام** ، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر فأرسوا إلى جزيرة ، أي قاربوها ، حيث تغرب الشمس ، فجلسوا في أقرُب السفينة - بضم الراء جمع قارب بكسرها : سفينة صغيرة يقال لها سنبوك - فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة كبيرة كثيرة الشعر ، لا يدرون ما قبلها من دبرها من كثرة الشعر ، **فقالوا** : ويلك ما أنت؟ **قالت** : أنا الجسَّاسة - بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى ، سُمِّيت بذلك لتجسسها الأخبار أي تفتيشها عنها للدجال - ، **قالت** : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق - أي شديد الأشواق إليه - **قال** : فلما سمَّت لنا رجلاً فزعنا منها ، أي خفنا أن تكون شيطانة ، فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه خَلْقًا وأشده وثاقًا ، مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم ؟ **قالوا** : نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا الموج شهرًا فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة كثيرة الشعر ، **فقالت** : أنا الجساسة ، اعمدوا إلى هذا الدير . فأقبلنا إليك سراعًا ، **فقال** : أخبروني عن نخل بيسان[1] ، هل تثمر ؟ **قلنا** : نعم . **قال** : أما إنها يوشك - أي يقرب - ألا تثمر . **قال** : أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء ؟ **قلنا** : هي كثيرة الماء . **قال** : إن ماءها يوشك أن يذهب . **قال** : أخبروني عن عين زُغَر[2] - بضم الزاي وفتح الغين المعجمة - هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ **قلنا** : نعم ، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها . **قال** : أخبروني عن

---

(1) **بَيْسَان** : قرية بالشام قريبة من الأردن .

انظر : « عون المعبود » (11 / 318) ، « تحفة الأحوذي » (6 / 437) .

(2) **زُغَر** : بلدة في الجانب القبلي من الشام .

انظر : « شرح مسلم » للنووي (18 / 82) .

نبي الأميين ما فعل ؟ **قلنا** : قد خرج من مكة ونزل بيثرب ، [اسم للمدينة قبل النهي عنه] ، **قال** : أقاتلته العرب ؟ **قلنا** : نعم . **قال** : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . **قال** : أما إن ذلك خير لهم إن يطيعوه ، وإني مخبركم عني . إني أنا المسيح [سمي بذلك ؛ لأنه يمسح الأرض في المدة اليسيرة] وأني يوشك أن يُؤْذَنْ لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة هما محرمتان عليَّ [أي ممنوع من دخولهما كلتيهما] ، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا [بفتح الصاد وضمها ، أي : مسلولاً] يصدني عنهما . وإن على كل نقب - أي طريق منهما - ملائكة يحرسونهما » . وطعن رسول الله ﷺ بمخصرته في المنبر **وقال** : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة (يعني المدينة) . ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » قالوا : نعم[1] .

والمخصرة : بكسر الميم ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يشير به الخطيب إذا خاطب الناس .

وانتقل تميم من المدينة إلى الشام بعد مقتلة عثمان -رضي الله تعالى عنه- ، وسكن بيت المقدس ، ومات سنة أربعين ، ودُفن ببيت جبريل ، **ويقال** : جبرين قرية من قرى الخليل عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام .

رُوي له ثمانية عشر حديثًا . وليس له في صحيح البخاري رواية ولا في مسلم إلا هذا الحديث الذي ذكره المصنِّف وهو (**أنَّ النبي ﷺ قال** : **الدين**) أي دين الإسلام (**النصيحة**) وهي كلمة جامعة ، معناها حيازة الحظِّ للمنصوح . والكلام على حذف مضاف أي عماد الدين ومعظمه النصيحة . **وقيل** : لا حذف ، بل الدين محصور فيها لأن من جملتها الإيمان بالله ورسوله ، وطاعتهما ، والعمل بما قالاه ، وليس وراء ذلك من الدين شيء فهي جامعة له ، **وقد قيل** : ليس في كلام العرب أجمع لخيري الدنيا والآخرة من كلمة النصيحة وكلمة الفلاح (**قلنا**) معشر السامعين : (**لمن**) أي هي لمن يا رسول الله ؟ (**قال** : **لله**) بمعنى الإيمان به ، ونفي الشريك عنه ، والإخلاص له ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه . ورُوي أنَّ

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (2942) ، والترمذي (2253) ، وأبو داود (4326) ، وابن ماجه (4074) .

الحواريين **قالوا لعيسى** - صلوات الله وسلامه عليه - : من الناصح لله ؟ **قال** : الذي يقدِّمُ حق الله على حق الخلق ، وإن عُرِضَ عليه أمران :

أحدهما لله والآخر للدنيا ، بدأ بحق الله تعالى[1] .

أي كما حُكِيَ أن ثلاثة إخوة كانوا يغزون ، فأسرهم الروم ، **وقال لهم الملك** : إني أجعل فيكم الملك ، وأزوِّجكم بناتي ، وتدخلون في دين النصرانية ، فأبوا ، فأمر بثلاث قدور ، فصبَّ فيها الزيت ، ثم أوقد تحتها وعرضهم عليها ثلاثة أيام ، وهو يدعوهم إلى النصرانية ، فيأبون ، فألقي الأكبر ثم الأوسط ، ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه ، فيأبى . فقام إليه علج ، **فقال** : أيها الملك أنا أفتنه عن دينه . **قال** : بماذا ؟ **قال** : قد علمت أن العرب أسرع شيء إلى النساء ، وليس في الروم أجمل من بنتي ، فادفعه إليَّ حتى أخليه معها ، فإنها ستفتنه . فدفعه إليه وضرب له أجلاً أربعين يومًا . فجاء به فأدخله مع ابنته في محل وأخبرها بالأمر ، فأقام عندها صائم النهار قائم الليل ، حتى مضى أكثر الأجل **فقال العلج لابنته** : ما صنعت ؟ **قالت** : هذا رجل فقد أخويه في هذه البلدة ، وربما أن يكون امتناعه بسبب رؤية آثارهما ، فاستزِد الأجل من الملك ، وانقلني معه إلى غير هذه البلدة . ففعل ما أمرته به ، وأخرجهما إلى قرية . فمكث أيامًا كما كان صائم النهار قائم الليل ، حتى قَرُبَ انتهاء الأجل . **فقالت له البنت** : يا هذا إني أراك تقدِّس ربًا عظيمًا وإني قد دخلت معك في دينك ، وتركت دين آبائي . **فقال لها** : فكيف الحيلة في الهرب ؟ فجاءت له بما يركبانه ، فجعلا يسيران بالليل ويكمنان بالنهار ، فبينما هما يسيران ليلة إذ سمعا وقع خيل ، فإذا هو بأخويه ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما ، **فقالا** : ما كانت إلا السقطة التي رأيتها حتى خرجنا إلى الفردوس ، وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزوجك بهذه الفتاة ، فزوَّجوه إياها ، ورجعوا . وذهب هو إلى بلاد الشام فأقام بها .

(**ولكتابه**) أي القرآن بمعنى الإيمان به والعمل بما فيه ، وتعظيمه وإكرامه ؛ فيحرم مد الرِّجْل إلى المصحف إن لم يكن مرتفعًا ، ويُسَن جعله على كرسي والقيام له وتقبيله

---

(1) أثر رواه ابن المبارك في « الزهد » (134) ، وأحمد في « الزهد » ص 55 ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (6 / 1861) ، وابن عساكر في « تاريخه » (47 / 449) ، والترمذي في « نوادر الأصول » (2 / 27) .

وتطييبه . حُكِي عن بعضهم[1] أنه رأى ورقة في الأرض فأخذها فوجد فيها البسملة وشيئًا من القرآن فقبّلها وطيّبها ، فرأى ربه سبحانه وتعالى في تلك الليلة **وهو يقول له** : كما طيَّبت اسمي في الدنيا لأطيِّبن اسمك في الدنيا والآخرة ، فصار بعد ذلك من الأولياء[2] .

(**ولرسوله**) سيدنا محمد ﷺ ، بمعنى الإيمان به ، وتصديقه في جميع ما جاء به ، والتزام طاعته في أمره ونهيه ، وإحياء سُنتّه ، والتخلُّق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة آل بيته وأصحابه .

(**ولأئمة المسلمين**) أي ولاة أمورهم ، بمعنى معاونتهم على الحق ، وأمرهم به ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، والدعاء بالصلاح لهم ، وأداء الزكاة إليهم ، وامتثال أمرهم لكن في غير معصية الله . فقد رُوي أن عبد الله بن حذافة السهمي بعثه النبي ﷺ في سرية وجعله أميرًا عليها ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، فأغضبوه في شيء ، وكان فيه مزاح فأمرهم أن يجمعوا حطبًا ويوقدوه نارًا ، فلما أوقدوها أمرهم بدخولها ، فأبوا فقال لهم : ألم يأمركم رسول الله ﷺ بطاعتي؟ وقال : « **من أطاع أميري فقد أطاعني** »[3] **فقالوا** : ما آمنا بالله واتبعنا الرسول إلا لننجو من النار . فسكن غضبه وطُفِئت النار . فلما بلغ ذلك النبي ﷺ استصوب قولهم ، وقال : « **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** »[4] .

ويصح أن يُراد بأئمة المسلمين علماء الدين ، ومعنى نصيحتهم قبول ما رووه ، وتقليدهم في الأحكام ، ونشر مناقبهم ، وإحسان الظن بهم ، وتعظيمهم .

قال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظَّموا السلطان والعلماء ، فإذا عظموا

---

(1) ذُكِرَ ذلك عن بشر بن الحارث الحافي أحد أئمة الزهد والتَّصوف والورع المتوفى سنة 227 هـ .

(2) **انظر** أصل القصة في : « الرسالة القشيرية » ص 30 ، « تاريخ دمشق » (10 / 181) ، « والوافي بالوفيات » (10 / 91) .

(3) **صحيح** : رواه البخاري (6718) ، ومسلم (1835) ، والنسائي (7 / 154) ولم يرد .

(4) **صحيح** : ذكره ابن عبد البر في « الاستيعاب » (3 / 890) بهذا السياق ، **وقال** : حديث صحيح مشهور ، **قلتُ** : وأصله ثابت عند البخاري (4085) ، ومسلم (1840) ، وأبي داود (2625) وأحمد (1 / 82) ، عن علي ﷺ عن رجل من الأنصار .

وأما شطره الأخير : « **لا طاعة لمخلوق** . . . » فقد أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في « الكبير » (18 / 170) ، والبزار في « مسنده » (5 / 356) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (573) ، وهو خبر صحيح .

هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم ، وإذا استخفوا بهذين أفسد الله دنياهم وأخراهم[1] .

وقال بعضهم : وليس المراد بالعلماء من تزيَّا بزيهم ، وادَّعى العلم ، وأكل الدنيا بالدين ، ولا عذر لمن أكل الحرام وقال العالم الفلاني يأكله ؛ لأنه كيف يعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، فإن من خالف الله لا يُقتدى به ، ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على عدم دخولها فلا عُذْرَ لك في دخولها .

(**وعامتهم**) أي المسلمين ، والمراد بهم من لم يكن أميرًا ولا عالمًا ، ولم يعد اللام فيهم لكونهم تبعًا لأئمتهم لا استقلال لهم . ومعنى نصيحتهم إرشادهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم ، وإعانتهم على مهمَّاتهم ، وستر عوراتهم ، وجلب المنافع إليهم ، وكف الأذى عنهم ، وتعليمهم ما جهلوه من أمر دينهم ، والذَّب أي المنع عن أموالهم وأعراضهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ومحبته لهم ما يحب لنفسه من الخيرات ، وكراهته لهم ما يكره لنفسه من المكروهات .

وقد ورد في الحديث : « **إنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده** »[2] .

وقال بعض التابعين[3] : خير الناس أنصحهم لهم ، وشر الناس أغشّهم لهم .

ويُطْلَبُ كون النصيحة برفق لتكون أقرب للقبول ، ومن ثم كان السلف الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًّا .

وقال الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - : من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزَانَهُ ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه[4] .

---

(1) ذكره القرطبي في « تفسيره » (5 / 260) .

(2) رواه عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن الحسن البصري مرسلًا كما في « الجامع الكبير » (2 / 207) ، و« فيض القدير » (2 / 411) ، بهذا اللفظ ، وهو عند أحمد (5 / 254) ، والطبراني في « الكبير » (8 / 221) ، وأبي الشيخ في « التوبيخ » ص 22 . بلفظ مقارب إن الله تعالى يقول : « **أحبُّ عبادة عبدي إليَّ النصيحة** » وسنده ضعيف كما في « فيض القدير » (4 / 486) .

(3) هو بكر بن عبد الله المزني من التابعين ، **وانظر** الأثر في « تهذيب الآثار » للطبري (2 / 671) ، و« مكارم الأخلاق » للطبراني ص 81 .

(4) رواه أبو نعيم في « الحلية » (9 / 140) عن الشافعي ، ورواه الخلّال في « الأمر بالمعروف » ص50 عن أم الدرداء ، وكذا البيهقي في « شعب الإيمان » (6 / 112) ، **وانظر** : « الإحياء » (2 / 182) « شرح مسلم » للنووي (2 / 24) .

وسُئِلَ ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر ، **فقال** : إن كنت فاعلاً ولابُدَّ ففيما بينك وبينه[1] .

وحُكِيَ أن رجلاً وعظ المأمون[2] ، وأغلظ عليه ، **فقال له** : خير منك وعظ من هو شر مني ؛ فإن موسى وهارون – على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام – لما أرسلهما الله تعالى إلى فرعون قال لهما : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [سورة طه : 44] ، أي ارفقا به .

وينبغي للناصح أن يرى نفسه دون المنصوح ، وأن يمهّد ، أي يسوي ، له بساطًا قبل النصح . فقد حُكِيَ أن الحسن والحسين – رضي الله تعالى عنهما – أقبلا على شيخ يتوضأ وضوءًا باطلاً ، **فقال أحدهما للآخر** : تعال نرشد هذا الشيخ . **فقال أحدهما** : يا شيخ إنا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر إلينا ، وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ، ففعلا ذلك . فلما فرغا من وضوئهما ، **قال** : أنا والله الذي لا أحسن الوضوء وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه . فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ .

ويجب على من باع شيئًا أن يُظْهِرَ للمشتري جميع عيوبه نصحًا له ، فإن أخفى العيب كان ظالمًا غاشًا ، والغش حرام في البيوع والصنائع . وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن النبي ﷺ مر برجل يبيع طعامًا ، فأعجبه ، فأدخل يده ، فرأى بللاً ، **فقال له** : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » فقال : أصابته السماء – أي نزل عليه المطر منها – **فقال** : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشَّ فليس منا »[3] أي ليس على طريقتنا الكاملة .

وقد قيل : إنه كان في السلف الصالح من بلغت به النصيحة إلى الإضرار بدنياه ، أي كما حُكِي أنه كان عند يونس بن عبيد[4] حلل مختلفة الأثمان ضرب ، أي صنف ، منها

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف » ص 81 ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 96) .

(2) كذا في « الإحياء » (2 / 334) ، ويُروى ذلك عن الرشيد كما في « المجالسة » للدينوري ص 173 ، و« نثر الدرر » (3 / 66) ، للآبي ، وابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (7 / 184) .

(3) **صحيح** : رواه مسلم (101) ، وأبو داود (3452) ، وأحمد (2 / 242) .

(4) تابعي جليل من أهل البصرة سمع الحسن البصري ، وروى عنه الثوري وشعبة وغيرهما . توفي سنة 139هـ . **انظر** : « التاريخ الكبير » للبخاري (8 / 402) ، و« الثقات » لابن حبان (7 / 647) .

قيمة كل حلة منه أربعمائة ، وضرب قيمة كل حلة منه مائتان . فذهب يومًا إلى الصلاة وخلّف - أي ترك - ابن أخيه في الدكان ، فجاءه أعرابي وطلب منه حلّة بأربعمائة ، فعرض عليه حُلّة من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها واشتراها منه ، فمشي بها وهي على يده ، فلقيه يونس فعرف حلّته **فقال للأعرابي** : بكم اشتريت هذه ؟ **فقال** : بأربعمائة . **فقال له** : إنها ما تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردّها . **فقال** : هذه تساوي ببلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها . **فقال له يونس** : انصرف إن النُّصْحَ في الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه **وقال له** : أما استحييت ؟ أما اتقيت ؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟ **فقال** : والله ما أخذها إلا ورضي بها . **قال** : فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك ؟![1] .

ونظير ذلك ما حُكِي عن محمد بن المنكدر أنه كان له شِقاق[2] بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع غلامه في غيبته شُقَّةً من الخمسيات بعشرة ، فلما علم بذلك صار يطلب المشتري طول النهار حتى وجده ، **وقال له** : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة ، **فقال** : يا هذا قد رضيت ، **فقال** : وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، فاختر إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك ، وإما أن نرد عليك خمسة ، وإما أن ترد علينا شقتنا وتأخذ دراهمك ، **فقال** : أعطني خمسة . فدفعها إليه ، فانصرف الأعرابي وهو يسأل **ويقول** : من هذا الشيخ؟ **فقيل له** : هذا محمد بن المنكدر . **فقال** : لا إله إلا الله ، هذا الذي نستقي به في البوادي إذا قحطنا[3] .

ثم إن هذا الحديث ألفاظه قليلة وفوائده كثيرة ، **بل قيل** : إن أحكام الإسلام داخلة تحته ، بل تحت كلمة منه وهي ولكتابه ، إذ هو مشتمل على الدين كله أصلاً وفرعًا وعملاً واعتقادًا .

(**رواه مسلم**) في كتاب الإيمان .



---

(1) **انظر** القصة في « قوت القلوب » (2 / 439) لأبي طالب المكي ، « الإحياء » (2 / 79) .

(2) **شقاق** : **الشُّقّة** : نوع من الثياب .

(3) **انظر** : « قوت القلوب » (2 / 440) ، « الإحياء » (2 / 80) .

الحديث الثامن

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسِ حتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن**) عبد الله (**ابن عمر**) تقدمت ترجمتهما (**رضي الله**) تعالى (**عنهما أن رسول الله** ﷺ **قال** : **أمرت**) بالبناء للمفعول ، أي أمرني ربي (**أن أقاتل الناس**) أي بقتالهم ، فإن والفعل مؤولان بمصدر مجرور بحرف جر محذوف . وكان هذا الأمر بعد الهجرة ؛ لأنه ﷺ مكث بعد البعثة يبلغ الدعوة ، وينذر من غير قتال ، وهو صابر على شدة أذية العربِ بمكة واليهود بالمدينة .

وكان جماعة من أصحابه ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وقدامة بن مظعون ، وسعد بن أبي وقاص ، يلقون من المشركين أذى كثيرًا بمكة ، **فقالوا** : يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ، فأذنْ لنا في قتال هؤلاء ؛ فإنهم قد آذونا . **فيقول لهم** : « كفوا أيديكم عنهم ، فإني لم أؤمر بقتالهم »[2] .

ثم لما هاجر إلى المدينة أُذِنَ له في القتال إذا ابتدأه الكفار ، ثم أحل له الابتداء به في غير الأشهر الحرم ، ثم أُمِرَ به مطلقًا ؛ أي لمن قاتل ومن لم يقاتل في الأشهر الحرم وغيرها . وقد قاتل المصطفى ﷺ هو وأصحابه - رضي الله تعالى عنهم - حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا ، أي جماعات بعد جماعات . ونُقِلَ عن ابن عباس أن كل من

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (25) ، ومسلم (22 / 36) .

(2) ذكره البغوي في « تفسيره » (1 / 453) ، والخازن في « تفسيره » (1 / 560) بهذا السياق ، وأصله مروي عند النسائي (6 / 2) ، والحاكم (2 / 76) ، والبيهقي (9 / 11) وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي .

أمر بالقتال من الأنبياء نُصِرَ ، ولم يُقتل نبي إلا إذا لم يُؤمر بقتال[1] .

ثم إن المراد بالناس في هذا الحديث الإنس فقط ، وإن كان النبي ﷺ مرسلاً إلى الجن إجماعًا ، إذ لم يرد أنه قاتلهم ، وإنما ورد أن جماعة منهم أسلموا على يديه . **قيل** : والمراد من الإنس عبدة الأوثان ونحوهم دون أهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية . **قال بعضهم** : ويُحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هذا الأمر المتناول لقتالهم أيضًا .

(حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) أي حتى يؤمنوا بأن الله واحد لا شريك له ، وأن محمدًا رسوله . والمراد أنهم إذا نطقوا بذلك لم يجز قتالهم ، ولا يقال أنهم آمنوا في الظاهر خوفًا وهم في الباطن كفار ، وحتى هنا حرف غاية وجر ؛ لأن ما بعدها غاية لما قبلها وهو القتال أو الأمر به ، أي إلى أن يشهدوا . . إلخ ، ويصح أن تكون للتعليل كما في : أسلم حتى تدخل الجنة .

واعلم أن العلماء اختلفوا هل الأفضل مد ألف لا النافية من لا إله إلا الله أو قصرها ؟ فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بها نفي الألوهية عن كل موجود سوى الله تعالى ، ومنهم من اختار القصر لئلا يموت قبل التلفظ بذكر الله تعالى . **والمختار قول الفخر**[2] **جمعًا بين القولين** : الأفضل لمن يريد الإسلام القصر وللمسلم المد إلى سبع ألفات ، وتعد كل ألف بحركتين من حركات الأصابع متوالية مقارنة للنطق بالمد ، فإن زاد على السبع كره ، وقيل حرم .

وورد في الحديث الشريف : « من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر »[3] وجاء في الأثر : « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله من

---

(1) ذكره القرطبي في « تفسيره » (1 / 432) ، **وقال قبله** : « **فإن قيل** : كيف جاز أن يخلي الله تعالى بين الكافرين وقتل الأنبياء ؟ **قيل** : ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم ، كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين ، وليس ذلك بخذلان لهم ، **قال ابن عباس والحسن** : لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال ، وكل من أُمِرَ بالقتال نصره الله » . اهـ

(2) يقصد الفخر الرازي صاحب « التفسير الكبير » و« المحصول » وغيرهما .

(3) **باطل** : ذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (3 / 473) ، وابن حجر في « لسان الميزان » (6 / 169) ، **وقال** : حديث باطل .

وانظر : « تنزيه الشريعة » (2 / 326) .

الثواب بعدد كل كافر وكافرة »[1] . **قيل** : وسبب ذلك أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد عليهم فأُعْطِي ثوابًا بعددهم .

ونُقِلَ عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أنه **قال** : يفتح الله تعالى أبواب الجنة ، وينادي منادٍ من تحت العرش : أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت؟ فتنادى الجنة وكل ما فيها : نحن لأهل لا إله إلا الله ، ولا نطلب إلا أهل لا إله إلا الله ، ولا يدخل علينا إلا أهل لا إله إلا الله ، ونحن محرَّمون على من لم يقل لا إله إلا الله . وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب : لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله ، ولا أطلب إلا من كذَّب بلا إله إلا الله ، وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله ، ولا أمتلئ إلا بمن جحد لا إله إلا الله ، وليس غيظي وزفيري إلا على من أنكر لا إله إلا الله . ثم قال : فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول : أنا لأهل لا إله إلا الله ، وناصرة لمن قال لا إله إلا الله ، ومُحِبّة لمن قال لا إله إلا الله ، والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله ، والنار محرَّمة على من قال لا إله إلا الله ، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله ، والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا إله إلا الله .

وقيل : إن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار . وحُكِي عن محمد بن آدم[2] أنه **قال** : رأيت بمكة أُسْقُفًّا – بضم الهمزة وسكون السين وضم القاف وتشديد الفاء : رئيس النصارى في الدِّين – يطوف بالكعبة ، **فقلت له** : ما الذي نزعك – أي جذبك وأخرجك – عن دين آبائك ؟ **قال** : تبدلت خيرًا منه . **فقلت** : وكيف ذلك ؟ **قال** : ركبتُ البحر فانكسرت السفينة ، ودفعتني الأمواج إلى جزيرة فيها أشجار كثيرة ، ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد ، وفيها نهر عذب ، فحمدت الله تعالى على ذلك ، **وقلت** : آكلُ من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر ؛ حتى يقضي الله تعالى بأمره . فلما ذهب النهار خِفْتُ على نفسي من الوحش ، فطلعتُ على شجرة ونمت فوقها ، فلما كان جوف الليل ، وإذا بدابةٍ على وجه الماء تُسَبِّحُ الله تعالى **وتقول** : لا إله إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبي المختار ، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار ، عمر الفاروق فاتح الأمصار ، عثمان القتيل في الدار ، علي

(1) لم نقف عليه .

(2) في « بستان الواعظين » لابن الجوزي ص 283 ، عن محمد بن إدريس الشافعي ، وفيه القصة التي ساقها الشارح .

سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ، ومأواه النار وبئس القرار ، ولم تزل تُكَرِّر هذه الكلمات حتى طلع الفجر ، **فقالت** : لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد رسول الله الهادي الرشيد ، أبو بكر ذو الرأي السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان الفضيل الشهيد ، علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد .

ثم أقبلت إلى البَرِّ فإذا رأسها رأس نعامة ، ووجهها وجه إنسان ، وقوائمها قوائم بعير ، وذنبها ذنب سمكة ، فخشيتُ على نفسي الهلكة ، فهربتُ فنطقت بلسان فصيح **فقالت** : يا هذا قف وإلا تهلك ، فوقفت ، **فقالت** : ما دينك ؟ **فقلت** : دين النصرانية . **فقالت** : ويلك ارجع إلى دين الحنيفية ؛ فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلمًا . **فقلت** : وكيف الإسلام ؟ **قالت** : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فقلتها . **فقالت** : أتم إسلامك بالترحُّم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي – رضي الله تعالى عنهم . **فقلت** : من أتاكم بذلك ؟ **قالت** : قوم منا حضروا عند رسول الله ﷺ ، سمعوه يقول : « **إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح : إلهي قد وعدتني أن تشيد أركاني ، فيقول الجليل جل جلاله : قد شيدتُ** – أي رفعتُ – **أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزيَّنتُك بالحسن والحسين** »[1] .

ثم **قالت الدابة** : أتريد القعود هنا أم الرجوع إلى أهلك ؟ **فقلت** : الرجوع إلى أهلي . **فقالت** : اصبر حتى تمر بك مركب . فبينما نحن كذلك وإذا بمركب أقبلت تجري ، فأومأتْ ، أي أشارت ، لها فأرسلوا إليَّ زورقًا أي قاربًا فركبت فيه ، وجئت إليهم ، فوجدتُ المركب فيها اثنا عشر رجلاً كلهم نصارى ، **فقالوا** : ما الذي جاء بك إلى هنا ، فقصصتُ عليهم قصتي فتعجبوا من أمري وأسلموا كلهم .

(**ويقيموا**) أي وحتَّى يقيموا (**الصلاة**) أي المفروضة بأن يؤدوها بشروطها وأركانها

---

(1) **خبر باطل** : أصله عند الطبراني في « الأوسط » (1 / 108) ، والخطيب في « تاريخه » (2 / 239) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (13 / 228) ، وليس فيه الخلفاء الأربعة ، وهو خبر واهٍ كما قال ابن الجوزي في « الموضوعات » (1 / 305) ، والذهبي في « الميزان » (1 / 278) ، **وانظر** : « اللآلئ المصنوعة » (1 / 355) ، و« تنزيه الشريعة » (1 / 407) .

المجمع عليها ؛ لأن الكلام في صلاة تدفع المقاتلة . ومما جاء في فضلها ما روي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه** - أي وسخه - **شيء ؟** » **قالوا** : لا يبقى من درَنه شيء . قال : « **فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** »[1] .

وروي عن عثمان - رضي الله تعالى عنه - أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ، ثم يصلي الصلاة إلا غُفِرَ له ما بينها وبين الصلاة التي تليها** »[2] .

(**ويؤتوا**) أي وحتى يؤتوا (**الزكاة**) أي المفروضة بأن يعطوها إلى مستحقيها أو إلى الإمام ليدفعها لهم . ومما جاء في فضلها ما روي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - **قال** : أتى رجل من تميم رسول الله ﷺ **فقال** : يا رسول الله! إني ذو مال كثير وذو أهل ومال وحاضرة ، فأخبرني كيف أصنع؟ وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ : « **تُخرج الزكاة من مالك فإنها طُهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق المسكين والجار والسائل** »[3] .

وروي عن أبي أيوب - رضي الله تعالى عنه - أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ؟ قال : « **تعبد الله لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم** »[4] . اهـ .

(**فإذا فعلوا ذلك**) كله ، أي أتوا به قولاً كان ، وهو الشهادتان ، أو فعلاً وقولاً وهو الصلاة ، أو فعلاً محضًا وهو الزكاة (**عصموا**) بفتح الصاد ، أي : حفظوا ومنعوا (**مني دماءهم وأموالهم**) فلا يحل سفك دمائهم ولا أخذ أموالهم (**إلا بحق الإسلام**) كقتل القاتل ورجم الزاني وقطع يد السارق وأخذ بدل المتلفات وأخذ النفقات الواجبة من

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (505) ، ومسلم (667) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (158) ، ومسلم (227) .

(3) **صحيح** : رواه أحمد (3 / 136) ، وابن زنجويه في « الأموال » (3 / 159) ، والحارث في (زوائده للهيثمي) (288) ، والحاكم (2 / 392) ، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي .

(4) صحيح : رواه البخاري (1332) ، ومسلم (13) .

مانعيها (**وحسابهم على الله تعالى**) أي أَمْرُ سرائرهم موكول له ومفوض إليه ، يعني أننا نعاملهم بحسب الظاهر ، فنحكم بإسلامهم ، ونُجري عليهم مقتضاه . ثم إن كانوا صادقين أدخلهم الله الجنة ، وإن كانوا كاذبين فهم من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، أي في المكان الأسفل منها وهو قعرها . نسأل الله تعالى السلامة منها .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم مشتمل على مهمات قواعد الدين (**رواه البخاري ومسلم**) في كتاب الإيمان . ولم يذكر النبي ﷺ فيه الصوم والحج ، إما لكونهما لم يُفرضا إذ ذاك ، وإما لكونهما لم يقاتل على تركهما ؛ إذ الحجُّ على التراخي ، والصوم يُحبس تاركه ويُمنع الطعام والشراب ؛ ولهذا لم يذكرهما لمعاذ حين بعثه إلى اليمن .

فقد روى البخاري أنه **قال له** : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا إلى ذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »[1] .



(1) **صحيح** : رواه البخاري (1331) ، ومسلم (19) ، وأبو داود (1584) .

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رضي الله عنه ، سَمِعْت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **مَا نَهَيْتُكمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوه ، وَما أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر - رضي الله) تعالى (عنه -) سبب تكنيته بأبي هريرة ما روي عنه أنه **قال** : كنت أحمل يومًا هرة في كمي فرآني النبي ﷺ **فقال** : « ما هذه؟ » **فقلت** : هرة . **فقال لي** : « يا أبا هريرة »[2] . وما ذكره المصنف من أن اسمه عبد الرحمن واسم أبيه صخر هو الصحيح من أقوال كثيرة ، قَدِمَ المدينة سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر ، فسار إليه وأسلم على يديه ، ولازمه ملازمة تامة رغبة في العلم ؛ فلذا كان أكثر الصحابة رواية بإجماع العلماء . وروي عنه خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وأربعة وسبعون حديثًا[3] .

وكان يقول : إنما حدَّثْتُ بنصف الأحاديث التي أعرفها .

وروُي عنه أنه **قال** : كنت أُكثِرُ من مجالسة رسول الله ﷺ ، وأنه حدثنا يومًا **فقال** : « من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه فإنه ليس ينسى شيئًا سمعه مني أبدًا . فبسطت ثوبي ، أو قال ردائي ، ثم حدثنا : فقبضته إليَّ فوالله ما نسيت شيئًا سمعته منه »[4] .

وكان - رضي الله تعالى عنه - عرِّيف ، أي رئيس ، أهل الصُّفَّة ، وهي موضع مظلَّل في المسجد النبوي يأوي إليه فقراء المهاجرين ، ولم يكن على غالبهم إلا ساتر

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (6858) ، ومسلم (1337) ، والترمذي (2679) ، وابن ماجه (2) ، وأحمد (2/ 428) .

(2) رواه ابن إسحاق في « سيرته » (5 / 266) ، ومن طريقه الكلاباذي في « رجال البخاري » (2 / 492) ، والحاكم (3 / 579) ، وابن عساكر في « تاريخه » (67 / 298) **قال ابن إسحاق** : حدثني بعض أصحابي فذكره .

(3) **انظر** ترجمته في « الاستيعاب » (4 / 1769) ، و« تهذيب الكمال » (34/ 367) ، « الوافي بالوفيات » (18/ 91) .

(4) **صحيح** : رواه البخاري (6921) ، ومسلم (2492) ، وأحمد (2 / 240) .

العورة ، وكان النبي ﷺ يجالسهم ، ويأنس بهم ، ويدعوهم بالليل فيُفرِّقهم على أصحابه ، وتتعشى طائفة منهم معه . وكان إذا جاءته هدية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة بعث بها إليهم ولم يصب منها .

ونُقِلَ عن مجاهد أنه قال : كان أبو هريرة **يقول** : والله إني كنت لأعمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإني كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، وقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، ثم عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمر أبو القاسم محمد ﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي **فقال** : « أبا هِر » **فقلتُ** : لبيك يا رسول الله . **قال** : « الحقني » فتبعته فدخل واستأذنت فأذن لي ، فوجد لبنًا في قدح ، **فقال** : « من أين لكم هذا اللبن ؟ » **فقالوا** : أهداه لنا فلان أو آل فلان . **قال** : « أبا هر » **قلت** : لبيك يا رسول الله . **قال** : « انطلق إلى أهل الصُّفة فادعهم » **قال** : فأحزنني ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أقوى بها بقية يومي وليلتي . **فقلت** : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم فلم يبق لي من هذا اللبن شيء ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد ، فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت . **ثم قال** : « يا أبا هر خذ فأعطهم » فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يُرْوَى ، ثم يرد القدح فأعطيه الآخر يشرب حتى يُرْوَى ، ثم يرد القدح ، حتى أتيت على آخرهم ودفعته إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ القدح فوضعه في يده ، وقد بقي فيه فَضْلَةٌ ، ثم رفع رأسه فنظر إليَّ وتبسَّم ، **فقال** : « أبا هر » **فقلتُ** : لبيك يا رسول الله . **قال** : « فاقعد فاشرب » فقعدتُ فشربتُ . ثم **قال لي** : « اشربْ » فشربتُ . ثم **قال لي** : « اشربْ » فشربتُ . فما زال يقول اشرب وأشرب ، حتى **قلت** : والذي بعثك بالحق ما أجدُ له مسلكًا . **قال** : « ناولني القدح » فرددتُ إليه القدح فشرب من الفضلة[1] .

ورُوي عنه أنه **قال** : أُصِبْتُ ثلاث مصائب في الإسلام : موت النبي ﷺ وقتل عثمان والمزود . **قالوا له** : وما المزود ؟ **قال** : كنا مع النبي ﷺ في سفر **فقال** : « هل معك

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (6087) ، والترمذي (477) ، وأحمد (51) .

شيء ؟ » **فقلت** : تمر في مزود . **قال** : « جئ به » فأخرجتُ منه تمرًا . وفي رواية : عشرين تمرة ، فسمَّى الله ودعا ، وجعل يضع كل تمرة ويسمِّي حتى أتى إلى آخرهن ، ثم **قال** : « ادعُ الجيش عشرة عشرة » فدعوتهم حتى أكل الجيش كله ، وبقي في المزود . **فقال** : « إذا أردت أن تأخذ منه شيئًا فخُذْ ولا تكبه » فأكلت منه حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، فلما قُتِلَ انْتُهِبَ بيتي وانْتُهِبَ المزود . ألا أخبركم؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق[1] .

والمزود : بالكسر ما يجعل فيه الزاد ، والوسق ستون صاعًا .

ومن فضائله - رضي الله تعالى عنه - أنه كان يستغفر الله ويتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة . **وقيل** : كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فلا ينام حتى يُسَبِّح به وحُكي أنه كان هو وامرأته وخادمه يتعقَّبون الليل أثلاثًا يصلي هذا ، ثم يوقظ هذا فيصلي ، ثم يوقظ هذا فيصلي . وكان له جارية زنجية فرفع عليها السوط يومًا ، **فقال** : لولا القصاص لأوجعتك به ، ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك ، اذهبي فأنت حرة لوجه الله ﷻ . **وجاءه رجل فقال له** : ادعُ لابني فقد وقع في نفسي الخوف عليه من الهلاك ، **فقال له** : ألا أدلك على ما هو أنفع لك من دعائي وأنجح وأسرع إجابة ؟ **قال** : بلى . **قال** : تصدق بصدقة تنوي بها نجاة ولدك وسلامة ما معه . فأعطى سائلاً درهمًا ، **وقال** : اللهم هذا فداء ابني زيد وما معه . فلما قدم سأله أبوه عن حاله ، **فقال** : يا أبي قد رأينا عجبًا يوم كذا وكذا وذلك أنا أشرفنا على الهلاك والغرق ، فسمعنا صوتًا من الهواء : ألا إن فداء زيد مقبول وزيد مُغاث! وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة إلى جزيرة كانت بالقرب منا فسلمت السفينة وكل من فيها . ثم سرنا بعد ذلك[2] .

وقيل : إن عمر - رضي الله تعالى عنه - استعمله ، أي جعله عاملاً وأميرًا على البحرين ، ثم عزله ، ثم راوده على العمل فأبى ، وتاب عن الإمارة . ولم يزل يسكن

---

(1) رواه الآجري في « الشريعة » (4 / 1575) ، وتمام الرازي في « فوائده » (2 / 287) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (6 / 110) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (5 / 60) ، **قال الذهبي في** « السير » (2 / 632) : حديث غريب تفرد به سهل بن زياد ، وهو صالح إن شاء الله .

(2) ذكره الأبشيهي في « المستطرف » (1 / 27) .

المدينة وبها توفي سنة سبع أو ثمانٍ أو تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية ، وله من العمر ثمانٍ وسبعون سنة ، ودُفِنَ بالبقيع ، وما اشتهر من أن قبره بعسقلان أو بقربها لا أصل له .

(**قال**) نفعنا الله به : (**سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما نهيتكم عنه**) أي منعتكم منه منع تحريم كقوله : « **لا تعذبوا بعذاب الله** »[1] أي بالنار . أو منع كراهة كقوله : « **لا تأكلوا البصل النيئ** »[2] . وقوله : « **لا تأكلوا بالشمال** »[3] (**فاجتنبوه**) أي اجعلوه في جانب وتباعدوا عنه . وفي رواية فدعوه ، أي اتركوه حتمًا في الحرام وندبًا في المكروه . والمراد اجتناب كله ، إذ الامتثال لا يحصل إلا بترك الجميع . فتارك بعض المنهيات لا يُعَدُّ ممتثلاً بل يكون مرتكب الحرام عاصيًا ، ومرتكب المكروه مخالفًا . نعم يُباح المنهي عنه للضرورة كأكل الميتة للمضطر وشرب الخمر عند الإكراه (**وما أمرتكم به**) أي طلبته منكم طلَبَ وجوب ، كقوله : « **اكفلوا** » أي التزموا « **لي ست خصال أكفل لكم الجنة** » **قيل** : وما هي ؟ قال : « **الصلاة والزكاة** » أي الإتيان بهما « والأمانة » أي توفيتها لمستحقها « **والفرج والبطن واللسان** »[4] أي منعهم عن الحرام . أو طلب ندب كقوله : « **أكثروا ذِكْرَ الموت فإنه يمحص الذنوب** » أي يزيلها « **ويُزهِّد في الدنيا . فإن ذكرتموه عند الغنى هدَمه ، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم** »[5] (**فأتوا**) وفي رواية : فافعلوا (**منه ما استطعتم**) أي ما أطقتم وقدرتم عليه وجوبًا في الواجب وندبًا في المندوب . ومصداق ذلك قول الله ﷻ : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن : 16] .

المبيّن لقوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران : 102] .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2854) ، والترمذي (1458) ، والنسائي (7 / 104) .

(2) **فيه مقال** : رواه ابن ماجه (3366) ، والروياني في « مسنده » (263) ، **وقال البوصيري في** « الزوائد » (4 / 35) : إسناده ضعيف . **وانظر** : « فيض القدير » للمناوي (6 / 385) .

(3) **صحيح** : رواه مسلم (2019) ، والنسائي في « الكبرى » (4 / 172) ، وابن ماجه (3268) ، وأحمد (3 / 334) .

(4) **حسن** : رواه الطبراني في « الأوسط » (5 / 154) ، (8 / 268) ، **وقال المنذري في** « الترغيب » (1 / 150) : لا بأس بإسناده ، وحسّنه الهيثمي في « المجمع » (1 / 293) .

(5) **ضعيف** : رواه ابن أبي الدنيا كما في « الكنز » (15 / 231) ، وذكره العراقي **وقال** : إسناده ضعيف جدًا . **انظر** : « فيض القدير » (2 / 86) ، « شرح الصدور » للسيوطي ص 26 .

إذ حق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه . ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع لقوله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة : 286] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج : 78] .

ويُستفاد مما ذكر أن من عجز عن بعض المأمور به لا يسقط عنه المقدور ، بل يجب عليه الإتيان به . **وهذا هو معنى قول الفقهاء** : إن الميسور لا يسقط بالمعسور . فإذا **عجز عن صاع الفطر** أتى بما قدر عليه منه ، وإذا عجز عن غسل بعض الأعضاء في الوضوء أو عن مسحها في التيمم أتى بالممكن وصحَّت عبادته .

وإذا عجز عن القيام في الصلاة بأن حصل له به مشقة شديدة تذهب الخشوع أو كماله صلى قاعدًا . فإن عجز عن القعود بهذا المعنى اضطجع على جنبه . فإن عجز عن الاضطجاع كذلك استلقى على ظهره .

ثم إن قدر على الركوع والسجود فعلهما ، وإن عجز عنهما بهذا المعنى أومأ ، أي أشار ، إليهما برأسه ، وجعل سجوده أخفض من ركوعه .

فإن عجز عن الإيماء برأسه أومأ بأجفانه .

فإن عجز أومأ بقلبه .

فإن اعتُقِل لسانه بضم التاء ، أي : حُبس عن الكلام فلم يقدر عليه ، أجرى أركان الصلاة على قلبه .

ونُقِل عن أبي حنيفة - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : من خاف من الإيماء برأسه حصول مشقة شديدة[1] له جاز له تَرْكُ الصلاة ، وإن كان عاقلاً ؛ لأن مجرد العقل لا يكفي في الخطاب . وعليه عمل الناس سلفًا وخَلَفًا . ثم إن كانت خمس صلوات فأقلّ

---

(1) المنقول عن أبي حنيفة وصاحبيه محمد وأبي يوسف أنه إن عجز عن الإيماء بالرأس سقطت عنه الصلاة ، وذهب زفر والحسن بن صالح من علماء المذهب أنه يومئ بعينيه ، وإن عجز عنه ، فإنه يومئ بالقلب؛ لأنه وُسْعُ مثله ، وإن كان المرجَّح عند الحنفية قول الأئمة الثلاثة .

انظر : « المبسوط » للسرخسي (1 / 216 - 217) ، « بدائع الصنائع » للكاساني (1 / 107 - 108) ، « العناية » للبابرتي (2 / 5) ، « البحر الرائق » لابن النجيم (2 / 124) .

وجَبَ عليه قضاؤها إذا برئ ، وإن كانت أكثر سقطت عنه ولا قضاء عليه .

ونُقل عنه أيضًا : أن المريض إذا عجز عن فعل شرائط الصلاة بنفسه وقدر عليها بغيره لا تجب عليه ؛ لأنَّ القدرة بالغير لا تعد قدرة عنده ، وعليه لو تيمَّم العاجز عن الوضوء بنفسه أو صلى بالنجاسة أو إلى غير القبلة مع وجود من يوضئه أو يزيل عنه النجاسة أو يحوّله للقبلة ، ولم يأمره بذلك ، صحت صلاته وعند صاحبيه لا تصح ؛ لأن آلة غيره صارت كآلته . ولا يخفى ما في كلام أبي حنيفة من التسهيل على المريض ، فلا بأس بتقليده عند اشتداد المرض وخشية ترك الصلاة ، والعياذ بالله تعالى .

(**فإنما أهلك الذين من قبلكم**) أي من الأمم السابقة (**كثرة مسائلهم**) أي التي لغير حاجة وضرورة ، فإنها تشعر بالتعنت ؛ كقولهم لسيدنا عيسى ﷺ :

﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة المائدة : 112] .

فطلبها عيسى من ربه ﷺ ، فنزلت الملائكة بها من السماء ، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات[1] ، فأكلوا منها حتى شبعوا . قاله ابن عباس[2] - رضي الله تعالى عنهما .

في حديث : « **أنزلت المائدة من السماء خبزًا ولحمًا فأمروا ألا يخونوا ولا يدّخروا لغد فخانوا وادّخروا فمُسِخُوا قردة وخنازير** »[3] . وكقولهم لسيدنا موسى - صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ أي عيانًا ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [سورة النساء : 153] .

أي عقب هذا السؤال ، وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم . وكقولهم له أيضًا ﷺ : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ [سورة البقرة : 68] .

لما أُمِرُوا بذبح بقرة . ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لأجزأتهم ، ولكنهم شدَّدُوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حالها وصفتها ، فشدَّد الله تعالى عليهم .

رُوي أن رجلاً فقيرًا في بني إسرائيل قَتَلَ ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه لكي يرثه ، ثم

---

(1) **أحوات** : جمع حوت ، وهو نوع من الأسماك معروف .

(2) الأثر رواه الطبري في « تفسيره » (7 / 131) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (4 / 1246) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (47 / 398) ، **وانظره في** « الدر المنثور » (3 / 235) .

(3) **الأصح وقفه** : رواه الترمذي (2061) ، وأبو يعلى (3 / 212) ، وابن عدي في « الكامل » (3 / 67) ، وابن عساكر في « تاريخه » (47 / 400) ، مرفوعًا عن عمّار بن ياسر ﷺ ، ورجّح الترمذي وابن عدي أنه من قول عمّار .

رماه في مجمع الطريق ، ثم شكا ذلك إلى موسى - عليه الصلاة والسلام - ، فاجتهد موسى في تعرُّف القاتل ، فلما لم يظهر **قالوا له** : سَلْ لنا ربك حتى يُبيّنه ، فسأله فأوحى الله تعالى إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [سورة البقرة : 67] .

فتعجَّبوا من ذلك ، ثم شدَّدوا على أنفسهم بالاستفهام عن حالها حالاً بعد حال ، واستقصوا في طلب الوصف ، أي بلغوا الغاية فيه . فلما تعيَّنت البقرة لم يجدوها بذلك النعت إلا عند إنسان مُعيَّن ، ولم يبعها إلا بأضعاف ثمنها ، فاشتروها فذبحوها . وأمرهم موسى أن يأخذوا عضوًا منها فيضربوا به القتيل ، ففعلوا فصار المقتول حيًّا ، وعيَّن لهم قاتله ، وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودًا ، أي قصاصًا ، يعني قتلوه به .

قيل : كانت هذه البقرة لولدٍ بارٍّ بوالديه خلَّفها له أبوه ، وكان هذا الولد يقسم الليل أثلاثًا ، يصلي ثلثًا ، وينام ثلثًا ، ويجلس عند رأس أمه ثلثًا ، فإذا أصبح انطلق فاحتطب فباعه ثم أكل بثلثه وتصدَّق بثلثه وأعطى أمه ثلثه . فأمرته ذات يوم ببيع البقرة بثلاثة دنانير تحت مشورتها ، وكانت قيمتها هذا القدر . فانطلق بها إلى السوق فبعث الله إليه ملكًا **فقال له** : بكم تبيع هذه البقرة ؟ **قال** : بثلاثة دنانير بشرط رضا أمي ، **فقال له الملك** : أعطيك ستة دنانير ولا تشاورها . **فقال له** : لو أعطيتني وزنها ذهبًا لم آخذه إلا برضاها . فردَّها إلى أمه فأخبرها بذلك ، **فقالت له** : ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني ، فانطلق بها فأتاه الملك ، **فقال له الولد** : إنها أمرتني ألا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها . **فقال له الملك** : إني أعطيك اثني عشر دينارًا ولا تستأمرها ، فأبى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك ، **فقالت له** : إنَّ الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك ، فإذا أتاك **فقل له** : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل ، **فقال له الملك** : اذهب إلى أمك **وقل لها** : أمسكي هذه البقرة فإنك تبيعيها بملء جلدها ذهبًا . فأمسكتها حتى وجد هذا القتيل فاشتروها بما ذكر[1] .

فائدة : روى البخاري أن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة : اكتب لي شيئًا سمعته من النبي ﷺ ، فكتب إليه : سمعت النبي ﷺ يقول : « **إني أكره لكم ثلاثًا** :

---

(1) الأثر بهذا الطول ذكره البغوي في « تفسيره » (1 / 82) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (1 / 370) ، و« زاد المسير » (1 / 100) ، عن وهب بن منبّه ، وهو بمعناه عن مجاهد عند الطبري في « تفسيره » (1 / 355) مختصرًا .

قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال »[1] .

ويُروى أن أُبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من أفاضل الصحابة كان أحدهم إذا سُئِلَ عن مسألة **يقول** : أَوَقَعَتْ هذه ؟ **فإن قيل** : نعم ، قال فيها بعلمه أو أحال على غيره . **وإن قيل** : لا ، **قال** : فدعها حتى تقع[2] . وقوله : (**واختلافهم**) بضم الفاء لا بكسرها فهو معطوف على كثرة لا على مسائلهم . **والتقدير** : وأهلكهم اختلافهم (**على أنبيائهم**) أي عصيانهم عليهم بتفرّقهم في الدِّين وتخاصمهم فيه ؛ كاليهود أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرَّغوا للعبادة يوم الجمعة ، وأخبرهم بفضله ، فأبوا إلا طائفة منهم ، **وقالوا** : لا نريد يوم الجمعة ونريد يوم السبت ، فشدَّد الله عليهم وحرَّم عليهم صيد السمك فيه ، وابتلاهم بأن أَلْهَمَ السمكَ أن يجتمع كله في هذا اليوم فلا يُرى الماء من كثرته ، فإذا مضى تفرَّق السمك ولزم قَعْرَ البحر ، فوسوس إلى بعضهم الشيطان بأنهم إنما نُهُوا عن أخذها يوم السبت ، ولم يُنهوا عن أخذها في غيره ولو بالحيلة ، فحفروا في جانب البحر حفرة كبيرة وجعلوا لها أنهارًا من البحر ، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان إلى الحفرة فيقع فيها ولا يقدر على الخروج منها لعمقها ، فإذا كان يوم الأحد أخذوها فشووا وأكلوا فشم جيرانهم ، فسألوهم فأخبروهم بالحيلة ، **فقالوا** : إن الله معذبكم . ثم لما لم يُعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا قدر الثلث ، وتجارءوا على السبت **وقالوا** : ما نرى السبت إلا قد حل لنا ، وأمسك قدر الثلث عن الصيد ولم ينهوهم ، وأمسك الثلث الثالث ونهوهم ، ثم لعنهم داود في زمنه ، وغضب الله عليهم فمسخهم قردة وخنازير ؛ وكذا الثُّلث الساكت على خلاف فيه ، ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا .

وهذا الحديث من جوامع الكلم ، وقاعدة عظيمة من قواعد الدين ، وفيه إشارة إلى وجوب اتِّباعه ﷺ ، وتسليم ما جاء به من الأحكام من غير معارضة .

(**رواه البخاري ومسلم**) رحمهما الله تعالى آمين .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (1407) ، ومسلم (1715) وأحمد (2 / 327) .

(2) **انظر** هذا الأثر وغيره مما ورد عن الصحابة والتابعين في المسألة عند الدارمي في « السنن » (1 / 62 – وما بعدها) ، « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي (2 / 14) ، « تفسير القرطبي » (6 / 332) .

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: 51]، **وَقَالَ تَعَالَى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: 172] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفر أَشْعَث أَغْبَر يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا ربِّ . يَا ربِّ . وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسَهُ حرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي هريرة**) تقدمت ترجمته (**رضي الله تعالى**) عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى طيب** » أي منزّه عن النقائص ومقدّس عن الآفات والعيوب (**لا يقبل إلا طيبًا**) أي لا يقبل شيئًا من أقوال العبد وأعماله وأمواله إلا ما كان طيبًا ، أي حسنًا خاليًا من المفسدات والمحرمات .

قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ أي الحسن ، نحو : لا إله إلا الله : ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [سورة فاطر : 10] ، أي يقبله ويثيب عليه .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [سورة الكهف : 110] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [سورة البقرة : 267] .

ونُقِلَ عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أنه **قال** : من اكتسب مالاً حرامًا وتصدَّق به لم يُقْبَل منه . وعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعًا : « **من كسب مالاً حرامًا فتصدَّق به لم يكن له فيه أجر ، وكان إثمه عليه** »[2] .

وقال سفيان الثوري – رضي الله تعالى عنه – : من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهَّر الثوب بالبول[3] .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (1015) ، والترمذي (2989) ، وأحمد (2 / 328) .

(2) **حسن** : رواه ابن خزيمة (2471) ، وابن حبان (3216) ، والحاكم (1 / 548) ، وصححوه ، وسنده حسن .

(3) ذكره الذهبي في « الكبائر » ص 120، وابن حجر في « الزواجر » (1 / 450) .

ويُكره التصدُّق بما فيه شبهة ، وبالطعام الرديء كالحب القديم والمسوس إن كان طعامه جيدًا .

قال الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ ﴾ أي الثواب الكامل : ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [سورة آل عمران : 92] .

أي تتصدَّقوا من أحب أموالكم ؛ ولذا كان عبد الله بن عمر – رضي الله تعالى عنهما – يتصدَّق بالسكر **ويقول** : إني أحبه[1] . (**وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**) أي سوَّى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال (**فقال تعالى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾) أي الحلال ﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ أي من حلال ما خلقناه نفعًا لكم . وسُمِّي الحلال طيبًا ؛ لأن الشارع طيَّبه لآكله وإن لم يستلذه . والحرام وإن التذَّ به آكله يؤدي إلى العقاب فهو مضر . **فقول الشافعي** – رضي الله تعالى عنه – : الطيب المستلذ . أراد به المستلذ شرعًا لا حسًّا . ألا ترى أن لحم الخنزير لذيذ وهو حرام إجماعًا ، والصبر[2] لا لذة فيه وهو حلال إجماعًا .

ورُوي أن عمر بن عبد العزيز – رضي الله تعالى عنه – **قال يومًا** : إني أكلت الليلة حمصًا وعدسًا فنفخني ، **فقال له بعض القوم** : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [سورة البقرة : 172] .

فقال عمر : هيهات هيهات ذهبت به إلى غير مذهبه ، إنما يريد طيب الكسب ولا يريد طيب الطعام[3] .

وقيل : إنَّ أفضل ما أكل منه الإنسان كسبه من زراعة لأنها أقرب إلى التوكل ، ثم من صناعة ؛ لأن الكسب فيها يحصل بكد اليمين ، ثم من تجارة لأن الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – كانوا يكتسبون بها ، ويحرم تناول ما يضر بالبدن أو العقل كالتراب والزجاج والسُّم والحشيشة التي يتعاطاها الحرافيش[4] .

---

(1) ذكره الغزالي في « الإحياء » (1 / 226) ، وابن جزي في « التسهيل » (1 / 113) .

(2) **الصَّبِر** : هو الدواء المر .

(3) رواه ابن سعد في « الطبقات » (5 / 367) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (1 / 406) .

(4) **الحرافيش** : جمع حرفوش ، وهو المتهيئ للشَّر .

ويُسَنُّ تَرْكُ التبسط في الأطعمة المباحة ؛ لأنه ليس من أخلاق السلف ، هذا إذا لم تدع إليه حاجة كقرى الضيف وأوقات التوسعة على العيال كيوم عاشوراء ويومي العيد ، ولم يقصد بذلك التفاخر والتكاثر بل تطييب خاطر الضيف والعيال وقضاء وطرهم أي حاجتهم مِمَّا يشتهونه . **وقيل** : إنه يُسَنُّ قضاء شهوة النفس والعيال مع التوسط ، ويُسَنُّ أكل الحلو من الطعام ، وكثرة الأيدي عليه ، والحمد عقب الأكل والشرب .

ونُقِلَ عن أبي سليمان الداراني أنه **قال** : « أكل الطيبات يورث الرضا عن الله »[1] ، وتتمُّ الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند غسلها .

وعن أبي الحسن الشاذلي أنه قال له شيخه : يا بني برد الماء ، فإن العبد إذا شرب الماء السخن فقال : الحمد لله كانت بكراهة[2] .

وقيل : إن الشخص يُثاب إذا أكل طيبًا قصد به القوة على الطاعة وإحياء نفسه ، بخلاف ما إذا أكل تشهيًا وتنعمًا .

قال أبو هريرة – رضي الله تعالى عنه – : **(ثم ذكر)** أي النبي ﷺ **(الرجل)** يجوز قراءته بالرفع على أنه مبتدأ حكاية للفظه ﷺ ، **والخبر قوله الآتي** : فأنى يستجاب له ، ويجوز نصبه على أنه مفعول ذكر ، فعلى الأول برفع أشعث وأغبر على أنهما صفتان له بعد وصفه بإطالة السفر . وعلى الثاني ينصبان على الوصفية له أيضًا ، ويجوز نصبهما على أنهما حالان من فاعل يطيل ، وخص الرجل بالذكر لأنه الذي يسافر السفر البعيد غالبًا ، وإلا فالمرأة كذلك **(يطيل السفر)** أي لما هو طاعة كالحج والجهاد وصلة الرحم **(أشعث)** أي وسخ الجسد متلبّد الشعر لقلّة تعهّده بالغسل والتَّسريح **(أغبر)** أي أصاب الغبار جسده وثوبه حتى غيَّر لونهما **(يمد يديه)** حال من ضمير أشعث ، أو صفة لرجل بعد وصفه بما تقدّم . **ومعنى يمد يديه** : يرفعهما **(إلى)** جهة **(السماء)** داعيًا متذللًا قائلًا : **(يا رب)** أعطني كذا **(يا رب)** اصرف عني كذا **(و)** الحال أنه **(مطعمه)** أي مطعومه ومأكوله **(حرام ومشربه)** أي مشروبه **(حرام وملبسه)** أي ملبوسه **(حرام وغُذِي بالحرام)** بضم الغين المعجمة وكسر الذال المعجمة المخففة . وفي

---

(1) ذكره أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (2 / 298) ، والغزالي في « الإحياء » (2 / 16) .

(2) في « الإحياء » (2 / 16) : **قال المأمون** ﷺ : شرب الماء بثلج يُخْلِصُ الشكر .

« المصابيح » وردت مشددة . وذكره بعد المطعم والمشرب إما للتأكيد وإما للتنبيه على حال الصغر . **والمعنى** : وكان غذاؤه حرامًا حال صغره .

والغذاء بالذال المعجمة ما به نماء الجسد وقوامه من الطعام والشراب ، وهو أعم من الغداء بالدال المهملة والعشاء . ووقت الأول من طلوع الفجر إلى الزوال . ووقت الثاني من الزوال إلى نصف الليل ، فمن حلف أنه لا يتغدى فأكل بعد الزوال أو أنه لا يتعشى فأكل قبل الزوال لم يحنث (**فأنى**) أي فكيف (**يستجاب له**) وفي بعض النسخ لذلك . والاستفهام للاستبعاد أي يبعد لمن هذه صفته وهذا حاله أن يجاب دعاؤه .

ونُقِلَ عن وهب بن منبه أنه **قال** : بلغني أن موسى عليه السلام مر برجل قائم يدعو ويتضرَّع طويلًا وهو ينظر إليه ، **فقال موسى** : يا رب أما استجبت لعبدك ؟ **فأوحى الله تعالى إليه** : يا موسى إنه لو بكى حتى تلفت نفسه ، ورفع يده حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له . **قال** : يا رب لم ذلك ؟ **قال** : لأن في بطنه الحرام ، وعلى ظهره الحرام ، وفي بيته الحرام[1] .

ورُوي عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له النبي ﷺ : « **أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة . والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ، ما يُتَقَبَّل منه أربعين يومًا . وأيما عبد نبت لحمه من سُحْتٍ فالنار أولى به** »[2] .

وقال بعض السلف[3] : لا تستبطئ الإجابة وقد سدَدْت طرقها بالمعاصي .

ونظم ذلك المعنى بعض الشعراء ، **فقال** :

نحن ندعو الإلَه في كلِّ كربٍ ... ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو استجابة لدعاءٍ ... قد سدَدْنا طريقها بالذنوب؟!

وحُكِي أن إبراهيم بن أدهم مر بسوق البصرة ، فاجتمع الناس إليه ، **وقالوا له** :

---

(1) ذكره الأبشيهي في « المستطرف » (2 / 532) .

(2) ضعيف : رواه الطبراني في « الأوسط » (6 / 311) ، وابن مردويه كما في « تفسير ابن كثير » (1 / 204) ، وفي إسناده مجاهيل كما في « المجمع » للهيثمي (10 / 291) .

(3) القائل **يحيى بن معاذ الرازي** أحد أئمة الزهد والتصوف .

انظر كلامه في « شعب الإيمان » للبيهقي (2 / 54) ، و« جامع العلوم والحكم » لابن رجب (ص 108) .

يا أبا إسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ **قال** : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء :

الأول : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه .

والثاني : زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته .

والثالث : قرأتم القرآن فلم تعملوا به .

والرابع : أكلتم نِعَم الله ولم تؤدوا شكرها .

والخامس : قلتم إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه .

والسادس : قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها .

والسابع : قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها .

والثامن : قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له .

والتاسع : انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم .

والعاشر : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم[1] .

ثم إن هذا الحديث من الأحاديث التي عليها قواعد الإسلام ومباني الأحكام ، وليس فيه تصريح يمنع إجابة العاصي بالكلية ، بل يجوز أن الله تعالى يجيبه تكرمًا منه وتفضلاً ، بل قد يستجيب دعاء الكافر ، أي كما حُكِي أن مراكب الإفرنج جاءت تطلب الماء بثمن من المسلمين فمنعوهم ، فلما أشرفوا على الهلاك فتحوا أناجيلهم وضجُّوا إلى الله تعالى بالدعاء فأمطروا . فلما رأى المسلمون حالهم فتحوا مصاحفهم ودعوا عليهم فأرسل الله تعالى عليهم ريحًا فكسرت مراكبهم وأهلكتهم .

وقيل : إن موسى عليه السلام **قال** : يا رب إذا دعاك الصائم والمصلي والمجاهد فماذا تجيبهم ؟ **قال تعالى** : أقول لبيك . **قال** : يا رب فإذا دعاك العاصي ؟ **قال** : أقول لبيك لبيك لبيك ثلاثًا . **قال** : يا رب تجيبه بالتلبية ثلاث مرات! **قال** : لأنه اعتمد على كرمي ، وغيره اعتمد على عمله[2] .

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن جابر بن عبد الله ، **قال** : قال

---

(1) انظر كلامه في « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (2 / 5) ، « الإحياء » للغزالي (3 / 299) ، « تفسير القرطبي » (2 / 312) ، و« المستطرف » (2 / 532) ، ومنه ينقل المؤلف .

(2) ذكره الصفوري في « نزهة المجالس » (1 / 96) .

رسول الله ﷺ : « **إن جبريل موكل بحاجات العباد ، فإذا دعا المؤمن قال الله تعالى : يا جبريل احبس حاجة عبدي فإني أحبه وأحب صوته ، وإذا دعا الكافر ، وفي رواية الفاجر ، قال : يا جبريل اقض حاجة عبدي فإني أبغضه وأبغض صوته** »[1] .

وقال بعضهم : من لم يكن في دعائه تاركًا لاختياره راضيًا باختيار الله تعالى فهو مستدرج ، وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فإني أكره أن أسمع صوته . فإن كان مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابًا وإن لم يُعْطَ . والأعمال بخواتيمها . (**رواه**) الإمام (**مسلم**) رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .



(1) رواه الحارث في « مسنده » (زوائده للهيثمي) (1068) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 211) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (4 / 64) ، ورجّح البيهقي أنه من كلام ثابت البناني ﷺ .

وانظر : « الحبائك في أخبار الملائك » للسيوطي ص 24 .

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ رضي الله عنهما قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « **دَعْ ما يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ** » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله** ﷺ) بكسر السين المهملة وسكون الباء الموحدة أي ابن بنته فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - ، وسبط يقرأ بالجر على أنه بدل من أبي محمد ، أو عطف بيان للحسن ، ويجوز رفعه بتقدير هو ونصبه بتقدير أعني . وقوله : (**وريحانته**) أخذه من قول المصطفى ﷺ فيه وفي أخيه الحسين : « **هما ريحانتاي من الدنيا** »[2] وفي رواية : « **من الجنة** » . شبَّه ﷺ سُرُورَهُ وفرحه بهما ، وارتياحه برؤيتهما ، وإقباله عليهما بريحان طيب ترتاح لرؤيته وشمّه النفس . ويطلق الريحان على الرزق . ومنه سُمِّي الولد ريحانًا لأنه من رزق الله . **وقيل** : يقال للولد ريحانة إلى سبع ، ووزير إلى سبع أخر ، وبعد ذلك إما صديق حميم وإما عدو مبين .

(**رضي الله**) تعالى (**عنه**) وفي بعض النسخ عنهما ، أي عنه وعن أبيه . وُلد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة . وهو أكبر من أخيه الحسين بعام . **وقيل** : أقل ، **وقيل** : أكثر . وأذَّن رسول الله ﷺ في أذنه . ولقبه بالنقي والسيِّد ، وكنَّاه بأبي محمد ، وسمَّاه الحسن ، ولم يكن يُعرف هذا الاسم في الجاهلية ، وكذا اسم الحسين[3] .

ورُوي عن البراء أنه **قال** : رأيت رسول الله ﷺ واضعًا الحسن على عاتقه وهو

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (2518) ، والنسائي (8 / 327) ، وأحمد (1 / 200) ، والدارمي (2 / 319) ، وكذا ابن حبان (722) ، والحاكم (2 / 15) وصححاه .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (3543) ، والترمذي (3770) ، وأحمد (2 / 85) .

(3) **انظر** تفصيل ذلك في : « تهذيب الكمال » (6 / 220) ، « الإصابة » (2 / 68) ، « الثقات » لابن حبان (3 / 68) .

يقول : « **اللهم إني أحبه فأحبه** »[1] . وصح : « **من أحبني فليحبه ، وليعلم الشاهد الغائب . اللهم إني أحبه ، وأحِبُّ من يحبه ، فأحبَّ من يحبه** »[2] ثلاث مرات .

وحُكِي أنَّ أبا بكر – رضي الله تعالى عنه – خرج من صلاة الفجر بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلي يمشي إلى جنبه ، فمر بالحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول :

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهًا بعلي[3]

وكان – رضي الله تعالى عنه – رجلًا كريمًا ، سمع شخصًا يسأل الله ﷻ أن يرزقه عشرة آلاف فانصرف فبعث بها إليه . وحُكِي أنه مر هو والحسين – رضي الله تعالى عنهما – على عجوز ، فذبحت لهما شاة ، فغضب زوجها ، فأرسل الحسن إليها ألف شاة وألف دينار والحسين كذلك[4] . **وقيل** : إنه خرج عن ماله مرتين ، وقاسم الله في ماله ثلاث مرات .

ومن تواضعه أنه مر بصبيان معهم كسر خبز ، فاستضافوه فنزل وأكل معهم . وحكي أنه مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق ، وقد نشروا كسرًا على الأرض في الرمل وهم يأكلون ، وهو على بغلته ، فسلم عليهم ، **فقالوا له** : هلم إلى الغداء يابن رسول الله ﷺ ، **فقال** : نعم إن الله لا يحب المستكبرين . فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب ، **وقال** : قد أجبتكم فأجيبوني ، **قالوا** : نعم ، فوعدهم وقتًا معلومًا فحضروا ، وقدم عليه فاخر الطعام فجلس وأكل معهم[5] . **وقيل** : إنه كان لا يأكل مع أمه فاطمة – رضي الله تعالى عنها – فقالت له في ذلك ، **فقال** : أخشى أن يقع بصرك على شيء وأسبقك إليه ولا أشعر فأكون عاقًّا لك ، **فقالت**

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (3539) ، ومسلم (2422) ، والترمذي (3783) .

(2) **صحيح** : رواه أحمد (5 / 366) ، والطيالسي (732) ، وهو عند البخاري (5545) ، ومسلم (2422) بنحوه .

(3) رواه البخاري (3349) ، والنسائي في « الكبرى » (5 / 48) ، والحاكم (3 / 184) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد » (1 / 299) .

(4) **انظر** هذه القصة في « المستجاد من فعلات الأجواد » ص 2 للتنوخي ، « الإحياء » (3 / 249) ، « البريقة المحمودية » (4 / 7) للخادمي .

(5) **انظر** : « قوت القلوب » (2 / 312) ، « الإحياء » (2 / 13) « تاريخ دمشق » (14 / 181) .

له : كل معي وأنت في حل من ذلك ، فامتثل[1] .

ورُوي أنه قال : إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فحج خمسًا وعشرين مرة من المدينة وهو ماش على رجليه ، وكانت النجائب[2] تقاد بين يديه .

وتولى الخلافة بعد أبيه بمبايعة أكثر من أربعين ألفًا ، واستمر في الخلافة نحو ستة أشهر بالحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ، ثم دعاه كرمه وحِلْمُه وورعه أن تركها لمعاوية رفقًا بالمسلمين ؛ بعد أن سار كل منهما إلى قتال الآخر ، وعلم أنه لن تغلب طائفة إلا بعد قتل أكثر الأخرى ، فرأى أن المصلحة في جمع الكلمة ، وترك القتال ، وطلب صلاح الأمة ، وحقن دمائها ، أي منعها من السفك بإنقاذها من القتل . ولما نزل عنها **قال له رجل** : السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين ، **فقال** : لست بمذلهم بل كرهت أن أقتلكم على الملك[3] . وبتركه لها ظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ في حقه : « **إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به** » وفي رواية : « **وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »[4] .

ومن كلامه - رضي الله تعالى عنه - : كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك .

وكان له من الأولاد خمسة عشر ذكرًا وثماني بنات . وروى عن النبي ﷺ ثلاثة عشر حديثًا ، ومات مسمومًا من زوجته جعدة بنت الأشعث[5] ، أغراها عليه يزيد بن معاوية ووعدها أن يتزوجها ، وبذل لها مائة ألف درهم ، ففعلت ، فمرض أربعين يومًا ، ومات سنة خمسين على ما عليه الأكثر ، فبعثت إلى يزيد تسأله فيما وعدها فأبى وقال : إنا لم نرضاك للحسن فنرضاك لأنفسنا ؟![6]

---

(1) **انظر** ذلك في « نزهة المجالس » (1 / 220) .

(2) **النجائب** : نجائب الإبل : خيارها .

(3) رواه ابن أبي شيبة (7 / 476) ، **وانظر** الأثر مطولاً في : « الإمامة والسياسة » لابن قتيبة (1 / 133، 134) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (3 / 326) ، والحاكم (3 / 192) .

(4) **صحيح** : رواه البخاري (2557) ، (3430) ، وأبو داود (2662) ، والترمذي (3773) ، والنسائي (3 / 107) .

(5) **انظر** سبب وفاته وما قيل في ذلك في « أنساب الأشراف » (1 / 389) ، « المعارف » لابن قتيبة ص 212 ، « مقاتل الطالبين » للأصفهاني ص 13، « الاستيعاب » (1 / 390) .

(6) **انظر** القصة في « المنتظم » لابن الجوزي (5 / 226) .

ورُوي أن أخاه الحسين دخل عليه **فقال له** : يا أخي من نتَّهم ؟ **فقال** : لتقتله ؟ **قال** : نعم . **فقال** : إن يكن الذي أظن فالله أشد بأسًا وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكن هو فلا أُحبُّ أن يُقتل بي بريء[1] . **وقال له** : قد أرسلت إلى عائشة أن أُدفن في بيتها مع رسول الله ﷺ فرضيت ، فإذا أنا متُّ فاطلب ذلك منها ، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها ، وما أظن القوم إلا سيمنعونك ، فإن كان فلا تزاحمهم ، وادفني في البقيع ، فإن لي فيمن فيه أسوة ، أي قدوة . فلما مات جاء الحسين إلى عائشة فطلب ذلك منها فأجابت ، فلما علم مروان بذلك **قال** : والله لا يُدفن هناك أبدًا ، فبلغ ذلك الحسين فلبس هو ومن معه الحديد ، وكذلك مروان ومن معه ، فبلغ ذلك أبا هريرة فانطلق إلى الحسين وناشده الله **وقال له** : أليس أخوك قد قال لك ما قال؟ فلم يزل به حتى رضي بدفنه بالبقيع إلى جانب أمه[2] .

ومن كراماته - رضي الله تعالى عنه - أن شخصًا تغوّط على قبره فجُنَّ ، وجعل ينبح كما ينبح الكلب ، ثم مات فسُمِعَ من قبره وهو يعوي ، نعوذ بالله تعالى من سخطه .

(قال) نفعنا الله به **(حفظتُ من رسول الله ﷺ)** أي من كلامه **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)** دع فعل أمر معناه اترك ، وما اسم موصول بمعنى الذي ، ويريب بفتح أوله وضمّه من الريب ، وهو الشك والتردُّد في الشيء . وقوله : « **إلى ما لا يريبك** » ، متعلق بمحذوف وجوبًا حال من فاعل دع .

والمعنى : اترك الشيء الذي تشك في كونه حسنًا أو قبيحًا أو حلالاً أو حرامًا حال كونك متوجِّهًا أو صائرًا إلى الذي لا تشك فيه ؛ بأن تتيقن حسنه وحِله . والأمر للندب ؛ لأن توقي الشبهات مندوب ، فلو شك في طلوع الفجر في رمضان جاز له أن يتسحَّر ؛ لأن الأصل بقاء الليل ولكن الأفضل له ألا يتسحر . ولو رأى شيئًا في يد إنسان ثم رآه في يد آخر وزعم أنه اشتراه منه أو وكله في بيعه ، جاز لهذا الرائي شراؤه منه ، ولكن الأفضل له عدم الشراء حتى يتيقن صدقه . ولو دعاه فاسق لوليمة جازت إجابته والأفضل عدمها ؛ لأنه لا يتَّقي الحرام .

---

(1) **انظر** : « الاستيعاب » (5 / 266) ، « تاريخ دمشق » (13 / 284) ، « أسد الغابة » (2 / 21) .

(2) **انظر** هذا الأثر في : « الاستيعاب » (1 / 392) ، « أسد الغابة » (2 / 21) ، « ذخائر العقبي » ص 142 ، « سير أعلام النبلاء » (3 / 279) .

وقيل : أوحى الله إلى داود ﷺ : « قل لبني إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ، ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي ، ذلك الذي أؤيده ، أي أقويه بنصري ، وأباهي ، أي أفاخر به ، ملائكتي »[1] .

ثم إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين ، وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين ؛ بل **قال بعضهم** :

الورع كله في ترك ما يريب إلى ما لا يريب .

وقال العسكري : لو تأمَّل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا أنه قد استوعب كل ما قيل في تجنب الشبهات[2] ، **وقال حسان بن أبي سنان**[3] : ما شيء أهون من الورع إذا رابك شيء أي شككت فيه فدعه[4] ، وهذا إنما يسهل على من سهله الله عليه .

ومن ثم تنزّه يزيد بن زريع[5] عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذها ؛ لأن أباه كان يلي الأعمال للسلاطين .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : ألا تشرب من ماء زمزم؟ **فقال** : لو كان لي دلو لشربت[6] . أشار إلى أن الدلو من مال السلطان وهو مشتبه . ورهن أحمد بن حنبل سطلاً له عند بقَّال بمكة ، فلما أراد فكاكه أخرج البقال له سطلين ، **وقال** : خذ أيهما لك ، **فقال أحمد** : أشكل عليَّ سطلي ، هو لك . **فقال البقال** : سطلك هذا وإنما أردت أن أجرّبك . **فقال** : لا آخذه ، وتركه عنده ومضى[7] .

---

(1) حُكي ذلك عن وهب بن منبه عند المكي في « قوت القلوب » (2 / 479) ، « الإحياء » (2 / 118) .

(2) نقله عنه المناوي في « فيض القدير » (3 / 529) .

(3) تابعي بصري ، أحد الزُهاد المشهورين ، **قال ابن حجر** : صدوق عابد من السادسة .
انظر : « التقريب » ص 158 ، « تهذيب الكمال » (6 / 26) ، « الإصابة » (2 / 210) .

(4) الأثر عند البخاري (2/ 724) معلَّقًا ، وابن أبي الدنيا في « الورع » ص 47 ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (8/ 74) .

(5) **يزيد بن زريع بن معاوية العيشي** ، عالم صدوق ثبت ثقة في الحديث ، كان أبوه والي البصرة ، فلم يأخذ من ميراثه شيئًا ، وكان يعمل الخوص . توفي سنة 182 هـ .
انظر : « التاريخ الكبير » (8 / 335) ، « التعديل » للباجي (3 / 1229) ، « المنتظم » (9 / 82) .

(6) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » ص 100 ، وهو عند القشيري في « رسالته » ص 148 .

(7) هو عند أبي نعيم في « الحلية » (9 / 169) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (5 / 301) ، والذهبي في « السير » (11 / 203) .

وقيل : إن تناول الشبهات يُعمي قلوب المؤمنين ، وينشأ منه أعمال مذمومة تُخالف أعمال الصالحين .

حُكِي عن أحمد بن نصر الدقاق[1] ، أنه **قال** : تهت مرة فعطشت مدة طويلة ، فلما وافيت الطريق ، أي ظهر لي ، وأتيته لقيني جندي فسقاني شربة ماء ، فعادت قساوتها على قلبي أربعين صباحًا[2] .

وحُكي أن رجلاً قصد زيارة بعض الأولياء ، فلما وصل إلى بيته رأى شابًا خارجًا منه عليه سيما المتكبرين ، أي علامتهم ، فسلم عليه فلم يرد عليه ، فتعجب وسأل عنه **فقيل له** : إنه ابن الشيخ ، فلما جاء ، أي الشيخ ، رأى عليه سيما المتواضعين ، وكمال حسن الخلق ، فزاد تعجبه ، **وقال في نفسه** : كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد؟ ثم سأله عن سوء خلق ابنه ، **فقال** : لا تعجب فإني جعتُ مدة أيام ، فأخبر بذلك جاري فجاءني بطعام من بيت السلطان لأنه كان من خواصه ، فلما أكلته غلبت عليَّ شهوة الجماع ، فهذا الولد من نطفة ذلك الطعام .

وأخرج الديلمي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مُخلِّط** »[3] .

وقال الحسن - رضي الله تعالى عنه - : « مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة »[4] .

وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن عطية السَّعْدي - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس** »[5] .

---

(1) فقيه زاهد ورع ، كان من أقران الجنيد ومن كبار مشايخ مصر .
انظر : « حسن المحاضرة » للسيوطي (1 / 170) ، « الطبقات الكبرى » للشعراني ص. 127

(2) ذكره الشعراني في « طبقاته » ص 128 ، وفيه : فعادت - يعني الشربة - قساوتها في قلبي ثلاثين سنة .

(3) **ضعيف** : رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (1 / 255) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (6 / 255) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (2 / 265) ، وفي سنده جهالة كما في « فيض القدير » (4 / 38) .
قوله : « **مُخَلِّط** » : أي يخلط العمل الصالح بالعمل السيئ ؛ لأن المُخلِّط مشتغل بالدنيا ، وباطنه متعلق بإرادتها ، فلا يعطي الصلاة حقها . « فيض القدير » (4 / 38) .

(4) **انظره في** « شرح نهج البلاغة » (11 / 108) لابن أبي الحديد ، « مدارج السالكين » (2 / 22) .

(5) **حسن** : رواه الترمذي (2451) ، وابن ماجه (4215) ، و الحاكم (4 / 355) وصحَّحه ، وحسَّنه الترمذي .

ولذا **قال أبو بكر الصديق** - رضي الله تعالى عنه - : كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - : كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام . وحُكي عنه أنه لما تولى الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها مخافة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها[1] .

وبالجملة فالمقصود من هذا الحديث هو أن يبني المكلَّف أموره في الدِّين على اليقين ، وفيه دلالة على أن الخروج من اختلاف العلماء أمر محبوب لأنه أبعد عن الشبهة (**رواه الترمذي**) نسبة إلى ترمذ بكسر الفوقية والميم أو بضمها وبفتح فكسر ، وكلها مع إعجام الذال مدينة قديمة بطرف نهر بلخ وهو جيحون على شاطئه الشرقي ، واسمه محمد بن عيسى بن سَوْرَة بفتح السين والراء وسكون الواو ، كان من الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، وكان يضرب به المثل في الحفظ . ولد سنة تسع ومائتين ومات ببلده سنة تسع وسبعين ومائتين (**والنسائي**) نسبة إلى نسا ، مدينة بخراسان ، واسمه أحمد بن شعيب . كان فقيهًا شافعي المذهب محدثًا حافظًا مُتْقِنًا حتى **قيل** : إنه أحفظ من مسلم . ولد سنة خمس عشرة ومائتين ، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة ، ودُفِنَ ببيت المقدس . **وقيل** : بمكة بين الصَّفا والمروة .

(**وقال الترمذي**) هو (**حديث حسن**) أي لوصف جماعة له بالحسن (**صحيح**) أي لوصف آخرين له بالصحة ، وبهذا التقرير يندفع إشكال الجمع بين الصحة والحسن مع ما بينهما من التضاد ؛ إذ راوي الصحيح يشترط فيه أن يكون موصوفًا بالضبط الكامل ، وراوي الحسن لا يُشترط فيه أن يبلغ تلك الدرجة ، وإن كان ليس عاريًا عن الضبط في الجملة .



(1) **انظر** هذه النقول وغيرها في الورع في « الرسالة القشيرية » ص 146، « الإحياء » (3 / 268) ، « مدارج السالكين » (2 / 22) .

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، **قَالَ** : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ** » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وغيره هَكَذَا[1] .

. . . .

(**عن أبي هريرة**) تقدمت ترجمته (**رضي الله**) تعالى (**عنه قال** : **قال رسول الله** ﷺ **من حسن إسلام المرء**) متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وقوله الآتي : « تركه ما لا يعنيه » مبتدأ مؤخر ، يعني من كمال إسلام المرء وتمامه والاستسلام لأحكامه « تركه ما لا يعنيه » بفتح الياء ، أي ما لا تتعلق عنايته به قولاً كان أو فعلاً ، والذي يعني الإنسان من الأمور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه وسلامته في معاده ، وذلك يسير بالنسبة إلى ما لا يعنيه ، فإذا اقتصر الإنسان على ما يعنيه من الأمور سلم من شر عظيم ، والسلامة من الشر خير كثير .

ومن كلام بعض السلف : « **من علم أن كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه**[2] ، **ومن سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه** »[3] .

وقيل : إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ ، وهو ممَّا لم يقله أحد قبله . وأما ما رُوي في صحف شيث وإبراهيم - عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : « **من عد كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه** »[4] ، فهو خاص بالكلام .

---

(1) **حسن** : رواه الترمذي (2317) ، وابن ماجه (3976) ، وأبو الشيخ في « الأمثال » (54) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (192) ، وابن حبان (229) ، وصحَّحَهُ ، وهو حسن بمجموع طرقه .

(2) هذا الشطر من الأثر مروي عن عمر بن عبد العزيز ﷺ بلفظ : « **من علم أن كلامه عمل قلّ كلامه إلا فيما ينفعه** » . وفي لفظ : « **من عدّ كلامه . . .** » **انظره في** : « المعرفة والتاريخ » (1 / 140) ، و« الصمت » لابن أبي الدنيا ص 61 ، و« الزهد » ص 40 لابن أبي عاصم .

(3) من الأمثال والحكم ذكره الأنطاكي في « تزيين الأسواق » (2 / 162) ، والعامري في « الجد الحثيث » ص 224 ، والعجلوني في « كشف الخفا » (2 / 314) .

(4) **لا يصح رفعه** : رواه ابن حبان في « صحيحه » (361) ، وفي « الثقات » (2 / 120) ، وابن السني في « عمل اليوم » (6) ، وابن الشجري في « الأمالي » (1 / 269) بسند ضعيف جدًا ، وهو مروي عن وهيب بن الورد =

وأما قوله في هذا الحديث فهو أعم من الكلام ؛ لأن مما لا يعنيه اللعب والهزل وما يخل بالمروءة والتوسع في الدنيا ، وطلب المناصب والرئاسة ، وحب المحمدة والثناء ، ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع ، فإنه ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يُعوَّض فائته فيما لم يخلق لأجله ، ومن ثم قال الحسن البصري - رضي الله تعالى عنه - : أدركنا قومًا كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم ، كما لا يحب أحدكم أن يُخْرِج دينارًا أو درهمًا إلا فيما يعود عليه نفعه ، كذلك لا يُحِبُّون أن تخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعه .

وقال الغزالي[1] - رحمه الله تعالى - : علاجُ ترك ما لا يعني أن يعلم أنَّ الموت بين يديه ، وأنه مسئول عن كل كلمة تكلم بها ، وأن أنفاسه رأس ماله ، وأن لسانه شبكته يقدر على أن يقتنص - أي يصطاد - بها الحور العين ، فإهماله وتضييعه فيما لا يعنيه خسران مبين .

وقال أيضًا : حد ما لا يعنيك في الكلام أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر حالاً ومآلاً ، فإنك به يضيع زمانك وتُحاسب على ما نطق به لسانك ، إذ تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ولو صرفته في الفكر والدعاء ربما ينفح لك من نفحاته ، أي يعطيك من عطاياه ، ولو سبَّحت بُني لك قصر في الجنة .

وقيل : إن كل كلمة فيما لا يعني يُوقَفُ عليها العبد في الآخرة خمس وقفات يطول بها حسابه وهوله ، ويذوب لحمه وقلبه ، ويتقطع حسرات[2] .

أولها : أن يقال له : لم قلت كلمة كذا ؟ أكانت مما يعنيك ؟

ثانيها : هل نفعتك إذ قلتها ؟

ثالثها : هل ضرتك لو لم تقلها ؟

رابعها : هلاَّ سكتّ فربحت السلامة من عاقبتها ؟

= وغيره من السلف عند ابن المبارك في « الزهد » (383) ، وعبد الرزاق (11 / 23) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (558) ، وهو الأصوب .

(1) **انظر** أصل كلامه في « الإحياء » (3 / 114) .

(2) **حسرات** : جمع حسرة ، وهي التلهُّف والتأسُّف .

خامسها : هلاَّ جعلت مكانها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فغنمت ثوابها ؟

وروى أبو عبيدة عن الحسن – رضي الله تعالى عنه – **قال** : من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه[1] .

وقال معروف الكرخي – نفعنا الله تعالى به – : كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى[2] .

وقال مالك بن دينار – رحمه الله تعالى – : إذا رأيت قساوة في قلبك ، وضعفًا في بدنك ، وحرمانًا في رزقك ، فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك[3] .

وقال أنس – رضي الله تعالى عنه – : استشهد منا غلام يوم أحد ، فوُجِدَ على بطنه حجر من الجوع ، فمسحت أمه التراب عن وجهه ، **وقالت** : هنيئًا لك الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « **وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما يعنيه** »[4] .

ورُوي أنَّ حسان بن أبي سنان – رحمه الله تعالى – مرَّ على غرفة **فقال** : متى بنيت هذه ؟ ثم أقبل على نفسه ، **وقال** : يا نفس تسألين عما لا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة ، فصامها[5] .

ووعظ عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – رجلاً **فقال له** : لا تتكلم فيما لا يعنيك ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك [إلاَّ][6] الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله ، ولا تمش مع الفاجر فيعلّمك من فجوره ، ولا تطلعه على سرّك ، ولا تشاور في

---

(1) ذكره ابن عبد البر في « التمهيد » (9 / 200) ، وابن رجب في « جامع العلوم والحكم » ص 116، وقد رُوِي مثله عن جماعة ، منهم الجنيد وذو النون المصري .
انظر : « طبقات المحدثين » لأبي الشيخ (3 / 292) ، « صفة الصفوة » (2 / 418) لابن الجوزي .

(2) هو في « الحلية » (8 / 361) ، و« شعب الإيمان » (4 / 269) ، و« بستان العارفين » للنووي ص 99 .
قوله : **خذلان من الله تعالى** : معناه أن يترك نصرته وعونه .

(3) هو في « فيض القدير » (1 / 287) للمناوي ، و« الفواكه الدواني » للنفراوي (1 / 316) .

(4) **فيه مقال** : رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (109، 110) ، وأبو يعلى (7 / 87) ، وهو عند الترمذي (6/ 23) بلفظ مقارب **وقال الترمذي** : حديث غريب ، **انظر** : « مجمع الزوائد » (10 / 303) .

(5) رواه عنه السلمي في « محاسبة النفس » ص 56 ، والبيهقي في « الشعب » (4 / 275) ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » ص 44 .

(6) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوعة ، مثبت في المصادر .

أمورك إلا الذين يخشون الله ﷻ[1] .

وقيل للقمان عليه السلام : ما بلغ بك ما نرى؟ يريدون الفضل ، **قال** : صِدْق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنيني[2] .

وقال رجل للأحنف بن قيس[3] – رحمه الله تعالى – : بم سدت على قومك وأنت أعور ؟ **فقال له** : بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك[4] .

وقال يونس بن عبيد[5] – رحمة الله عليه – : ترك كلمة فيما لا يعني أفضل من صوم يوم .

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « **أول ما يدخل عليكم رجل من أهل الجنة** » فدخل عبد الله بن سلام – رضي الله تعالى عنه – ، فقام إليه ناس فأخبروه ، **وقالوا** : أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ، **قال** : إن عملي لضعيف ، أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني[6] .

وقال الشافعي – رضي الله تعالى عنه – : ثلاثة تزيد في العقل : مجالسة العلماء ، ومجالسة الصالحين ، وترك الكلام فيما لا يعني[7] .

---

(1) الأثر رواه عبد الرزاق في « الجامع » (11 / 308) ، وابن المبارك في « الزهد » ص 491 ، وابن شُبَّة في « أخبار المدينة » (1 / 409) .

(2) الأثر عند مالك في « الموطأ » (2 / 990) ، وابن وهب في « الجامع » (1 / 412) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (116) .

(3) هو **أبو بحر التميمي البصري** ، تابعي مخضرم أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به ، **قال ابن سعد** : ثقة مأمون قليل الحديث اشتهر بالحلم والشجاعة . توفي سنة 72 هـ .

انظر : « الطبقات » لابن سعد (7 / 93) ، « الإصابة » (1 / 187) ، « الاستيعاب » (1 / 144) .

(4) **انظر** الأثر في « الأمثال » لابن سلام (ص 39) ، « عيون الأخبار » لابن قتيبة (1 / 96) ، والدينوري في « المجالسة » ص 549 .

(5) ثقة فاضل من حفاظ الحديث الثقات ، ومن أصحاب الحسن البصري . توفي سنة 139 هـ .

انظر : « الكاشف » (2 / 403) ، « التاريخ الكبير » (8 / 402) .

(6) **ضعيف** : رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (111) ، وإسحاق في « مسنده » كما في « المطالب العالية » (16 / 510) **وقال** : حديث ضعيف منقطع .

(7) **انظر** ذلك في « نزهة المجالس » للصفوري (1 / 158) .

وقال أيضًا : من أراد أن يُنوِّر الله قلبه فليترك الكلام فيما لا يعنيه[1] .

وقال بعضهم : مرَّ إبراهيم الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - فرأى عبدًا في الهواء متعبِّدًا ، **فقال له** : بِمَ نلت هذه المنزلة من الله تعالى ؟ **قال** : بأمر يسير ، فطمت نفسي ، أي منعتها ، عن الدنيا ، ولم أتكلم فيما لا يعنيني ، ونظرت فيما أمرني ربي فعملت به ، وفيما نهاني عنه فانتهيت ، فأنا إن سألته أعطاني وإن دعوته أجابني ، وإن أقسمت عليه أبرَّ قسمي . سألته أن يسكنني الهواء فأسكنني[2] .

ويقرب من ذلك ما روي عن وهب بن منبه[3] - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان في البحر إذ هما برجل يمشي في الهواء ، **فقالا له** : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ **قال** : بيسير من الدنيا ؛ فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني ، أي منعته ، عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني الله إليه ، ولزمت الصمت ، فإن أقسمت على الله أبر قسمي ، وإن سألته أعطاني[4] .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ، وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل والنقائص ، وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع .

وقد أخذ المصنِّف منه أنه يكره أن يُسأل الرجل فيما ضرب زوجته .

وقال ابن العربي - رحمه الله تعالى - : من أمراض النفس التي يجب التداوي منها أن يفعل رجل خيرًا مع بعض بنيه دون بعض فيعترضه آخر ويسأله عن ذلك ، فهذا فضول يثمر عداوة الولد لأبيه ، فهي كلمة شيطانية لا تقع إلا من جاهل غبي ، ولا دواء

---

(1) **انظر** ذلك في « نزهة المجالس » للصفوري (1 / 158) .

(2) الخبر في « ذم الهوى » لابن الجوزي ص 20 .

(3) تابعي زاهد عابد ، إخباري ، اشتهر برواية الإسرائيليات ، وكثرة الأخبار عن الكتب القديمة ، كان من أبناء فارس ، توفي سنة 114 هـ .

انظر : « التعديل » للباجي (3 / 1193) ، « طبقات ابن سعد » (5 / 543) ، « الثقات » لابن حبان (5 / 487) .

(4) الخبر عند ابن أبي الدنيا في « الصمت » ص 311 ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » ص 21 ، « جامع العلوم والحكم » ص 116 لابن الجوزي .

لها بعد وقوعها ، ودواؤها قبله النظر إلى هذا الحديث . وهو (**حديث حسن رواه الترمذي وغيره**) كابن ماجه (**هكذا**) أي موصولاً ، ورواه غيرهما مرسلاً ، والاتصال يقدّم على الإرسال ، وفي بعض النسخ حذف (هكذا) .



الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَة أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ – ، خَادِمِ رَسُولِ الله ﷺ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي حمزة أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه – خادم رسول الله ﷺ**) كنّاه النبي ﷺ بأبي حمزة ؛ لأنه كان يجتني بقلة يقال لها حمزة لكونها كانت حامزة أي فيها حموضة ، **ويقال** : إنَّها الرّجْلة . وأمه أم سليم ، تزوجها أبو طلحة بعد موت مالك ، **قيل** : إنه خطبها قبل أن يسلم ، فقالت له : أما إني فيك لراغبة وما مثلك يرد ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره ، فأسلم أبو طلحة وتزوّجها .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة ذهبت إليه ومعها ولدها أنس ، **فقالت له** : يا رسول الله خذ هذا غلامًا يخدمك ، فقبله ، وكان عمره حينئذ عشر سنين ، وقيل أقل من ذلك . واستمر في خدمته إلى أن توفي ﷺ وهو عنه راض[2] .

وروي عنه أنه **قال** : خدمت النبي ﷺ عشر سنين ويُروى تسع سنين ، فما قال لي لشيء فعلتُه لِمَ فعلته ولا لشيء تركته لم تركته[3] .

وكنت واقفًا أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال : « **ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها** » . **فقلت** : بلى بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، فقال : « **متى لقيت من أمتي أحدًا فسلِّم عليه يطل عمرك ، وإذا دخلت بيتك فسلِّم عليهم يكثر خير بيتك ، وصلِّ صلاة الضحى ؛ فإنها صلاة الأوابين الأبرار** »[4] .

---

(1) **متفق عليه** : رواه البخاري (13) ، ومسلم (45) وغيرهما .

(2) **انظر** ترجمته في « الإصابة » (1 / 126) ، « تهذيب الكمال » (3 / 353) ، « تهذيب التهذيب » (1 / 329) .

(3) **صحيح** : رواه مسلم (2309) ، وأبو داود (4773) ، والترمذي (5 / 20) .

(4) **ضعيف** : رواه البزار (14 / 12) ، وأبو يعلى (7 / 197) ، وابن عدي في « الكامل » (3 / 364) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 427 ، 428) بسند فيه ضعف ، كما في « تخريج الآثار » للزيلعي (2 / 452) ، « تخريج الإحياء » (1 / 502) للعراقي .

وفي رواية عنه أنه **قال** : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما سبني قط ، وما ضربني ضربة ، ولا انتهرني ، ولا عبس في وجهي ، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه ، فإن عاتبني أحد قال : « **دعوه ، ولو قدَّر الله شيئًا كان** »[1] .

وقالت أمه يومًا : يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له ، فقال : « **اللهم أكثر ماله وولده ، وأطل عمره ، واغفر ذنبه** » ويروى بدل الأخيرة : « **وأدخله الجنة** » .

قال أنس - رضي الله تعالى عنه - : فلقد رُزقت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين ، أي ذكورًا ، ولم يرزق إلا بنتين على ما قيل ، وإن بستاني ليثمر في السنة مرتين ، وفيه ريحان يجيء منه ريح المسك ، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة ، وأنا أرجو الرابعة[2] .

وشكا له قيّمه ، أي القائم بأموره ، عطش أرضه ، فتوضأ وخرج إلى البرية وصلّى ركعتين ودعا ، فسارت سحابة حتى غشيت أرضه ، أي غطتها وسترتها ، ومطرت حتى ملأتها ، فأرسل غلامه ، **وقال** : انظر أين بلغت هذه؟ فنظر ، فإذا هي لم تعدُ أرضه[3] ، أي لم تتجاوزها .

وفي رواية : لم تعدها إلا يسيرًا ، وذلك في الصيف .

وكان يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دمًا .

وكان إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم[4] .

وغزا مع النبي ﷺ ثماني غزوات ، وأقام بالمدينة ، وشهد الفتوح ، ثم قطن البصرة ومات بها سنة ثلاث وتسعين في زمن الحجاج ، واختُلف في عمره **فقيل** : إنه تسع

---

(1) **له شواهد** : رواه البرجلاني في « الكرم والجود » ص 39 ، والدولابي في « الكنى » (2 / 507) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي ﷺ » ص 175 ، وبنحوه عند أحمد (3 / 231) ، وابن حبان (7179) بإسناد صحيح .

(2) **صحيح** : رواه ابن سعد في « الطبقات » (7 / 19) بهذا السياق ، وبنحوه عند أحمد (3 / 748) ، (6 / 430) ، وعبد بن حميد (1255) ، والبخاري في « الأدب » (653) ، وأبي نعيم في « معرفة الصحابة » (1 / 235) .

(3) الأثر عند ابن سعد في « الطبقات » (7 / 21) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (6 / 148) ، وابن عساكر في « تاريخه » (9 / 365) ، **وانظره** في « تاريخ الإسلام » للذهبي (6 / 292) .

(4) الأثر عند سعيد بن منصور في « السنن » (2 / 1 / 140) ، والدارمي (2 / 560) ، وابن الضريس في « فضائل القرآن » ص 90 ، والفريابي في « فضائل القرآن » ص 82 ، 83 ، والطبراني في « الكبير » (1 / 242) ، وصحَّحه الدارقطني في « العلل » (12 / 138) ، والنووي في « الأذكار » ص 84 .

وتسعون سنة ، **وقيل** : مائة وستة ، **وقيل** : وثلاثة ، **وقيل** : وعشرة . **وقيل** : وسبعة . **وقيل** : وعشرون .

وأوصى ثابتًا البُناني أن يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله ﷺ ، ففعل[1] ، وغسَّله محمد بن سيرين .

وهو آخر مَنْ مات من الصحابة بالبصرة ودُفِنَ في قصره على نحو فرسخ ونصف منها . رُوي له ألفان ومائتا حديث وستة وثمانون حديثًا ، منها ما ذكره عنه المصنف بقوله (**قال : قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن أحدكم**) أي : إيمانًا كاملًا (**حتى يحب**) بالنصب ؛ لأنَّ حتى هنا جارة وأن بعدها مضمرة ، أي إلى أن يحب (**لأخيه**) أي في الإسلام (**ما يحب لنفسه**) أي مثل ما يحب لها ، يعني لا يكمل إيمان كل واحد منكم حتى يأتي بخصلة من خصال الإيمان الواجبة عليه ، وهي حبه لأخيه ما يحب لنفسه ، أي حبه أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له أو ما يتمنى حصوله من الخير والمنفعة . وليس المراد أنه يحب أن يحصل لأخيه ما حصل له مع سلبه عنه .

وفي رواية للنسائي : « **حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه** »[2] .

والخير : اسم جامع للطاعات والمباحات دنيوية وأخروية .

وجاء في حديث : « **انظر أحب ما تحب أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم** »[3] .

وفي كلام بعضهم : « **ارض للناس ما لنفسك ترضى** » .

ولابد أن يكون المعنى فيما يباح ، فإن الإنسان يحب لنفسه وطء حليلته ، ولا يجوز له أن يُحبه لأخيه حال كونها في عصمته ؛ لأنه غير مباح له ، بل هو محرّم عليه .

وليس له أن يحب لأخيه فِعْلَ محرم عليه .

قال الكرماني[4] : ومن الإيمان أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر ، ولم

---

(1) ذكره ابن حجر في « الإصابة » (1 / 127) من رواية ابن السَّكن .

(2) **صحيح** : رواه النسائي (8 / 115) ، وأبو يعلى (5 / 268) ، وأحمد (3 / 251) .

(3) **صحيح** : ذكره بمعناه ، وأصله : « **وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فأكرهه لهم** »، وفي لفظ : « **فلا تأته إليهم** » . وفي لفظ آخر : « **وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه** » .
رواه أحمد (2 / 192) ، ومسلم (1844) ، والنسائي (7 / 152) ، والطبراني في « الكبير » (19 / 440) .

(4) هو **تقي الدين يحيى بن محمد بن يوسف البغدادي الشافعي الكرماني** ، له شرح على البخاري ، وآخر على مسلم . توفي بمصر سنة 833 هـ .
انظر : « هدية العارفين » (6 / 527) .

يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه ، فترك النص عليه اكتفاء على حد .

﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾ [سورة النحل : 81] ، أي والبرد .

وقيل للأحنف وكان أحلم الناس : ممن تعلمت الحلم ؟ **قال** : من نفسي . **قيل له** : وكيف ذلك ؟ **قال** : كنت إذا كرهت شيئًا من غيري لم أفعل بأحد مثله[1] .

ورُوي أن رجلاً **قال** : يا رسول الله ائذن لي في الزنى ، فهمَّ من كان بقرب النبي ﷺ أن يتناوله ، **فقال** : « دعوه » ثم **قال له** : « ادنُ مني » فدنا ، **فقال له** : « أتحبُّ أن يُفعل ذلك بأختك ؟ » **قال** : لا ، **قال** : « فبابنتك » ، **قال** : لا ، **قال** : « فبامرأتك ؟ » **قال** : لا ، فلم يزل النبي ﷺ **يقول** : فبكذا وبكذا ، **ويقول الرجل** : لا ، فقال النبي ﷺ : « **فاكره ما كره الله تعالى وأحب لأخيك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لنفسك** » . **فقال** : يا نبي الله – صلى الله عليك وسلم – ادعُ الله تعالى أن يبغِّض إليَّ النساء ، فقال : « **اللهم بغض إليه النساء** » فانصرف ، ثم رجع إليه بعد ليال ، **فقال** : يا رسول الله – صلى الله عليك وسلم – ما من شيء أبغض إليَّ من النساء ، فأذن لي بالسياحة ، فقال ﷺ : « **إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله** »[2] .

وفي مسند الإمام أحمد عن يزيد بن أسد القرشي **قال** : قال لي رسول الله ﷺ : « **أتحب الجنة ؟** » **قلت** : نعم ، قال : « **فأحب لأخيك ما تحب لنفسك** »[3] .

وحُكي أن بعضهم شكا كثرة الفأر في بيته ، **فقيل له** : اقتنِ هرة ، **فقال** : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبه لنفسي!

ثم إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام ، والمقصود منه طلب المساواة التي بها تحصل المحبة ، وتدوم الإلفة بين الناس ، وتنتظم أحوالهم .

---

(1) ذكره المناوي في « فيض القدير » (1 / 65) .

(2) **جيد** : رواه البيهقي في « السنن » (9 / 161) بهذا السياق ، وبنحوه عند أحمد (5 / 256) ، والطبراني في « الكبير » (8 / 162) ، وفي « مسند الشاميين » (1523) ، **وقال العراقي في « تخريج الإحياء »** (2 / 251) : إسناده جيد .

(3) **حسن** : رواه أحمد (4 / 70) ، وابن قانع في « معجم الصحابة » (1 / 42) ، والقطيعي في « جزء الألف دينار » ص 368 ، 369 ، والحاكم (4 / 186) وصحّحه ، وأقرّه الذهبي ، وسنده حسن .

وأما الإيثار وهو تقديم الغير على النفس فهو أمر عظيم ، مدح الله تعالى أهله في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر : 9] .

أي حاجة إلى ما يؤثرون به . وسبب نزول هذه الآية ما روي أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ أهدي إليه رأس شاة **فقال** : إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منّا ، **فبعثه** إليه ، وبعثه ذاك إلى آخر ، فلم يزل يُبعث به من واحد إلى آخر حتى تداولته سبعة بيوت ، حتى رجع إلى الأول[1] .

وقيل : سبب نزولها أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ **فقال** : إني مجهود ، أي بلغ الجوع مني الجهد وغاية المشقة فبعث إلى نسائه **فقلن** : ما عندنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : « **من يضيّف هذا الليلة ؟** » فقام رجل من الأنصار ، **فقال** : أنا يا رسول الله ، فانطلق به ، **فقال لامرأته** : هل عندك شيء ؟ **فقالت** : لا ، إلا قوت صبياني ، **قال** : فعلّليهم بشيء ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج ، ونوّمي الأطفال ، وقدّمي للضيف ما عندك ، ففعلت وأظهرا له أنهما يأكلان معه[2] .

ورُوي أن رجلًا أصبح صائمًا على عهد رسول الله ﷺ ، فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء ، فشرب ثم أصبح صائمًا ، فلما كان اليوم الثالث أجهده الجوع ، ففطن به رجل من الأنصار فلما أمسى أتى به إلى منزله ، **وقال لأهله** : هل عندكم من طعام ؟ **فقال أهله** : عندنا ما يشبع الواحد ، وكانا صائمين ولهما صبية ، **فقال لزوجته** : إذا دخل الضيف فنوّمي الصبية قبل العشاء ، وأطفئي السراج ، ونُظهر للضيف أنا نأكل معه حتى يشبع ، فجاءت بثريد ووضعته ، ودنت من السراج كأنها تريد أن تصلحه فأطفأته ، فنزلت هذه الآية[3] .

فإن قيل : كيف ساغ لهما تنويم الصبيان بدون أكل ؟ **فالجواب** : أن الصبيان لم تشتد حاجتهم للأكل وإنما خشيا أن الطعام إذا جيء به للضيف وهم مستيقظون لا يتركون الأكل منه ولو كانوا شباعًا على عادة الصبيان ، فيشوّشون على الضيف .

---

(1) رواه الحاكم (2 / 526) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 526) ، وذكره الجصاص في « أحكام القرآن » (5 / 325) ، والقرطبي في « تفسيره » (18 / 25) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (4607) ، ومسلم (2054) ، وابن حبان (5286) .

(3) **انظر** : « تفسير القرطبي » (18 / 25) ، « زاد المسير » (8 / 214) لابن الجوزي .

ورُوي أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم **قال للغلام** : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تلكأ - بفتح التاء واللام وتشديد الكاف آخره همز ، أي أبطئ - ساعة في البيت ، حتى تنظر ما يصنع بها . فذهب بها الغلام إليه ، **فقال** : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك ، **فقال** : وصله الله ورحمه ، ثم **قال** : تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفدها ، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل ، **وقال** : اذهب بها إلى معاذ بن جبل ، وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها ، فذهب بها إليه ، **فقال** : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك ، **فقال** : رحمه الله ووصله ، **وقال** : يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا ، فاطَّلَعت امرأة معاذ ، **وقالت** : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران ، فدفع بهما إليها ، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك ، فسُرَّ بذلك عمر ، **وقال** : إنهم إخوة بعضهم من بعض[1] .

وحُكي عن حذيفة العدوي أنه **قال** : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء ، **وأنا أقول** : إن كان به رمق - أي بقية حياة - سقيته ، فإذا أنا به ، **فقلت له** : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فإذا برجل **يقول** : آه آه ، فأشار إليَّ ابن عمي أن انطلق إليه ، فانطلقت إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، **فقلت له** : أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر **يقول** : آه آه ، فأشار هشام أن انطلق فجئته ، فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، ورجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات[2] . رحمة الله تعالى عليهم أجمعين . (**رواه البخاري ومسلم**) في الصحيحين رحمهما الله تعالى .



---

(1) الأثر عند ابن المبارك في « الزهد » (511) ، وأحمد في « الزهد » ص 274 ، والطبراني في « المعجم الكبير » (20/ 33) ، وأبو نعيم في « الحلية » (1 / 237) .

(2) الأثر عند ابن المبارك في « الجهاد » (116) ، و« الزهد » (525) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 260) ، وابن عساكر في « تاريخه » (38 / 180) .

الحديث الرابع عشر

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، **قَالَ** : قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لاَ يَحِلُّ دمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن ابن مسعود**) تقدمت ترجمته (**رضي الله**) تعالى (**عنه قال** : **قال رسول الله** ﷺ : **لا يحل دم امرئ مسلم**) أي لا يحل إراقة دمه ، فالكلام على حذف مضاف . والمراد أنه لا يجوز إزهاق روحه ولو لم يحصل إراقة دمه كما لو خنقه أو سمّه ، وإنما عبّر بذلك نظرًا للغالب في القتل من إراقة الدم .

واعلم أن الأصل في الدماء العصمة عقلاً ونقلاً ؛ أما عقلاً فلأن في القتل إفساد الصورة الإنسانية المخلوقة في أحسن تقويم ، أي تعديل لها ، والعقل يأبى ذلك وينكره . وأمّا نقلاً فلقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الأنعام : 151] .

وقوله ﷺ : « **من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبًا بين عينيه : آيس من رحمة الله** »[2] .

(**إلا بإحدى**) خصال (**ثلاث**) أي بارتكاب واحدة منها ، فيحلُّ القتل لما فيه من المصلحة العامة وهي حفظ الأنساب والنفوس والأديان .

وقال القسطلاني[3] : حرف الجر متعلق بحال ، **والتقدير** : إلا متلبسًا بفعل إحدى

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (6484) ، ومسلم (1676) ، وأبو داود (4352) ، والترمذي (1402) ، والنسائي (7/ 90) ، وأحمد (1 / 382) .

(2) **ضعيف** : رواه ابن ماجه (2620) ، والطبراني في « الكبير » (11 / 79) ، وأبو يعلى (10 / 306) ، وفي سنده ضعف ، كما في « فيض القدير » (6 / 72) .

(3) **أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني** ، أبو العباس الشافعي المصري ، فقيه ، محدِّث ، متصوف ، له « إرشاد الساري شرح البخاري » . توفي سنة 923 هـ .
انظر : « هدية العارفين » (5 / 139) ، « كشف الظنون » (1 / 552) .

ثلاث ، ثم إن المستثنى منه يحتمل أن يكون الدم ، **والتقدير** : لا يحل دم امرئ مسلم إلا دمه متلبسًا بإحدى الثلاث . ويحتمل أن يكون الاستثناء من امرئ ، **والتقدير** : لا يحل دم امرئ مسلم إلا امرأ متلبسًا بإحدى خصال ثلاث .

(**الثيب الزاني**) بالجر بدل مما قبله ، ولا بدَّ فيه وفيما بعده من مضاف محذوف ، **تقديره** : خصلة الثيب الزاني ، وقصاص النفس بالنفس ، وترك التارك لدينه . ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أو مبتدأ والخبر محذوف ، أي : وهي أو منها الثيب الزاني ، ويجوز نصبه على أنه مفعول لفعل محذوف **تقديره** : أعني .

ونقل عن الكازروني[1] أن الرفع هو الرواية .

هذا **والثيب** : اسم جنس يشمل الذكر والأنثى ، والمراد به هنا المحصن ، وهو من وطئ أو وُطئ في القبل في عقد صحيح وهو حر بالغ عاقل ، فهذا إذا زنى يحل دمه بمعنى أنه يُرجم بالحجارة إلى أن يموت . والمختار أن تكون ملء الكف ولا يجوز قتله بغير ذلك إجماعًا . وغير المحصن إذا زنى يُجلد مائة ويُغرّب عامًا إن كان حرًا ، والرقيق على النصف من ذلك . هذا هو الأصح من مذهب الشافعي . ونُقِلَ عن الثلاثة أنه لا يُغرّب ، وهو قول للشافعي .

قال العلماء : ومن مات من غير حد ولا توبة عُذِّب في النار بسياط من نار .

وورد أنه مكتوب في الزبور : إن الزناة يعلّقون بفروجهم ويُضربون عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاث أحدهم من الضَّرب نادته الزبانية : أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه ؟

وورد في الحديث الشريف : « **من زنى بامرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة أو أمة فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة ألف باب من النار تخرج عليه منها عقارب وحيات وشُهُب من النار ، فهو يُعذَّب إلى يوم القيامة** »[2] .

---

(1) **منصور بن الحسن بن علي الكازروني الشافعي** ، نسبة إلى كازرون مدينة بفارس ، فقيه ، محدِّث لغوي ، متكلم ، له « شرح على البخاري » ، « نقد الكشاف » . توفي سنة 860 هـ بمكة .
انظر : « هدية العارفين » (6 / 475) ، « الضوء اللامع » (10 / 170) .

(2) **خبر موضوع** : رواه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » (زوائده للهيثمي) (205) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 361) ، وذكره السيوطي في « اللآلئ المصنوعة » (2 / 312) **وقال** : حديث طويل موضوع ، وكذا قال ابن الجوزي .

ورُوي في الحديث أيضًا : « **احذروا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة ، فأما التي في الدنيا : فإنه يذهب البهاء من الوجه ، ويورث الفقر ، وينقص الرزق والعمر ، وأما التي في الآخرة : فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب فيسودّ وجهه ، والثانية : يكون حسابه حسابًا شديدًا ، والثالثة : يُسحب في سلسلة إلى النار** »[1] .

ومن قبائح الزنى أنه يورث القتل والطاعون لخبر الحاكم عن ابن مسعود : إذا كثر الزنى كثر القتل ووقع الطاعون[2] .

وعن بريدة مرفوعًا : « **ما ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلَّط الله عليهم الموت** »[3] .

ومن قبائحه أيضًا أنه يفعل مثله في ذرية الزاني أو زوجته ، ولما سمع ذلك بعض الملوك أراد تجربته في بنت له وكانت في غاية الجمال ، فأمرِ امرأة فقيرة أن تطوف بها في الأسواق وهي مكشوفة الوجه ولا تمنع أحدًا من التعرض لها بشيء ، فما مرت بها على أحد إلا أطرق رأسه ولم يمد نظره إليها حياء منها ، فلما رجعت وقربت من دار الملك أمسكها إنسان وقبَّلها ثم ذهب ، فدخلت بها على الملك فسألها عمَّا حصل لها فأخبرته بالقصة ، فسجد شكرًا لله تعالى ، **وقال** : الحمد لله ما وقع مني في عمري قط إلا قبلة واحدة لامرأة ، وقد قُوصِصتُ بها .

فالسعيد من حفظ فرجه وغض بصره وكفّ يده .

كما حُكي عن بعض الصالحين أن نفسه حدّثته بالزنى ، وكان عنده فتيلة موقدة بالنار ، **فقال لنفسه** : يا نفس إني أدخل أصبعي في هذه الفتيلة ، فإن صبرت على حرّها مكّنتُك مما تريدين ، ثم أدخل أصبعه فيها حتى أحسَّ أن روحه كادت تزهق من شدّة حرّها وهو يتجلّد على ذلك ، **ويقول لنفسه** : هل تصبرين ؟ وإذا لم تصبري على حرّ هذه النار اليسيرة التي أُطْفِئَت بالماء سبعين مرة حتى قدر أهلُ الدنيا على مقابلتها ،

---

(1) **ضعيف** : رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (4 / 1183) ، وابن حبان في « المجروحين » (1 / 98) ، وابن عدي في « الضعفاء » (6 / 317) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 297) ، **وقال** : لا يصح .

(2) الأثر عند الداني في « الفتن » (3 / 689) ، والحاكم (4 / 549) وصحّحَهُ وأقرّه الذهبي .

(3) **صحيح** : رواه الطبراني في « الأوسط » (11 / 326) ، والحاكم (2 / 136) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 196) ، وفي « السنن » (9 / 231) ، وصحّحه الحاكم والذهبي ، وله شواهد .

فكيف تصبرين على حرّ نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه بسبعين ضعفًا ، فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر .

وحُكي أن بعض قضاة بني إسرائيل سافر حاجًّا واستخلف أخاه على زوجته ، فدخل عليها يومًا وراودها عن نفسها ، أي طلب منها أن يواقِعَها ، **فقالت له** : اتق الله ولا تخن أخاك ، فجاءه إبليس في صورة رجل ، **وقال له** : أقم عليها البيِّنة بالزنى وارجمها إن لم تطاوعك ، فأخبرها بذلك ، **فقالت له** : افعل ما تريد ، فأقام عليها البينة بالزنى زورًا ورجمها .

فمرّ بها رجل جمال ليلاً ، وكان فيها بقية حياة فسمع أنينها فأخذها إلى منزله ، فدخل عليها بعض أصحابه فرآها جميلة فراودها عن نفسها فامتنعت فدخل عليها ليلاً ليذبحها ، فغلط فذبح ولد الجمال ، وكان هذا قد ألفها أي أحبها ، فلما علم الجمّال بذلك أعطاها دراهم ، **وقال لها** : اخرجي من منزلي .

فخرجت فرأت شخصًا مصلوبًا على دَيْن فخلّصته بتلك الدراهم ، **فقال لها** : لأكونن عبدًا لك ، فسار معها إلى ساحل البحر فراودها فأبت ، **وقالت له** : هذا جزائي منك! فلما أيس منها **قال لتاجر في مركب** : عندي جارية جميلة أريد بيعها ، فلما رآها التاجر دفع له ثمنها ثلاثمائة دينار ، **فقالت له** : أنا حرة ، فأخذها كرهًا ، فلما كان الليل مدّ يده إليها **فقالت** : اتق الله ، فضرب وجهها فعصفت الرياح ، أي اشتدت على سفينته ، فغرقت .

وحفظ الله المرأة حتى طلعت من البحر ووصلت إلى ملك عادل ، فأخبرته بخبرها فبنى لها خلوة تتعبّد فيها ، فشاع خبرها بالصلاح ، فقصدها أصحاب العاهات فدعت لهم فبرئوا .

فلما جاء زوجها من الحج سأل عنها **فقيل له** : إنها زنت فرُجِمَتْ ، فدخل على أخيه فوجده قد عمي بصره ووقعت الأكلة في أفواه الشهود ، **فقيل لزوجها** : خذ أخاك واذهب به إلى امرأة صالحة بمكان كذا تدعو له ، فلما سار به تبعه الشهود فساروا معه فرأوا في طريقهم الجمّال ومعه صاحبه الذي ذبح ولده وقد أصابته عاهة ، ثم وجدوا شابًّا أعمى وهو الذي خلّصته من الصَّلب ، ثم وجدوا التاجر الذي اشتراها قد قذفه الموج وهو في بلاء عظيم ، وكلهم ذاهبون إليها لتدعو لهم .

فلما وصلوا إليها وطلبوا منها الدعاء عرفتهم ، **وقالت لهم** : من اعترف بذنبه دعوت

له ، **فقال أخو زوجها** : أنا أستحي من أخي أن أذكر ذنبي بحضوره ، **فقال أخوه** : لا بأس عليك ، **فقال** : راودت امرأتك عن نفسها فأبت فأقمت عليها هؤلاء الشهود بالزنى زورًا فرجمت .

وقال صاحب الجمال : أنا وجدت امرأة عند هذا الجمال فراودتها فأبت فأردت ذبحها فأصابت السكين ولده فانذبح .

وقال الشاب الذي خلّصته : خلّصتني امرأة من الصَّلب فراودتها فأبت ، فبعتُها لتاجر في مركب بثلاثمائة دينار .

وقال التاجر الذي اشتراها : أنا راودتها فأبت ، **وقالت** : اتَّقِ الله فضربت وجهها ، فعصفت الرياح فانكسرت المركب .

فقالت لزوجها : ادن مني ، فكشفت له عن وجهها ، فلما رآها **قال لها** : إنك زوجتي وإنك بريئة مما ذُكِرَ . **فقالت له** : قد سمعت قولهم فإن شئت القصاص أو العفو ، وأما أنا فقد عفوت عنهم ، **وقالت** : اللهم اكشف عنهم ضرّهم ، فبرئوا ، وأخذها زوجها فبقيت معه ، رحمة الله تعالى عليها .

(**والنفس بالنفس**) أي يحل قتلها قصاصًا بالنفس التي قتلتها عمدًا عدوانًا بشروط :

الأول : أن يكون القاتل بالغًا .

الثاني : أن يكون عاقلاً .

الثالث : ألا يكون أصلاً للمقتول .

الرابع : ألا يكون المقتول أنقص منه برقٍّ أو كفر .

فإذا انتفى شرط من ذلك فلا قتل وتجب الدية .

وقال مالك : يُقتل الوالد بولده إذا أضجعه وذبحه .

وقال أبو حنيفة : يُقتل الحر بعبد غيره ، ويقتل المسلم بالذمي .

وحُكي أنه رُفِعَ لأبي يوسف[1] مسلم قتل ذميًا فحكم عليه بالقود ، أي القتل ، فأتاه

---

(1) يعقوب بن إبراهيم القاضي صاحب أبي حنيفة ، وحامل لواء المذهب ، قال أبو حنيفة : أبو يوسف أعلم أصحابي ، توفي سنة 182 هـ .

انظر : « البداية والنهاية » (10 / 180) ، « طبقات الفقهاء » للشيرازي ص 128 .

رجل برقعة من شاعر فألقاها إليه ، **فإذا فيها هذه الأبيات** :

يـا قـاتـل الـمـسـلـم بـالـكـافـر جـرْتَ ومـا الـعـادل كـالـجـائـر

يـا مـن بـبـغـداد وأطـرافـهـا مـن فـقـهـاء الـنـاس أو شـاعـر

جـار عـلـى الـدِّيـن أبـو يـوسـف بِـقَـتْـلِـه الـمـسـلـم بـالـكـافـر

فـاسترجعوا وابـكـوا عـلـى ديـنـكـم واصْـبِـرُوا فـالأجـرُ لـلـصَّـابـر

فأخذ أبو يوسف الرقعة ، ودخل بها على الرشيد ، فأخبره بالحال ، وقرأ عليه الرقعة ، **فقال له الرشيد** : تدارك هذا الأمر بحيلة لئلا يكون منه فتنة . فخرج أبو يوسف وطالب أولياء المقتول بالبينة على صحة الذمة وأداء الجزية فلم يأتوا بها ، فأسقط القود وحكم بالدية[1] .

(**والتارك لدينه**) أي المرتد عن دين الإسلام - والعياذ بالله تعالى - فيحل قتله لخبر : « **من بدَّل دينه فاقتلوه** »[2] .

وقوله : (**المفارق للجماعة**) تفسير للتارك لدينه ، فهو صفة مؤكدة ؛ لأنَّ المراد بالجماعة جماعة المسلمين وفراقهم هو الردة عن الدين ، فالمراد المفارقة بالقلب والاعتقاد ، أو بالفعل المكفّر كالسجود للصنم لا المفارقة بالبدن .

واعلم أن من المكفِّرات تعمّد إلقاء المصحف في قاذورة ، وقذف الرسول أو النبي والاستخفاف به وتكذيبه ، وكذا تكذيب الله بالأولى ؛ كأن ينفي صحبة أبي بكر أو يرمي بنته عائشة بما برّأها الله منه .

ولا يجوز قتل المرتد حتى يستتاب حالاً . ونُقِلَ عن مالك أنه يُمهل ثلاثة أيام فإن تاب لم يُقتل .

ثم إن الردة أفحش أنواع الكفر وأكبر أنواع الكبائر ، ويليها القتل ظلمًا ثم الزنى ثم القذف ثم السرقة ثم شرب الخمر ثم الربا والغصب .

---

(1) **انظر** الأبيات مع القصة في : « أخبار أبي حنيفة » للصيمري ص 105، « الحاوي الكبير » للماوردي (12 / 15) ، « تاريخ بغداد » (14 / 254) ، وقد عزوا الأبيات إلى أبي المضرجي شاعر بغداد .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (6524) ، وأبو داود (4351) ، والنسائي (7 / 104) ، والترمذي (1458) .

تتمة : ذكر صاحب « **رحمة الأمة** »[1] أن المختار عند جمهور أصحاب الإمام أحمد أن تارك الصلاة يُقتل كالمرتد ويجري عليه أحكام المرتدين ؛ فلا يُصلَّى عليه ولا يورث ، ويكون ماله فَيْئًا . والمعتمد في مذهبنا معاشر الشافعية أنه يُقتل بالسيف حدًّا . **وقيل** : يُنخس بحديدة حتى يُصلي أو يموت . **وقيل** : يُضرب بخشبة حتى يُصلِّي أو يموت أيضًا ؛ لأن المقصود حمله على الصلاة لا قتله كما قاله الرملي[2] .

وعند أبي حنيفة يُحبس أبدًا حتى يُصلِّي هذا . وحكمه بعد القتل أو الموت حكم المسلم فيغسّل ويُكفّن ويُصلَّى عليه ويُدفن في مقابر المسلمين .

ثم إن هذا الحديث (**رواه البخاري**) في كتاب الديات (**ومسلم**) في الحدود .



(1) **هو محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي** المعروف بقاضي صفد كان حيًّا سنة 780 هـ ، واسم كتابه « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » .
انظر : « كشف الظنون » (1 / 836) ، « هدية العارفين » (6 / 170) .

(2) **هو أحمد بن حمزة شمس الدين الرملي الصغير** (ت 1004 هـ) .
انظر كلامه في « نهاية المحتاج شرح المنهاج » (2 / 431) مع « مغني المحتاج » (1 / 328) .

الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي هريرة**) وتقدم ما يتعلق به (**رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**) أي من كان يريد كمال الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهو يوم القيامة (**فليقل خيرًا أو ليصمت**) بسكون لام الأمر في الأول لوقوعها بعد الفاء ، ويجوز فيها الكسر . وأما في الثاني فيتعيَّن فيها الكسر . وضبط المصنِّف يصمُت بفتح الياء وضم الميم ، وضبطه غيره بكسرها .

والمعنى : فليفعل أفعال المؤمنين الكاملين في إيمانهم من قول الخير وهو ما فيه ثواب أو الصمت – أي السكوت – عما لا خير فيه . وهو شامل للصمت عن الحرام والمكروه ، بل وعن المباح أيضًا ؛ لأنه لا خير فيه ، وربما جرَّ إلى مكروه أو حرام . وعلى تقدير أنه لا يجر إليهما ففيه ضياع للوقت فيما لا يعني . وقد مرَّ : « **من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** »[2] .

وقيل : إن الإنسان إما أن يتكلم أو يسكت ، فإن تكلم فإما بخير فهو ربح ، وإما بشرٍّ فهو خسران . وإن سكت فإما عن شر فربح ، وإما عن خير فخسران ، فله كلامه وسكوته ربحان ينبغي تحصيلهما ، وخسرانان ينبغي التخلص منهما .

وذكر بعضهم أن **الكلام أربعة أقسام** : ضرر محض ، ونفع محض ، وضرر ومنفعة ، ولا ضرر ولا منفعة . فالضرر المحض لابدَّ من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة ، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول ، والاشتغال به تضييع

---

(1) **متفق عليه** : رواه البخاري (5672) ، ومسلم (47) .

(2) سبق .

للزمان ، وهو عين الخسران ، فلا يبقى إلا القسم الرابع ، أي وهو النفع المحض ، وفيه خطر إذ قد يجر ما فيه إثم من الرياء والعجب ونحوهما ، فينبغي التفطّن لذلك .

وفي الحديث : « **ألا أنبئكم بأمرين خفيفين لم يلق الله بمثلهما : الصَّمت وحسن الخلق** »[1] .

وقال لقمان لابنه : لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب[2] ، ومعناه كما **قال ابن المبارك** : لو كان الكلام في طاعة الله من فضة لكان السكوت عن معصية الله من ذهب[3] .

وما أحسن قول بعضهم[4] :

قالوا : سكوتُك حرمان ، فقلت لهم : ما قدَّر الله يأتيني بلا نصب
ولو يكون كلامي حين أنشره من اللجَين لكان الصمتُ من ذهب

واللُّجين : بالضم الفضة .

وقال ذو النون المصري[5] - رحمه الله تعالى - : أحسن الناس لنفسه أملكهم للسانه[6] .

وقال أيضًا : بينا أنا أسير في نواحي الشام إذ ظهرت لي روضة خضراء ، وفي وسطها شاب قائم يصلي تحت شجرة تفاح ، فتقدَّمتُ إليه وسلّمتُ عليه فلم يرد عليَّ

---

(1) **حسن** : رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (27) ، وهناد في « الزهد » (2 / 545) مرسلًا ، وموصولاً بلفظ مقارب عند ابن أبي الدنيا في « الصمت » (112) ، وأبي الشيخ في « طبقات المحدثين » (4 / 303) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 239) ، والبزار (13 / 359) ، **وقال المنذري في** « الترغيب » (3 / 274) : إسناده جيد ورواته ثقات .

(2) **الخبر** : عند أحمد في « الزهد » ص 49 ، وابن أبي عاصم في « الزهد » ص 29 .

(3) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (736) ، وذكره ابن رجب في « شرح الأربعين » ص 136 .

(4) هو **هلال بن مقلد بن سعد اليعقوبي المؤدب الشاعر** كما في « الوافي بالوفيات » للصفدي (27 / 221) ، وعزاه محمد بن عمر النواوي في « تنقيح القول الحثيث » ص 65 إلى إبراهيم العتكي الشاعر .

(5) هو **ثوبان بن إبراهيم المصري** ، أبو الفيض ، الزَّاهد العابد أحد أئمة التصوف والمجاهدة . توفي سنة 245 هـ . **انظر** : « صفة الصفوة » (4 / 315) ، « لسان الميزان » (2 / 437) ، « المنتظم » (11 / 344) .

(6) المناوي في « فيض القدير » (2 / 197) .

السلام ، فسلَّمتُ عليه ثانيًا فأوجز أي أسرع في صلاته ، ثم كتب في الأرض بأصبعه :

منع اللسان من الكلام لأنه هدف البلاء وجالب الآفات

فإذا نطقت فكن لربك ذاكرًا لا تنسه واحمده في الحالات

قال ذو النون : فبكيت طويلًا ، وكتبت بأصبعي في الأرض :

وما من كاتب إلا سيبلى ويفني الدهرُ ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفّك غير شيء يسرّك في القيامة أن تراه[1]

قال : فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها ، فقمتُ لآخذ في غسله وتكفينه وإذا بقائل **يقول** : خلِّ عنه ، أي اتركه ، فإنَّ الله ﷻ وعده ألا يتولَّى أمره إلا الملائكة .

قال ذو النون : فملتُ إلى شجرة فركعت عندها ركعتين ، ثم أتيت إلى الموضع الذي مات فيه فلم أجد له أثرًا ، ولا عرفت له خبرًا .

وقيل : إنَّ أدنى نفع الصمت السلامة وأدنى ضرر النُّطق الندامة .

وقال لقمان عليه السلام **لابنه** : يا بني إذا افتخر الناس عليك بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك[2] .

وقد ورد في الحديث : « **من صمت نجا** »[3] .

وقال سفيان – رضي الله تعالى عنه – : الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمة من زيغ النطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه[4] .

وقيل لبعضهم : أوصني ، **فقال** : إن شئت جمعتُ لك عِلْمَ العلماء وحكم الحكماء وطِبّ الأطباء في ثلاث كلمات ، أمَّا علم العلماء فإذا سُئِلْتَ عما لا تعلم فقل : لا أعلم .

---

(1) **انظر** البيتين في : « العقد الفريد » (2/ 71) ، « محاضرات الأدباء » (1/ 131) ، و« الذخيرة » لابن بسّام (2/ 574) .

(2) **انظر** : « المستطرف » (1 / 188) .

(3) **صحيح** : رواه الترمذي (2501) ، وأحمد (2 / 159) ، وابن المبارك في « الزهد » (385) ، وابن وهب في « الجامع » (302) ، **وقال المنذري** : رواته ثقات ، **وقال ابن مفلح في** « الآداب » (1 / 63) : حديث صحيح .

(4) الأثر رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » ص 43 ، عن الأحنف بن قيس ، وعزاه الجاحظ في « المحاسن والأضداد » ص 17 ، والبيهقي في « المحاسن والمساوي » ص 291، إلى علي بن عبيدة الريحاني المتكلم الأديب صاحب التصانيف .

وأما حكم الحكماء فإذا كنت جليس قوم فكن أسكتهم ، فإن أصابوا كنت من جملتهم ، وإن أخطئوا سلمت من خطئهم .

وأما طب الأطباء فإذا أكلت طعامًا فلا تقم إلا ونفسك تشتهيه فإنه لا يلم بجسدك ، أي لا ينزل به ، غير مرض الموت .

وقال الحسن البصري - رضي الله تعالى عنه - : من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر ماله كثر إثمه ، ومن ساء خُلُقه عذّب نفسه[1] .

ومن وصايا بعض الأكابر : إياك وكثرة الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويحرّك من عدوّك ما سكن .

وقيل : إنما جُعل لك لسان واحد وأذنان ليكون ما تسمع أكثر مما تقول .

وقال الأصمعي : بلغني أن رجلًا **قال لآخر** : والله لئن قلت لي كلمة واحدة لتسمعن عشرًا ، **فقال** : لكنك لو قلت عشرًا لم تسمع واحدة[2] .

وأنشد بعضهم :

إذا نطق السَّفيه فلا تُجِبْهُ   فخَيرٌ من إجابته السُّكوت

سكتُّ عن السفيه فظنَّ أني   عييتُ[3] عن الجواب وما عييت

ولكني اكتسيتُ بثوب حلمٍ   وجنّبتُ السفاهة[4] ما بقيت[5]

وأنشد الأصمعي :

وما شيء أحب إلى لئيم   إذا شتم الكريم من الجواب

---

(1) **الأثر** : مروي عن عمر ﷺ عند ابن أبي الدنيا في « الصمت » (53) ، وفي « الحلم » ص 77 ، والعقيلي في « الضعفاء » (3 / 316) ، ورُوِي مرفوعًا عند العقيلي (3 / 384) ، والطبراني في « الأوسط » (6 / 328) ، والأصح وقفه .

(2) ذكره الطرطوشي في « سراج الملوك » ص 68 .

(3) **عييتُ** : أي عجزتُ .

(4) **وجنبتُ السفاهة** : أي تباعدت عنها .

(5) **انظر** أصل الأبيات في : « الصمت » لابن أبي الدنيا ص 302 ، و« روضة العقلاء » لابن حبان ص 140 ، و« أدب الدنيا والدين » للماوردي ص 311 ، و« شعب الإيمان » (6 / 362) مع اختلاف في البيت الثالث منها .

متاركة اللئيم بلا جواب أشد على اللئيم من السِّباب[1]

وحُكي أن زين العابدين[2] – رضي الله تعالى عنه – خرج يومًا من المسجد ، فلقيه رجل فسبّه ، فتبادر إليه العبيد والموالي ، **فقال لهم زين العابدين** : مهلاً عن الرجل ، ثم أقبل عليه **وقال له** : ما ستر عليك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك **يقول** : أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ[3] .

والخميصةُ : ثوب خز أو صوف معلَّم . **وقيل** : لا تُسمَّى خميصة إلا أن تكون سوداء معلَّمة . وكانت من لباس الناس قديمًا .

وقال في « حلية الأولياء » : لا ينبغي للإنسان أن يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه ، كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه .

وقال أيضًا : لو كنتم تشترون الورق للحفظة لأمسكتم عن كثير من الكلام[4] .

وقيل لبعضهم : لِمَ لزمت السكوت ؟ **فقال** : إني لم أندم على السكوت قط ، وقد ندمت على الكلام مرارًا .

وقال الغزالي – رحمه الله تعالى – : لا تبسطن لسانك فيفسدن عليك شأنك .

وقال علي في وصية لابنه الحسين – رضي الله تعالى عنهما – : يا بني أمسك عليك لسانك ؛ فإن إتلاف المرء في منطقه .

وقال بعضهم – رحمة الله تعالى عليه – :

احفظ لسانك واستعذ من شرِّه إن اللسان هو العدو الذَّابح

---

(1) **انظر** البيتين في : « الجليس الصالح » للنهرواني ص 383 ، « شعب الإيمان » للبيهقي (6 / 362) ، و« فيض القدير » (1 / 122) .

(2) هو **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي** ، ثقة عابد فقيه ، فاضل ، من أكابر علماء أهل البيت وأحسنهم طاعة ، **قال الزهري** : ما رأيت أفقه منه . توفي سنة 94 هـ .
انظر : « تهذيب الكمال » (20 / 386) ، « تهذيب التهذيب » (7 / 268) ، « الكاشف » (2 / 37) .

(3) **الأثر** : رواه ابن عساكر في « تاريخه » (41 / 394) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (6 / 327) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (20 / 397) .

(4) **انظر** ذلك في « حلية الأولياء » لأبي نعيم (2 / 385) .

وزِن الكلامَ إذا نطقت بمجلسٍ وزنًا يلوح به الصواب اللائحُ

فالصمتُ من سَعْدِ السُّعود بمطلعٍ يحمي الفتى والنطق سَبْعٌ ذابحُ

فينبغي للإنسان أن يقلِّل كلامه ما استطاع خصوصًا فيما نُهي عن الكلام فيه كبعد فعل صلاة العشاء[1] ، فإنه يُكره إذا لم يتعلق به مصلحة دينية ؛ كتعليم العلوم الشرعية وتلاوة القرآن أو الذِّكر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإصلاح بين الناس ، وكلمة حق عند من له شوكة ، والكلام مع الحليلة والضيف ، أو مصلحة دنيوية مما يتعلق بضرورة الإنسان كقم وخُذْ وكُلْ ونحو ذلك .

ومن وصايا بعض العارفين : اترك الكلام إلا فيما لابد منه ، واترك طلب الدنيا إلا فيما لابد منه ، واترك مخالطة الناس إلا فيما لابد منه .

(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) أي فليحسن إليه بالبِشْر وطلاقة الوجه .

وقال بعضهم : حُسْنُ الجوار في أربعة أشياء : أن يواسيه بما عنده ، وألاَّ يطمع فيما لجاره ، وأن يمنع أذاه عنه ، وأن يصبر على أذيته .

وقيل : إنَّ من إكرامه ألاَّ يمنعه من غَرْز خشبة في جداره .

ورُوي عن معاوية بن حيدة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **حق الجار إن مرض عُدته ، وإن مات شيعته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن ارتكب أمرًا يعيبه سترته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزَّيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسدَّ عليه الريح ، ولا تؤذه بريح قِدْرك إلا أن تغرف له منها** »[2] .

وفي بعض الروايات : « **وإن اشتريت فاكهة فأهْدِ له منها ، فإن لم تفعل فأدخلها**

---

(1) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « **جدب لنا** (يعني زجرنا) **رسول الله ﷺ السّمر بعد العشاء** » رواه ابن ماجه (703) ، وأحمد (1 / 388) ، وابن حبان (2031) بسند حسن . وفي حديث البخاري (574) ، وأبي داود (4849) عن أبي برزة الأسلمي : « **كان رسول الله ﷺ ينهى عن النوم قبلها** (يعني صلاة العشاء) **والحديث بعدها** » .

(2) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الكبير » (19 / 419) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 84) ، وفي سنده أبو بكر الهذلي ، وهو ضعيف كما في « مجمع الزوائد » (8 / 165) .

سرًا ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده »[1] .

وفي رواية لمسلم : « **يا أبا ذر إذا طبخت فأكثر المرق وتعاهد جيرانك »**[2] .

واعلم أنّ الجار يطلق على السّاكن مع غيره في بيتٍ ، وعلى الملاصق ، وعلى أربعين دارًا من كل جانب .

وقد وردت أخبار كثيرة في إكرامه والوصية به وكف الأذى عنه . منها ما في رواية عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أنه ﷺ قال : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »**[3] .

ومنها : ما في رواية عن أنس أيضًا مرفوعًا : « **ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به »**[4] .

ومنها ما رُوي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال : « **كم من جار يتعلّق بجاره يوم القيامة يقول : يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنعني معروفه »**[5] .

ومنها ما رُوي عن أبي شريح - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ قال : « **والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن » قالوا** : لقد خاب وخسر ، من هو يا رسول الله ؟ قال : « **من لا يأمن جاره بوائقه »**[6] . أي غوائله وشروره .

ومنها ما رُوي عنه ﷺ أنه قال : « **من آذى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله »**[7] .

---

(1) **ضعيف** : رواه الخرائطي في « المنتقى من مكارم الأخلاق » (104) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (3/ 339) ، وابن عدي في « الكامل » (5 / 171) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 83) بسند ضعّفه العراقي في « تخريج الإحياء » (1 / 523) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري في « الأدب المفرد » (114) ، ومسلم (2625) ، وأحمد (5 / 149) .

(3) **صحيح** : رواه البزار (13 / 311) عن أنس بسند فيه ضعف ، وهو ثابت من حديث عائشة وابن عمر عند البخاري (5668) (2624 ، 2625) .

(4) **صحيح** : رواه البخاري في « الأدب » (112) ، والطبراني في « الكبير » (1 / 259) ، واللفظ له ، وأبو يعلى (5/ 92) ، والبيهقي في « الشعب » (5/ 31) ، **وانظر** : « الترغيب » (3/ 243) ، و« فيض القدير » (5/ 407) .

(5) **ضعيف** : رواه المروزي في « البر والصلة » (251) ، والأصبهاني في « الترغيب » (848) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (346) ، وضعفه المنذري في « الترغيب » (3 / 244) .

(6) **متفق عليه** : رواه البخاري (5670) ، ومسلم (46) .

(7) رواه أبو الشيخ وأبو نعيم ، وذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (3/ 615) ، والثعلبي في « تفسيره » (3/ 305) ، وذكره المنذري في « الترغيب » (3 / 241) بصيغة التضعيف .

ومنها ما رواه البيهقي أن رسول الله ﷺ قال : « **من أحبَّ أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث ، وليؤد الأمانة ، ولا يؤذ جاره** »[1] .

ومنها ما روي أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ يشكو جاره ، فقال النبي ﷺ : « **كفّ أذاك عنه ، واصبر على أذاه ، فكفى بالموت مفرّقًا** »[2] .

وحُكي أنه كان لمالك بن دينار جار يهودي فحوّل مستحمّه إلى جدار البيت الذي فيه مالك ، وكان الجدار متهدمًا ، فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظّف البيت في كل يوم ولم يقل شيئًا ، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى ، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة ، **فقال له** : يا مالك آذيتُك وأنت صابر ولم تخبرني ، **فقال له** : قال رسول الله ﷺ : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** »[3] فندم اليهودي وأسلم وحسُن إسلامه .

ورُوي عن سفيان الثوري – رضي الله تعالى عنه – أنه **قال** : عشرة أشياء من الجفاء[4] :

أولـهـا : رجل يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين والمؤمنات .

والثاني : رجل يتعلم القرآن ولا يقرأ منه في كل يوم مائة آية .

والثالث : رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين .

والرابع : رجل يمر على المقابر ولم يسلم على أهلها ، ولم يَدْعُ لهم .

والخامس : رجل دخل المدينة في يوم الجمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة .

والسادس : رجل نزل في محلته رجل عالم ولم يذهب ليتعلم منه شيئًا من العلم .

---

(1) **فيه مقال** : رواه عبد الرزاق في « الجامع » (11 / 7) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (266) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (4 / 1838) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 81) ، وفيه الحسن بن جعفر وهو ضعيف كما في « الكاشف » (1 / 322) ، « التهذيب » (2 / 227) .

(2) **ضعيف** : رواه الحارث في « مسنده » (زوائد الهيثمي) (908) مسندًا ، وفيه ضعف كما قال العراقي في « تخريج الإحياء » (2 / 1201) ، وهو عند المروزي في « البر والصلة » (222) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (328) مرسلًا عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، وهو الأشبه .

(3) سبق .

(4) الجفاء : غلظ الطبع ، وترك الصلة والبر .

والسابع : رجلان ترافقا ولم يسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه .

والثامن : رجل دعاه رجل إلى ضيافة فأجابه ثم لم يذهب إلى الضيافة .

والتاسع : شاب يضيّع شبابه ولم يطلب العلم والأدب .

والعاشر : رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه من طعامه شيئًا .

ونُقل عن الإمام أحمد - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : يجب على الشخص أن يبذل للجار ما يحتاج إليه من فضْل ما عنده بما لا يضر به إذا علم حاجته .

ونُقِل عنه أيضًا أنه **قال** : يبدأ بنفسه وبمن تلزمه مئونته ، فإن فضل شيء أعطى الأقرب إليه مسكنًا ؛ لأنه آكد من غيره لرؤيته ما يدخل بيت جاره ، فيتشوّق إليه بخلاف الأبعد .

ورُوي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها **قالت** : قلتُ : يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أُهدي بضم الهمزة ؟ قال : « **إلى أقربهما منكِ بابًا** »[1] .

ويُندب تقديم الأحوج فالأحوج خصوصًا إذا كان ذا قرابة ، أو امرأة أرملة ومعها أيتام . ورُوي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران ، وجار له حقّان ، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران ، فأمّا الذي له حق واحد : فجار مشرك له حق الجوار ، وأما الذي له حقان : فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق : فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم »[2] .

وورد في الحديث الشريف : « **حُسْنُ الجوار عمارة الديار وزيادة الأعمار** »[3] .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2140) ، وأحمد (6 / 175) ، والطيالسي (1529) .

(2) **ضعيف** ، والأصح أنه مرسل : رواه أبو نعيم في « الحلية » (5 / 207) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (3 / 356) ، والبزار « كشف الأستار » (1896) بسند فيه الحارثي ، وهو وضّاع كما في « المجمع » للهيثمي (8 / 164) ، « تخريج الإحياء » للعراقي (1 / 520) ، وقد رُوي مرسلًا بمعناه عن جماعة من السلف عند ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (341) ، وهناد في « الزهد » (2 / 504) ، وهو الأشبه بالصواب .

(3) **صحيح** : الحديث مروي بلفظ : « **ثلاثة يعمرن الديار ويزدن في الأعمار** : **حسن الجوار ، وصلة الرحم ، وحسن الخُلُق** » ورُوي بألفاظ متقاربة عند ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (329) (340) ، وأحمد (6 / 159) ، وهو صحيح بشواهده .

انظر : « الترغيب » (3 / 228) ، « تخريج الآثار » للزيلعي (3 / 151) .

وليعلم أنه كما يطلب من الشخص إكرام الجار مع الحائل يطلب منه إكرام الملكين الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما حائل ، فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مرور الساعات والأوقات ، فقد ورد أنهما يسرّان بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات ، فينبغي مراعاة حقهما بالإكثار من عمل الطاعات ، والتباعد عن المعاصي والمخالفات ، فهما أولى بالإكرام والإحسان من كثير من الجيران .

(**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**) واحدًا كان أو متعددًا ، غنيًّا أو فقيرًا ، وإكرامه إحسان ضيافته بالبِشْر في وجهه ، وطِيب الحديث معه ، وبَسْط فراش له ، وإجلاسه في صدر المجلس ، وإطعامه ثلاثة أيام بقدر وسعه ، ثم موادعته بلطف . وينبغي خدمته بنفسه تأسّيًا واقتداءً بالمصطفى ﷺ ، فقد رُوي أنه فعل ذلك كإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - ، واقتدى بهما الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ويُكره التكلّف له ؛ لقول سلمان - رضي الله تعالى عنه - : « **أمرنا رسول الله ﷺ ألا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدّم ما حضرنا** »[1] .

وورد : « **لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه ، فإن من أبغض الضيف فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله أبغضه** »[2] ، ومن ثم **قال بعضهم** : ما أبالي من أتاني من إخواني فإني لا أتكلّف له ، إنما أُقرِّب ما عندي ، ولو تكلّفت له لكرهت مجيئه وملته ، أي سئمته .

وفسّر بعض السلف التكلُّف بأن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت ، بأن تزيد عليه في الجودة والقيمة ، وهذا لا ينافي حديث : « **من لذَّذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف**

---

(1) **حسن بشواهده** : رواه البزار في « مسنده » (6 / 482) ، والخرائطي في « منتقى مكارم الأخلاق » (136) ، والطبراني في « الكبير » (6 / 235) من طرق ، والحاكم (4 / 137) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 94) ، **وقال الذهبي** : سنده لين ، **قلت** : وهو حسن بشواهده وطرقه .

انظر : « مجمع الزوائد » (8 / 179) ، « الإرواء » (7 / 19) .

(2) **ضعيف** : رواه أبو بكر بن لال في « مكارم الأخلاق » ، وفيه محمد بن الأزرق ، وهو متكلّم فيه . قاله العراقي في « تخريج الإحياء » (2 / 12) .

ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وأطعمه الله من ثلاث جنات : جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد »[1] اهـ . لأنه محمول على ما إذا كان حاضرًا عنده أو لم يكن حاضرًا ، وكان قادرًا على ثمنه ، ولم يترتب على الإتيان به مشقة .

وينبغي تعجيل إحضار ما حضر من الطعام إلى الضيف ، ويبدأ بتقديم الفاكهة إن كانت ، وأفضل ما يقدّم بعدها اللحم والثريد ، فإن أتى بحلاوة بعد ذلك فقد جمع الطيبات .

وكان المتقدمون يقدِّمون جميع الألوان دفعة ، ويصفون الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي ، وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ، ولا ينتظروا أطيب منه .

وينبغي الأكل مع الضيف وتلقيمه ، فقد رُوي عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : صَنَعَ النبي ﷺ طعامًا ودعا أصحابه ، فأطعمهم بيده لقمة لقمة ، وقال : « **سيد القوم خادمهم** »[2] .

وعن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **إذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه بيده ، فإذا فعل ذلك كُتِبَ له به عمل سنة صيام نهارها وقيام ليلها** »[3] .

وكان السلف الصالح يفرحون بالضيف ، ويعدون الليلة التي يجيء فيها كأنها ليلة عيد ، وذلك لما يحصل لهم فيها من السرور بقدومه .

وحُكي أنه كان لعبد الله بن المبارك - رضي الله تعالى عنه - فرس فجاءه ضيف

---

(1) **باطل** : ذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 88) ، وتبعه الذهبي في « تلخيص الموضوعات » ص 200 ، وفي « الميزان » (6 / 356) ، **ونقلوا عن أحمد قوله** : هذا خبر باطل .

(2) ذكره العجلوني في « كشف الخفا » (1 / 562) ، **ونقل عن السيوطي قوله** : هذا الحديث كذب مفترى ، قلت : وشطره الأخير ، مروي عند ابن المبارك في « الجهاد » (207) مرسلًا بسند ضعيف ، وأسنده ابن الجوزي في « المنتظم » (10 / 63) ، والرافعي في « تاريخ قزوين » (4 / 57) ، والسلمي في « آداب الصحبة » ص 90 بشطره الأخير فقط ، وسنده ضعيف كما في « المقاصد الحسنة » للسخاوي ص 395 .

(3) ذكره المناوي في « فيض القدير » (6 / 210) ، والزرقاني في « شرحه على الموطأ » (4 / 387) ، وعزاه إلى « المنتخب من الفردوس » مرفوعًا ولم أقف على سنده .

فذبحه له ، فخاصمته زوجته فطلّقها ، **ثم** جاءه رجل **فقال له** : إن لي بنتًا جميلة ، فزوّجه إياها ، وأرسل معها عشرة من الخيل ، فرأى عبد الله في منامه **قائلاً يقول له** : إنك طلّقت لأجلنا عجوزًا فقد زوجناك بكرًا ، وذبحت لنا فرسًا فقد أعطيناك عشرًا .

وقيل : إن أوّل من أضاف سيدنا إبراهيم الخليل – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – ، وكان يُكنى أبا الضيفان ، وكان يمشي الميل والميلين في طلب الضيف ، واتفق له قضيتان متعارضتان شُكِرَ في واحدة وعُوتِبَ في أخرى :

أما الأولى : فإنه نزل به رجل من عبدة الأوثان فأكرمه فضجّت الملائكة في السماوات **وقالوا** : يا ربنا خليلك يكرم عدوك ؟ **فقال لهم** : أنا أعلم بخليلي منكم ، ثم أمر جبريل فنزل وعرض عليه قول الملائكة فبكى ، **وقال** : يا جبريل أنا تعلمت من مولاي ، رأيته يحسن إلى من يسيء .

وأما الأخرى : فإنه نزل به رجل آخر من عبدة الأوثان أيضًا فاستضافه فأبى عليه إلا أن يترك دينه ، فانصرف ، فأمر الله جبريل أن ينزل إليه ، فنزل إليه **وقال له** : يقول لك ربك : استضافك عبدي فأبيت إلا أن يترك دينه ، وأنا أرزقه ثمانين سنة على شركه! فبكى إبراهيم وقام يقفو أثر الوثني ، أي يتبعه ، إلى أن لحق به فعرض عليه الرجوع فأبى إلا أن يخبره بسبب ذلك ، **فقال له إبراهيم** : إن الله عاتبني فيك ، وأخبره ، فبكى الوثني ، **وقال** : يا إبراهيم أسلمتُ لله رب العالمين .

ثم إن الضيافة سنّة عند الجمهور كالشافعي ومالك وأبي حنيفة ، وذهب أحمد والليث إلى وجوبها لمسلم مسافر في قرية يومًا وليلة قدر كفايته ودابته ، مع إنزاله في بيته إن لم يكن هناك مسجد ونحوه . ومحل الخلاف بينهما وبين الجمهور في حق من عنده فاضل عن قوته وقوت عياله كزكاة الفطر أما غيرَه فلا ضيافة عليه .

وينبغي للضيف ألا يزيد في إقامته على ثلاثة أيام إلاّ إذا ألحّ عليه من أضافه عن خلوص قلبه ويعلم ذلك بالقرائن ، وينبغي له أن ينصرف طيِّب النفس وإن جرى في حقه تقصير ؛ لأنه من حُسن الخلق والتواضع .

وهذا الحديث حديث عظيم تتفرّع منه آداب الخير . **وقيل فيه** : إنه نِصْف الإسلام ؛ لأن الأحكام إما أن تتعلَّق بالحق أو الخلق ، وهذا أفاد الثاني ؛ إذ المقصود منه أن من

كان كامل الإيمان فهو متَّصف بالشفقة على خلق الله تعالى قولاً بالخير ، أو سكوتًا عن الشر ، أو فعلاً لما ينفع ، أو تركًا لما يضر .

(**رواه البخاري**) في الأدب (**ومسلم**) في باب : الحث على إكرام الجار والضيف من كتاب الإيمان .



الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنْ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي . قَالَ : « **لاَ تَغْضَبْ** » . فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ : « **لاَ تَغْضَبْ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1] .

. . . .

(**عن أبي هريرة**) وتقدّم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنه أن رجلًا**) **قيل** : هو أبو الدرداء ، **وقيل** : سفيان بن عبد الله الثقفي ، **وقيل** : عبد الله بن عمر ، **وقيل** غير ذلك . واستظهر الولي العراقي[2] أن السائل عما يأتي تعدد (**قال للنبي** ﷺ : **أوصني**) أي دُلّني على ما ينفعني دينًا ودنيا ، ويقرّبني إلى الله ﷻ : (**قال** : **لا تغضب**) يُحتمل أنَّ **المراد** لا تفعل الأسباب المقتضية للغضب ، وافعل الأسباب التي تنفيه ؛ كالحلم وحُسْن الخلق والحياء والتواضع وكفّ الأذى والعفو وبشاشة الوجه .

ويُحتمل أن **المراد** : لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل من ارتكاب ما يترتب عليه من الانتقام ، بل جاهد نفسك على تَرْكِ تنفيذه بأن تكظم غيظك بالحلم والخوف من الله تعالى .

(**فردّد**) أي كرّر الرجل طَلَبَ الوصية (**مرارًا**) **بقوله** : أوصني ، وكأنه لم يقنع بقوله ﷺ : « **لا تغضب** » فطلب منه وصيّة أبلغ منها وأنفع ، فلم يزده ﷺ في كل مرة عليها بل أعادها له ، حيث (**قال**) وفي بعض النسخ فقال : (**لا تغضب**) وجاء في رواية عثمان بن أبي شيبة[3] قال : « **لا تغضب** » ثلاث مرات ، فأفصح فيها ببيان عدد المرار .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (5765) ، والترمذي (2020) ، وأحمد (2 / 266) .

(2) **أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين** ، ولي الدين أبو زرعة العراقي فقيه ، محدّث ، حافظ ، قاضي القضاة ، العراقي الأصل المصري المولد ، ابن الحافظ العراقي ، توفي سنة 826 هـ .

انظر : « طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (4 / 80 - 82) .

(3) **عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي** ، فقيه ، حافظ ، من كبار أئمة الحديث ، روى عنه الجماعة . وتوفي سنة 239 هـ .

انظر : « الكاشف » (2 / 12) ، « معرفة الثقات » للعجلي (2 / 130) .

وفي تكرير هذه الوصية تنبيه للسائل على عظمها وعموم نفعها ؛ لما فيها من جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، أي دفعها .

ونظير هذا ما وقع للعباس - رضي الله تعالى عنه - من قوله للنبي ﷺ : علِّمني دعاءً أدعو به يا رسول الله ، فقال ﷺ : « **سل الله العافية** » فعاوده العباس مرارًا ، فقال له : « **يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة فإنك إذا أُعطيت العافية في الدنيا والآخرة أعطيت كل خير** »[1] .

وفي رواية **قال رجل** : يا رسول الله علمني عملًا يدخلني الجنة ، قال : « **لا تغضب** » فأعاد عليه القول ، فقال : « **لا تغضب** » ثم قال له : « **استغفر الله تعالى قبل صلاة العصر سبعين مرة يكفّر عنك ذنوب سبعين عامًا** » **قال** : فإن لم تأت على ذنوب سبعين عامًا ، قال : « **يُغفر لأمك** » **قال** : ما لها ذلك ، قال : « **لأبيك** » **قال** : ما له ذلك ، قال : « **لإخوانك** » **قال** : نعم[2] .

ورُوي عن أنس أن رجلًا **قال** : يا رسول الله فما أشد من كل شيء ؟ قال : « **غضب الله** » **قال** : فما ينجي من غضب الله ؟ قال : « **لا تغضب** »[3] .

والغضب في حق الله تعالى إرادة الانتقام ، وأما في حق الآدمي فهو ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه إلى الشخص ، **وقيل** : تغيّر يتبعه غليان دم القلب لإرادة الانتقام . وله دواء مانع ودواء رافع ، فالمانع كأن يتذكر ما يترتب عليه من المفاسد وما جاء في فضل الحلم وكظم الغيظ ، والرافع كأن يتذكر ذلك وينتقل من موضعه ويستعيذ بالله من الشيطان ويغتسل أو يتوضأ ، وإن غضب وهو قائم جلس أو اضطجع ، وأقوى الأشياء في منعه ورفعه التوحيد الحقيقي ، وهو اعتقاد أنه لا فاعل حقيقة في الوجود إلا

---

(1) **حسن** : رواه أحمد (1 / 209) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (726) ، والترمذي (3514) ، والمقدسي في « المختارة » (8 / 378) ، وشطره الأخير ساقه بمعناه ، وهو عند الترمذي (3512) ، والطبراني في « الدعاء » (1298) ، وابن ماجه (3848) من حديث أنس ﷺ ، وحسّنه الترمذي ، وله شواهد .

(2) **فيه مقال** : رواه أبو نعيم في « الحلية » (8 / 368) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (14 / 425) بسند ضعيف .

(3) **مرسل** : رواه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » ص 349 ، والطيوري في « الطيوريات » (7 / 643) ، وهو بمعناه مروي عند ابن وهب في « الجامع » (2 / 515) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (5 / 267) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 308) ، وابن عبد البر في « الاستذكار » (8 / 286) ، وحسّنه الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » (2 / 841) .

الله وأن الخلق آلات ووسائط ، فمن توجَّه إليه مكروه من غيره ولاحظ أنه لا فاعل ، ولا معطي ، ولا مانع ، ولا نافع ، ولا ضار إلا الله تعالى ، اندفعت عنه آثار الغضب .

وقيل : إنه ينشأ عن الغضب تغيّر الظاهر والباطن والرّعدة في الأطراف وقُبْح الصورة ، حتى لو رأى الغضبان نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته .

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « **من دفع غيظه دفع الله عنه عذابه ، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته** »[1] .

وعنه ﷺ أنه قال : « **من كَظَم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء** »[2] .

وفي رواية : « **من كظم غيظًا وهو قادر على إمضائه ملأ الله قلبه نورًا وأمنًا وإيمانًا وزوَّجه من الحور العين ما شاء** »[3] .

وعنه ﷺ أنه قال : « **إذا كان يوم القيامة نادى مناد : من كان أجره على الله فليدخل الجنة ، فيقال : من ذا الذي أجره على الله ؟ فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب** »[4] .

وعنه ﷺ أنه قال : « **ليس الشديد بالصُّرعة** » بضم الصاد وفتح الراء أي الذي يصرع الناس كثيرًا بقوته : « **إنما الشديد الذي يملكُ نفسه عند الغضب** »[5] .

---

(1) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الأوسط » (2 / 82) ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (2 / 73) بسند ضعيف كما في « مجمع الزوائد » (8 / 68) ، و« الترغيب » (3 / 302) .

(2) **حسن** : رواه أبو داود (4777) ، والترمذي (2021) ، وابن ماجه (4186) ، وأحمد (3 / 440) ، وحسَّنَهُ الترمذي وغيره .

(3) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الغضب » كما في « كنز العمال » (3 / 56) ، وبلفظ مقارب عند العقيلي في « الضعفاء » (3 / 102) ، والخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (ص347) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (6 / 3086) ، ويشهد له ما قبله .

(4) **الأصح وقفه** : أصله عند البيهقي في « الشعب » (6 / 315) ، والعقيلي في « الضعفاء » (3 / 265) ، وابن عساكر في « تاريخه » (18 / 87) بسند فيه مقال ، ورواه الخرائطي في « المنتقى من مكارم الأخلاق » ص 87 عن الحسن البصري ، ورُوِيَ بمعناه عن مجاهد وابن عباس وجماعة من السلف ، وهو الأشبه بالصواب .

انظر : « تخريج الآثار » للزيلعي (3 / 243) ، « الدر المنثور » (7 / 359) .

(5) **صحيح** : رواه مالك (2 / 906) ، والبخاري (5763) ، ومسلم (2609) .

وحُكي عن بعضهم أنه قدَّم له خادمه طعامًا حارًّا في صحفة ، فعثر ، فوقع ما معه على سيده ، فامتلأ وجهه غيظًا ، فقال له الخادم : يا مولاي خذ بقول الله تعالى ، **فقال** : وما قال الله تعالى ؟ **قال الخادم** : قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ .

فقال السيد : كظمت غيظي ، **قال الخادم** : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ .

فقال : عفوتُ عنك ، **قال الخادم** : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : 134] .

فقال : أنت حر لوجه الله ، ولك هذه الألف دينار .

ونظير ذلك ما حُكي أن جارية كانت تصب الماء لعلي بن الحسين ، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجّه ، أي جرحه ، فرفع رأسه إليها ، **فقالت له** : إن الله ﷻ يقول : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ .

فقال لها : قد كظمت غيظي ، **قالت** : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ .

قال لها : قد عفا الله عنك ، **قالت** : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : 134] .

قال : اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى[1] .

ورُوي أن رجلًا قال لسيدنا عمر – رضي الله تعالى عنه – : إنك لا تقضي بالعدل ولا تُعطي الحق ، فغضب واحمرَّ وجهه ، **فقيل له** : يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله تعالى يقول : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : 199] . وهذا جاهل ، **قال** : صدقت ، فكأنما كان نارًا فأطفئت[2] .

ورُوي عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أنه **قال** : ثلاث من كُنّ فيه فقد استحقَّ ولاية الله : حلم يدفع به سفه السفيه ، وورع يمنع عنه المعاصي ، وخُلُق حسن يداري به الناس[3] .

وحُكي أنَّ الفضيل بن عياض **كان إذا قيل له** : إن فلانًا يقع في عرضك **يقول** : والله

---

(1) انظر ذلك في « العقد الفريد » (2 / 54) ، « شعب الإيمان » (6 / 317) ، « الإحياء » (2 / 220) ، « المستطرف » (1 / 417) .

(2) ذكرها بالمعنى ، والقصة ثابتة عند البخاري (4366) ، وأحمد في « فضائل الصحابة » (1 / 351) .

(3) رواه ابن أبي الدنيا في « الأولياء » ص 13 ، 48، عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا ، والأشبه وقفه .

لأغيظن من أمره يعني إبليس ، ثم **يقول** : اللهم إن كان صادقًا فاغفر لي ، وإن كان كاذبًا فاغفر له .

وقيل : إن معاوية - رضي الله تعالى عنه - كان من أحلم العرب ، **وكان يقول** : ما غضبتُ على من أقدر عليه ولا على من لا أقدر عليه ، فادَّعى واحد أنه يُغضبه ، فدخل عليه **وقال له** : أطلب منك أن تزوّجني والدتك فلها دبر كبير ، **فقال** : ذلك سبب حب أبي لها . **ثم قال للخازن** : أعطه ألف دينار ليشتري جارية .

واعلم أن الغضب إنما يُذمّ حيث لم يكن لله تعالى ، أما إذا كان له تعالى فهو محمود . ومن ثم كان رسول الله ﷺ يغضب إذا انتهكت حرمات الله ﷻ[1] .

وكان موسى عليه السلام شديد الحدة والغضب لله تعالى ولدينه ، ولذا لما رجع من مناجاة ربه ﷻ ووجد قومه يعبدون العجل أخذ شعر رأس أخيه هارون عليه السلام بيمينه ولحيته بشماله ، وجرّه إليه ، توهّمًا أنه قصّر في كفّهم عن عبادة العجل .

ولما خرق الخضر عليه السلام السفينة غضب موسى - صلوات الله وسلامه عليه - وأخذ برجله ليلقيه في البحر فذكّره يوشع عهده معه فخلاّه .

وحُكي أنَّ بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض ، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده حياء من أن يُرى عريانًا ، فحلفوا بالله أنه ما يمنعه من الاغتسال معهم إلا كبر أنثييه أو أن به برصًا ، فانطلق ذات يوم يغتسل في عين وجعل ثوبه على حجر ففرّ به ، فتبعه موسى عليه السلام وهو **يقول** : ثوبي حجر[2] ، أي اترك ثوبي يا حجر ، فمرَّ على ملأ أي جماعة من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله ، وبرّأه الله مما يقولون . ولما انتهى إلى الحجر ضربه بعصاه تأديبًا له وزجرًا لأن الله تعالى خلَقَ فيه حياة حتى صدر منه فعل من يعقل .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ، وهو من جوامع الكلم لأنه جمَع بين خيري الدنيا والآخرة .

(**رواه البخاري**) في كتاب الأدب من صحيحه .

---

(1) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « **ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله بها** » . رواه البخاري (3367) ، ومسلم (2327) ، وأبو داود (4785) .

(2) **انظر** أصل الحديث الوارد في ذلك عند البخاري (3223) ، ومسلم (339) ، والترمذي (3221) .

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي يعلى**) ويُكنى أيضًا بأبي عبد الرحمن (**شدّاد**) بالتشديد (**ابن أوس**) بفتح فسكون فمهملة (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) هو ابن أخي حسان بن ثابت ، وكان جامعًا بين العلم والحكمة وهي العمل بالعلم .

وقال أبو الدرداء : إن لكل أمة فقيهًا وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس ، وإن من الناس من يؤتى علمًا ولا يُؤتى حلمًا ، وإن أبا يعلى قد أوتي علمًا وحلمًا[2] .

وقيل : إنه فضل على الأنصار بخصلتين : ببيان إذا نطق وبكظم إذا غضب[3] ، وكان إذا دخل الفراش يتقلّب عليه ولا يأتيه النوم **فيقول** : اللهم إنَّ النار قد أسهرتني وأذهبت عني النوم ، ثم يقوم فيصلي حتى يصبح[4] .

وكان يقول : إنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه ولم تروا من الشر إلا أسبابه ، الخير كله بحذافيره ، أي بجملته ، في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار ، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ، ولكلٍّ بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا[5] .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (1955) ، وأبو داود (2815) ، والترمذي (1409) .

(2) ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (1 / 710) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (2 / 463) ، وابن منظور في « مختصر تاريخ دمشق » (3 / 445) .

(3) **انظر** ذلك في : « تاريخ الإسلام » (4 / 237) ، « الإصابة » (3 / 320) .

(4) **انظر** الأثر في : « تاريخ دمشق » (22 / 416) ، « صفة الصفوة » (1 / 709) .

(5) ذكره البلاذري في « أنساب الأشراف » (2 / 110) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (22 / 416) ، والذهبي في « السير » (2 / 466) .

ورُوي عنه أنه **قال** : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ، وأسألك شُكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علَّام الغيوب** »[1] .

ولما حضرته الوفاة **قال** : إنَّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة : الرياء والشهوة الخفية[2] .

وأبوه أوس كان صحابيًا فكان ينبغي للمصنف - رحمه الله تعالى - أن **يقول** : رضي الله تعالى عنهما ؛ للقاعدة الحديثية : إن كلَّ من كان صحابيًا وأبوه صحابي يقال فيه ذلك .

ثم إن شدادًا سكن بيت المقدس ، ووُلد له به ، وتوفي فيه سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة ، وقبره بظاهر باب الرحمة .

رُوي له خمسون حديثًا ، منها ما خرّجه البخاري عنه وهو سيد الاستغفار أن تقول : « **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء** (أي أعترف) **لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها من النهار موقنًا** (أي مصدقًا) **بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة** »[3] .

ومنها ما رواه مسلم وهو ما ذكره المصنِّف عنه (**عن النبي**) وفي نسخة عن رسول الله (ﷺ **قال** : **إن الله كتب**) أي أوجب وفرض (**الإحسان**) أي تحسين الأعمال المشروعة (**على كل شيء**) يعني على كل مكلّف ، بأن يأتي بها على الوجه المرضي .

وقيل : إن كتب هنا بمعنى طلب ؛ لأنه أعمُّ فائدة لشموله الإحسان الواجب

---

(1) **حسن بطرقه** : رواه النسائي (3 / 54) ، والترمذي (3407) ، وأحمد (4 / 123) ، وابن حبان (1974) ، وصححه ، وكذا الحاكم .

(2) رواه ابن المبارك في « الزهد » (114) ، وأبو داود في « الزهد » ص 380 ، والطبري في « تهذيب الآثار » (2 / 797) ، وأبو نعيم في « الحلية » (1 / 268) .

(3) **صحيح** : رواه البخاري (5947) ، وأبو داود (5070) ، والترمذي (3393) .

والمندوب ، و« **على** » في قوله : « **على كل شيء** » يحتمل أن تكون على بابها ، **والمعنى** : إنَّ الله تعالى طلب من عبده الإحسان حال كونه مستعليًا منه على كل شيء ، والمراد باستعلائه على كل شيء شموله له وعمومه وكونه على حال حسن ، ويحتمل أن تكون بمعنى في أو اللام أو إلى .

والمعنى : إن الله تعالى طلب منكم الإحسان في كل شيء ، أو لأجل كل شيء ، أو إلى كل شيء ، فالاحتمالات أربعة .

وكل شيء يشمل النفس وغيرها من الأهل والخدم وسائر الناس حتى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – والعلماء ، وكذا الملائكة والجن والبهائم والسماء والأرض والنبات والشجر .

فأما الإحسان إلى النفس هو أن يحملها على فعل الطاعات واجتناب المخالفات ، وألا يوردها موارد السوء ، ولا يظلمها بمعصية ، ولا يطيعها في كل ما تريد ، ولا يهينها بشفاء غيظ .

وأما الإحسان إلى الأهل والخدم فهو أن يعاشرهم باللطف وحسن الخُلُق ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويعلّمهم ما يحتاجون إليه ، ولا يكلّفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم ، فقد قال ﷺ : « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول** »[1] .

وأما الإحسان إلى سائر الناس فهو ألا يغشهم بل ينصح لهم ، ويحسن صحبتهم ، ويتحمّل أذاهم ، ويُكرم مثواهم ، ويعلّمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، ويرشدهم إلى سبيل الخيرات واجتناب المنكرات ، ويسأل الله لهم الهداية والتوفيق ويتصدَّق عن موتاهم ، ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة .

وأما الإحسان إلى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فهو أن يؤمِنَ بهم وبما جاءوا به عن ربهم ، وأنهم صفوة الله تعالى من خَلْقه .

وأما الإحسان إلى العلماء فهو بتوقيرهم ، وقبول ما يروونه ، وعدم إذاعة عوراتهم .

وأما الإحسان إلى الملائكة فهو أن يُؤْمِنَ بهم ، ويعتقد أنهم عباد مكرمون لا يعصون

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (1692) ، والنسائي في « الكبرى » (5 / 374) ، وكذا ابن حبان (4240) ، والحاكم (1 / 575) وصححاه .

الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأن يُحْسِنَ عشرة الحفظة منهم ؛ بألا يفعل بحضرتهم ما يكرهون ، ولا يأكل ما يتأذون بريحه كثوم وبصل وكراث .

وأما الإحسان إلى الجن فهو أن يدعوهم إلى الخير وترك الشر إن اتفق ظهورهم له ، وأن ينويهم بالسلام من الصلاة . فقد ذكر العلماء أنه يُسَنُّ للمصلي أن ينوي به من على يمينه ويساره من ملائكة ومؤمني إنس وجن .

وأما الإحسان إلى البهائم ، فهو ألا يجيعهم ولا يعطشهم ، ولا يضربهم بغير موجب ، ولا يكلّفهم من العمل ما لا يطيقون ، ولا يستمر راكبًا على الدابة وهي واقفة إلا لحاجة . وقد ورد أنه ﷺ رأى في النار امرأة سوداء طويلة تُعَذَّب بسبب هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض[1] ، أي حشراتها ، حتى ماتت ، وأن تلك الهرة تنهشها في قبلها ودُبُرها ، إذا أقبلت تنهشها وإذا أدبرت تنهشها .

ونُقِل عن أبي سليمان الداراني[2] أنه **قال** : ركبتُ مرة حمارًا فضربته مرتين أو ثلاثًا ، فرفع رأسه ونظر إليّ **وقال** : يا أبا سليمان القصاص يوم القيامة ، فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر ، **قال** : فقلت : لا أضرب شيئًا بعده[3] .

وأما الإحسان إلى السماء والأرض فيكون بالتفكر في خلقهما وما فيهما من البدائع ، وبترك المعاصي ؛ لأنه إذا تركها فقد أدخل السرور عليهما وأراحهما من الشهادة عليه يوم القيامة .

وأما الإحسان إلى النبات والشجر فيكون بتعهدهما بالسقي وحفظهما من المتلفات .

(**فإذا قتلتم**) أي أردتم قتل من يجوز قتله (**فأحسنوا القِتلة**) بكسر القاف كما هو الرواية ، وهي هيئة القتل ، وإحسانها : اختيار أسهل الطرق وأخفها إيلامًا وأسرعها إزهاقًا ، أي إخراجًا للروح ؛ وذلك يحصل بضرب العنق بالسيف ، ويستثنى الزاني المحصن فإنه يُقتل بالرجم لورود النص فيه بذلك ، **وقيل** : لا استثناء ؛ لأن المراد

---

(1) أصله عند البخاري (3140) ، ومسلم (2619) ، وابن ماجه (4256) .

(2) اسمه **عبد الرحمن بن أحمد بن عطية** ، الداراني نسبة إلى داريا ، قرية من قرى دمشق ، فقيه ، زاهد من كبار المتصوفة ، توفي سنة 215 هـ .

انظر : « طبقات الصوفية » للأزدي ص 74 ، « وفيات الأعيان » (3 / 131) ، « صفة الصفوة » (4 / 223) .

(3) القصة ذكرها الذهبي في « الكبائر » ص 205 .

بالإحسان تحسين الأعمال المشروعة ، أي إيقاعها على وجه الشرع ؛ بأن يأتي بما طلبه فيها إيجابًا وندبًا سواء وصل للغير نفع أو لم يصل ، وكره بعض العلماء قتل القمل والبق والبراغيث وسائر الحشرات بالنار لأنه من التعذيب .

وقد جاء في الحديث : « **لا يعذب بالنار إلا رب النار** »[1] .

قال الجزولي وابن ناجي : وهذا ما لم يضطر لكثرتها فيجوز حرقها بالنار ، أي عند الاضطرار ؛ لأن في تتبعها بغير النار حرجًا ومشقة ، ويجوز نشرها في الشمس .

وقال الأقفهسي : قتلها بغير النار بالفعص والعرك جائز ؛ لأنه ﷺ سئل عن حشرات الأرض تؤذي أحدًا فقال : « **ما يؤذيك فلك أذيته قبل أن يؤذيك** »[2] ، وما خلق للإذاية فابتداؤه بالإذاية جائز ، هذا ومذهبنا أنه لا يجوز تعذيب ما ذكر بالنار والشمس إلا إذا تعين طريقًا .

(**وإذا ذبحتم**) أي أردتم ذبح ما يحل ذبحه من الحيوانات (**فأحسنوا الذبحة**) بكسر الذال ، أي هيئة الذبح ، وجاء في بعض الروايات فأحسنوا الذبح بفتح الذال وكسرها وإحسانه أن يكون بسكين ماضية وأن يعجل إمرارها على مذبح البهيمة ليسرع إزهاق روحها ، وأن يرفق بها ويريحها كما سيأتي .

واعلم أن الذبح المعتبر شرعًا يكون بقطع الحلقوم وهو مجرى النفس ، وقطع المريء وهو مجرى الطعام والشراب ، وأما قطع الودجين وهما عرقان في صفحتي العنق محيطان بالحلقوم فهو مندوب ، ويسن نحر إبل ونحوها مما طال عنقه في أسفل العنق ؛ لأنه أسهل لخروج روحه ، وأما غير ذلك كبقر وغنم فيذبح من أعلى العنق .

ويشترط لحل المذبوح أن يكون مأكولاً ، وأن يكون فيه حياة مستقرة أول ذبحه ، وعلامتها انفجار الدم أو وجود الحركة الشديدة بعد الذبح ، هذا إذا تقدم سبب يحال عليه الهلاك كأن أكلت الشاة مثلاً نباتًا سميًا ، أو جرحها ذئب ، أو انهدم عليها بناء ،

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (2673) ، وأحمد (3 / 494) ، وأبو يعلى (3 / 105) .

(2) هذا النقل بطوله ، وكذا الحديث المذكور أصله في « الفواكه الدواني على رسالة القيرواني » للنفراوي المالكي (2 / 351) ، وعنه ينقل البجيرمي في « حاشيته على الخطيب » (5 / 192) ، ولم أقف على الحديث المذكور عند غيرهما .

فإن لم يتقدم السبب المذكور فلا تشترط تلك الحياة بل يكفي وجود النفس فيه ، كمريض صار آخر رمق .

(**وليحد**) بسكون اللام لوقوعها بعد الواو ويجوز كسرها ، ويحد بضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال من أحدَّ كما ضبطه المصنِّف ، ويقال فيه : يحد بفتح الياء ، من حد ثلاثيًّا ، **والمعنى** : وليسن (**أحدكم شفرته**) بفتح الشين وتضم أي سكينته ، وإحدادها واجب إن كانت كالَّة ، وإلا فمندوب (**وليرح ذبيحته**) بسكون اللام وتكسر وبضم الياء وكسر الراء وسكون الحاء ، أي وليوصل الراحة إليها بأن يعرض عليها الماء قبل ذبحها لتشرب ، وأن يسوقها إلى موضع الذبح برفق ، وأن يضجعها بمكان سهل غير وعر ، وأن يعجل إمرار السكين على مذبحها بقوة ليسرع موتها كما مر ، ولا يسلخها حتى تبرد ، ولا يحد السكين بحضرتها ، بل يواريها ، أي يسترها عنها ، ولا يذبح بهيمة وغيرها تنظر إليها سيما أمها أو بنتها .

روي أنه ﷺ مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ ، أي تنظر إليه ببصرها ، فقال : « **أفلا قبل هذا ؟ أتريد أن تميتها موتات ؟ هلَّا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها** »[1] .

ومن غريب ما وقع ما حكي عن بعضهم أنه دخل على أمير وقد أمر بذبح جملة من الغنم ، فذبح بعضها ، ثم اشتغل الذابح عن الذبح ، ثم عاد إليه في الحال ، فلم يجد المدية ، أي السكين ، التي كان يذبح بها ، فاتهم بها بعض الحاضرين ، فأنكر أخذها ، وحصل بسبب ذلك لغط ، فجاء رجل كان ينظر إليهم من بُعد ، **وقال** : السكين التي تتخاصمون عليها أخذتها هذه الشاة بفمها ، ومشت بها إلى هذا البئر وألقتها فيها ، فأمر الأمير شخصًا بالنزول إلى هذه البئر ليتبين هذا الأمر ، فنزل فوجد الأمر كما أخبر الرجل .

وقيل : إن سبب ابتلاء سيدنا يعقوب بفرقة ولده سيدنا يوسف عليه السلام أنه ذبح عجلًا بين يدي أمه وهي تخور ، أي تصيح .

---

(1) **صحيح** : رواه الطبراني في « الكبير » (11 / 332) ، والحاكم (4 / 257، 260) وصححه ، وهو عند عبد الرزاق (4 / 493) عن عكرمة مرسلًا .

وحكي أن رجلاً ذبح عجلاً بحضرة أمه ففسد عقله ، **وقيل** : يبست يده فبينما هو ذات يوم تحت شجرة فيها وكر ، أي عش ، فيه فرخ ، فوقع الفرخ منه إلى الأرض وأبواه ينظران إليه ، فرحمه وأخذه فرده لوكره فرحمه الله فرد إليه عقله أو يده .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ، وهو من قواعد الدين ، من عمل به نال كل خير ، وسلم من كل ضير .

(**رواه مسلم**) رحمه الله تعالى .



الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدِب بْنِ جُنَادَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : « **اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنت ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وفِي بَعْضِ النُّسَخِ : حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي ذر**) بالذال المعجمة المفتوحة وتشديد الراء (**جندب بن جنادة**) بضم الجيمين وتثليث الدال الأولى ، زاد في بعض النسخ الغفاري ، وكان له - رضي الله تعالى عنه - ولد اسمه ذر ، فكني به ، ولما مات مر على قبره ، **وقال** : يا ذر قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، ليت شعري ما قلت وما قيل لك[2] .

وقيل : سبب تكنيته بذلك أنه وزن رغيفًا مخبوزًا ووضعه فعلاه الذر وستره وهو النمل الصغير ، ثم وزنه فلم يزد شيئًا **فقال** : انظروا إلى هذا لم يظهر في ميزان الدنيا وإن ميزان الآخرة ليطيش بواحدة منها ، فقيل له أبو ذر .

وسبب إسلامه[3] - رضي الله تعالى عنه - أنه لما بلغه ظهور النبي ﷺ بمكة وأنه يدعي النبوة ، أرسل إليه أخاه أنيسًا ليأتيه بخبره ، فلما رجع إليه سأله عما رأى ، **فقال** : رأيته يزعم أن الله أرسله ، ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، **قال** : فماذا يقول الناس فيه ؟ **قال** : يقولون إنه شاعر وكاهن وساحر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ، فلما سمع ذلك انطلق حتى أتى مكة ، فلقي رجلاً **فقال له** : أين الذي تدعونه الصابئ ؟ فأغرى عليه من عنده فمالوا عليه بكل مدرة[4] ، وعظم حتى أدموه ، وخر ، أي سقط ، مغشيًا

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (1987) ، وأحمد (5 / 153) ، والدارمي (2791) ، والحاكم (1 / 121) وصححه وأقره الذهبي .

(2) إنما يعرف عن عمر بن ذر الهمداني الواعظ القاضي المتوفى سنة 156هـ ، لا عن أبي ذر الصحابي ﷺ .
انظر هذا النص في : « شعب الإيمان » (7/ 246) ، « تاريخ دمشق » (45/ 32) ، « تهذيب الكمال » (21/ 338) .

(3) انظر تفصيل ذلك في : « السير » للذهبي (2/ 46) ، « طبقات ابن سعد » (4/ 219) ، « الاستيعاب » (1/ 252) .

(4) مدرة : المدر : قطع الطين اليابس .

عليه ، فلما أفاق أتى زمزم فشرب من مائها وغسل عنه الدم ، ومكث في المسجد ثلاثين يومًا وما له طعام إلا ماء زمزم ، ومع ذلك حصل له سِمَنٌ عظيم .

ثم اتفق خلو المطاف ليلة فجاء النبي ﷺ فاستلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى ، فأتاه **وقال له** : السلام عليك يا رسول الله ، **فقال** : « وعليك السلام ورحمة الله » فهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، ثم **قال** : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، **فقال له** : « فمن أنت؟ » **قال** : من غفار ، وأخبره بمكثه تلك المدة وبطعامه ، فأمره بالرجوع إلى قومه ليخبرهم ، **فقال** : والذي نفسي بيده لأصرخن بهذا بين ظهرانيهم ، يعني أهل مكة ، فنادى بأعلى صوته في المسجد : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فقاموا إليه وضربوه حتى أضجعوه ، فجاء العباس فمنعهم عنه ، **وقال** : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليها ، فأنقذه منهم .

ثم عاد من الغد لمثل ذلك فضربوه فمنعهم العباس وخلصه منهم ، ثم انطلق حتى أتى أخاه أنيسًا فأخبره فأسلم ، ثم أتيا أمهما فأسلمت ، ثم أتوا قومهم غفارًا فأسلم بعضهم(1) .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم بقيتهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **غفار غفر الله لها** »(2) .

وكان – رضي الله تعالى عنه – أزهد الناس ؛ حتى كان يرى أن ما زاد على حاجة اليوم والليلة لا يجوز ادخاره ، فأرسل له معاوية – رضي الله تعالى عنه – ألف دينار مع رجل ليختبره ، فجاء إليه **وقال له** : معاوية أرسل لك هذه ، فأخذها وفرقها جميعها ولم يبق منها شيئًا ، ثم حضر له ذلك الرجل بأمر معاوية ، **وقال له** : إني غلطت في إعطائي لك الألف دينار ، وإنما أرسلني لغيرك وأنا أخشى أن يعاقبني معاوية على ذلك ، **فقال له** : يا هذا والله ما أمسى عندنا منه شيء ، ولكن اصبر حتى يأتينا عطاؤنا ندفع ذلك إليك .

---

(1) رواه البخاري (3648) ، ومسلم (2474) ، وابن عبد البر في « الاستيعاب » (4 / 1653) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (3322) ، ومسلم (2518) .

وكان – رضي الله تعالى عنه – من أوعية العلم ، وشهد له المصطفى ﷺ بأنه أصدق الناس لهجة[1] ، أي كلامًا .

وروي أنه قام يومًا عند الكعبة **فقال** : يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفوق ، فاكتنفه الناس ، أي أحاطوا به ، **فقال** : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟ **قالوا** : بلى ، **قال** : فسفر القيامة أبعد مما تريدون ، فخذوا ما يصلحكم ، **قالوا** : وما يصلحنا ؟ **قال** : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصوموا يومًا شديدًا حره لطول يوم النشور ، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور[2] .

ونزل – رضي الله تعالى عنه – بالربذة براء مشددة مفتوحة بعدها موحدة مفتوحة ثم ذال معجمة مفتوحة أيضًا ، منزل الحاج العراقي على ثلاث مراحل من المدينة ، وحضرته الوفاة بها فبكت زوجته ، **فقال لها** : ما يبكيك ؟ **قالت** : وما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس معنا ثوب يسعك كفنًا ، **فقال** : لا تبكي وأبشري فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر كنت أنا فيهم : « **ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين** » وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية وإني أنا الذي أموت بفلاة من الأرض ، والله ما كذبت ، فأبصري الطريق ، **قالت** : فكنت أسنده إلى الكثيب[3] فأقوم لأنظر ، ثم أرجع إليه فأمرضه .

فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على رواحلهم ، فأشرت إليهم فحضروا فأخبرتهم به ، فدخلوا عليه وسلموا فرحب بهم ، وذكر لهم ما سمعه من رسول الله ﷺ ، **ثم قال** : لو كان عندي ثوب يسعني كفنًا أو لامرأتي ثوب يسعني لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها ، وإني أنشدكم الله لا يكفنني رجل منكم كان أميرًا أو عريفًا أو وصيًا أو نقيبًا ، ولم يكن في القوم أحد إلا وقد أصاب من ذلك شيئًا إلا فتى من الأنصار ، **قال** : أنا أكفنك

---

(1) **صحيح** : يشير إلى قوله ﷺ : « **ما أقلّت الغبراء** (يعني الأرض) **ولا أظلت الخضراء** (يعني السماء) **أصدق لهجة من أبي ذر** » .
رواه الترمذي (3801) ، وابن ماجه (156) ، وأحمد (2 / 163) ، والحاكم (3 / 387) ، (4 / 526) ، وصححه وأقره الذهبي .

(2) رواه أبو نعيم في « الحلية » (1 / 165) ، وابن عساكر في « تاريخه » (66 / 214) .

(3) **الكثيب** : التل من الرمل .

في ردائي هذا ، أو في ثوبين من ثيابي من غزل أمي ، **قال** : فكفني أنت ، فكفنه الأنصاري ، ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه[1] .

وقيل : إنه أوصى زوجته وغلامه أن يغسلاه ويكفناه ويجعلاه على قارعة الطريق[2] ، وأول ركب يمر **يقولان له** : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه ، فأقبل عبد الله بن مسعود في رهط[3] من أهل الكوفة فوجده ، وأخبر بما قاله ، فنزل هو وأصحابه فصلوا عليه وواروه[4] .

وكان موته سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين ، وروي له مائتا حديث وأحد وثمانون حديثًا .

(وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل) أسلم وعمره ثماني عشرة سنة ، وكان من أكابر الصحابة وصلحائهم[5] ، أردفه ، أي أركبه رسول الله ﷺ وراءه ، وبعثه إلى اليمن في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وخرج معه ليشيعه ويوصيه وهو راكب ورسول الله ﷺ يمشي .

وروي أنه ﷺ قال له لما ودعه : « **حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك ، ودرأ** - أي دفع - **عنك شرور الإنس والجن** »[6] .

ومن فضائله ما روي أن النبي ﷺ قال له : « **يا معاذ إني لأحبك** » **فقال** : وأنا أحبك

---

(1) **انظر** هذه القصة بطولها عند ابن سعد في « الطبقات » (4 / 233، 234) ، وأحمد (5 / 166) ، وابن حبان (6670) ، والحاكم (3 / 381 - 388) ، وصححه ابن حبان ، **وقال الهيثمي** في « المجمع » (9 / 332) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(2) **قارعة الطريق** : أعلاه .

(3) **الرهط** : ما دون العشرة .

(4) **مرسل** : رواه ابن سعد في « الطبقات » (4 / 235) ، وأبو نعيم في « الحلية » (1 / 169) ، والحاكم (3 / 52) وصححه ، **وقال الذهبي** : فيه إرسال .

(5) **انظر** ترجمته مفصلة في « الطبقات » لابن سعد (2 / 347) ، « تذكرة الحفاظ » للذهبي (1 / 19) ، « الإصابة » (6 / 136) .

(6) **ضعيف** : رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (58 / 413) ، وعنه ابن حجر في « الإصابة » (6 / 137) ، وفيه سيف بن عمر التميمي وهو ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ .

انظر : « الكاشف » (1 / 476) ، و« التقريب » ص 262 .

يا رسول الله ، قال : « **فلا تدع** - أي فلا تترك - **أن تقول في دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** »[1] .

وروي أن عمر - رضي الله تعالى عنه - **قال** : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ لهلك عمر[2] .

وروي عن أبي مسلم الخولاني - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا ، كلما اختلفوا في شيء ردوه إليه ، **قال** : فقلت لجليس لي : من هذا ؟ **قال** : معاذ بن جبل[3] .

وروي عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - أن معاذًا دخل على رسول الله ﷺ فقال : « **كيف أصبحت؟** » قال : أصبحت بالله مؤمنًا ، قال : « **إن لكل قول مصداقًا ، ولكل حق حقيقة ، فما مصداق ما تقول ؟** » **قال** : يا رسول الله ما أصبحت صباحًا قط إلا ظننت أني لا أمسي ، وما أمسيت مساءً قط إلا ظننت أني لا أصبح ، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كل أمةٍ جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها ومعها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله تعالى ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال : « **قد عرفت فالزم** »[4] .

ونقل عن كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : كان معاذ شابًا جميلًا سمحًا ، من خير شبان قومه ، لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه[5] .

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (1522) ، والنسائي (3 / 53) ، وأحمد (5 / 247) ، وكذا ابن خزيمة (751) ، وابن حبان (2020) ، والحاكم (3 / 307) وصححوه .

(2) رواه عبد الرزاق (7 / 354) ، وابن أبي شيبة (5 / 543) ، والدارقطني في « السنن » (3 / 322) ، وفي سنده جهالة كما في « البدر المنير » لابن الملقن (8 / 227) .

(3) رواه ابن وهب في « الجامع » (1 / 245) ، وابن سعد في « الطبقات » (3 / 590) ، وأحمد (5 / 539) بسند صحيح .

(4) **فيه مقال** : رواه العقيلي في « الضعفاء » (2 / 291) ، وأبو الشيخ في « طبقات المحدثين » (4 / 182) ، وأبو نعيم في « الحلية » (1 / 242) ، وابن الشجري في « الأمالي » (1 / 42) ، وفيه عبد الله بن كيسان أبو مجاهد المروزي ، وهو ضعيف . **انظر** : « الكاشف » (1 / 590) ، « تهذيب الكمال » (5 / 481) .

(5) كذا في الأصل ، والذي في المصادر التي بين أيدينا : « . . . ولا يسأل شيئًا إلا أعطاه حتى أدان دينًا أغلق ماله » .=

وروي أن يهوديًا كان له دين عليه ، وكان يلح عليه في التقاضي ، وكان يوم جمعة فاختفى في بيته ولم يخرج إلى الجمعة ، فلما فرغ النبي ﷺ منها لم ير معاذًا ، فلما كان من الغد جاء معاذ ، فقال له المصطفى ﷺ : « **يا معاذ تخلفت عن الجمعة ؟** » **فقال** : يا رسول الله عليَّ دين لفلان اليهودي ولم يكن بيدي شيء فخفته ، فقال : « **ألا أعلمك دعاء إن كان عليك مثل أُحُدٍ ذهبًا يقضيه الله عنك ؟** » **فقال** : بلى يا رسول الله ، فقال : « **قل : اللهم يا فارج الهم وكاشف الضر ومجيب دعوة المضطر ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ارحمني في قضاء ديني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك** » **قال معاذ** - رضي الله تعالى عنه - : فواظبت على الدعاء فقضى عني ذلك[1] .

روي له مائة حديث وسبعة وخمسون حديثًا ، ومات بالطاعون سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث أو أربع أو ثمان وثلاثين سنة .

(**رضي الله**) تعالى (**عنهما**) أي عن جندب ومعاذ (**عن رسول الله ﷺ**) أنه (**قال : اتق الله**) يحتمل أن يكون هذا الأمر لأبي ذر وسمعه معاذ ، أو لمعاذ وسمعه أبو ذر ، أو لغيرهما وسمعاه أو لهما ، وأفرد الضمير على تقدير كل أو لكل من يتأتى توجيه الأمر إليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون آخر ، والمعنى خف الله أيها المكلف واخش عقابه .

(**حيثما كنت**) أي في أي مكان وأي زمان كنت فيه ، فإن الله تعالى مطلع عليك ، وناظر إليك في جميع الأحوال ، لا تخفى عليه خافية ، وهذا من جوامع كلمه ﷺ ، فإن التقوى وإن قل لفظها كلمة جامعة لكل خير ؛ إذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به .

وسئل علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - عن التقوى ، **فقال** : هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

= رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (20 / 31) ، والحاكم (3 / 303) ، وأبو نعيم في « الحلية » (1 / 231) ، والبيهقي (6 / 48) ، **وقال الهيثمي** في « المجمع » (4 / 144) : رجاله رجال الصحيح ، وهو مرسل .

(1) **جيد** : رواه الطبراني في « الكبير » (20 / 154) ، وبنحوه في « معجمه الصغير » (1 / 336) ، والمقدسي في « المختارة » (7 / 196 ، 197) **وقال المنذري في « الترغيب »** (10 / 186) : رواه الطبراني في « الصغير » بإسناد جيد ، وكذا قال السيوطي في « الدر المنثور » (2 / 172) ، **وانظر** : « مجمع الزوائد » (10 / 186) .

وقال بعضهم : تقوى الله تعالى ألا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

وقال بعض العارفين لشيخه : أوصني ، **قال** : أوصيك بوصية رب العالمين للأولين والآخرين ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [سورة النساء : 131] .

وقال رجل ليونس بن عبيد – رحمة الله تعالى عليه – : أوصني ، **فقال** : أوصيك بتقوى الله تعالى والإحسان ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقال الغزالي – رحمه الله تعالى – : التقوى كنز عزيز ، فإن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر ورزق كريم وملك عظيم ؛ لأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فيها .

وقيل : إن لتقوى الله تعالى فوائد كثيرة :

منها : الحفظ والحراسة من الأعداء ؛ لقوله تعالى :

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [سورة آل عمران : 120] .

ومنها : إصلاح العمل وغفران الذنوب ؛ لقوله تعالى : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : 70 ، 71] .

ومنها : المحبة ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران : 76] .

ومنها : الإكرام ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : 13] .

ومنها : البشارة عند الموت ؛ لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [سورة يونس : 63 ، 64] .

ومنها : النجاة من النار ؛ لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ [سورة مريم : 72] .

ومنها : الخلود في الجنة ؛ لقوله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران : 133] .

ومنها : النجاة من الشدائد وحصول الرزق الحلال ؛ لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [سورة الطلاق : 2 ، 3] .

أي من يتق الله ، فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه ، يجعل له مخرجًا بخروجه من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن النار إلى الجنة :

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [سورة الطلاق : 3] .

أي من حيث لا يرجو ، **وقيل** : ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجًا من الشدائد ، **وقال ابن عباس** – رضي الله تعالى عنهما – : يجعل له مخرجًا من شبهات الدنيا ، ومن غمرات الموت ، ومن شدائد يوم القيامة ، **وقال أكثر المفسرين** : نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي – رضي الله تعالى عنه – ، أسر المشركون ابنًا له يسمى سالمًا فأتى رسول الله ﷺ وشكا الفاقة إليه ، **وقال** : إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فما تأمرنا؟ فقال ﷺ : « **اتق الله واصبر ، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** » فعاد لبيته **وقال لامرأته** : إن رسول الله أمرني وإياك أن نستكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، **فقالت** : نِعم ما أمرنا به ، فجعلا يقولان ذلك ، فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه ، وهي أربعة آلاف شاة ، فنزلت الآية(1) .

وحكي أن قومًا ركبوا سفينة ، فظهر لهم شخص على وجه الماء ، **وقال لهم** : معي كلمة أبيعها بألف دينار ، **فقال أحدهم** : هذه ألف دينار ، **فقال** : اطرحها في البحر ، فطرحها ، **فقال** : قل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [سورة الطلاق : 2 ، 3] .

ثم **قال له** : احفظها حفظًا جيدًا ، فلما حفظها انكسر المركب وبقي الرجل على لوح يقرأ هذه الآية ، فرماه الموج في جزيرة فيها امرأة جميلة ، فسألها عن أمرها ، **فقالت** : أنا من بلد كذا ، فاختطفت حتى جعلت في هذه الجزيرة وكل يوم يطلع من البحر جني فيراودني في وقت كذا عن نفسي فيحفظني الله منه ، **فقال لها** : اجعليني في مكان أراه ولا يراني ، ففعلت فلما طلع الجني من البحر ورآه قرأ الآية فالتهب نارًا ، ففرحت المرأة بذلك ، ثم أخذت بيد الرجل إلى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شيء كثير ، فمرت بهما سفينة فأشارا إليها فقصدهما أهلها ، وأخذ كل واحد من الجواهر واللؤلؤ ما لا يعلمه إلا الله وسارا حتى وصلا بلد المرأة وتزوج بها ، وصار أيسر ، أي أغنى ، أهل تلك البلدة .

---

(1) رويت في سبب نزول الآية عدة آثار عن السلف في قصة عوف بن مالك عند الطبري في « تفسيره » (28 / 139) ، والحاكم في « المستدرك » (1 / 727) ، (2 / 534) ، وابن بشكوال في « غوامض الأسماء المبهمة » (11 / 707) ، وصححه الحاكم والذهبي ، وانظر : « تفسير الواحدي » (2 / 1107) ، و« تفسير البغوي » (4 / 357) .

(**وأتبع**) بفتح الهمزة وسكون الفوقية وكسر الموحدة ، أي ألحق (**السيئة**) الصادرة منك (**الحسنة**) كصدقة وصلاة وصوم واستغفار وذكر وغير ذلك (**تمحها**) أي تمحو الحسنة السيئة ، أي تزيلها وتذهبها من صحف الملائكة حقيقة ، **وقيل** : هو كناية عن عدم المؤاخذة بها وإن كانت ثابتة في الصحف ، وهذا في سيئة مضى من فعلها ست ساعات فلكية لأنها لا تكتب قبل ذلك ، **حتى يقال** : تزال حقيقة أو كناية ، فقد جاء أنه إذا فعل العبد سيئة وأراد ملك الشمال أن يكتبها ، **قال له ملك اليمين** : اصبر لعله يستغفر أو يتوب ، فينتظره هذه المدة ، فإن تاب فيها كتبها صاحب اليمين حسنة ، وإلا **قال لصاحب الشمال** : اكتب أراحنا الله منه .

والسيئة شاملة للصغيرة والكبيرة كما هو ظاهر الحديث لكن الحسنة بالنسبة إلى الكبيرة التوبة منها ، فلا يكفرها غيرها من الأعمال الصالحة ، نعم قد تخففها ، وأما الصغيرة فتكفرها التوبة وحدها واجتناب الكبائر امتثالاً ، وإن لم تحصل توبة ، والعبادات وإن لم تحصل توبة أيضًا .

روي أن رجلًا يسمى نبهان التمار - رضي الله تعالى عنه - كان له حانوت ، أي دكان يبيع فيه تمرًا ، فجاءته امرأة أجنبية حسناء تشتري منه تمرًا **فقال لها** : إن داخل الحانوت ما هو خير من هذا ، فلما دخلت أصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضم والتقبيل غير أنه لم يجامعها ، ثم جاء إلى النبي ﷺ **وقال** : يا رسول الله إني أصبت حدًّا فأقمه عليّ ، فأعرض عنه ، فقال له عمر - رضي الله تعالى عنه - : لقد سترك الله لو سترت نفسك! ثم كرر له ذلك نبهان مرارًا وهو يعرض عنه ، حتى ذكر له القصة ، فقال له رسول الله ﷺ : « **توضأ وضوءًا حسنًا** » فتوضأ وصلى مع النبي ﷺ ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾[1] أي الغداة والعشي ، يعني الصبح والظهر والعصر ؛ لأن ما بعد الزوال عشي.

﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي ساعات منه قريبة من النهار يعني المغرب والعشاء.

---

(1) ذكره مقاتل في « تفسيره » (3 / 292) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (5 / 2709) ، وابن بشكوال في « غوامض الأسماء المبهمة » (4 / 294 ، 295) مسندًا ، **وانظر** : « الإصابة » (6 / 418) في ترجمة نبهان التمار .

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ ﴾ أي كالصلوات الخمس ﴿ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [سورة هود : 114] أي الذنوب الصغائر .

فقال الرجل : ألي هذا؟ قال : « **لجميع أمتي** »[1] .

وورد أن رسول الله توضأ ثم قال : « **من توضأ وضوئي هذا ، ثم صلى الظهر غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة المغرب ، ثم لعله إن يبيت ليلته يتمرغ ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء** »[2] .

وروي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ **فقال** : يا رسول الله إني ألممت ، أي أتيت بذنب عظيم ، فماذا يكفره عني؟ فقال : « **ذنبك أعظم أم السموات ؟** » **فقال** : ذنبي أعظم ، فقال : « **ذنبك أعظم أم الكرسي ؟** » **فقال** : ذنبي أعظم ، فقال : « **ذنبك أعظم أم العرش ؟** » **فقال** : ذنبي أعظم ، فقال : « **ذنبك أعظم أم الله ؟** » أي عفوه ، **قال** : بل عفو الله أعظم[3] ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **عليك بالجهاد في سبيل الله** » ، فقال : يا رسول الله إني لمن أجبن الناس ، أي أضعفهم قلبًا ، ولولا أن أهلي تؤنسني إذا خرجت ليلاً ما كنت أفعله قط ، فقال : « **عليك بالصيام** » **فقال** : والله يا رسول الله ما أشبع من خبز قط ، فقال له : « **عليك بالصلاة في جوف الليل** » **فقال** : يا رسول الله لولا أن أهلي يوقظوني لصلاة الصبح ما قمت لها ، فتبسم ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : « **عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان حبيبتين إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** » ففعل .

---

(1) ورد أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ، **فقال الرجل** : ألي هذه ؟ فقال ﷺ : « **لمن عمل بها من أمتي** » . رواه البخاري (4410) ، ومسلم (2763) ، والترمذي (3112) .

(2) **حسن** : رواه أحمد (1 / 71) ، والبزار في « مسنده » (2 / 62) ، والطبري في « تفسيره » (12 / 133) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 43) ، والمقدسي في « المختارة » (1 / 449) ، ورجاله ثقات ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (1 / 147) .

(3) الحديث إلى هذا القدر رواه الفاكهي في « أخبار مكة » (2 / 278) ، والثعالبي في « تفسيره » (8 / 244) بسند فيه مجاهيل ، والجملة الأخيرة منه ثابتة عند البخاري (6043) ، ومسلم (2694) والترمذي (3467)

ويروى أن العبد إذا **قال** : لا إله إلا الله ، أتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها ، حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جانبها[1] .

وفي الحديث : « **من قال : (لا إله إلا الله) ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم** »[2] .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « **ما من رجل يتطهر فيحسن الطهر ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد ، إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها خطيئة** »[3] .

وورد عنه أيضًا أنه قال : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات** » أي المنازل في الجنة ، « **إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة** »[4] .

واعلم أن الحسنات منها ما يكفر الذنب السابق دون اللاحق كصوم يوم عاشوراء ، فإنه مكفر لذنوب السنة الماضية ، ومنها ما يكفر الذنب السابق واللاحق كصوم يوم عرفة ، فإنه مكفر لذنوب السنة الماضية والسنة المستقبلة ، حتى لو فعل ذنبًا لم تكتبه الملائكة عليه .

وظاهر الحديث أن الحسنة وإن كانت بعشر أمثالها لا تمحو إلا سيئة ، والتضعيف لا يمحو شيئًا ، وليس مرادًا ، بل هي تمحو عشر سيئات ، فقد روي أنه إذا نام ابن آدم **قال الملك للشيطان** : أعطني صحيفتك فيعطيه إياها فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات .

وروي : « **خصلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة ، ألا وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل ، يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا ويحمده عشرًا ويكبره عشرًا ، فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان** (أي من حيث الأجر) **ويكبر**

---

(1) **ضعيف** : ذكره العراقي في « تخريج الإحياء » (1 / 248) وعزاه إلى أبي يعلى بسند ضعيف .

(2) لم أقف عليه بهذا السياق ، وفي معناه ما روي أن « **قول لا إله إلا الله لا يترك ذنبًا ، ولا يسبقها عمل** » رواه ابن ماجه (3797) ، والحاكم (1 / 695) وصححه ، وفيه زكريا بن منظور ، وهو ضعيف .

(3) هو من قول عبد الله بن مسعود ﷺ عند مسلم (654) ، وابن ماجه (777) ، وأحمد (1 / 414) .

(4) **صحيح** : رواه مسلم (251) ، والترمذي (51) ، والنسائي (1 / 89) .

أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثًا وثلاثين ويسبح ثلاثًا وثلاثين ، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان ، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة »[1] أي هذا قليل ، وربما لا يتأتى من مسلم ذلك وبفرضه تكفر ذنوبه ، إذ كل حسنة تذهب سيئة ، فيأتي يوم القيامة مطهرًا .

ونقل عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : وددت ، أي تمنيت ، أني صولحت على أن أعمل كل يوم تسع خطيئات وحسنة[2] .

فأشار إلى أن الحسنة يمحى بها تسع خطيئات ويفضل له ضعف واحد من ثواب الحسنة فيكتفي به .

ثم إن هذا يخص من عمومه السيئة المتعلقة بالآدمي ، فلا يمحوها إلا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة إن أمكن ولم يترتب عليه مفسدة ، وإلا فالمرجو كفاية الاستغفار والدعاء له .

(**وخالق الناس**) أي عاملهم وعاشرهم (**بخلق**) بضمتين ، أي بسجية وطبع (**حسن**) أي جميل محبوب ؛ كملاطفة وطلاقة وجه وبذل معروف وكف أذى ، فإن فاعل ذلك يرجى له في الدنيا الفلاح ، وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « **ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم** »[3] .

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « **تقوى الله وحسن الخلق** »[4] .

وقال ﷺ : « **خياركم أحسنكم أخلاقًا** »[5] .

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (5065) ، والترمذي (3410) ، والنسائي (3 / 74) ، وابن ماجه (926) ، وكذا ابن حبان (2012) وصححه ، **وقال النووي** في « الأذكار » ص 166 : إسناده صحيح .

(2) الأثر رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (7 / 105) .

(3) **صحيح** : رواه الترمذي (2003) بهذا اللفظ ، وهو عند الطيالسي (978) ، والطبراني في « الكبير » (24 / 253) ، وأبي نعيم في « الحلية » (5 / 75) بغير الفقرة الثانية .

(4) **حسن** : رواه الترمذي (2004) ، وأحمد (2 / 442) ، والبخاري في « الأدب » (289) ، وابن حبان (476) وصححه .

(5) **صحيح** : رواه البخاري (3366) ، ومسلم (2321) .

وقال ﷺ : « **أفضل ما أعطي المرء الخلق الحسن** »[1] .

وعن الحسن - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : من أعطي حسن صورة وخلقًا حسنًا وزوجة صالحة فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة .

وروي بسند حسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن جد الحسن : « **إن أحسن الحسن الخلق الحسن** »[2] والحسن الأول ابن سهل ، والثاني ابن دينار ، والثالث البصري ، والرابع ابن علي - رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وفي الحديث : « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا** »[3] .

وقال الجنيد - رحمه الله تعالى - : أربع ترفع العبد إلى أعالي الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق .

وفي الحديث : « **خصلتان لا يكونان في مؤمن : سوء الخلق والبخل** »[4] .

وقال الفضيل بن عياض - نفعنا الله تعالى به - : لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق .

وقال أبو حازم - رحمة الله تعالى عليه - : من سوء الخلق في الرجل أن يدخل على أهله وهم في سرور يضحكون فيتفرقوا خوفًا منه ، وكذلك من سوء خلقه هروب القطة منه وصعود الكلبة الحائط خوفًا منه .

وقيل لذي النون المصري - رحمه الله تعالى - : من أكثر الناس همًا ؟ قال : أسوؤهم خلقًا .

---

(1) **صحيح** : رواه معمر بن راشد في « الجامع » (11 / 144) ، وابن الجعد في « مسنده » (2586) ، والطبراني في « الأوسط » (1 / 118) ، والمقدسي في « المختارة » (4 / 168) بسند صحيح .

(2) **ضعيف** : رواه القضاعي في « مسنده » (986) ، وابن عساكر في « تاريخه » (13 / 116 ، 117) ، وفيه الحسن بن دينار ، وهو متروك .

انظر : « فيض القدير » (2 / 417) ، « العجالة في الأحاديث المسلسلة » للفاداني ص 79 .

(3) **صحيح** : رواه أبو داود (4682) ، والترمذي (1162) ، وأحمد (2 / 250) ، وكذا ابن حبان (479) ، والحاكم (1 / 43) وصححاه ، وكذا الذهبي .

(4) **ضعيف** : رواه الترمذي (1962) ، والطيالسي (2208) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (282) ، وضعفه الترمذي .

وحكي أنه كان لشقيق البلخي[1] - رحمه الله تعالى - امرأة سيئة الخلق ، **فقيل له** : ألا تفارقها وهي تؤذيك بسوء خلقها ؟ **فقال** : إن كانت سيئة الخلق فأنا حسن الخلق ، ولو فارقتها صرت مثلها ، ومع هذا أخاف ألا يمسكها أحد غيري لسوء خلقها .

وحكي أن رجلاً جاء إلى سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه - يشكو إليه خلق زوجته ، فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل **قائلاً** : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي ، فخرج عمر - رضي الله تعالى عنه - فرآه موليًا **فناداه** : ما حاجتك ؟ **فقال** : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت ، **وقلت** : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ **فقال عمر** - رضي الله تعالى عنه - : إني أحتملها لحقوق لها عليَّ : إنها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي ، وليس ذلك بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام ، فأنا أحتملها لذلك ، **فقال الرجل** : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي ، **فقال له سيدنا عمر** : فاحتملها يا أخي ، فإنما هي مدة يسيرة .

وما أحسن ما قيل :

خذ العفو عن جاهل قد بغى عليك تفز بالمقام الأمين
وبالعرف فأمر وكن محسنًا وواصل وأعرض عن الجاهلين

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ، وقاعدة من قواعد الدين ، **وقد اشتمل على ثلاثة أشياء** : حق الله وحق المكلف وحق العباد ، فأما حق الله تعالى فحيثما كنت فاتقه ، وأما حق المكلف فهو اتباع السيئة بالحسنة ، وأما حق العباد فهو معاشرتهم بالأخلاق الحسنة .

(**رواه الترمذي وقال :**) هو (**حديث حسن**) فقط (**وفي بعض النسخ**) أي نسخ جامع الترمذي : (**حسن صحيح**) ، وتقدم بيان الجمع بينهما ، وهو أن يقال أنه حسن

---

(1) **شقيق بن إبراهيم البلخي الأزدي** ، الإمام الزاهد المتصوف المجاهد ، من كبار شيوخ التصوف بخراسان ، وأول من تكلم في علوم الأحوال الصوفية ، توفي مجاهدًا سنة 194 هـ .

انظر : « طبقات الصوفية » للأزدي ص 63 ، « التدوين » للرافعي (3 / 81) ، « تاريخ دمشق » (23 / 131) .

لوصف جماعة له بالحسن ، صحيح لوصف آخرين له بالصحة ، ونقل عن شرح الكازروني أنه **قال هنا** : حسن من حديث معاذ ، صحيح من حديث أبي ذر .



الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا ، فَقَالَ : « **يَا غُلَامُ . إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَم يَنفَعُوك إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءِ لَم يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كتَبَهُ اللهُ عَلَيْك ؛ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ** » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ : « **احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَم يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** »[2] .

. . . .

(**عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله**) تعالى (**عنهما**) ولد عبد الله قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولما وضعته أمه أتت به إلى النبي ﷺ فأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وقال : « **اذهبي بأبي الخلفاء** »[3] .

وقال : ملأ عقبُه الأرض ، حتى **قيل** : إنهم بلغوا في زمن المأمون ستمائة ألف .

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (2516) ، وأحمد (1 / 293، 303) ، والطبراني في « الكبير » (11 / 178) ، وأبو يعلى (4 / 430) ، وصححه الترمذي وغيره .

(2) **صحيح بشواهده** : رواه أحمد (1 / 307) ، وهناد في « الزهد » (536) ، والطبراني في « الكبير » (11 / 123) ، والحاكم (3 / 623 ، 624) ، والبيهقي في « الشعب » (2 / 128) ، وصححه الإشبيلي في « الأحكام الكبرى » (3 / 334) ، وحسنه السخاوي في « المقاصد » ص 257 .

(3) **لا يصح** : رواه الطبراني في « الأوسط » (9 / 102) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (1 / 63) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (1 / 291) **وقال** : لا يصح .

وكني باسم أبيه لكونه أكبر أولاده ، ولقِّب بترجمان القرآن لكثرة معرفته بمعانيه ، وكان يسمى البحر لغزارة علمه[1] .

وصح أنه ﷺ دعا له بقوله : « **اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل** »[2] .

وعن أبي صالح قال : لقد رأيت لابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرًا ، رأيت الناس قد اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب ، **قال** : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، **فقال** : ضع لي وضوءًا ، **قال** : فتوضأ وجلس ، **وقال** : اخرج إليهم ، وقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل ، **قال** : فخرجت فآذنتهم ، أي أعلمتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر ، ثم **قال** : إخوانكم فخرجوا .

ثم **قال** : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، فخرجت فقلت لهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم **قال** : إخوانكم فخرجوا .

ثم **قال** : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل ، فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم **قال** : إخوانكم فخرجوا .

ثم **قال** : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فآذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم عليه مثله .

قال أبو صالح : فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس[3] .

وروي له ألف وستمائة حديث وستون حديثًا ، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين وهو

---

(1) **انظر** ترجمته مفصلة في « سير أعلام النبلاء » (3 / 331) ، « تذكرة الحفاظ » (1 / 40) ، « الإصابة » (4 / 141) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (143) ، ومسلم (2477) ، وأحمد (1 / 266) .

(3) ذكره أبو نعيم في « الحلية » (1 / 320، 321) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (6 / 73) ، والمحب الطبري في « ذخائر العقبى » ص 231 .

ابن إحدى وسبعين سنة ، وصلى عليه محمد ابن الحنفية **وقال** : مات والله اليوم خير هذه الأمة ، ولما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتُمِسَ فلم يوجد ، فلما أهيل عليه التراب **سُمِعَ من يقول** :

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [سورة الفجر : 27 - 30][1] .

ولما بلغ جابرَ بن عبد الله وفاتُه ضرب بإحدى يديه على الأخرى ، **وقال** : مات أعلم الناس وأحلم الناس .

وأبوه العباس - رضي الله تعالى عنه - ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين ، وأسلم قبل الهجرة ، وكان يكتم إسلامه وهو مقيم بمكة ، ويكتب أخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ ، واستأذنه في الهجرة فكتب إليه : « **يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه ، يعني مكة ، فإن الله ﷻ يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة** »[2] .

وكان - رضي الله تعالى عنه - أصغر أعمامه ﷺ ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون قدره فيبالغون في تعظيمه ويشاورونه ويأخذون برأيه ، واستسقى عمر به غير مرة ، ولم يمر قط بعمر وعثمان راكبين إلا نزلا حتى يجوز إجلالاً له .

وقال فيه رسول الله ﷺ : « **من آذى العباس فقد آذاني ، إنما عم الرجل صنو**[3] **أبيه** »[4] .

وكان - رضي الله تعالى عنه - طويلًا جميلًا أبيض ، روي له خمسة وثلاثون حديثًا ، ومات بالمدينة سنة اثنتين أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ودفن

---

(1) **انظر** الخبر في « الشريعة » للآجري (5 / 2275) ، و« المعجم الكبير » (10 / 236) ، و« الحلية » (1 / 329) ، وعند الآجري : **قال ابن فضيل** : كانوا يرون أن ذلك علمه .

(2) **ضعيف** : رواه أبو يعلى (5 / 55) ، والروياني في « مسنده » (2 / 214) ، وابن عدي في « الضعفاء » (1 / 301) ، وفيه إسماعيل بن قيس ، وهو متروك كما في « المجمع » للهيثمي (9 / 269) .

(3) **الصنو من النخل** : نخلتان أو ثلاث أو أكثر ، أصلهن واحد ، **يعني** أن أصلهما واحد .
انظر : « غريب الحديث » لابن سلام (2 / 15) ، « العين » للخليل (7 / 158) .

(4) **فيه مقال** : رواه الترمذي (3758) ، وأحمد (4 / 165) ، وابن أبي شيبة (6 / 382) بهذا التمام بسند فيه ضعف ، وجملة « **فإن عم الرجل صنو أبيه** » ثابتة عند الترمذي (3760) ، وأحمد (2 / 322) ، وابن حبان (7050) ، والحاكم (3 / 375) وصححه الترمذي .

بالبقيع ، وجلس ولده عبد الله للناس يعزونه فجاءه أعرابي فوضع يده على يده ، **وقال** :

اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس

(**قال** :) أي عبد الله (**كنت**) راكبًا (**خلف النبي ﷺ**) أي وراءه على بغلته (**يومًا**) أي في يوم (**فقال**) لي : (**يا غلام**) بضم الميم ؛ لأنه نكرة مقصودة ، وخاطبه بذلك ؛ لأنه إذ ذاك كان صغيرًا عمره نحو عشر سنين (**إني أعلمك**) أي أفهمك (**كلمات**) وفي رواية : « **ألا أعلمك كلمات يحفظك الله بهن** » وفي أخرى : « **ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن** » **فقلت** : بلى يا رسول الله ، فقال : (**احفظ الله**) أي راع أوامره وحافظ عليها ، ولا تغفل عنها ، وأمسك عن نواهيه ولا ترتكبها ، فإنك إذا فعلت ذلك (**يحفظك**) برعايته إياك في نفسك وولدك وأهلك ودنياك ودينك .

وقد قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة النحل : 97] .

وقال بعضهم : من حفظ الله في صباه وصغره حفظه في كبره ومتَّعه بسمعه وبصره .

كما حكي أن بعض العلماء جاوز مائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ، فسئل عن سبب ذلك ، **فقال** : هذه جوارح حفظناها من المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر .

ونقل عن القاضي أبي الطيب - رحمه الله تعالى - أنه عاش مائة وستين سنة ولم يختل عضو من أعضائه ، فقيل له في ذلك ، **فقال** : لم أعص الله بعضو منها .

وقال بعض السلف : من اتقى الله فقد حفظ نفسه ، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه ، والله الغني عنه .

وكان سعيد بن المسيب - رضي الله تعالى عنه - **يقول لابنه** : لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفظ فيك ، ثم يتلو : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [سورة الكهف : 82] .

أي فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما .

وكان عمر بن عبد العزيز - رضي الله تعالى عنه - **يقول** : ما من مؤمن صالح يموت

إلا حفظه الله ﷻ في عقبه وعقب عقبه .

وقال بعض الأكابر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده ، والدويرات التي حوله .

وقال بعضهم : رأيت راعيًا يصلي والذئب يحفظ غنمه ، فلما فرغ من صلاته ، **قلت له** : متى اصطلح الذئب مع الغنم ؟ **فقال** : لما اصطلح رب الغنم مع رب الذئب .

وحكي أن لصًا دخل حجرة رابعة العدوية - رضي الله تعالى عنها - وهي نائمة ، فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده ، فوضعها فوجده ، فحملها فخفي عليه ، فأعاد ذلك مرارًا كثيرة ، **فهتف به هاتف** : إن كان المحب نائمًا فإن المحبوب يقظان ، ضع الثياب واخرج من الباب ، فإنا نحفظها ولا ندعها لك وإن كانت نائمة ، فوضعها ثم خرج وتاب .

وبالجملة فتقوى الله سبب لحفظ الله للعبد في دنياه ولحفظه في دينه بأن يحفظ عليه إيمانه حتى يتوفاه الله .

(احفظ الله) أي راع حقوقه وراقبه **(تجده)** أي تجد عنايته ورأفته بك **(تجاهك)** بضم التاء وفتح الهاء ، أي أمامك بفتح الهمزة كما في الرواية الآتية ، وهذا توكيد لما قبله ، وخص الإمام بالذكر من بين الجهات الست إشعارًا بشرف المقصد ، وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة ، والمسافر إنما يطلب أمامه ، والمعنى تجده مراعيًا لك حيثما كنت وقصدت من أمر الدنيا والآخرة ، فينقذك من الهلكات ، ويسعدك بأصناف البركات .

روي أن النبي ﷺ أرسل « **سفينة** »[1] مولاه في أمر فنزل في سفينة فانكسرت فخرج إلى البر ، فجاءه أسد ، **فقال** : أنا مولى رسول الله ﷺ ومعي كتابه وأنا تائه ، فجعل الأسد يمشي معه حتى دله على الطريق ، فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه ثم رجع عنه[2] .

---

(1) سفينة مولى رسول الله ﷺ أبو عبد الرحمن البختري ، **وقيل** : اسمه مهران ، **وقيل** : طهمان ، **وقيل** غير ذلك ، وكان أصله من فارس .

انظر « الإصابة » (3 / 132) ، « تهذيب التهذيب » (4 / 110) ، « ثقات ابن حبان » (3 / 180) .

(2) رواه معمر بن راشد في « الجامع » (11 / 281) ، والطبراني في « الكبير » (7 / 80) ، والحاكم (2 / 675) ، وصححه وأقره الذهبي .

وقيل : إذا خاف العبد من الله أخاف الله منه كل شيء ، وإذا لم يخف العبد من الله أخافه الله من كل شيء .

والمراد بالخوف كف جوارحه عن المعصية وتقييدها بالطاعة .

وحكي عن المزني[1] أنه **قال** : قصدت السلام على أبي الخير النيسابوري[2] ، فلما صلينا المغرب خرجت لأتطهر ، فقصدني السبع ، فعدت إليه فأخبرته ، فخرج وصاح على الأسد ، **وقال له** : ألم أقل لك لا تتعرض لأضيافي ؟ فتنحى عني ، وتطهرت ، فلما رجعت **قال لي الشيخ** : اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد[3] .

(**إذا سألت**) أي أردت أن تسأل شيئًا (**فاسأل الله**) أن يعطيك إياه من فضله ، فإنه الغني المالك لجميع الأشياء ، لا معطي ولا مانع سواه .

وقد جاء في الحديث : « **ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع** »[4] وهو بكسر الشين المعجمة : سيره الذي بين الأصابع .

وقال طاووس لعطاء - نفعنا الله بهما - : إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك ، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك .

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - : أحب الناس إلى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إلى الناس وسألهم ، وأحب الناس إلى الله ﷻ من سأله واستغنى به عن غيره ، وأبغض الناس إليه من استغنى عنه وسأل غيره .

---

(1) كذا في الأصل ، وفي المصادر التي ذكرت القصة : حكي عن إبراهيم الرقي .

(2) كذا في الأصل ، **وفي المصادر** : أبو الخير **التيناتي** الديلمي ، وهو متصوف زاهد مشهور بالكرامات .
انظر : « أمالي ابن سمعون » (1 / 387) ، « الرسالة القشيرية » ص 387 ، « تاريخ دمشق » (66 / 167) .

(3) **انظر** القصة في المصادر السابقة ، مع : « طبقات الأولياء » لابن الملقن ص 32، « حياة الحيوان » للدميري (2 / 22) ، « الإحياء » (3 / 25) .

(4) **صحيح** : رواه أبو يعلى (6 / 130) ، وابن حبان (866) ، (895) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (354) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (2 / 260) ، وصححه ابن حبان .

وما أحسن قول القائل :

لا تقصد المخلوق ربك أقرب ومن قصد المخلوق لا شك يتعب

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وابن آدم حين يسأل يغضب

واعلم أن السؤال قسمان :

أحدهما : ما لم تجر العادة بجريانه على أيدي الخلق ؛ كالهدى ، والتوفيق ، والفهم في العلوم ، وشفاء المريض ، وحصول العافية من بلايا الدنيا والآخرة ، والعفو ، والرضا ، ودخول الجنة ، فلا يجوز أن يسأل إلا من الله .

وثانيهما : ما جرت عادة الله بجريانه على أيدي خلقه كالدراهم والدنانير ، وحمل الشيء الثقيل ، والزرع ، والخياطة ، والطبخ ، فيسأل الله تعالى أن ييسره له ، وأن يعطف عليه قلوب خلقه ، ثم يسأل الخلق .

ويجوز للفقير أن يسأل من غيره بشروط ثلاثة : أن يكون عاجزًا عن الكسب ، وألا يؤذي المسئول ، وألا يلح عليه ، أي لا يكرر سؤاله ، وهو لمن يجد كفاية يوم وليلة حرام لخبر : « **من سأل شيئًا وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم** »[1] .

قالوا : « وما يغنيه ؟ » **قال** : قدر يغديه ويعشيه .

وحكي أن سائلاً أتى عمر - رضي الله تعالى عنه - **فقال** : أعطوه ، ثم نظر فإذا تحت إبطه مخلاة مملوءة خبزًا ، **فقال** : لست بسائل بل تاجر ، ثم علاه بالدرة ضربًا .

ويكره للغني قبول الصدقة وكذا سؤالها ولو بلسان الحال إن علم الدافع حاله ، ولم يظهر الفاقة لأخذها ، ولم يلح ، ولم يؤذ نفسه ولا المسئول ، ولم يلجئه إلى الإعطاء ، لحياء منه أو من غيره ، وإلا حرم عليه ووجب رد ما أخذه لخبر : « **من سأل أموال الناس تكثرًا فإنما يسال جمر جهنم ، فليستقل منه أو ليستكثر** »[2] .

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (1629) ، وأحمد (4 / 180) ، وابن حبان (545) ، (3394) واللفظ له ، والطبراني في « مسند الشاميين » (1 / 332) ، ورجاله رجال الصحيح كما في « المجمع » وصححه ابن حبان .
وانظر : « الترغيب » (1 / 325) ، « مجمع الزوائد » (3 / 95) .

(2) **صحيح** : رواه مسلم (1041) ، وابن ماجه (1838) ، وأحمد (2 / 231) .

وورد : « **لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة** » بكسر الميم وتشديد الراء ، أي قوة « **سوي** »[1] أي صحيح بحيث يقدر على الكسب .

وينبغي لمن سأل المخلوقين أن يراهم كالأرض التي جرى الماء عليها ، فإنها لا تأثير لها في إجرائه ، فلا يميل بقلبه إليهم بل إلى الله ﷻ ، ولا ينبغي للشخص أن يسأل الله تعالى أن يغنيه عن خلقه ؛ لأن النبي ﷺ سمع عليًا **يقول** : اللهم أغننا عن خلقك ، **فقال** : « لا تقل هكذا ؛ فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ، ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك » قال : من هم ؟ **قال** : « الذين إذا أعطوا منوا ، وإذا منعوا عابوا »[2] .

وسمع عمر - رضي الله تعالى عنه - رجلاً **يقول** : « اللهم أغنني عن الناس ، **فقال** : إياك أن تسأل الموت ، **قل** : اللهم أغنني عن شرار الناس »[3] .

(**وإذا استعنت**) أي طلبت الإعانة طلبًا نفسانيًا بأن أردتها على أمر دنيوي أو أخروي (**فاستعن بالله**) أي اطلب الإعانة منه على ما تطلب ، لأنه القادر على كل شيء ، وغيره عاجز عن كل شيء ، حتى عن جلب مصالح نفسه ودفع مضارها ، فمن استعان بغير الله واستند إليه فهو مخذول ، ولا يزال نازلاً عن منازل العز والشرف ، متباعدًا عن مولاه ، نعم إن كان مشهده أن إعانة الخلق له من الله فاستعان بالله في الباطن وبالخلق في الظاهر ، فلا يضره ذلك ؛ لأن الله تعالى أجرى عادته بأنه يعين عبده بواسطة وغير واسطة .

فعليك يا أخي بالذل والافتقار إلى الله ؛ فإنه الذي يغيثك وينجيك من الشدائد وإن أجمع كل الخلق على ضرك .

حكي عن ذي النون المصري - رحمه الله تعالى - أنه **قال** : كنت شابًا في لهو ولعب ، فخرجت إلى بيت الله الحرام ، فركبت سفينة ، وركب معنا أمرد جميل ، ففقد

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (1634) ، والترمذي (652) ، والنسائي (5 / 99) ، وكذا ابن حبان (3290) ، والحاكم (1 / 565) وصححاه .

(2) **لا يصح** : رواه أبو الشيخ في « طبقات المحدثين » (3 / 512) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (2 / 31) ، **وقال ابن حجر** : لا أصل له .

انظر : « لسان الميزان » (1 / 178) ، « تنزيه الشريعة » لابن عراق (2 / 337) .

(3) ذكره الأبي في « نثر الدرر » (1 / 293) ، والأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (2 / 31) ، والعاملي في « الكشكول » (2 / 238) ولكن عن ابن عباس ﵄ .

صاحب المركب كيسًا فيه جوهر ففتش كل من في المركب ، فلما وصل إلى الأمرد ليفتشه وثب من المركب على أمواج البحر وصارت له كالسرير ، **وقال** : يا مولاي هؤلاء اتهموني وإني أقسم عليك أن تأمر كل دابة في هذا البحر أن تخرج رأسها وفي فمها جوهرة ، فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رءوسها ، وفي فم كل منها جوهرة تلمع ، ثم صار يتبختر على وجه الماء ، **ويقول** : إياك نعبد وإياك نستعين ، حتى غاب عن بصري ، فحملني هذا على السياحة .

(**واعلم أن**) وفي نسخة (**بأن الأمة**) بضم الهمزة ، والمراد بها جميع الخلق كما في رواية أحمد (**لو اجتمعت**) بالتأنيث مراعاة للفظ ، والتذكير الآتي في قوله : « **وإن اجتمعوا** » لمراعاة المعنى ، ولفظة « **لو** » بمعنى إن ، أي إن اجتمعت أي اتفقت (**على أن ينفعوك بشيء**) من خيري الدنيا والآخرة (**لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**) أي أثبته في اللوح المحفوظ ، أو أراده وقدره في الأزل (**وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**) بالمعنى المتقدم ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [سورة يونس : 107] .

وقوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [سورة الحديد : 22] .

فإذا أراد أحد أن يضر غيره بما لم يكتب عليه دفعه الله تعالى عنه ، كما حكي عن ذي النون المصري - رحمه الله تعالى - أنه **قال** : كنت على شاطئ النيل فرأيت عقربًا فأردت قتلها فهربت وركبت على ظهر ضفدعة فعامت بها حتى وصلت إلى الجانب الآخر ، فنزلت عن ظهرها ، فوجدت رجلاً نائمًا غريقًا في سكره وقد أقبل إليه ثعبان ليلدغه فأسرعت إلى الثعبان فلدغته فتقطع ، فأيقظت الرجل ، فقام مرعوبًا فأخبرته بذلك ، فأطرق ثم **قال** : يا رب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك! فوعزتك لا أعصيك أبدًا .

وما أحسن ما قيل :

أفوض أمري إلى خالقي ... فحسبي إلهي ونعم الوكيل

ولا أرجعن إلى غيره ... فإن الإله لكل كفيل

ولا ينافي هذا قوله تعالى حكاية عن موسى – عليه الصلاة والسلام – : ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [سورة الشعراء : 14] .

﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [سورة طه : 45] .

لأن الإنسان مأمور بالفرار من أسباب العطب والأذى إلى أسباب السلامة وإن لم يسلم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [سورة النساء : 102] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [سورة البقرة : 195] .

وقول عمر – رضي الله تعالى عنه – : « **إنما نفر من قدر الله إلى قدر الله** » وسبب قوله ذلك أنه خرج إلى الشام ليتفقد أحوال الرعية ، حتى إذا كان قريبًا منه لقيه أمراؤه أبو عبيدة وأصحابه ، فأخبروه أن الطاعون قد وقع به ، فأمر عمر – رضي الله تعالى عنه – من معه بالرجوع **فقال له أبو عبيدة** – رضي الله تعالى عنه – : أترجع فرارًا من قدر الله ؟ فقال له عمر – رضي الله تعالى عنه – : « **لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لأدنته ، إنما نفر من قدر الله إلى قدر الله** »[1] .

وقيل في هذا المعنى :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

فإن نال بالسعي المنى تم أمره ... وإن عافه المقدور كان له أجر

(**رفعت الأقلام**) يعني انتهت الكتابة بها في اللوح المحفوظ ، وجمع القلم للتعظيم ، وإلا فهو واحد .

روي أن الله تعالى **قال له** : اكتب ، **قال** : يا رب وما أكتب ؟ **قال** : اكتب مقادير كل شيء ، ما كان وما هو كائن إلى الأبد[2] .

وقيل : إن أول شيء كتبه القلم في اللوح المحفوظ : بسم الله الرحمن الرحيم إنني أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسولي ، من استسلم لقضائي وصبر على بلائي ، وشكر نعمائي ، ورضي بحكمي ، كتبته صديقًا ، وحشرته يوم القيامة مع الصديقين ، ومن لم

---

(1) الأثر عند البخاري (5397) ، ومسلم (2219) ، ومالك (2 / 894) .

(2) **صحيح** : رواه أحمد (5 / 317) ، والترمذي (3319) ، والبيهقي (9 / 3) ، وحسنه الترمذي ، وسنده صحيح .

يستسلم لقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر نعمائي ، ولم يرض بحكمي ، فليخرج من تحت سمائي ، وليلتمس إلهًا سوائي[1] .

(**وجفت**) بفتح الجيم وتشديد الفاء ، أي يبست (**الصحف**) أي كتابتها ، والمراد بها اللوح المحفوظ ، وجمع للتعظيم ، والصحيح وقوع المحو والإثبات فيه ، وما أفاده قوله ﷺ : « **رفعت الأقلام وجفت الصحف** » من عدم التغيير والتبديل محمول على أكثر الأمور ، وهي الأمور المبرمة ، وأما المعلقة فتمحى منه ، ويكتب القلم بدلها على حسب ما في علم الله ﷻ ، قال الله تعالى : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة الرعد : 39] .

أي أصله ، وهو علم الله القديم الأزلي الذي لا يغير منه شيء .

وأفاد الشعراني أن اللوح المحفوظ لا يحصل فيه محو ، وإن ألواح المحو والإثبات ثلاثمائة وستون لوحًا ، وهي في المرتبة دون اللوح المحفوظ ، قال الله تعالى : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة الرعد : 39] .

أي يذهب الحكم المعلق على شيء ، ويكتب بدله الحكم المبرم ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة الرعد : 39] .

أي أصله الذي لا يغير منه شيء ، وهو اللوح المحفوظ .

(**رواه الترمذي**) في جامعه (**وقال** : **حسن صحيح**) وتقدم إيضاح ما يتعلق بالجمع بين اللفظين .

وهو حديث عظيم وأصل كبير في رعاية حقوق الله والتفويض لأمره والتوكل عليه .

(**وفي رواية غير الترمذي**) وهو عبد بن حميد والإمام أحمد[2] (**احفظ الله تجده أمامك**) بفتح الهمزة ، وهو بالمعنى المتقدم في تجاهك (**تعرف إلى الله**) تعالى بتشديد الراء المفتوحة ، أي تحبب إليه وتقرب من رحمته ورضاه بلزوم الطاعات ،

---

(1) ذكره أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (2 / 67) ، وذكر شطره الأخير مسندًا عند ابن حبان في « المجروحين » (1 / 327) ، وأبي نعيم في « معرفة الصحابة » (6 / 3047) ، وابن عساكر في « تاريخه » (21 / 60) ، **ولا يصح** كما في « معرفة التذكرة » لابن القيسراني ص 232 ، و« تخريج الإحياء » للعراقي (2 / 1058) .

(2) **انظر** « مسند أحمد » (1 / 307) ، ومسند عبد بن حميد (636) .

واجتناب المنهيات ، والإنفاق في القربات ، والشكر على ما أولاك وأعطاك (**في الرخاء**) بالمد أي في زمن سعة الرزق وصحة البدن (**يعرفك**) بفتح المثناة التحتية وكسر الراء وسكون الفاء ، أي يجازيك (**في الشدة**) أي في زمن نزول المصائب والمكروهات بك ، فيفرج عنك الهموم ، ويكشف عنك الغموم ، ويجعل لك من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، كما وقع للثلاثة الذين أصابهم المطر فآووا إلى غار في جبل فانحدرت ، أي سقطت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، **فقالوا** : انظروا ماذا عملتم من الأعمال الصالحة فاسألوا الله بها فإنه ينجيكم ، فذكر كل واحد منهم سابقة عمل صالح سبق له مع ربه . .

فتوسل أحدهم ببره والديه ، **وقال** : إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ، ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السماء .

وتوسل الثاني بترك الزنى مع بنت عمه مع تمكنه منه ، **وقال** : إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة ، ففرج الله عنهم فرجة أخرى .

وتوسل الثالث بكونه حفظ أجرة أجير كان غضب عليها ، وهي مدان من الأرز ، فلم يزل يزرعهما حتى اشترى له منهما إبلًا وبقرًا وغنمًا ، فمر به بعد مدة فدفعها له **وقال** : إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي ، ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون[1] .

وافرج بالوصل وضم الراء من الثلاثي ، وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الراء من الرباعي .

وروي عن أنس مرفوعًا : « **إن يونس ﷺ لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة : يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة ، فقال الله ﷻ** : أما تعرفون ذلك ؟ **قالوا** : ومن هو ؟ **قال** : عبدي يونس ، **قالوا** : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ؟ **قال** : نعم ، **قالوا** : يا ربنا أفلا ترحم من كان يصنع (أي الأعمال الصالحة) في حال الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ **قال** : بلى ، فأمر الله ﷻ الحوت فطرحه »[2] .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2152) ، (3278) ، وأحمد (3 / 142) ، والطيالسي (2014) .

(2) **ضعيف** : رواه ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » ص 33 ، والطبري في « تفسيره » (23 / 100) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (10 / 3228) ، وفي سنده يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف .

وروى الشيخان أنه ﷺ قال : « **دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له** »[1] .

وفي رواية للحاكم : « **إن من دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برأ برأ مغفورًا له** »[2] .

وفي رواية لابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – : « **ما دعا بها مهموم ولا مغموم ولا مكروب ولا مديون ثلاث مرات إلا استجيب له** »[3] .

فائدة : يعرف بها رخاء العام من غيره نقلت عن سيدي أحمد زروق[4] – نفعنا الله به – **وقيل** : إنها جربت فلم تخطئ ، **وهي منظومة في قول بعضهم** :

انظر لرابع شوال فإن أحدًا ... أو سابقيه فرخص زائد وسعه

أو أربعًا أو خميسًا فاللطيف لنا ... وبين بين باثنين وما تبعه

(**واعلم**) أي تيقن وتحقق (**أن ما أخطأك**) أي جاوزك من نعمة ورخاء أو شدة وبلاء فلم يصل إليك (**لم يكن ليصيبك**) اللام لام الجحود متعلقة بمحذوف ، **والتقدير** : لم يكن مقدرًا عليك ليصيبك ، أي لأن يصل إليك ؛ لأنه بان بكونه أخطأك أنه غير مقدر عليك (**وما أصابك**) أي لحقك ووصل إليك من خير أو شر (**لم يكن ليخطئك**) أي يجاوزك ويفوتك ؛ لأن بوصوله إليك بان أنه مقدر عليك إذ لا يصيب الإنسان إلا ما قدر له أو عليه ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [سورة التوبة : 51] .

فإذا علم الشخص ذلك استراحت نفسه وذهب حزنه على ما وقع من المكروه

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (3505) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 168) ، وأحمد (1 / 170) ، والحاكم (1 / 684، 685) وصححه ، ولم يخرجه الشيخان كما ذكر الشارح رحمه الله .

(2) رواه الحاكم (1 / 685) ، وفيه عمرو بن بكر السكسكي ، **وانظر** : « الضعفاء » للعقيلي (3 / 258) ، « الكاشف » (2 / 72) .

(3) ذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (3 / 432) وعنه السيوطي في « الجامع الكبير » (6 / 67) ، والهندي في « كنز العمال » (2 / 54) .

(4) **أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي المعروف بزرُّوق الفاسي** ، فقيه ، مالكي ، متصوف ، توفي سنة 899 هـ . **انظر** : « توشيح الديباج » ص 38 ، « الاستقصاء » (4 / 101) .

الماضي ، ولم يهتم لما يتوقعه في المستقبل .

وقد قيل في هذا المعنى :

سيكون الذي قضي سخط العبد أو رضي

فدع الهم يا فتى كل هم سينقضي

ويسن لمن أصيب بمصيبة أن يقول : « **إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم احتسبت مصيبتي عندك فأجرني فيها وأبدلني بها خيرًا منها** »[1] .

(**واعلم أن النصر**) من الله للعبد إنما يكون (**مع الصبر**) أي التأني ، والتسليم لقضاء الله تعالى ، والانكسار ، فمن صبر ولم يتسخط ، بل رضي بحكم القضاء ، واستعان بالله نصره الله تعالى ، وأعانه ، وبلغه مرامه .

وروي عن علي - كرم الله تعالى وجهه - أنه **قال** : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[2] .

وقيل : إن الصبر على الطلب عنوان الظفر ، والصبر في المحن عنوان الفرج .

وحكي أن الشبلي[3] - رحمه الله تعالى - حبس في المارستان فدخل عليه جماعة ، **فقال لهم** : من أنتم ؟ **قالوا** : أحبابك جئنا زائرين لك ، فأخذ يرميهم بالحجارة وهم يهربون ، **فقال لهم** : لو كنتم أحبابي لصبرتم على بلائي .

واعلم أنه لا يضر في الصبر تمني زوال الألم ولا مجرد الشكوى إذا صحت النية ، كقول المريض : إني وجع ، أو : وارأساه ؛ إذا اشتد به الألم ، أو كان يصف حاله للطبيب ، أو لغيره ليدعو له ، أو ليعلمه الصبر ، أو ليظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى ربه ، ومع ذلك فالسنة في حقه ترك التضجر من المرض ، ولا يكره له الأنين ، لكن اشتغاله بذكر أو قرآن أولى منه .

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (3119) ، وأحمد (4 / 18) ، وأبو يعلى (12 / 334) ، والحاكم (4 / 18) ، وابن حبان (2949) وصححاه .

(2) رواه وكيع في « الزهد » (1 / 223) ، وابن أبي شيبة (6 / 172) ، والعدني في « الإيمان » ص 85 .

(3) هو **دلف بن جحدر الشبلي** الخرساني الأصل ، البغدادي المنشأ ، كان فقيهًا عالمًا على مذهب مالك ، وأحد أئمة الزهد والتصوف توفي سنة 344 هـ .

انظر : « طبقات الصوفية » للأزدي ص 257، « الوافي بالوفيات » (14 / 18) ، « تاريخ بغداد » (14 / 389) .

وقال وهب بن منبه – رضي الله تعالى عنه – : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : أسرع الناس مرورًا على الصراط الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري .

وقال بعض السلف : الحياة الطيبة هي الرضا والقناعة .

وفي الخبر : « **إذا أحب الله عبدًا ابتلاه ، فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه** »[1] .

وحكي أن رجلاً طلب من زوجته ماءً فجاءته به ، فوجدته قد نام ، فقامت عند رأسه إلى طلوع الفجر ، فلما استيقظ ورآها عند رأسه أعجبه ذلك منها ، فأراد إكرامها ، **فقالت له** : طلقني ، فكره ذلك منها ، **فقالت له** : إن أردت مكافأتي فطلقني ، فتركها ، وانطلق فعثر في الطريق فانكسرت رجله ، **فقالت له** : ارجع فلا سبيل إلى طلاقك ؛ لأنك حدثتني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من يرد الله به خيرًا يُصِبْ منه** »[2] ولك عندي كذا وكذا سنة لم يصبك ألم ، فعلمت أن الله تعالى لا يحبك ، فلما أصابك هذا علمت أن الله يحبك .

وقيل : إن عمار بن ياسر – رحمه الله تعالى – تزوج امرأة فلم تمرض فطلقها .

وقال القرطبي – رحمة الله تعالى عليه – : أحب الله تعالى أن يبتلي أصفياءه تكملاً لفضائلهم ورفعة لدرجاتهم ؛ **ولذا قيل** : من ظن أن شدة البلاء هوان بالعبد فقد ذهب لبه ، أي عقله ، وعمي قلبه ، فقد ابتلي من الأكابر ما لا يحصى ، ألا ترى إلى ذبح نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام ، وقتل عمر وعثمان وعلي وابنه الحسين – رضي الله تعالى عنهم – ، وضرب أبي حنيفة وحبسه وموته بالسجن ، وضرب مالك وجذب يده حتى انخلعت من كتفه ، وضرب أحمد حتى أغمي عليه وقطع من لحمه وهو حي ، وموت البويطي مسجونًا في قيوده ، ونفي البخاري من بلده .

---

(1) روي عن علي رضي الله عنه كما في « فردوس الأخبار » (1 / 251) ، وذكره المكي في « قوت القلوب » (2 / 40) ، **قال العراقي** : ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده .
انظر : « تخريج الإحياء » (4 / 344) .

(2) **صحيح** : رواه مالك (2 / 941) ، والبخاري (5321) ، وأحمد (2 / 237) .
قوله : **يصب منه** : أي يبتليه بالأمراض والمصائب ليثيبه عليها ، **وقيل** : معناه أنه يوجه إليه البلاء فيصيبه .
انظر : « فتح الباري » (10 / 108) .

وقال بعضهم :

بنى الله للأحباب بيتًا سماؤه هموم وأحزان وحيطانه الضر

وأدخلهم فيه وأغلق بابه وقال لهم : مفتاح بابكم الصبر

فائدة : اختلف العلماء : هل يثاب الشخص على نفس المصائب أو على الصبر عليها؟ فذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - إلى أنه إنما يثاب على الصبر عليها ؛ لأن الثواب إنما يكون على فعل العبد ، والمصائب لا صنع له فيها[1] .

وذهب الجمهور[2] إلى أنه يثاب عليها ، وهو المعتمد في حديث الصحيحين : **« والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه به خطاياه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها »**[3] .

وفي كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي[4] - نفعنا الله تعالى به - : إن من أصيب وصبر حصل له ثوابان : ثواب بنفس المصيبة ، وثواب بالصبر عليها ، فإن انتفى صبره فإن كان لعذر كجنون فهو كذلك ، أو لجزع لم يحصل له ثواب الصبر .

(**وإن الفرج**) بفتحتين وهو كشف الغم والهم (**مع الكرب**) بمعنى أنه يعقبه لا محالة لعدم دوامه لاسيما إذا اشتد ، **كما قيل** :

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالاً إذا قيل : تم

فينبغي لمن أصابته شدة أن يصبر ويتوقع زوالها ، كما **قال الشاعر** :

توقع صنع ربك سوف يأتي بما تهواه من فرج قريب

---

(1) **انظر** كلام العز بن عبد السلام في « القواعد الصغرى » ص 117 ، ونحوه لشيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (10 / 124) .

(2) **انظر** كلام الجمهور وردهم على ابن عبد السلام في : « القواعد والفوائد الأصولية » لابن اللحام ص 36، « تسلية أهل المصائب » للمنبجي الحنبلي ص 171 وما بعدها ، « فتح الباري » لابن رجب (1 / 147) .

(3) **صحيح** : أصله عند البخاري (5323) ، (5324) ، ومسلم (2571) .

(4) هو **علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي** ، نور الدين أبو الحسن ، فقيه ، متصوف ، زاهد ، شاعر ، تنسب إليه الطائفة الشاذلية ، توفي بصحراء عيذاب قاصدًا للحج سنة 656 هـ .

انظر : « هدية العارفين » (1 / 709) ، « جامع كرامات الأولياء » (1 / 341-345) ، « العبر » للذهبي (5 / 232) .

ولا تـيـأس إذا مـا نـاب خـطـب فكم في الغيب من عجب عجيب[1]

وقال غيره :

لا تـجزعـن إذا مـا الأمـر ضقـت بـه ولا تـبـيـتـن إلا خـالـي الـبـال

ما بـيـن طـرفـة عـيـن وانـتـبـاهـتـهـا يـغـيـر الـلـه مـن حـال إلـى حـال[2]

وحكي أن رجلاً ركب البحر فكسرت سفينته ، فوقع في جزيرة ، فمكث ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب ، فتمثل **وقال** :

إذا شـاب الـغـراب أتـيـت أهـلـي وصـار الـقـار كـالـلـبـن الـحـلـيـب

فأجابه مجيب لم يره ، **فقال** :

عسى الـكـرب الـذي أمسيت فيه يـكـون وراءه فـرج قـريـب[3]

فجاءت سفينة فحملته وأصاب خيرًا كثيرًا .

وحكي أن الحجاج أمر بإحضار رجل من السجن ، فلما حضر أمر بضرب عنقه ، فقال : أيها الأمير أخرني إلى غد ، **قال** : ويحك وأي فرج في تأخير يوم ؟ ثم أمر برده إلى السجن ، **فسمعه يقول** :

عـسـى فـرج يـأتـي بـه الـلـه إنـه لـه كـل يـوم فـي خـلـيـقـتـه أمـر

فقال الحجاج : والله ما أخذه إلا من القرآن : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : 29] وأمر بإطلاقه[4] .

وروي أن مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داود ﷺ ، فقام ليلة ليفتح فتعسر عليه ، فاستعان بالإنس فتعسر عليهم ، فاستعان بالجن فتعسر عليهم ، فجلس

---

(1) **انظر** البيتين في : « المنفرجتان » ص 48 .

(2) **انظر** : « المدخل لابن الحاج » (3 / 220) .

(3) **انظر** البيتين في : « الفرج بعد الشدة » لابن أبي الدنيا ص 91، « روضة العقلاء » لابن حبان ص 159، « حلية الأولياء » (7 / 789) .

(4) **انظر** ذلك في « تاريخ دمشق » (12 / 147) ، « التذكرة الحمدونية » (8 / 54) ، « بغية الطلب في تاريخ حلب » (5 / 2064) لابن العديم .

حزينًا كئيبًا ، أي شديد الحزن ، فظنه أن ربه قد منعه فتحه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل شيخ متكئ على عصا له ، وقد طعن في السن ، وكان من جلساء داود - عليه الصلاة والسلام - **فقال** : يا نبي الله ما لي أراك حزينًا ؟ **فقال** : قمت لهذا الباب أفتحه فتعسر علي ، فاستعنت بالإنس والجن فلم يفتح ، **فقال الشيخ** : ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف عنه ؟ **قال** : بلى ، **قال** : « قل : اللهم بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت ، وبك أصبحت وأمسيت ، ذنوبي بين يديك ، أستغفرك وأتوب إليك » فلما قالها فتح الباب[1] .

وحكي أن عاصم بن إسحاق[2] **قال** : أصابتني خصاصة ، أي فقر ، فجئت إلى بعض إخواني فأخبرته بأمري ، فرأيت في وجهه الكراهة ، فخرجت من منزله إلى الجبانة ، وصليت ما شاء الله ، ثم وضعت وجهي على الأرض ، **وقلت** : « يا مسبب الأسباب ، يا فاتح الأبواب ، يا سامع الأصوات ، يا مجيب الدعوات ، يا قاضي الحاجات ، اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمن سواك » ، **قال** : فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي ، فرفعت رأسي ، فإذا بحدأة طرحت كيسًا أحمر ، فإذا فيه ثمانون دينارًا وجوهرًا ملفوفًا في قطنة ، فبعت الجوهر بمال عظيم ، واشتريت عقارًا ، وحمدت الله تعالى على ذلك .

(**وإن مع العسر**) أي الضيق والشدة (**يسرًا**) أي غنى وسهولة ، قال الله تعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [سورة الطلاق : 7] .

وعن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن النبي ﷺ قال : « **لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاءه اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه** »[3] .

---

(1) ذكره العليمي في « الأنس الجليل » (1 / 123) .

(2) كذا في الأصل ، والذي في المصادر التي بين أيدينا أنه عاصم بن أبي النجود التابعي الجليل ، شيخ القراء في زمانه ، المتوفى سنة 128 هـ .

انظر القصة في « حياة الحيوان » للدميري (1 / 327) ، « أمالي ابن سمعون » (1 / 227) « المستطرف » (2 / 234) .

(3) **ضعيف مرفوعًا والأصح وقفه** : رواه البزار في « مسنده » (14 / 71) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (10 / 3446) ، والحاكم (2 / 280) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (1 / 143) مرفوعًا بسند ضعيف كما قال الذهبي ، لكنه روي نحوه عند ابن مسعود ﷺ من قوله عند البيهقي في « الشعب » (7 / 206) وهو الأشبه بالصواب ، كما في « تفسير ابن كثير » (4 / 526) ، « جامع العلوم والحكم » لابن رجب ص 197 .

والتنوين في ﴿ يُسْرًا ﴾ للتعظيم كأنه **قال** : وإن مع العسر يسرًا عظيمًا ، والمقصود من المعية في هذا كاللذين قبله المبالغة في معاقبة أحدهما الآخر واتصاله به ؛ حتى جعله كالمقارن .

وروي أن المصطفى ﷺ قال : « **لن يغلب عسر يسرين** »[1] أي كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [سورة الشرح : 5 ، 6] .

لأن النكرة المعادة غير الأولى ، والمعرفة المعادة عين الأولى غالبًا فيهما ، **وما أحسن قول القائل** - رحمه الله تعالى - :

لا تجزعن لعسرة من بعدها ... يسران وعدًا ليس فيه خلاف

كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ... لله في أعطافها[2] ألطاف

وقال آخر :

إذا لاح عسر فارج يسرًا مسلسلًا ... ولا تجزعن الدهر تزكو مفضلا

فإن المعز العدل قدمًا لقد قضى ... بيسرين بعد العسر فينا تفضلا

وما ألطف قول غيره :

إذا اشتدت بك البلوى ... ففكر في ألم نشرح

فعسر بين يسرين ... إذا فكرته فافرح

وحكي عن بعضهم أنه قال : كنت ذات يوم في بادية وأنا بحالة من الغم ، فألقي في روعي ، بضم الراء ، أي قلبي ، بيت من الشعر :

أرى الموت لمن أصـ ... ـبح مغمومًا له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفًا في الهواء **يقول** :

ألا يا أيها المر ... ء الذي الهم به برح[3]

---

(1) **مرسل** : رواه الحاكم (2 / 575) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 206) عن الحسن البصري مرسلًا ، وهو ثابت من قول عمر وعلي رضي الله عنهما كما جزم بذلك الحاكم ، **وانظر** : « مصنف ابن أبي شيبة » (4 / 222) ، « الشعب » للبيهقي (7 / 205) ، و« الاستذكار » لابن عبد البر (5 / 18) .

(2) **أعطافها** : أي خلالها .

(3) **برح** : أي اشتد .

وقـد أنـشـد بـيـتًـا لـم يـزل فـي فـكـره يـسـنـح

إذا اشـتـدت بـك الـعـسـرى فـفـكـر فـي ألـم نـشـرح

فـعـسـر بـيـن يـسـريـن إذا فـكـرتـه فـافـرح

فـإن الـعـسـر مـقـرون بـيـسـريـن فـلا تـتـرح

فحفظتها ، ففرج الهم عني ، اللهم فرِّج همومنا يا كريم .

★ ★ ★

الحديث العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، عُقْبَةَ بْنِ عَمْرو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ ﷺ ، **قَالَ** : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1] .

. . . .

وفي نسخة الحديث الموفي عشرين (**عن أبي مسعود عقبة**) بضم العين وسكون القاف (**ابن عمرو الأنصاري**) نسبة إلى الأنصار ، وهم الأوس والخزرج ، سموا أنصارًا لأنهم نصروا رسول الله ﷺ (**البدري**) نسبة إلى بدر ، محل الوقعة المشهورة ، التي هي أول وقعة ، قاتل النبي ﷺ فيها المشركين ، وقد حضرها عقبة كما ذهب إليه البخاري ومسلم ، وكان عدد أهلها - رضي الله تعالى عنهم - ثلاثمائة وثلاثة عشر على الصحيح ، بشَّرهم المصطفى ﷺ بالجنة ، وقاتلت معهم الملائكة ، ودعت لهم بالمغفرة ، وذكر العلماء أن الدعاء عند ذكرهم مستجاب ، وقد جرب ذلك .

حكي عن بعضهم أنه قال : كتبت أسماءهم وحفظتها ، وكنت أسأل اللهم بهم[2] الفتح عقب كل صلاة ، فلم يمض عليَّ إلا أيام قلائل حتى رزقني الله الفتح ، فما كنت أسمع شيئًا إلا حفظته ، ولا نظرت شيئًا إلا فهمته ، ولا جعلت يدي على رأس مريض وتلوت أسماءهم بنية خالصة إلا شفاه الله تعالى ، وإن حضر أجله خفف عنه .

وذهب الجمهور إلى أن عقبة[3] المذكور لم يشهد هذه الوقعة ، وإنما نسب إلى بدر

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (7569) ، وأبو داود (4797) ، وابن ماجه (4183) ، وأحمد (4 / 121) .

(2) الأولى أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [سورة الأعراف : 180] ، وقد ذهب أبو حنيفة وصاحباه إلى أنه يكره أن يقول الرجل في دعائه بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وقال القدوري : **قال أبو حنيفة** : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، والدعاء المأذون فيه هو ما استفيد من قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ .

انظر : « بدائع الصنائع » للكاساني (5 / 126) ، « الهداية شرح البداية » للرشداني (4 / 96) ، « الاختيار تعليل المختار » (4 / 175) للموصلي ، « العناية شرح الهداية » للبابرتي (14 / 296) ، « اقتضاء الصراط المستقيم » لابن تيمية ص 407 .

(3) **انظر** تفصيل ترجمته في : « سير أعلام النبلاء » (2 / 494) ، « طبقات ابن سعد » (6 / 16) « الإصابة » (4 / 524) .

لأنه سكنها ، ونزل الكوفة وابتنى بها دارًا ، واستخلف عليها ، **وكان يقول** : بينما أنا أضرب غلامًا لي فسمعت صوتًا من خلفي : « **اعلم أبا مسعود** » مرتين ، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فألقيت السوط ، فقال : « **والله لله أقدر عليك منك على هذا** » ، وفي رواية : فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فقال : « **اعلم يا أبا مسعود إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام** » **فقلت** : هو حر لوجه الله ، قال : « **أما لو لم تفعل للفحتك النار** »[1] أي أحرقتك .

توفي بالمدينة ، **وقيل** بالكوفة ، سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ، وروي له مائة حديث وحديثان .

(**رضي الله**) تعالى (**عنه قال : قال رسول الله** ﷺ : **إن مما أدرك الناس**) الجار والمجرور خبر إن ، واسمها قوله الآتي : « **إذا لم تستح** » إلخ ، على تقدير القول ، أي **قولهم** : إذا لم تستح ، أو على إرادة اللفظ أي هذا اللفظ ، ويصح أن تجعل من تبعيضية وتكون اسم إن ، أي إن بعض ما أدرك ، وجملة « **إذا لم تستح** » إلخ هي الخبر ، والناس بالرفع كما هو الرواية فاعل أدرك ، والعائد على ما محذوف ، **والتقدير** : إن مما أدركه الناس ، أي بلغهم وأحاطوا به ، وبيَّن ذلك بقوله (**من كلام النبوة الأولى**) أي من كلام أصحابها ، فهو على حذف مضاف ، والمراد بالنبوة الأولى النبوة السالفة قبل نبينا ﷺ ؛ لأنه جاء في شريعة آدم ، واتفقت عليه الأنبياء بعده إلى أن أدركناه في شريعتنا ، فلم ينسخ في شريعة من الشرائع ؛ لأنه أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت على حسنه العقول ، وتلقته جميع الأمم بالقبول .

(**إذا لم تستح**) بحذف الياء للجازم مع كسر الحاء مخففة ، وبإثبات الياء مكسورة مع سكون الحاء ، ويكون الجازم حذف الياء الثانية ؛ لأنه من استحيا وهو الرواية كما قيل ، والأول من استحى (**فاصنع**) وفي رواية فافعل (**ما شئت**) أي أردت ، وقد اختلف العلماء في معنى ذلك ، **فقال بعضهم** : إن هذا الأمر للتهديد والتوبيخ ، **والمعنى** إذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحي من الله ولا تراقبه فاصنع ما تهواه نفسك من الرذائل ، فإن الله تعالى يجازيك عليه ، **وقيل** : إنه أمر ومعناه الخبر ، **فكأنه قال** :

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (1659) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (171) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 373) .

إذا لم تستح فعلت ما شئت حتى تقع في كل فحش ومنكر ؛ لأن عدم الحياء يوجب الاستهتار والانهماك في هتك الأستار .

قال بعضهم :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وقال آخر :

إذا لم تصن عرضًا ولم تخش خالقًا وتستح مخلوقًا فما شئت فاصنع

وقيل : إن هذا الأمر للجواز ، **والمعنى** : انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يستحى من الله ومن الناس في فعله لكونه من أفعال الطاعات ، أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة ، فاصنع منه ما شئت ، وإن كان مما يستحى من الله ومن الناس فعله فدعه .

قيل : وعلى هذا مدار الأحكام من حيث إن الفعل إما أن يستحى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الأولى ، وفعل ذلك مذموم ، أو لا يستحى منه وهو الواجب والمندوب والمباح ، وفعل الأولين مشروع ، والثالث سائغ ، أي جائز .

والحياء لغة : انقباض وخشية يجدها الإنسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح .

واصطلاحًا : خلق يبعث على ترك القبيح وفعل المليح ، وهذا هو الممدوح الآتي في كلامه ﷺ ، كقوله : « **الحياء خير كله** »[1] ، « **الحياء لا يأتي إلا بخير** »[2] .

وأما الخجل والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده فهو مذموم ، وليس من الحياء في الحقيقة ، بل هو جبن ومهانة ، وإطلاق الحياء عليه مجاز لمشابهته له ، ولذلك قيل في حديث : « **إن ديننا هذا لا يصلح لمستحي** »[3] أي حياءً مذمومًا يضره في دينه كأن يؤدي إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (37) ، وأبو داود (4796) ، والطبراني في « الكبير » (18 / 171) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (5766) ، ومسلم (37) ، وأحمد (4 / 427) .

(3) ذكره المناوي في « فيض القدير » (2 / 204) **وقال** : ورد في خبر . . . ثم ساقه ، ولم أقف عليه عند غيره ، ويغني عنه حديث عائشة رضي الله عنها الذي سيذكره الشارح .

أو في دنياه كأن يأتيه من يطلب منه قرضًا وهو يعلم سوء معاملته ، أو من يستعير منه دابة وهو يعلم أنه لا يرفق بها ، فيحمله الحياء على الإعطاء وعدم المنع ، فيندم بعد ذلك .

ومثل ما ذكر الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات المسائل في الدين إذا أشكلت عليه فهو مذموم ، ولذا قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - : « **نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن** »[1] .

وجاء في الصحيحين أن أم سليم - رضي الله تعالى عنها - جاءت إلى رسول الله ﷺ **فقالت** : إن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ قال : « **نعم إذا رأت الماء** »[2] يعني المني ، فلم تستح من السؤال عن دينها .

واعلم أن أقل الحياء من الله هو ألا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ، وكماله ألا تريد بقلبك سواه .

وروي أنه ﷺ قال لأصحابه : « **استحيوا من الله حق الحياء** » وردد ذلك مرارًا ، **قالوا** : إنا لنستحي يا نبي الله والحمد لله ، فقال : « **ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وأن تذكر الموت والبلى ، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء** »[3] ومازال يكرر ذلك حتى أبكاهم .

وفي الحديث : « **أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح والسواك والحياء** »[4] .

وقال الفضيل - رحمه الله تعالى - : **خمسة من علامات الشقاء** : القسوة في القلب

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (332) ، وأبو داود (316) ، وابن ماجه (642) .

(2) **صحيح** : رواه مالك (1 / 51) ، والبخاري (130) ، ومسلم (313) .

(3) **حسن** : رواه الترمذي (2458) ، وأحمد (1/ 387) ، والطبراني في « الكبير » (10/ 152) ، و« الأوسط » (7/ 226) ، والبزار في « مسنده » (5 / 391) ، والحاكم (4 / 359) وصححه ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 141) ، وله شاهد مرسل عن الحسن ، **قال البيهقي** : وذلك تأكيد لهذا المسند .

(4) **ضعيف** : رواه الترمذي (1080) ، وأحمد (5 / 421) ، والطبراني في (4 / 183) ، وسنده ضعيف ، ورواه سعيد بن منصور في « السنن » (1 / 1 / 167) وهناد في « الزهد » (2 / 625) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه من قوله ، ولعله الصواب .

وجمود العين ، أي قلة دمعها من خشية الله تعالى ، وقلة الحياء ، والرغبة في الدنيا ، وطول الأمل .

وروي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أنه دخل على رسول الله ﷺ فوجده يبكي ، **فقال** : ما يبكيك يا رسول الله ؟ **قال** : « أخبرني جبريل أن الله يستحي من عبد يشيب في الإسلام أن يعذبه ، أفلا يستحي الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب في الإسلام ؟ »[1] .

وروي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - **قال** : خرج رسول الله ﷺ يومًا إلى غنم له وفيها أجير له يرعاها ، وإذا بالأجير متجرد فيها ، أي من ثيابه ، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له : « **كم لك عندنا من أجرك ؟** » **فقال** : يا رسول الله ألم أحسن الرعاية والولاية ؟ قال : « **إني لا أحب أن يكون فيها من لا يستحي من الله ﷻ إذا خلا** »[2] .

وقيل : إن من علامات الحياء ألا يخاف الشخص غير الله ، كما حكي أن إنسانًا خرج ليلة ، فمر برجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى فحركه ، **وقال له** : ألا تخاف أن تنام في هذا الموضع المخوف ؟ فرفع رأسه ، **وقال** : أستحي منه أن أخاف غيره ، ووضع رأسه ونام .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم عليه مدار الإسلام .

(**رواه البخاري**) - رحمه الله تعالى - في ذكر بني إسرائيل ، إلا اللفظة الأولى فإنها ليست في روايته ، وإن كان ظاهر كلام المصنف خلافه ، حيث نسبه كله لها ، وهذه اللفظة ثابتة في رواية أحمد وأبي داود وابن ماجه عن الصحابي المذكور ، وكذا في رواية شعبة - رحمه الله تعالى .

حكي أن بعضهم سافر إليه ليسمع منه وكان في البصرة فصادفه قد انصرف من

---

(1) **لا يصح** : ذكره أسامة بن منقذ في « لباب الآداب » ص 82 بهذا اللفظ عن ابن عمر ﷺ ، وهو عند أبي نعيم في « الحلية » (2 / 387) ، وابن قدامة في « صفة العلو » ص 65، والرافعي في « أخبار قزوين » (1 / 209) عن أنس ﷺ بلفظ مقارب وهو باطل كما قال الذهبي في « الميزان » (6 / 207) ، و« العلو » ص 52 .

(2) لم أقف على رواية أنس ﷺ ، وإنما رواه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (2 / 836) مرسلًا عن زرارة بن أوفى ، **قال ابن كثير** في « الآداب المتعلقة بدخول الحمام » ص 64 : هذا مرسل ، وزرارة بن أوفى قاضي البصرة ، وهو تابعي جليل .

مجلسه ، فسأل عن منزله فدُل عليه ، فوجده مفتوحًا ، فدخله من غير إذن ، فوجد شعبة جالسًا يبول **فقال له** : السلام عليكم ، رجل غريب ، قدمت من بلدة بعيدة لتحدثني بحديث رسول الله ﷺ ، فاستعظم ذلك شعبة **وقال** : يا هذا دخلت منزلي بغير إذني ، وتكلمني على مثل هذا الحال ؟ **فقال** : إني خشيت الفوت ، أي الموت ، **فقال** : تأخر عني حتى أصلح من شأني ، فلم يفعل ، واستمر في الإلحاح وشعبة يخاطبه وذكره في يده يستبرئ ، فلما أكثر **قال** : اكتب : حدثنا منصور بن المعتمر ، عن ربعي بن حراش - بكسر الراء والحاء وسكون الباء - عن أبي مسعود عن رسول الله ﷺ قال : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » ، ثم **قال** : والله لا أحدثك بعد هذا الحديث ، ولا أحدث قومًا تكون فيهم[1] .



---

(1) **انظر** القصة في « الأنساب » للسمعاني (4 / 154) ، و« المنتظم » لابن الجوزي (16 / 248) ، « فتح المغيث » للسخاوي (2 / 358) .

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو رضي الله عنه ، **وَقِيلَ** : أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِي رضي الله عنه **قَالَ** : قُلْت : يا رَسُولَ اللهِ ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك ؛ قَالَ : « **قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي عمرو**) بالواو (**وقيل : أبي عمرة**) بالهاء (**سفيان**) بتثليث السين والضم أشهر ، وهو الرواية (**ابن عبد الله الثقفي**) نسبة لثقيف قبيلة مشهورة ، **ويقال له** : الطائفي ؛ لأنه معدود من أهل الطائف بلدة معروفة (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) استعمله عمر - رضي الله تعالى عنه - على صدقات الطائف ، ومروياته خمسة أحاديث ، روى مسلم منها حديثًا واحدًا ، وهو قول المصنف (**قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام**) أي في دينه وشريعته (**قولاً**) أي لفظًا جامعًا لأموره كافيًا واضحًا ، بحيث (**لا أسأل عنه أحدًا غيرك**) أي لا أحتاج فيه إلى سؤال أحد غيرك ؛ لما اشتمل عليه من بدائع الإحاطة والشمول ونهاية الإيضاح والظهور .

(**قال**) رسول الله ﷺ : (**قل**) أي يا سفيان (**آمنت بالله**) أي جدد إيمانك به حال كونك ذاكرًا بلسانك ، ومتذكرًا بجنانك أي قلبك .

وقيل : إن المعنى دُم على إيمانك بالله .

وقيل معناه : زد في إيمانك بالله بالتفكر في مصنوعاته .

(**ثم استقم**) على فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، وغاية الاستقامة ونهايتها ، ألا يلتفت العبد إلى غير الله تعالى ؛ ولذا قيل : لا يطيق الاستقامة إلا الأكابر ؛ لأنها لا تحصل إلا بالخروج عن المألوفات ، ومفارقة العادات ، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق .

وقيل : هي توبة بلا إصرار ، وعمل بلا فتور ، وإخلاص بلا التفات ، ويقين بلا

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (38) ، وأحمد (3 / 413) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد » (3 / 222) .

تردد ، وتفويض بلا تدبير ، وتوكل بلا وَهْم .

وقيل : هي المتابعة للسنة المحمدية مع التخلق بالأخلاق المرضية .

وقيل : إنها درجة بها كمال الأمور وتمامها ، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها .

ومن لم يكن مستقيمًا ضاع سعيه وخاب جده ، ومن ثم **قيل** : الاستقامة خير من ألف كرامة ، وما أكرم الله تعالى عبدًا بكرامة خير من الاستقامة ، فكن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة ، إذ ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة ، ألا ترى أنه لم ينقل عن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - إلا القليل من الكرامات ، ونقل عن غيرهم من المتأخرين أكثر من ذلك ، مع أن الصحابة كانوا في أعلى درجات الاستقامة ، فعلم من ذلك أن ظهور الكرامة وإن دل على الاستقامة لا يدل على كمالها .

قال سيدي أبو العباس المرسي(1) - نفعنا الله تعالى به - : ليس الشأن فيمن تطوى له الأرض فإذا هو بمكة وغيرها من البلدان ، إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه ، فإنما هو عبد عند ربه .

وذكر عند سهل بن عبد الله(2) الكرامات **فقال** : وما الكرامات ؟ هي أشياء تنقضي لوقتها ، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقًا مذمومًا من أخلاق نفسك بخلق محمود(3) .

وقيل : إن ظهور الكرامة لا يدل على أفضلية صاحبها بل على فضله ، وإنما الأفضلية تكون بقوة الإيمان ، وكمال العرفان ، وتسليم الأمور للملك الديان ، واستعمال الجوارح في خدمته ، مع الأدب معه ولزوم خشيته .

---

(1) **أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي أبو العباس الأنصاري المرسي** ، فقيه ، متصوف ، زاهد ، وارث شيخه الشاذلي ، **قال الصفدي** : ولأهل مصر والثغر فيه اعتقاد كبير ، توفي سنة 738 هـ .
انظر : « الوافي بالوفيات » (7 / 173) ، « طبقات الأولياء » لابن الملقن ص 69 .

(2) **سهل بن عبد الله التستري أبو محمد** ، فقيه ، زاهد ، محدث من كبار أئمة التصوف ، **قال الأزدي** : أحد أئمة القوم وعلمائهم ، توفي سنة 283 هـ .
انظر : « طبقات الصوفية » للأزدي ص 166 ، « الأنساب » (1 / 465) ، « المنتظم » (12 / 362) .

(3) **انظر** هذه النصوص المشار إليها في « الرسالة القشيرية » ص 390 .

وممن كان على هذه الحالة سيدنا سعيد بن جبير - رضي الله تعالى عنه ونفعنا به - **حكي** أن الحجاج بن يوسف - عامله الله بما يستحقه - لما بلغه أمر هذا السيد أرسل إليه قائدًا يسمى المتلمس بن الأحوص ، ومعه عشرون رجلًا من أهل الشام من خاصة أصحابه ، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة له فسألوه عنه ، **فقال لهم** : صفوه لي ، فوصفوه له فدلهم عليه ، فانطلقوا فوجدوه ساجدًا يناجي بأعلى صوته ، فدنوا منه ، فسلموا عليه ، فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ، ثم رد عليه السلامَ .

فقالوا له : أرسلنا الحجاج إليك فأجبه ، **قال** : ولابد من الإجابة ؟ **قالوا** : لابد ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد ﷺ ، ثم قام فمشى معهم حتى انتهى إلى دير الراهب ، **فقال الراهب** : يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم ، **قالوا** : نعم ، **فقال لهم** : اصعدوا الدير فإن اللبؤة[1] والأسد يأويان حول الدير ، فعجلوا الدخول قبلْ المساء ، ففعلوا ذلك ، وأبى سعيد أن يدخل الدير ، **فقالوا له** : ما نراك إلا تريد الهرب منها! **قال** : لا ، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدًا ، **قالوا** : فإنا لا ندعك ، أي نتركك ، فإن السباع تقتلك ، **قال سعيد** : إن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسًا حولي تحرسني من كل سوء - إن شاء الله تعالى ، **قالوا** : أفأنت من الأنبياء ؟ **قال** : ما أنا من الأنبياء ، ولكني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب ، **فقالوا** : احلف لنا أنك لا تبرح ، أي لا تفارق ، هذا المكان ، فحلف لهم .

وعند ذلك **قال لهم الراهب** : اصعدوا الدير وأوتروا القسي لتنفِّروا السباع عن هذا العبد الصالح ، فإنه كره الدخول علي في الصومعة ، فدخلوا وأوتروا القسي ، فإذا هم باللبؤة قد أقبلت ، فلما دنت من سعيد تمسحت به ، ثم ربضت ، أي بركت ، قريبًا منه ، وأقبل الأسد ، فصنع مثل ذلك ، فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله ﷺ ، ففسر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب ، وحسن إسلامه ، وأقبل القوم إلى سعيد يعتذرون ويقبِّلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل ، أي داسه برجله ، ويصلون عليه ، **ويقولون** : يا سعيد حلَّفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك ، أي نذهب بك إليه ، فمرنا

---

(1) **اللبؤة** : أنثى الأسد ، وهو اللغة الفصيحة ، واللبوة لغة فيها .

انظر : « الزاهر » (1 / 358) ، « تهذيب اللغة » (15 / 276) ، « المحيط في اللغة » (10 / 357) .

بما شئت ، **فقال** : امضوا لشأنكم فإني لائذ بخالقي ، أي ملتجئ إليه ، ولا رادَّ لقضائه .

فساروا حتى وصلوا إلى « واسط » ، بلدة اختطها الحجاج ، فلما انتهوا إليها **قال لهم سعيد** : يا معشر القوم قد تحرمت ، أي تمتعت بكم وصحبتكم ، ولست أشك أن أجلي قد حضر ، وإن المدة قد انقضت ، فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت ، وأستعد لمنكر ونكير ، وأذكر عذاب القبر وما يُحثى علي من التراب ، فإذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدون ، **فقال بعضهم** : ما نريد أثرًا بعد عين ، **وقال بعضهم** : قد بلغتم أملكم فلا تعجزوا عنه ، **وقال بعضهم** : هو عليَّ أدفعه إليكم إن شاء الله تعالى .

فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه وتغيَّر لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه ، **فقالوا بأجمعهم** : يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك ، الويل لنا ، كيف أتينا بك ، اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر فإنه القاضي الأكبر والعدل الذي لا يجور ، **وقال كفيله** : أسألك بالله يا سعيد إلا ما زودتنا من دعائك وكلامك ، فإنا لم نلق مثلك أبدًا ، فدعا لهم سعيد فخلوا سبيله ، فلما أصبح جاءهم فقرع الباب ، **فقالوا** : من بالباب ؟ **فقال** : صاحبكم ورب الكعبة ، فنزلوا إليه وبكوا معه طويلاً .

ثم ذهبوا به إلى الحجاج ، فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير ، فلما انتصب قائمًا بين يديه **قال له** : ما اسمك ؟

قال : سعيد بن جبير .

قال : أنت شقي بن كسير .

قال : أمي كانت أعلم باسمي منك .

قال : شقيت أنت وشقيت أمك .

قال : الغيب يعلمه غيرك .

ثم **قال له الحجاج** : لأبدلنك بالدنيا نار لظى .

قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا .

قال : فما قولك في محمد ؟

قال : نبي الرحمة .

قال : فما قولك في علي هل هو في الجنة أم في النار ؟

قال : لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما .

قال : فما قولك في الخلفاء ؟

قال : لست عليهم بوكيل .

قال : فأيهم أعجب إليك ؟

قال : أرضاهم لخالقي .

قال : فأيهم أرضى للخالق ؟

قال : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم .

قال : فما بالك لا تضحك ؟

قال : أيضحك مخلوق خلق من الطين ، والطين تأكله النار .

قال : فما بالنا نضحك ؟ **قال** : لم تستو القلوب .

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضع بين يدي سعيد ، **فقال له سعيد** : إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيء جُمِعَ من الدنيا إلا ما طاب وزكا .

ثم دعا الحجاج بآلات اللهو ، فبكى سعيد ، **فقال الحجاج** : ويلك يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك ؟ **قال** : اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة .

قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟

قال : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا .

قال : اذهبوا به فاقتلوه .

فلما خرج من الباب ضحك ، فأُخْبِرَ الحجاج بذلك فأمر برده ، **فقال** : ما أضحكك ؟ **قال** : عجبت من جراءتك على الله ، وحلم الله عليك .

فأمر بالنطع فبسط بين يديه ، **وقال** : اقتلوه .

فقال سعيد : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : 79] .

قال : وجهوه لغير القِبْلة .

قال سعيد : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : 115] .

فقال : كبوه لوجهه .

فقال سعيد : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [سورة طه : 55] .

فقال الحجاج : اذبحوه .

فقال سعيد : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، ثم **قال** : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

فذبح على النطع ، وهو بساط من جلد ، فكانت رأسه بعد قطعها تقول : لا إله إلا الله!

وعاش الحجاج بعد قتله خمسة عشر يومًا ، وذلك في سنة خمس وتسعين ، وكان عُمر سعيد تسعًا وأربعين سنة - رحمه الله تعالى ورضي عنه[1] .

ثم إن هذا الحديث موقعه عظيم ، وهو من بديع جوامع كلمه ﷺ ، فإنه جمع لهذا السائل في هاتين الجملتين جميع معاني الإسلام ؛ لأنه توحيد وطاعة ، فالتوحيد حاصل بالجملة الأولى والطاعة بجميع أنواعها في ضمن الجملة الثانية ، **فيصح أن يقال فيه** : إنه كل الإسلام .

(**رواه مسلم**) رحمه الله تعالى ، وزاد الترمذي فيه زيادة مهمة ، وهي : **قلت** : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ، ثم قال : « **هذا** » .

وفيه تنبيه على أن أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب اللسان ؛ فإنه ترجمان القلب .

وروي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا : « **إذا أصبح ابن آدم قالت الأعضاء للسان : اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا** »[2] .

---

(1) **انظر** القصة بطولها في : « المحن » للتميمي ص 242 .
« الحلية » (4 / 293، 294) ، « تهذيب الكمال » (10 / 369- 373) ، « سير النبلاء » (4 / 328 - 332) .

(2) **حسن** : رواه الترمذي (2407) ، وأحمد (3 / 95) ، والطيالسي (1185) ، وأبو نعيم في « الحلية » (4 / 309) ، **وقال العراقي** : إسناده جيد . **انظر** : « فيض القدير » (1 / 286) .

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ ، جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، **فَقَالَ** : أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ ، وَلَم أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

ومعنى : **حرمت الحرام** ؛ اجتنبته ، ومعنى : **أحللت الحلال** ؛ فعلته معتقدًا حله .

(عن أبي عبد الله) وقيل : أبي عبد الرحمن ، **وقيل** : أبي محمد **(جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله)** تعالى **(عنهما)** وقد كانا من أكابر الصحابة ، واستشهد عبد الله هذا بأُحد ، وقال النبي ﷺ لابنه جابر : « **أي بني ألا أبشرك أن الله ﷻ أحيا أباك فقال : تمنَّ ، فقال : أتمنى يا رب أن تعيد روحي وتردني إلى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى ، قال : إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون** »[2] .

وكان عليه دين وترك حائطًا ، أي بستانًا ، فبذل جابر لغرمائه جميع ثماره فلم يقبلوه ، ولا رضوا بالإمهال ، ولم يكن في ثماره كفاية دَيْنِهِم فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فأمر بجذها ، أي قطعها ، وجعل كل صنف على حدة ، أي وحده ، ثم طاف ﷺ بها وأمره أن يكيل من واحد منها ، فوفى الدَّيْن وفضل بعده آصع كثيرة[3] .

وفي رواية : وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة ، **وفي أخرى** : مثل ما أعطاهم ، وكانوا من اليهود ، فعجبوا من ذلك ، واستغفر النبي ﷺ لجابر – رضي الله تعالى عنه – في ليلة واحدة سبعًا وعشرين مرة[4] في قضاء دَيْنِ أبيه ، **فقال** :

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (15) ، وأحمد (3 / 348) ، والطبراني في « الأوسط » (8 / 27) ، والحاكم (3 / 680) .

(2) **حسن** : رواه الترمذي (3010) ، وابن ماجه (190) ، وابن حبان (7022) ، وأحمد (3 / 361) ، والحميدي (1265) .

(3) أصل الحديث عند البخاري (2020) ، (2265) ، والنسائي في « الكبرى » (4 / 106) ، وأحمد (3 / 313) .

(4) الذي في المصادر التي بين أيدينا أنه ﷺ استغفر له خمسًا وعشرين مرة .

« يا جابر قضيت دين أبيك غفر الله لك »[1] وهكذا .

وعمي آخر عمره ، وتوفي بالمدينة سنة ثلاث أو ثمان وسبعين[2] ، عن أربع وتسعين سنة ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ، وكان من الحفاظ المكثرين في الرواية ، روي له ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثًا ، منها ما ذكره المصنف عنه ، وهو (**أن رجلًا**) اسمه النعمان بن قوقل[3] بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام ، وكان له صحبة وشهد بدرًا وقتل بأحد شهيدًا - رضي الله تعالى عنه -، **وهو القائل في هذه الوقعة** : أقسمت عليك رب العزة لا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتي هذه خضراء الجنة ، فقال النبي ﷺ : **« إن النعمان ظن بالله ﷻ خيرًا فوجده عند ظنه ، فلقد رأيته يطأ في خضرائها ما به عرج »**[4] .

(**سأل رسول الله**) وفي نسخة ، النبي (ﷺ **فقال**) له : (**أرأيت**) الاستفهام هنا بمعنى الاستخبار ، ورأيت بمعنى علمت ، أي أخبرني بما تعلمه وتتيقنه من أمري (**إذا صليت الصَّلوات المكتوبات**) أي المفروضات ، وهي الصلوات الخمس (**وصمت**) شهر (**رمضان وأحللت الحلال**) أي اعتقدت حله وفعلت الواجب منه بقرينة السياق (**وحرمت الحرام**) أي اعتقدت حرمته وامتنعت منه (**ولم أزد على ذلك**) المذكور (**شيئًا**) من الطاعات ولم يذكر الزكاة والحج إما لعدم فرضهما حينئذ ، وإما لعدم مخاطبته بهما بسبب فقد النصاب والاستطاعة ، وإما لدخولهما تحت قوله : وحرمت الحرام ؛ لأن ترك الفرائض من جملة المحرمات ، وعلى هذا يقال : إنما ذكر الصلاة والصوم وإن كانا داخلين أيضًا اهتمامًا بهما .

وقوله : (**أدخل الجنة ؟**) همزة الاستفهام فيه مقدرة ، أي : أأدخل الجنة ، والمراد من غير سبق عذاب (**قال : نعم**) أي تدخلها كذلك ، أعني من غير سبق عذاب كما هو

---

(1) انظر ذلك في « المغازي » للواقدي (1 / 337- 338) ، « تاريخ دمشق » لابن عساكر (11 / 226) ، « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور (2 / 249) .

(2) انظر ترجمته في : « تذكرة الحفاظ » (1 / 43) ، « تهذيب الكمال » (4 / 443) ، « الإصابة » (1 / 434) .

(3) كذا جاء في « معجم الصحابة » لابن قانع (3 / 145) ، و« الاستيعاب » لابن عبد البر (4 / 1504) .

(4) أسنده أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (5 / 2654) عن خالد بن أبي مالك الجعدي عن أبيه ، والبغوي في « الصحابة » كما في « الإصابة » (6 / 451) وهو مرسل .

ظاهر السياق ؛ لأن مطلق دخولها إنما يتوقف على الإيمان ، فمن مات مؤمنًا قطع له بدخولها ، ثم إنه إن كان سالمًا من المعاصي كطفل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ ، وتائب توبة صحيحة ، وموفق ما ألم بمعصية قط ، أي ما فعلها أبدًا ، فلا يدخل النار أصلاً ، لكنه يردها ، بمعنى أنه يمر على الصراط وهو منصوب على ظهرها ، وإن كان عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه فلا يدخل النار أصلاً كالأول ، وإن شاء عذبه في النار ثم أخرجه منها وأدخله الجنة ، فلا يخلد في النار أحد مات مؤمنًا ولو عمل جميع المعاصي ، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات كافرًا بل يدخل النار ويخلد فيها ولو عمل من أعمال البر ما عمل ، هذا مذهب أهل الحق .

وأما ما ثبت في الأحاديث الصحيحة من أن بعض الكبائر يمنع دخول الجنة ؛ كقطع الرحم والكِبْر ، فمعناه عدم دخولها مع السابقين ، أو هو محمول على المستحَل .

فإن قيل : إن هذا الحديث يفيد أن العمل الصالح يكون سببًا لدخول الجنة ، مع أنه ثبت أن رسول الله ﷺ قال : « **لن يدخل أحدًا عمله الجنة** » **قالوا** : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته** »[1] ، أجيب بأن العمل الذي يكون سببًا لدخول الجنة إنما هو المقبول لا غيره ، ولاشك أن القبول رحمة من الله تعالى ، فآل الأمر إلى أن الدخول لم يقع إلا برحمته تعالى .

قال ابن القيم : العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب دخول الجنة ، ولا أن تكون عوضًا له ؛ لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله تعالى لا يقاوم ، أي لا يعادل ، نعمة بل جميع الأعمال لا يوازي ، أي لا يقابل ، نعمة واحدة من نعم الله سبحانه وتعالى .

وقد جاء أن بعض عبَّاد بني إسرائيل كان يتعبد في جزيرة لا يعرفها أحد ، وأنبت الله له شجرة رمان يأكل منها وعين ماء ترويه ، فبقي كذلك خمسمائة عام ، ثم سأل ربه ﷻ أن يقبضه ساجدًا ففعل ، فأخبر عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه يؤتى به يوم القيامة ، **فيقول الله تعالى** : اذهبوا به إلى الجنة برحمتي ، **فيقول** : يا رب بل بعملي ، **فيقول** : حاسبوه على شكر نعمة حاسة البصر ، فيحاسب ، فلا تفي عبادته بها ، **فيقول** : يا رب

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (5349) ، (6102) ، ومسلم (2816) ، (2818) .

أدخلني الجنة برحمتك ، **فيقول** : اذهبوا به إليها برحمتي[1] .

واعلم أن الجنة موجودة الآن ، خلقها الله ﷻ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وحصباؤها الدر والياقوت ، وترابها الزعفران ، ليس فيها نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدًا ، وإنما يعرف أهلها الليل بإرخاء الستور والنهار برفعها ، ويعرفون أوقات الصلاة بالتهليل والتكبير ويوم الجمعة بالزيارة لله تعالى ، والشهر بالهدايا والتحف ؛ تأتيهم الملائكة بها من الله سبحانه وتعالى في رأس كل شهر ، ويعرفون العام بقول الملائكة لهم : إن الله تعالى يدعوكم لطعام فهو لكم عيد من العام إلى العام .

ولما خلقها الله ﷻ **قال لها** : تكلمي ، **فقالت** : قد أفلح المؤمنون ، أي فازوا ، **فقال** : طوبى لك منزل الملوك[2] .

وورد أن الرجل من أهلها يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة .

ولما سمع ذلك بعض اليهود **قال** : إن الذي يأكل ويشرب تكون منه الحاجة فقال ﷺ : « **حاجتهم عرق يفيض** » أي يرشح من جلودهم « **مثل المسك** »[3] أي لأن الجنة لا قذر فيها ، حتى إن أهلها لا يمتخطون فيها ولا يتفلون .

وقيل : إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحوراء سبعين سنة لا يملها ولا تمله ،

---

(1) أصل هذه القصة مروي عند العقيلي في « الضعفاء » (2 / 144) ، والخرائطي في « فضيلة الشكر » ص 52 ، والحاكم في « المستدرك » (4 / 278) ، وتمام الرازي في « فوائده » (2 / 260) ، والبيهقي في « الشعب » (4 / 151) ، وفي سنده عندهم سليمان بن هرم ، **قال العقيلي** : حديثه غير محفوظ ، **قال الذهبي** : تفرد عن ابن المنكدر بحديث العابد والرمانة .

انظر : « الميزان » (3 / 320) ، « المغنى في الضعفاء » (1 / 282) .

(2) **الأصح وقفه** : روي مرفوعًا عند الطبراني في « الأوسط » (4 / 99) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (1 / 174) ، وفي « الحلية » (6 / 204) من حديث أبي سعيد ﷺ ، ونقل المنذري في « الترغيب » (4 / 282) عن البزار تضعيف الرواية المرفوعة ، **وقال** : وقفه هو الأصح المشهور ، **قلت** : وهو مروي عن جماعة من السلف ، **انظرهم في** : **« الزهد » لابن المبارك ص 512 ، « تفسير الطبري » (18 / 1 ، 2) ، وأبي نعيم في « صفة الجنة » (1 / 43 - 45) ، والبيهقي في « البعث والنشور » ص 218 .**

(3) **صحيح** : رواه أحمد (4 / 367) ، والدارمي (2825) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 454) **وقال العراقي في** « تخريج الإحياء » (4 / 251) : إسناده صحيح .

وكلما أتاها وجدها بكرًا ، وإنه ليجامعها بقوة سبعين رجلًا ، ولا يكون بينهما مني لا منه ولا منها[1] .

وورد : « **إن أدنى أهل الجنة منزلة من يعطى قدر الدنيا ومثلها معها** » وفي رواية : « **وعشرة أمثالها معها** »[2] .

وقال بعضهم : يكون في ملكه ألف حوراء .

وروي : « **إن في الجنة غرفًا من أصناف الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر** » ، **قيل** : يا رسول الله! ولمن هذه الغرف ؟ قال : « **لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام** » ، **قيل** : يا رسول الله ومن يطيق ذلك ؟ قال : « **أمتي تطيق ذلك ، من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه السلام فقد أفشى السلام ، ومن أطعم عياله وأهله من الطعام حتى أشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام** »[3] يعني اليهود والنصارى والمجوس .

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : من أطاع مولاه وخالف هواه كانت الجنة مأواه ، ومن تمادى في عصيانه وأرخى زمام طغيانه واتبع هوى نفسه وشيطانه كانت النار أولى به .

وقال يحيى بن معاذ - رحمة الله تعالى عليه - : ترك الدنيا شديد وفوات الجنة

---

(1) نقله القرطبي في « تفسيره » (15 / 45) عن ابن عباس ﷺ ، وانظره في « زاد المسير » لابن الجوزي (8 / 142) ، « المحرر الوجيز » لابن عطية (5 / 245) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (6202) ، ومسلم (188) .

(3) **ضعيف بهذا السياق ، وأصله ثابت** : رواه بهذا اللفظ تمام الرازي في « فوائده » (2 / 170) ، وأبو نعيم في « الحلية » (2 / 356) ، والبيهقي في « البعث والنشور » ص 260، وابن الشجري في « الأمالي » (1 / 279) ، **وقال البيهقي** : إسناده غير قوي ، **قلت** : وأصله ثابت مختصرًا بلفظ : « **إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها** . قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : **لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام ، وبات قائمًا والناس نيام** » رواه الترمذي (1984) ، وابن حبان (509) ، والحاكم (1 / 153) وصححاه ، وكذا الذهبي .

أشد ، وترك الدنيا مهر الآخرة ، وفي طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس ، فيا عجبًا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ، ويترك العز في طلب ما يبقى .

وفي الحديث الشريف : « **من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار : اللهم أجره مني** »[1] .

وفي الحديث أيضًا : « **يقول الله تعالى : انظروا في ديوان عبدي فمن رأيتموه سألني الجنة فأدخلوه الجنة ، ومن استعاذ من النار فاصرفوه عنها** »[2] .

فنسأل الله تعالى الكريم المنان أن يجيرنا من النار دار الهوان ، وأن يدخلنا الجنة محل الرضوان بجاه نبينا محمد سيد ولد عدنان ﷺ .

ثم إن هذا الحديث (**رواه مسلم**) رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان ، وهو حديث عظيم الموقع ، وعليه مدار الإسلام لجمعه له ؛ وذلك لأن الأفعال إما قلبية أو بدنية ، وكل منهما إما مأذون فيه وهو الحلال ، أو ممنوع منه وهو الحرام ، فإذا أحل الشخص الحلال وحرم الحرام فقد أتى بجميع وظائف الدين ودخل الجنة آمنًا .

ومعنى قول النعمان (**حرمت الحرام**) : اجتنبته ، أي تركته كله معتقدًا حرمته ، قوله (**أحللت الحلال**) فعلته معتقدًا حله ، والمراد فعلت الواجب منه بقرينة السياق كما مر ، فأل فيه ليست للاستغراق بخلافها في الحرام ، وإنما احتاج المصنف لهذا التأويل ؛ لأن المحلل والمحرم هو الله تعالى وليس للنعمان شيء منهما .



(1) **صحيح** : رواه الترمذي (2572) ، والنسائي في « الكبرى » (4 / 465) ، وابن ماجه (4340) ، وأحمد (3 / 141) ، وابن حبان (1014) وصححه .

(2) **ضعيف** : رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (71) ، وفي « الحلية » (6 / 175) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (5 / 245) ، وإسناده ضعيف كما قال ابن رجب في « التخويف من النار » ص 44 .

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ ، **قَالَ** : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للَّهِ تَمْلآنِ** - أَوْ : تَمْلأُ - **مَا بَيْنَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لك أَوْ علَيْك ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي مالك الحارث**) **وقيل** : كعب ، وهو المشهور (**ابن عاصم**) وفي نسخة عامر (**الأشعري**) نسبة إلى قبيلة باليمن يقال لهم الأشعريون ، والصحيح أنه غير أبي موسى الأشعري المشهور ؛ لأن ذاك معروف بكنيته وهذا معروف باسمه لا بكنيته ، سكن مصر ومات بالطاعون في خلافة عمر بن الخطاب سنة ثمان عشرة (**رضي الله**) تعالى (**عنه قال** : **قال رسول الله ﷺ** : **الطهور**) بضم الطاء ، **وهو لغة** : التنزه والتطهر من الأحداث والأنجاس والمذام ، **وشرعًا** : فعل ما يترتب عليه إباحة ولو من بعض الوجوه كالتيمم ، أو ثواب مجرد كالغسلة الثانية في الوضوء ، والمراد هنا المعنى اللغوي .

وقوله (**شطر الإيمان**) أي : نصفه ، والمراد الإيمان الكامل ، وهو ذو خصال كثيرة وأحكام متعددة ، إلا أنها منحصرة فيما ينبغي التنزه والتطهر عنه ، وهو كل منهي عنه وما ينبغي التلبس به وهو كل مأمور به ، فهو شطران ، والطهور بالمعنى اللغوي شامل لجميع الشطر الأول ، فصح أن يكون نصفه ، ويحتمل أن المراد بالطهور الوضوء الشرعي ، وبالشطر الجزء ، والمعنى أن الوضوء الشرعي لكثرة ثوابه جزء من أجزاء الإيمان ، ويؤيد هذا الاحتمال حديث ابن ماجه : « **إسباغ الوضوء** » أي إكماله « **شطر الإيمان** »[2] . وحديث الترمذي : « **الوضوء شطر الإيمان** » .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (223) ، وأحمد (5 / 342) ، والدارمي (653) .

(2) **صحيح** : رواه الترمذي (3517) ، والنسائي (5 / 5) ، وابن ماجه (280) وصححه الترمذي ، وابن حبان (844) .

ويحتمل أن يكون المراد بالطهور الطهارة عن الحدث والخبث ، وبالإيمان الصلاة ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [سورة البقرة : 143] .

أي : صلاتكم يا معاشر الصحابة إلى بيت المقدس ، ويكون الشطر حينئذ بمعنى الشرط .

واعلم أن الطهارة تنقسم إلى واجبة ومستحبة ، فالمستحبة كالأغسال المسنونة وتجديد الوضوء ، والواجبة تنقسم إلى قلبية كالتنزه عن الحسد والكبر والعجب والرياء ، وبدنية كإزالة النجاسة ووضوء المحدث أو تيممه .

وقد جاء في فضل الوضوء أحاديث كثيرة منها :

قوله ﷺ : « **لا يسبغ عبد الوضوء** » أي لا يأتي به تامًّا كاملاً « **إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** »[1] .

ومنها قوله ﷺ : « **إن العبد إذا توضأ فتمضمض أذهب الله بكل ذنب أصابه بفيه ، فإذا استنشق أذهب الله بكل ذنب أصابه بأنفه ، فإذا غسل وجهه أذهب الله بكل ذنب أصابه بوجهه ، فإذا غسل يديه أذهب الله بكل ذنب أصابه بيديه ، فإذا مسح رأسه أذهب الله بكل ذنب أصابه برأسه ، فإذا غسل رجليه أذهب الله بكل ذنب أصابه برجليه** »[2] .

ومنها قوله ﷺ : « **من وضأ هذه الأعضاء فأحسن وضوءها استوجب من الله الرضوان الأكبر** »[3] .

وتسن المحافظة عليه لقوله ﷺ : « **يا أنس إن استطعت أن تكون أبدًا على وضوء فافعل ، فإن ملك الموت إذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت له شهادة** »[4] .

وقال بعض العارفين : من داوم على الوضوء أكرمه الله تعالى بسبع خصال : ترغب

---

(1) **حسن** : رواه ابن أبي عاصم في « الآحاد » (1 / 133) ، والبزار في « مسنده » (2 / 76) ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (1 / 93) ، والهيثمي في « مجمع الزوائد » (1 / 237) .

(2) **صحيح** : أصله عند مالك في « الموطأ » (1 / 31) ، والنسائي (1 / 74) ، وابن ماجه (282) ، وأحمد (4 / 348) ، والحاكم (1 / 222) وصححه ، وكذا الذهبي .

(3) لم أهتد إليه .

(4) **لا يصح** : رواه أبو يعلى (6 / 307) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 29) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 365) ، **وقال** : لا يصح ، **وانظر** : « تلخيص الموضوعات » للذهبي .

الملائكة في صحبته ، ولا يزال القلم رطبًا من كتب ثوابه ، وتسبح أعضاؤه وجوارحه ، ولا تفوته التكبيرة الأولى ، أي مع الإمام ، وإذا نام بعث الله تعالى إليه ملائكة يحفظونه من شر الثقلين ، ويسهل الله تعالى عليه سكرات الموت ، ويكون في أمان الله ﷻ ما دام على الوضوء .

وحكي أن سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أرسل رسولاً إلى الشام ، فمر على دير راهب ، فطرق بابه فلم يفتح له إلا بعد ساعة ، فسأله عن ذلك ، **فقال** : أوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ إذا خفت سلطانًا فتوضأ ، وأمر أهلك به ، فإن من توضأ كان في أمان مما يخاف فلم أفتح لك حتى توضأنا جميعًا[1] .

وفي « طبقات » ابن السبكي : قال الله تعالى : يا موسى توضأ فإن أصابك شيء وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك[2] .

(والحمد لله) أي هذه الكلمة وحدها أو هذا اللفظ وحده **(تملأ الميزان)** بالفوقية على الأول ، وهو الراجح ، وبالتحتية على الثاني ، ويحتمل أن تكون أل في الحمد جنسية ، فيكون المراد هذا اللفظ وما اشتق منه ، وعلى كل فالمعنى أن ثواب التلفظ بما ذكر مع استحضار المعنى والإذعان له يملأ كفة الحسنات من ميزان الآخرة ، وفي هذا دليل على ثبوت الميزان ووزن الأعمال .

واختلف في كيفية الوزن ، فقيل تجسم وتصور الحسنات بصور حسنة نورانية وتطرح في الكفة اليمنى ، وتصور السيئات بصور قبيحة مظلمة وتطرح في الكفة اليسرى .

وقيل : إن الذي يوزن الصحائف المشتملة عليها ، ويدل لذلك حديث البطاقة ، وهو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ، يا رب ، فيقول : ألك عذر ؟ فيقول : لا ، يا رب ، فيقول : ألك حسنة ؟ فيقول : لا ، يا رب ، فيقول : بلى ، إن لك عندنا لحسنة ، وإنه لا ظلم عليك ، فيخرج له بطاقة** ، بكسر الباء أي ورقة صغيرة ، **كالأنملة**

---

(1) ، (2) انظر نزهة المجالس للصفوري (1 / 120) .

فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء »[1] .

قيل : وهذا ليس لكل عبد بل هو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

والأصح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ، **وقيل** : لكل أمة ميزان ، **وقيل** : لكل إنسان ميزان ، ولا يرد على الأصح قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ [سورة الأنبياء : 47] .

لأن جمعه في هذه الآية للتعظيم ، أو لكثرة ما يوزن فيه ، أو أنه جمع موزون ، فالجمع للأعمال لا للميزان .

والقائم بهذا الوزن جبريل عليه السلام ، وهناك ملك قائم ينادي بما يقع ، فإن رجحت الحسنات ، **قال بصوت يسمعه الخلائق كلهم** : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا وضد ذلك بضده .

فائدة : **قيل** : إن سيدنا داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان ، فأراه كل كفة تملأ ما بين السموات والأرض ، أو ما بين المشرق والمغرب ، فلما رآه غشي عليه من هوله ، ثم أفاق ، **فقال** : إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ **فقال الله** عز وجل : يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأته له بتمرة واحدة ، يا داود أملؤها بشهادة أن لا إله إلا الله[2] .

(وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض) وفي نسخة صحيحة : **« ما بين السموات والأرض »** و **(أو)** للشك من الراوي في سماع لفظ الحديث ، هل هو بالتثنية أو بالإفراد ، لا للشك من النبي ﷺ ؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إليه ، والفعلان بالفوقية على إرادة الجملتين في الأول وإرادة الكلمة في الثاني ، وبالتحتية على إرادة اللفظين .

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (2639) ، وابن ماجه (4300) ، وأحمد (2 / 213) ، وكذا ابن حبان (225) ، والحاكم (1 / 46) وصححاه .

(2) ذكره البغوي في « تفسيره » (3 / 246) ، وعنه ابن عادل في « اللباب في علوم الكتاب » (13 / 512) .

أو الذكرين أو النوعين في الأول وإرادة اللفظ أو الذكر في الثاني ، كذا قيل .

ونقل عن الكازروني أن الرواية فيهما بالفوقية على التأنيث ، والضمير في اللفظة الأولى راجع إلى كلمتي سبحان الله والحمد لله ، وفي الثانية راجع إليهما أيضًا باعتبار أنهما يطلق عليهما كلمة في اللغة .

والمعنى أن كلًّا من سبحان الله والحمد لله يملأ ما بين السماء والأرض ، ويحتمل أنهما يملآن ذلك معًا ، لكن مشاركة الحمدلة للتسبيح بعدما يحصل بها ملء الميزان ، فهي خصت بملء الميزان ، ثم شاركت سبحان الله في ملء ما بين السماء والأرض أيضًا ، **والمراد** : أن الثواب المرتب على قول ذلك كثير جدًّا بحيث لو كان جسمًا لملأ ما ذكر لكبره .

وروي أن : « **التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه** »[1] أي ثوابه ضعف ثواب التسبيح .

وروي أن : « **من قال سبحان الله فله عشر حسنات ، ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة** »[2] وظاهر هذا أن ثواب التسبيح ثلث ثواب الحمد .

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر** »[3] .

وعنه أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من قال حين يصبح وحين يمسي :**

---

(1) **حسن بشواهده** : رواه الترمذي (3519) ، وأحمد (5 / 363) ، وعبد الرزاق (11 / 296) ، والبيهقي في « الشعب » (1 / 436) بسند فيه مقال ، ولكن له شواهد .

(2) ذكره أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (1 / 343) ، وعنه الغزالي في « الإحياء » (4 / 82) بهذا اللفظ ، والذي وقفت عليه ما روي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ، ومن قال الله أكبر فمثل ذلك ، ومن قال : لا إله إلا الله فمثل ذلك ، ومن قال : الحمد لله رب العالمين كتب له بها ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة** » .

رواه ابن أبي شيبة (6 / 104) ، وأحمد (3 / 35) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 210) وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم (1 / 694) .

(3) **صحيح** : رواه مالك (1 / 209) ، والبخاري (6042) ، ومسلم (2691) .

سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه »[1] .

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - **قال** : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « **أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ » فسأله سائل** : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « **يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة ، وتحط عنه ألف خطيئة** »[2] .

(**والصلاة**) أي الجامعة للأركان والشروط المصححة والمندوبات والآداب المكملة (**نور**) أي تنور وجه صاحبها وقلبه ، وتكون له نورًا في قبره وحشره .

قال بعض السلف[3] : من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار .

وقيل : إن المصلي تشرق في قلبه أنوار المعارف والمكاشفات لخلوه فيها عن الشواغل وإقباله على رب الأرض والسموات .

وفي الحديث : « **الصلاة مرضاة للرب ، وحب الملائكة ، وسنة الأنبياء ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاء ، وقبول الأعمال ، وبركة في الرزق ، وسلاح على الأعداء ، وكراهية للشيطان ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ، وسراج في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلًا فوقه ، وتاجًا على رأسه ، ولباسًا على بدنه ، ونورًا يسعى بين يديه ، وسترًا بينه وبين النار ، وحجة للمؤمنين بين يدي رب العالمين ، وثقلًا في الميزان ، وجوازًا على الصراط ، ومفتاحًا للجنة** »[4] ؛ لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد وقراءة ودعاء ، ولأن أفضل الأعمال كلها الصلاة في وقتها .

وروي أنه ﷺ ذكر الصلاة ، وقال : « **من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة** »[5] .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (6292) ، والترمذي (3469) ، وأحمد (2 / 371) .

(2) **صحيح** : رواه مسلم (2698) ، والترمذي (3463) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 45) .

(3) هو شريك بن عبد الله القاضي أبو عبد الله النخعي ، المتوفى سنة 177 هـ .
انظر : « المدخل إلى الإكليل » ص 63 ، « الإرشاد » للخليلي (1 / 171) ، « مقدمة ابن الصلاح » ص 100 .

(4) ذكره الصفوري في « نزهة المجالس » (1 / 117) عن علي ﷺ ولم أقف له على أصل عند غيره .

(5) **صحيح** : رواه أحمد (2 / 169) ، والدارمي (2721) ، وعبد بن حميد (353) ، وابن حبان (1467) وصححه ، وقال المنذري في « الترغيب » (1 / 217) : رواه أحمد بسند جيد .

وروي مرفوعًا : « **إذا حافظ العبد على صلاته فأتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها ، قالت له : حفظك الله كما حفظتني ، فيصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى الله** ﷻ » إلى محل قربه ورضاه « **فتشفع لصاحبها** »[1] .

وروي : « **من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر** »[2] .

وروي : « **بشر المشائين في ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة** »[3] .

(**والصدقة**) والمراد بها الزكاة كما في رواية ابن حبان ، وخير ما فسرته بالوارد ، **وقيل** : المراد المعنى الأعم ، وهو ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة واجبًا كان أو تطوعًا (**برهان**) أي حجة ودليل على كمال إيمان باذلها ، أي معطيها ، وتصديقه بيوم الحساب ، حيث إنه أخرجها رجاء الثواب وهو لا يكون إلا يوم المآب .

وقيل : إن المتصدق يوسم يوم القيامة بسيماء يعرف بها فتكون برهانًا له على حاله فلا يسأل عن مصرف ماله .

وقد جاء في فضل الصدقة أخبار كثيرة ، منها ما أخرجه الديلمي عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعًا : « **تداركوا الغموم والهموم بالصدقات يكشف الله تعالى ضركم وينصركم على عدوكم** »[4] .

وفي الحديث : « **عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال : ثلاثًا في الدنيا وثلاثًا في الآخرة ، أما التي في الدنيا : فتزيد في الرزق ، وتكثر المال ، وتعمر الديار ، وأما التي**

---

(1) **ضعيف** : رواه الطيالسي (585) ، والبزار (7 / 140 ، 151) ، والعقيلي في « الضعفاء » (1 / 120) ، والطبراني في « الأوسط » (3 / 263) بسند ضعيف ، كما قال العراقي في « تخريج الإحياء » (1 / 101) ، **وانظر** : « مجمع الزوائد » (2 / 122) .

(2) **لا يصح** : رواه الطبراني في « الأوسط » (6 / 369) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (1 / 439) ، وذكره الدارقطني في « العلل » (8 / 30 – 31) **وقال** : لا يصح ، وكذا قال ابن الجوزي .

(3) **حسن بطرقه** : رواه أبو داود (561) ، والترمذي (223) ، وابن ماجه (781) ، وكذا ابن خزيمة (1498) ، والحاكم (1 / 331، 332) وصححاه ، وهو حسن بطرقه ، **انظر** : « الترغيب » للمنذري (1 / 133) ، « الخلاصة » للنووي (1 / 313) ، « الزوائد » للبوصيري (1 / 100) .

(4) **ضعيف** : رواه الديلمي كما في « كنز العمال » (6 / 150) ، وفي إسناده راوٍ كذاب كما في « فيض القدير » (3 / 239) ، و« التيسير » (1 / 446) .

في الآخرة : فتستر العورة ، وتصير ظلًا فوق الرأس ، وتستر من النار »[1] .

وورد : ما من رجل يتصدق يومًا أو ليلة إلا حفظ أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة .

وقال مكحول التابعي - رضي الله تعالى عنه - : إذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد لله شكرًا على خلاص واحد منها من أمة محمد ﷺ[2] .

فينبغي للإنسان أن يكثر من الصدقة ولا يخاف الفقر ؛ لأن الله تعالى لابد وأن يخلف عليه ، فقد ورد : « **ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان يقولان : اللهم عجل لمنفق خلفًا ولممسك تلفًا** »[3] .

وحكي أن بعضهم كان له أمة قد عجنت عجينًا وذهبت تجيء بنار لتخبزه ، فأتاه سائل فأعطاه العجين كله ، فجاءت الأمة فلم تجده ، **فقالت** : أين العجين ؟ **فقال لها** : ذهبوا به يخبزونه ، فأكثرت عليه ، فأخبرها بما فعل ، **فقالت** : لابد لنا من شيء نأكله ، فبينما هما كذلك وإذا برجل لا يعرفونه جاء بجفنة[4] عظيمة مملوءة خبزًا ولحمًا ، **فقالت** : ما أسرع ما رد عليك ، خبزوه وجعلوا معه لحمًا[5] .

وقيل : إن إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة : مؤمن قتل مؤمنًا ، ورجل يموت كافرًا ، وإنسان في قلبه خوف الفقر .

وحكي أن بعض الوعاظ **كان يقول** : إذا أراد الرجل أن يتصدق أتاه سبعون شيطانًا فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه من الصدقة ، **فقال له بعض الحاضرين** : إني أقاتل هؤلاء السبعين ، وخرج من المسجد وأتى منزله وملأ ذيله من الحنطة ، وأراد أن

---

(1) ذكره الرازي في « تفسيره » (3 / 42) ، وعنه الصفوري في « نزهة المجالس » (2 / 243) ، ولم أقف عليه عند غيرهما .

(2) ذكره الصفوري في « نزهة المجالس » (2 / 243) .

(3) **صحيح** : رواه أحمد (5 / 197) ، والطيالسي (979) ، وكذا ابن حبان (686) ، والحاكم (2 / 482) وصححاه وكذا الذهبي .

(4) **جفنة** : قصعة أو إناء من فخار ونحوه .

(5) القصة مروية عن حبيب أبي محمد الفارسي البصري ، الإمام التابعي ، الزاهد ، صاحب الكرامات ، المجاب الدعوة .

انظرها في : « حلية الأولياء » (6 / 152) ، « تاريخ دمشق » (12 / 51) ، « صفة الصفوة » (3 / 316) .

يخرج ويتصدق بما معه ، فوثبت إليه زوجته ، وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خر وسقط ذلك من ذيله ، فرجع خائبًا إلى المسجد ، **فقال له الواعظ** : ماذا عملت ؟ **فقال** : صرفت السبعين فجاءت أمهم فهزمتني[1] .

فائدة : يسن للإنسان أن يخص بصدقته المحتاجين وأهل الخير كالعلماء وطلبة العلم ، ودفعها سرًا أفضل من دفعها جهرًا لحديث : « **صدقة السر تطفئ غضب الرب** »[2] .

وقد بالغ جماعة في الإخفاء حتى إن بعضهم كان يلقي صدقته في يد أعمى ، وبعضهم كان يلقيها في طريق الفقير أو في موضع جلوسه بحيث لا يراه ، وبعضهم كان يصرها في ثوبه وهو نائم ، وبعضهم كان يوصلها على يد غيره ويستكتم المتوسط ، كل ذلك لأجل التوسل إلى إطفاء غضب الرب الوارد في الحديث المتقدم ، واحترازًا من الرياء والسمعة .

ومن أقوى وجوه إخفائها أن يبيع لفقير شيئًا بخمسة مثلاً وهو يعلم أن قيمته أكثر من ذلك ، أو يشتري منه شيئًا بعشرة وهو يعلم أن قيمته أقل من ذلك .

(**والصبر**) أي المحبوب شرعًا ، وهو الثبات على الكتاب والسنة ، **وقيل** : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب ، **وقيل** : هو عدم النفور من المقدور ، **وقيل** : هو حبس النفس على العبادات ومشاقها ، وعلى المصائب وحرارتها ، وعن المنهيات والشهوات ولذاتها (**ضياء**) بمعنى أن صاحبه لا يزال مستضيئًا بنور الحق على سلوك سبل الهدى وتجنب طريق الردى .

وقيل : المعنى أن ثوابه يكون ضياءً ونورًا لصاحبه في الآخرة .

وقيل : إن الصبر على الطاعة حتى يؤديها ، وعن المعصية فلا يرتكبها ، يؤثر في القلب نورًا ، كما أن فعل المعصية يؤثر فيه ظلمة .

وقد ورد أن من صبر على المصيبة يكتب له ثلاثمائة درجة ، ومن صبر على الطاعة

---

(1) ذكر القصة الرازي في « تفسيره الكبير » (1 / 84) .

(2) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » (19 / 421) ، و« الأوسط » (1 / 289) ، و« الصغير » (2 / 205) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 244) ، والحارث في مسنده « زوائد الهيثمي » (302) ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (2 / 15) ، والهيثمي في « مجمع الزوائد » (3 / 115) .

يكتب له ستمائة درجة ، ومن صبر على المعصية يكتب له تسعمائة درجة .

ونقل عن الضحاك بن مزاحم - رحمه الله تعالى - أنه **قال** : من مر في السوق فرأى ما يشتهيه ولا يقدر عليه فصبر واحتسب كان خيرًا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله .

وعن أبي سليمان الداراني - نفعنا الله تعالى به - أنه **قال** : تنفس فقير دون شهوة[1] لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام[2] .

وجاء أن موسى عليه السلام **قال** : إلهي أي منازل الجنة أحب إليك ؟ قال : حظيرة القدس ، قال : من يسكنها ؟ **قال** : أصحاب المصائب ، **قال** : يا رب من هم ؟ **قال** : الذين إذا ابتليتهم صبروا ، وإذا أنعمت عليهم شكروا ، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون[3] .

وعن عكرمة - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : طفئ سراج رسول الله ﷺ فقال : « **إنا لله وإنا إليه راجعون** » **فقيل له** : يا رسول الله أمصيبة هي ؟ قال : « **نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة** »[4] .

أي ومن ذلك سوء خلق المرأة فينبغي الصبر عليه ، وقد ورد في الحديث : « **أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون** »[5] .

وحكي أنه كان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره في كل سنة مرة ، فجاء يومًا

---

(1) **دون شهوة** : يعني أمامها .

(2) **انظر** هذا الأثر وما قبله في « الإحياء » للغزالي (4 / 204) .

(3) ذكره الصفوري في « نزهة المجالس » (1 / 79) .

(4) **مرسل** : أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في « العزاء » عن عكرمة ، كما في « الدر المنثور » (1 / 380) ، وهو عند أبي داود في « المراسيل » (2 / 4) ، وابن السني في « عمل الليلة » (353) عن عمران القصير وأبي إدريس الخولاني مرسلًا كذلك .

(5) **موضوع** : ذكره الغزالي في « الإحياء » (2 / 43) ، وعنه الهيثمي في « الزواجر » (2 / 621) بهذا السياق ، وأصله عند الحارث في « مسنده » زوائد الهيثمي (1 / 316) - رقم (205) ، **وقال ابن حجر** : حديث موضوع ، **انظر** : « المطالب العالية » (8 / 195) ، « اللآلئ المصنوعة » للسيوطي (2 / 307) .

لزيارته ، فطرق بابه ، **فقالت زوجته** : من ؟ **فقال** : أخو زوجك في الله تعالى جاء لزيارته ، **فقالت** : إنه ذهب ليحتطب لا رده الله ، وبالغت في شتمه وسبه ، فبينما هو كذلك إذ رأى أخاه مقبلاً ومعه أسد حامل حزمة حطب ، فلما وصل سلم على أخيه ورحب به ، ثم أنزل الحطب عن ظهر الأسد ، **وقال له** : اذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه وامرأته تسبه فلا يجيبها فأطعمه ثم ودعه ، فانصرف وهو متعجب غاية العجب من صبره على سب امرأته .

ثم جاء في العام الثاني فدق الباب **فقالت امرأته** : من ؟ **قال** : أخو زوجك في الله جاء يزوره ، **قالت** : مرحبًا ، وبالغت في الثناء عليه ، وأمرته بانتظاره ، فجاء وهو حامل على ظهره الحطب فأدخله وأطعمه ، وزوجته تبالغ في الثناء ، فلما أراد مفارقته سأله عما رأى من تلك المرأة ومن هذه ، ومن حمل الأسد أول مرة وحمله هو في الثانية ، **فقال** : يا أخي توفيت تلك الشريرة وكنت صابرًا على أذيتها وبغيها ، أي تعديها ، واستطالتها ، فسخر الله لي الأسد الذي رأيته يحمل الحطب بصبري عليها وصرت الآن أحمل الحطب على ظهري لراحتي مع هذه .

(**والقرآن حجة لك**) أي يحاجج عنك ويشهد لك بالخير في المواضع التي تسأل فيها ؛ كالقبر والموقف ، ويشفع عند الله تعالى في إكرامك ؛ هذا إن عملت به ، بأن امتثلت أوامره ، واجتنبت نواهيه ، واتعظت بمواعظه ، واهتديت بأنواره (**أو**) حجة (**عليك**) في تلك المواضع إن أعرضت عنه ، ولم تعمل به ، فيخاصمك ويشهد عليك ؛ بأنك مخالف له ، ومضيع حقوقه .

وقد روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ قال : « **يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيؤتى بالرجل قد حمله ، فخالف أمره فيمثل له خصمًا ، فيقول : يا رب قد حملته إياي فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي ، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له : شأنك به ، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار ، قال : ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله وحفظ أمره ، فيمثل له خصمًا دونه ، أي ليمنع عنه ، فيقول : يا رب حملته إياي فخير حامل حفظ حدودي وعمل فرائضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي ، فما يزال يقذف له بالحجج ، حتى يقال له : شأنك به فيأخذه بيده ، فما يرسله حتى يلبسه حلة الإستبرق**

ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر »[1] .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - **قال** : يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه ، فيكون قائدًا لصاحبه إلى الجنة ، أو يشهد عليه فيكون سائقًا له إلى النار[2] .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « **اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه** » أي لا تتركوا تلاوته « **ولا تغلوا فيه** » أي لا تتعدوا حدوده من حيث لفظه ؛ كترك تجويد حروفه ، أو من حيث معناه كترك أوامره « **ولا تأكلوا به** » أي لا تجعلوه سببًا للأكل « **ولا تستكثروا به** »[3] أي لا تجعلوه سببًا للاستكثار من الدنيا .

ولذا **قال سهل** - رحمه الله تعالى - : « علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة ، وعلامة حبها حب الآخرة ، وعلامة حبها بغض الدنيا ، وعلامة بغضها ألا يتناول منها إلا البلغة »[4] أي ما يكفيه فقط ، فأخذ المقابل على القرآن مذمومٌ حيث كان آخذه غنيًا غنى ظاهرًا أو غنى قلبيًا ، أما لو كان محتاجًا فلا بأس بأخذه .

وحكي عن بعض المتصدرين للقراءة في الجامع العتيق بمصر أنه حلف بالطلاق الثلاث أنه لا يجيز أحدًا يقرأ عليه القرآن فيستحق الإجازة إلا بعشرة دنانير ، فاتفق أنه قرأ عليه رجل فقير فلما أكمل القراءة سأله الإجازة فأخبره بيمينه فتألم خاطره ، فأخبر به أصحابه فجمعوا له خمسة دنانير ، فأتى بها إلى الشيخ فلم يأخذها ، فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به ، **فقال** : والله لا أنفقت هذه إلا في الحج ، فاشترى ما يحتاجه وسار حتى وصل إلى مكة .

فلما قضى مناسكه رحل إلى المدينة الشريفة ، فلما وصل إلى قبر رسول الله ﷺ ،

---

(1) **رجاله ثقات** : رواه ابن أبي شيبة (6 / 129) ، وابن الضريس في « **فضائل القرآن** » ص 98 ، والخطيب في « **اقتضاء العلم العمل** » ص 74 ، ورجاله ثقات ، وفيه ابن إسحاق ، وهو مدلس .

(2) رواه الدارمي (3325) ، وابن أبي شيبة (6 / 131) ، وابن الضريس في « **فضائل القرآن** » ص 114 .

(3) **صحيح** : رواه أحمد (3 / 428) ، وابن أبي شيبة (2 / 168) ، والطبراني في « **الأوسط** » (3 / 86) ، بسند قوي كما قال ابن حجر . انظر : « **فيض القدير** » (2 / 64) .

(4) **انظر الأثر في** : « **قوت القلوب** » (2 / 88) ، و« **الشفا** » لعياض (2 / 25) ، « **تفسير القرطبي** » (4 / 60) .

قال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم قرأ عشرًا جمع فيه الأئمة السبعة ، **وقال** : هذه قراءتي على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى ، وقد سألت شيخي الإجازة فأبى عليَّ ، وقد استعنت بك يا رسول الله في تحصيلها ، ثم نام فرأى النبي ﷺ **فقال له** : سلم على شيخك وقل له : رسول الله ﷺ يقول لك أجزني بلا شيء ، فإن لم يصدقك فقل له : بأمارة زمرًا زمرًا .

فلما وصل الفقير إلى مصر أخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير أمارة فلم يصدقه ، **فقال** : بأمارة زمرًا زمرًا ، فصاح الشيخ وخر مغشيًا عليه ، فلما أفاق سأله أصحابه عن ذلك ، **فقال** : كنت كثيرًا ما أتلو القرآن ، فمررت يومًا على قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [سورة البقرة : 78] .

فحلفت لا أقرأ القرآن إلا متدبرًا فهمًا ، فأقمت لا أتجاور من القرآن إلا اليسير مدة طويلة ، حتى نسيته فكفرت عن يميني ، وشرعت في حفظه فحفظته .

فبينما أنا أتلو ذات يوم فمررت على قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [سورة فاطر : 32] .

فقلت : ليت شعري من أي الأقسام أنا ؟ ثم **قلت** : لست من الثاني ولا من الثالث بيقين ، فيتعين أن أكون من القسم الأول فنمت تلك الليلة حزينًا ، فرأيت رسول الله ﷺ **فقال لي** : بشر قراء القرآن أنهم يدخلون الجنة زمرًا زمرًا ، ثم أقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه ، **وقال** : أشهدكم على أني أجزته ليقرأ ويقرئ من شاء ، وكل ذلك ببركة رسول الله ﷺ .

(**كل الناس**) أي كل إنسان (**يغدو**) أي يصبح ساعيًا في أموره ، متصرفًا في أغراضه (**فبائع**) أي فهو بائع ، أي باذل (**نفسه فمعتقها**) أي مخلصها من عذاب الله تعالى إن بذلها في طاعته (**أو موبقها**) أي مهلكها وموقعها في عذابه إن بذلها في معصيته .

خاتمة : روي عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قال حين يصبح : اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرش وملائكتك وجميع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك مرة ، أعتق الله ربعه من النار ، أو**

مرتين فنصفه ، **أو ثلاثًا فثلاثة أرباعه ، أو أربعًا فكله** » وكذا إن أمسى ، ويقال حينئذ : « **اللهم إني أمسيت** »[1] بدل أصبحت .

وورد أن : « **من قال حين يصبح : سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ، وكان من آخر يومه عتيقًا من النار** »[2] .

وذكر السادة الصوفية أن من **قال** : (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة أعتق الله بها رقبته أو رقبة من قالها له من النار[3] . وكانوا يحافظون على فعلها لأنفسهم ولمن مات من أهاليهم وإخوانهم ، فينبغي للإنسان أن يفعلها اقتداء بهم وتبركًا بأفعالهم .

وقد حكي أن شابًا صالحًا كان من أهل الكشف ماتت أمه ، فصاح وبكى وخر ، أي سقط ، مغشيًا عليه ، فسئل عن سبب ذلك ، فذكر أنه رأى أمه في النار ، وكان بعض المشايخ من السادة حاضرًا ، وكان قد قال هذه السبعين ألفًا وأورد أن يعدها ويدخرها لنفسه ، **فقال في نفسه** عندما سمع قول الشاب المذكور : اللهم إنك تعلم أني هللت هذه السبعين ألف تهليلة ، وأريد أن أدخرها لنفسي ، وأشهد : أني قد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار ، فما استتم كلامه إلا وتبسم الشاب وسر سرورًا عظيمًا ، **وقال** : الحمد لله الذي أراني أمي قد خرجت من النار وأمر بها إلى الجنة .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ، قد اشتمل على مهمات قواعد الدين (**رواه**) وفي نسخة أخرجه (**مسلم**) في صحيحه رحمه الله تعالى .



---

(1) **حسن** : رواه أبو داود (5069) ، والترمذي (3501) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 6) ، والحاكم (1 / 704) وصححه ، **وقال النووي في « الأذكار »** ص 180 : إسناده جيد ، ونقل المنذري في « الترغيب » (1 / 255) عن الترمذي تحسينه .

(2) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الأوسط » (4 / 203) بإسناد ضعيف كما في « الترغيب » (1 / 260) ، « مجمع الزوائد » (10 / 113) .

(3) أصل ذلك منقول عن محيي الدين بن عربي الطائي في « الفتوحات المكية » (4 / 469) ، وقد ذكر فيه القصة التي أشار إليها الشارح ﷺ .

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي ، عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعالَى ، أَنَّهُ قَالَ : « **يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظالَموا . يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ جائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ عارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْته ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ تُخطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي : إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ؛ فَمَنْ وَجَد خيرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي ذر الغفاري**) وتقدم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنه عن النبي ﷺ فيما يَرْوِي**) أي ينقله (**عن ربه** ﷺ أنه قال) أي الرب جل جلاله ، فهو حديث قدسي (**يا عبادي**) المراد بهم هنا جميع الثقلين بدليل قوله الآتي إنسكم وجنكم (**إني حرمت الظلم على نفسي**) أي تقدست وتنزهت عنه ، وحكمت باستحالته على نفسي ؛ لأن **معناه لغةً** : وضع الشيء في غير محله ، **ومعناه شرعًا** : التصرف في ملك الغير بغير حق ، وكلا المعنيين مستحيل عليه تعالى ، إذ لا ملك لغيره ، بل هو مالك كل شيء ، وما في الدنيا إعارة بفضله ولا حق لأحد معه ، فهو الذي خلق المالكين وأملاكهم ،

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (2577) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (490) ، وأحمد (5/ 160) ، وابن حبان (619) .

وتفضل عليهم بها ، وحدد لهم الحدود ، وحرم وأحل ، فلا حاكم يتعقبه ، ولا حق يترتب عليه ، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا .

وما ألطف قول ابن العربي - رحمه الله تعالى - : من لم يخرج شيء عن ملكه لم يتصف بالظلم في حكمه .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ [سورة يونس : 44] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [سورة النساء : 40] .

أي لا يمكن ظلمه ولا يقع .

(**وجعلته**) أي الظلم (**بينكم محرمًا**) أي حكمت بتحريمه عليكم ومنعتكم منه لقبحه وأذية النفس والخلق به ، وقد اتفقت الملل كلها على وجوب حفظ الأنفس والأنساب والأعراض والعقول والأموال ، والظلم يقع في هذه أو بعضها ، وأعلاه الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [سورة لقمان : 13] .

وروى الشيخان : « **الظلم ظلمات يوم القيامة** »(1) .

ورويا أيضًا : « **إن الله ليملي للظالم** » أي يمهله ويطول له « **حتى إذا أخذه لم يفلته** »(2) .

وروى مسلم : « **أتدرون من المفلس ؟** » **قالوا** : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : « **المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار** »(3) .

(**فلا تظالموا**) بفتح التاء وتخفيف الظاء المعجمة ، وأصله تتظالموا ، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا ، ويجوز تشديد الظاء بإبدال التاء الثانية ظاء وإدغامها في الظاء ، وزعم بعضهم أنه الرواية أي لا يظلم بعضكم بعضًا ، فإن الله تعالى يقتص للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2315) ، ومسلم (2579) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (4409) ، ومسلم (2583) .

(3) **صحيح** : رواه مسلم (2581) ، والترمذي (2418) ، وأحمد (2 / 303) .

ومن جملة الظلم إعانة الظالم والدعاء له ، وقد ورد : « **من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه** »[1] .

وورد : « **الظلمة وأعوانهم في النار** »[2] .

وورد : « **ينادي مناد يوم القيامة : أين الظلمة وأشياع الظلمة ؟** (أي أتباعهم وأنصارهم ومن يعينهم حتى من لاق لهم دواة[3] أو برى لهم قلمًا) **فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم** »[4] .

وورد أن : « **من مشى مع مظلوم يعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ، ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزال الله قدميه على الصراط يوم تدحض** » أي تزلق « **فيه الأقدام** »[5] .

وحكي أنه لما ظَلَمَ أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة - رضي الله تعالى عنها - وشكوا ذلك إليها ، **فقالت لهم** : متى يركب ؟ **قالوا** : في غد ، فكتبت رقعة ووقفت في طريقه ، **وقالت** : يا أحمد بن طولون ! فلما رآها عرفها ، فنزل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة ، وقرأها فإذا فيها : ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم ، (أي أعطيتم) ، نعمًا وخدمًا ففسقتم ، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ، لاسيما من

---

(1) من كلام الحسن البصري ، كما رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (230) (600) ، وروى الدينوري في « المجالسة » ص 406 مثله عن يوسف بن أسباط .

روي عن الحسن البصري ، ويوسف بن أسباط ، كما في « الصمت » لابن أبي الدنيا (230) ، والدينوري في « المجالسة » ص 406 ، « الحلية » (4617) ، « شعب الإيمان » (7 / 53) .

(2) **لا يصح** : رواه العقيلي في « الضعفاء » (4 / 203) ، والحاكم (4 / 100) ، وذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (2 / 470) ، وذكره ابن حجر في « اللسان » (6 / 16) ، وأعله بجهالة رواته .

وانظر : « فيض القدير » (4 / 296) .

(3) **لاق لهم دواة** : أي أصلحها وأعد مدادها .

(4) رواه أحمد في « الورع » ص 93 ، وذكره الديلمي في « فردوس الأخبار » (1 / 255) ، وروي عن مكحول من قوله وهو الأشبه .

انظر : « تخريج الآثار » للزيلعي (3 / 28) ، « الزواجر » لابن حجر (2 / 753) .

(5) أصله عند أبي نعيم في « الحلية » (6 / 348) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (3 / 546) ، وأبو الشيخ كما في « كنز العمال » (3 / 39) .

قلوب أوجعتموها ، وأكباد أجعتموها ، وأجساد عريتموها ، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنا بالله مستجيرون ، واظلموا فإنا لله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فعدل لوقته[1] .

وحكي أن بعض الملوك أغار على قرية ، أي هجم عليها ، فنهبها ، وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم ، وفتك ، أي بطش فيهم بالقتل وغيره ، فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت إليه ، **وقالت** : يا ويلك من ديان ، أي قهار ، يوم الدين ، إذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء ، **فقال لها** : يا عجوز أما سمعت في القرآن :

﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [سورة النمل : 34] .

فقالت له : يا هذا أنسيت الآية الأخرى التي بعدها في السورة :

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ ﴾ [سورة النمل : 52] .

أي خالية ﴿ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ [سورة النمل : 52] .

فقال الملك : ردوا عليهم جميع أموالهم ، فردوه ، ثم **قال** : يا عجوز كيف الخلاص ؟

قالت : لا تقنط وهو الذي يقبل التوبة عن عباده .

(يا عبادي كلكم ضال) أي غافل عن الشرائع لا يعرف كيف يذكرني ويعبدني **(إلا من هديته)** أي دللته ووفقته للإيمان بما جاءت به الرسل **(فاستهدوني)** السين والتاء فيه وفيما بعده للطلب ، أي اطلبوا مني الهداية ، أي الدلالة الموصلة إلى طريق الحق ، معتقدين أنها لا تكون إلا من فضلي **(أهدكم)** بفتح الهمزة وكسر الدال ، أي أدلكم على طريق النجاة في الدنيا والآخرة .

والحكمة في طلب سؤال الهداية إظهار الافتقار إليه ﷻ ، والإشعار بأنه لو هداهم قبل السؤال لربما قالوا إنما أوتيناه على علم عندنا ، فيضلوا بذلك .

فإن قيل : كل مؤمن تثبت له الهداية ، فكيف يطلبها ؟ أجيب بأن المراد من طلبها الثبات عليها والمزيد فيها ؛ لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى ،

---

(1) ذكرها الأبشيهي في « المستطرف » (1 / 239) ، والعاملي في « الكشكول » (1 / 311) .

ولاشك أن كل مؤمن محتاج لذلك .

(**يا عبادي كلكم جائع**) بالهمز (**إلا من أطعمته**) وذلك لأن الخلق كلهم عبيد لا ملك لهم في الحقيقة ، وخزائن الرزق بيده سبحانه وتعالى ، فمن لا يطعمه بفضله بقي جائعًا بعدله ، إذ ليس عليه إطعام أحد ، وأما قوله تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [سورة هود : 6] .

فعلى فيه بمعنى من ، أو هو التزام منه تفضلاً ، لا أنه واجب عليه .

(**فاستطعموني**) أي سلوني واطلبوا مني الإطعام (**أطعمكم**) بضم الهمزة ، أي أيسر لكم أسباب تحصيل الطعام وأشبعكم به ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [سورة الذاريات : 58] .

فهو جل جلاله يسخر السحاب ، ويسقي البلاد ، ويحرك القلوب للإعطاء ، ويحوج بعضهم إلى بعض وتصرفه في خلقه عجيب ، يعجز عنه الفطن اللبيب .

قال بعضهم : ولا يمنع من نسبة الإطعام إلى الله تعالى ما يشاهد من ترتب الأرزاق على الأسباب الظاهرة ، كالحرف والصنائع وأنواع الاكتساب ؛ لأنه ﷻ هو الذي قدرها وسهلها بحكمته الباطنة .

وقد يرزق بعض عبيده بلا سبب معلوم ، كما روي أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يضرب صخرة بعصاه ، فانشقت وخرجت منها صخرة ثانية ، ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ، ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء .

ومن ثم كان أهل الله لا ينظرون إلى الوسائط في الرزق وغيره ، وإنما ينظرون إلى الله ﷻ ، فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن ، والعارف محجوب بالباطن عن الظاهر .

وقال بعضهم : من جرى مع الله تعالى على عادة الناس من ملاحظة أسباب الرزق ، جرى الله تعالى معه على عادتهم من تحصيله بالأسباب ، ومن خالفهم بقطع ملاحظة الأسباب من القلب ، وثقته بوعد الله تعالى بالرزق جرى الله تعالى معه على مخالفة عادتهم ؛ بأن يجعل رزقه من حيث لا يحتسب من غير تعب الكسب .

وقد قيل لبعضهم : من أين تأكل؟ فأشار إلى فمه ، **فقيل له** : يا هذا إن كل أحد

يعرف ذلك ، **فقال** : يا هذا إن الذي خلق الرحى يرسل لها الدقيق .

وحكى أن عابدًا اعتكف في مسجد ولم يكن له معلوم ، **فقال له إمامه** : لو اكتسبت كان خيرًا لك وأفضل ، فلم يجبه حتى أعاد عليه القول ثلاثًا ، **فقال له في الرابعة** : بجوار المسجد يهودي قد ضمن لي في كل يوم رغيفين ، **قال** : إن كان صادقًا في ضمانه فقعودك في المسجد خير لك ، فقال : يا هذا لو لم تكن إمامًا لكان خيرًا لك ، أتفضل ضمان يهودي على ضمان الله ﷻ ؟

وقيل : إن أبا يزيد صلى خلف إمام في بعض المساجد ، فلما سلم الإمام ، **قال** : يا أبا يزيد إني أراك لا كسب لك ، فمن أين تأكل ؟ **قال أبو يزيد** : اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك حيث شككت في رزق المخلوقين ، فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرازق .

وقيل لبعضهم : من أين تأكل ؟ **فقال** : من حيث يرزق الله الذبابة والبعوضة ، أيطعمها وينساني ؟ .

وحكي أن رجلًا كثير العيال ، فضاقت يده ، فهم أن يهرب ويترك عياله ، فاستقبله شخص **وقال له** : تؤجرني نفسك على أن تسقي لي طيرًا حتى يروى وتأخذ مني دينارًا ؟ ففرح بذلك ، فدله على بئر وأعطاه دلوًا ، **وقال له** : انزح من هذه البئر واسق هذا الطائر حتى يروى ، فنزح طول نهاره والطير يشرب ولا يروى ، فعجز وضاق صدره حيث لم يستحق الدينار ، **فقال له ذلك الشخص** : إني لست ببشر ، وإنما أنا ملك بعثني الله إليك ليريك ضعفك ، حيث إنك لم تقدر أن تروي طيرًا ، فكيف تقدر أن ترزق عيالك ! ارجع إليهم فإن الله تعالى هو الرزاق لهم ، ففوض أمرك وأمرهم إليه ، وانتظر الرزق من عنده .

فائدة : ورد في الحديث الشريف أن : « **من قال إذا أصبح وإذا أمسى : اللهم أنت خلقتني ، وأنت تهديني ، وأنت تطعمني ، وأنت تسقيني ، وأنت تميتني ، وأنت تحييني ، لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه** »[1] .

---

(1) حسن : رواه الطبراني في « الأوسط » (1 / 306) ، وإسناده حسن كما قال المنذري في « الترغيب » (1 / 261) ، والهيثمي في « المجمع » (10 / 118) .

(**يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني**) أي اطلبوا مني الكسوة ، وهي ما يستر الجسد (**أكسكم**) بفتح الهمزة وكسر السين وضمها ، أي أيسر لكم الأسباب المحصلة لها ، وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بالكسوة لباس التقوى ، وكذا المراد بالطعام فيما تقدم قوت الروح ، والمعنى : كلكم جاهل غير متق ، فاطلبوا مني العلم والتقوى ، وعلى هذا المعنى **قول بعضهم**[1] :

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى   تقلب عريانًا ولو كان كاسيًا

وخير لباس المرء طاعة ربه   ولا خير فيمن كان لله عاصيًا

ولا مانع من إرادة المعنيين هنا وفيما تقدم ، فيكون المراد بالطعام الطعام الظاهر والباطن ، **والمراد بالكسوة** الكسوة الظاهرة والباطنة .

فائدة : ورد في الحديث الحسن : « **أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عري كساه الله تعالى من خضر الجنة** » أي من ثيابها الخضر « **وأيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم** »[2] ، أي من خمر الجنة المختوم عليه بالمسك ، والمراد أنه يختص بنوع مما ذكر أعلى ، وإلا فكل من دخل الجنة كساه الله من ثيابها ، وأطعمه من ثمارها ، وسقاه من شرابها .

(**يا عبادي إنكم تخطئون**) بضم التاء وكسر الطاء على المشهور وروي بفتحهما على وزن تعلمون ، **والمعنى** أنكم تفعلون الخطيئة أي الذنب (**بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا**) أي أسترها وأعفو عنها ، وهذا كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾ [سورة الزمر : 53] .

وهو عام مخصوص بغير الشرك وما لا يشاء الله تعالى مغفرته ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [سورة النساء : 48] .

---

(1) **عُزي إلى أبي العتاهية . انظر** : « فتح الباري » لابن رجب (1 / 92) ، مع « إبراز المعاني » (2 / 473) ، « تفسير القرطبي » (7 / 184) .

(2) **ضعيف** : رواه أبو داود (1682) ، والترمذي (2449) ، وأبو يعلى (2 / 360) ، والبيهقي (4 / 185) ، وصحح الترمذي الرواية الموقوفة على أبي سعيد الخدري ﷺ . **انظر** : « الترغيب » (3 / 84) .

وسبب نزول هاتين الآيتين ما روي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - **قال** : أتى وحشي إلى النبي ﷺ **فقال** : يا محمد أتيتك مستجيرًا فأجرني حتى أسمع كلام الله ، فقال رسول الله ﷺ : « **قد كنت أحب أن أراك على غير جواري ، فلما أن أتيتني مستجيرًا فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله** » فأنزل الله :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [سورة الفرقان : 68] .

إلى قوله : ﴿ مُهَانًا ﴾ [سورة الفرقان : 69] .

فقال : قد فعلت هذا كله أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله ، فأنزل الله تعالى :

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [سورة الفرقان : 70] الآية .

فقال : أرى شرطًا فلعلي لا أعمل صالحًا أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله ، فأنزل الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء : 48] .

قال : فلعلي ممن لا يشاء الله ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله ، فأنزل الله ﷻ :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الزمر : 53] .

فقال : نعم ، الآن لا أرى شرطًا فأسلم[1] .

(**فاستغفروني**) أي سلوني واطلبوا مني المغفرة (**أغفر لكم**) أي أستر ذنوبكم وأمحو أثرها ولا أؤاخذكم بها ، وروي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني ، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** »[2] .

وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « **من أكثر من الاستغفار جعل الله ﷻ له من كل همٍّ فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ورزقه من حيث**

---

(1) انظر الحديث عند البيهقي في « الشعب » (5 / 424) ، وابن الشجري في « الأمالي » (1 / 51) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (62 / 413) ، و« تفسير القرطبي » (5 / 268) .

(2) **حسن** : رواه أحمد (3 / 29، 76) ، وأبو يعلى (2 / 530) ، وعبد بن حميد (932) ، والحاكم (4 / 290) وصححه ، وأقره الذهبي ، وهو حسن لغيره ، **انظر** : « فيض القدير » (2 / 351) ، « الترغيب » للمنذري (2 / 309) .

لا يحتسب »[1] ، أي من جهة لا يظن مجيء الرزق منها .

وفي الحديث : « **من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعًا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ، ويرزق بهم أهل الأرض** »[2] .

وذكر ابن حجر أن من خصائص هذه الأمة أنهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم .

وقيل : إن من لازم على هذه الأشياء السبعة عاش سعيدًا ومات شهيدًا ، وهي : أن يقول عند ابتداء كل شيء **بسم الله** ، وعند الفراغ منه **الحمد لله** ، وإذا رأى ما يكره يقول : **لا حول ولا قوة إلا بالله** ، وإذا رأى ما يستعظم يقول : **لا إله إلا الله** ، وإذا أصابته مصيبة يقول : **إنا لله وإنا إليه راجعون** ، وإذا أراد أن يفعل فعلًا يقول : **إن شاء الله** ، وإذا أذنب ذنبًا يقول : **أستغفر الله** ، فينبغي للإنسان أن يعوِّد لسانه عليها .

(**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري**) بضم الضاد وفتحها وهو منصوب بنزع الخافض ، أي لن تصلوا إلى ضري .

وقوله : (**فتضروني**) منصوب بحذف النون جوابًا للنفي (**ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**) منصوب أيضًا بحذف النون كالذي قبله ، **والمعنى** : لا تقدروا أن توصلوا إلي ضرًّا ولا نفعًا لاتصافكم بالعجز والفقر ، واتصافي بالقدرة والغنى ، وقد قام الإجماع على تنزيه البارئ وتقديسه ، وأنه غني بذاته لا يلحقه ضر ولا نفع ، فالطاعة لا تنفعه ، والمعصية لا تضره ، وإنما نفع الأولى وضرر الثانية راجع للعبد ، كما قال الله تعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [سورة الإسراء : 7] .

(**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم**) يعني لو أن الأموات الذين سبقوكم والأحياء الموجودين فيكم ومن يوجد بعدكم ، وقوله : (**وإنسكم وجنكم**) عطف تفسير أو تفصيل بعد إجمال (**كانوا**) كلهم أتقياء بررة مشتملين (**على أتقى**) أي على مثل تقوى

---

(1) **فيه مقال** : رواه أبو داود (1518) ، والنسائي في « الكبرى » (6/ 118) ، وابن ماجه (3819) ، والحاكم (4/ 291) ، وفي سنده راوٍ مجهول كما قال الذهبي .

(2) **ضعيف** : رواه الطبراني ، وفي سنده راوٍ ضعفه الجمهور كما في « مجمع الزوائد » (10 / 210) ، **وانظر** : « كنز العمال » (1 / 241) .

أتقى (**قلب رجل واحد منكم**) ويصح أن تكون على بمعنى الكاف ، أي متقين كتقوى أتقى قلب رجل واحد منكم ، والمراد به سيدنا محمد ﷺ **والمعنى** : إنكم لو كنتم في غاية من التقوى وأطعتموني كطاعة محمد ﷺ (**ما زاد ذلك**) الذي فعلتموه (**في ملكي**) بضم الميم أي عظمي (**شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا**) كلهم عصاة فجرة مشتملين (**على أفجر**) أي على مثل فجور أفجر (**قلب رجل واحد**) وهو إبليس اللعين ، ولم يقل منكم هنا لئلا يخاطبهم بالأفجرية ، تفضيلاً منه وإحسانًا ، **وقيل** : إن منكم وقع في بعض النسخ ، ولكن الرواية على الأول أي على حذفه ، **والمعنى** : إنكم لو اتفقتم على الفجور وعصيتموني كمعصية إبليس (**ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**) فسبحان من ملكه في غاية الكمال ، لا يزيد بطاعة الطائعين ، ولا ينقص بمعصية العاصين .

(**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا**) أي اجتمعوا (**في صعيد واحد**) أي في أرض واحدة ومحل واحد (**فسألوني**) أي طلبوا مني حوائجهم في آن واحد (**فأعطيت كل إنسان**) وفي رواية كل واحد (**مسألته**) أي مطلوبه وحاجته (**ما نقص ذلك**) أي الإعطاء المفهوم من أعطيت ، وهو بمعنى المعطي أي لا ينقص ما أعطيته لكل واحد منكم شيئًا (**مما عندي**) أي في قبضة قدرتي (**إلا كما**) أي إلا نقصًا مماثلاً للذي (**ينقص المخيط**) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الياء ، أي الإبرة التي يخاط بها ، ونقص يستعمل لازمًا كنقص المال ، ومتعديًا كما هنا ، والمفعول محذوف أي إلا كما ينقصه المخيط (**إذا أدخل**) بصيغة المجهول ، وفي نسخة إذا دخل (**البحر**) أي المحيط بالدنيا .

وهذا مثل قصد به التقريب للأفهام ، فإن ماء هذا البحر من أعظم المرئيات وأكبرها ، وغمس الإبرة فيه مع كونها صغيرة صقيلة لا يؤثر فيه نقصًا ، **يعني** : إن إعطاء الله تعالى من الخزائن الإلهية لا ينقصها شيئًا ، كما أن غمس الإبرة في البحر لا ينقصه ، أي بالنسبة إلى رأي العين ، وإن كان في نفس الأمر ينقص شيئًا قليلاً ، لكنه لقلته جدًا لا يرى ولا يعد شيئًا ، فكأنه لم ينقص ، وأما الخزائن الإلهية فإنها لا تنقص شيئًا أصلاً البتة ، إذ لا نهاية لها ، والنقص مما لا يتناهى محال بخلاف ما يتناهى ؛ فإنه يدخله النقص ، وقد يؤخذ منه مع عدم نقصه كالنار والعلم يقتبس منهما ما شاء الله

تعالى ولا ينقص منهما شيء أصلاً ، بل قد يزيد العلم بالإنفاق منه ، كما **قال علي** - كرم الله تعالى وجهه - : « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق »[1] ؛ أي يزيد بالتعليم .

(**يا عبادي إنما هي**) أي الأعمال الصالحة والقبيحة المستفادة من قوله « أتقى » و « أفجر » أو هي ضمير الشأن يفسره قوله (**أعمالكم أحصيها**) أي أضبطها وأحفظها (**لكم**) بعلمي وملائكتي الحفظة (**ثم أوفيكم إياها**) بضم الهمزة وفتح الواو وتشديد الفاء ، من التوفية ؛ وهي : إعطاء الحق على التمام والكمال .

والمعنى : ثم أعطيكم جزاءها وافيًا تامًّا خيرًا كان أو شرًّا ، وهذه التوفية تكون في الآخرة لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [سورة آل عمران : 185] .

أو وفي الدنيا أيضًا ؛ لما روي أن المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم ، والكافر يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسيئاته ، والمراد بالحسنات التي يجازى عليها الطاعات التي لا تتوقف صحتها على الإيمان كصلة الرحم وإعتاق الرقبة .

(**فمن وجد خيرًا**) أي فمن رأى نفسه تفعل ما يتعلق به المدح عاجلاً والثواب آجلاً (**فليحمد الله**) تعالى ، أي فليثن عليه بخير لتوفيقه لذلك ، فإنه نعمة عظيمة يجب الشكر عليها ، وقد قيل : إن الشكر على النعم يحفظها عن الزوال .

وقال وهب بن منبه : قرأت في بعض كتب الله تعالى أن إبليس ما قال في عبادته قط **الحمد لله** ، ولو قالها ما مكر الله تعالى به[2] .

وقال بعض العارفين[3] : من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها .

وفي الحديث : « **من أعطي فشكر ، وابتلي فصبر ، وظلم فغفر ، وظلم فاستغفر** »

---

(1) الأثر عند أبي نعيم في « الحلية » (1 / 80) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (1 / 182) ، وفي « تاريخ بغداد » (6 / 379) .

(2) انظر ذلك في « نزهة المجالس » (1 / 43) .

(3) هو العلامة ابن عطاء الله السكندري ، انظر كلامه في « الحكم العطائية » ص 284 .

ثم سكت ﷺ ، **فقالوا** : ماذا يا رسول الله ؟ فقال : « **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** »[1] أي لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا .

(**ومن وجد غير ذلك**) أي غير الخير وهو الشر (**فلا يلومن إلا نفسه**) لأن الله تعالى أوضح الطريق وحذر وأنذر ، واللوم : الاعتراض ، **والمعنى** : ومن رأى نفسه تفعل شرًّا فلا يعترض إلا عليها ، حيث إنها آثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها فكفرت بنعمه ، ولم تذعن لأحكامه وحكمه ، فاستحقت أن يعاملها بظهور عدله ، وأن يحرمها مزايا جوده وفضله .

خاتمة : **قال سهل بن عبد الله التستري** - رحمه الله تعالى - : إذا عمل العبد حسنة ، **وقال** : يا رب أنت بفضلك استعملت ، وأنت أعنت ، وأنت سهلت ، شكر الله تعالى له ذلك ، **وقال** : يا عبدي أنت عملت ، وأنت أطعت ، وأنت تقربت .

وإذا نظر إلى نفسه **وقال** : أنا عملت ، وأنا أطعمت ، وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه ، **وقال** : أنا وفقت ، وأنا أعنت ، وأنا سهلت .

وإذا عمل سيئة **وقال** : أنت قدرت ، وأنت قضيت ، وأنت حكمت ، غضب الله تعالى عليه ، **وقال** : بل أنت أسأت ، وأنت جهلت ، وأنت عصيت ، وإذا **قال** : أنا ظلمت ، وأنا أسأت ، وأنا جهلت ، أقبل الله تعالى عليه ، **وقال** : أنا قضيت ، وأنا قدرت ، وقد غفرت وحلمت وسترت[2] .

ثم إن هذا الحديث (**رواه مسلم**) في كتاب الأدب من صحيحه ، وهو حديث عظيم عليه مدار الإسلام ، وقد كان أبو إدريس الخولاني راويه عن أبي ذر إذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيمًا له وإجلالاً .



(1) **ضعيف** : رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » ص 57 ، والخرائطي في « فضيلة الشكر » (36) ، وابن قانع في « معجم الصحابة » (1 / 321) ، والطبراني في « الكبير » (7 / 138) ، وفي سنده راوٍ متروك كما في « مجمع الزوائد » (10 / 284) للهيثمي .

(2) ذكره الصفوري في « نزهة المجالس » (2 / 282) .

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ **قَالُوا لِلنَّبِيِّ** ﷺ : يا رَسُولَ الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ . قَالَ : « **أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ ما تَصَدَّقُونَ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ** » . قَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ : « **أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ** » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي ذر**) تقدمت ترجمته (**رضي الله**) تعالى (**عنه أن ناسًا**) وفي نسخة أناسًا ، أي جماعة (**من أصحاب النبي** ﷺ) وفي رواية للبخاري أنهم من فقراء المهاجرين (**قالوا للنبي** ﷺ : **يا رسول الله ذهب**) أي سار ومضى (**أهل**) أي أصحاب (**الدثور**) بضم الدال المهملة والثاء المثلثة أي الأموال الكثيرة (**بالأجور**) أي الزائدة على أجورنا ، وذلك لأنهم (**يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم**) من إضافة الصفة للموصوف ، أي بأموالهم الفاضلة ، أي الزائدة عن كفايتهم .

وقولهم ذلك ليس حسدًا بل هو غبطة وتحزن على ما فاتهم من ثواب الصدقات وعتق الرقاب والمبرات التي لا يقدرون عليها ، لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة وقوة رغبتهم في فعل الخير ، فأرشدهم المصطفى ﷺ إلى أن بكل نوع من الأذكار صدقة حيث (**قال**) لهم (**أو ليس**) الهمزة للإنكار بمعنى النفي ، والواو للعطف على مقدر ، أي أيكون ذلك ، وليس إلخ وهي للنفي ، ونفي النفي إثبات ، أي لا تقولوا ذلك ، فإنه (**قد جعل الله**) تعالى (**لكم ما تصدقون**) بتشديد الصاد والدال كما هو

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (1006) ، وأحمد (5 / 167) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (227) .

الرواية ، وأصله تتصدقون به ، فقلبت التاء الثانية صادًا ، وأدغمت في الصاد وحذفت الصلة وهي الجار والمجرور للعلم بها .

والمعنى : لا تعتقدوا أن الصدقة خاصة بالأموال ، فإن الله تعالى قد صير لكم ما تفعلونه ويحصل لكم عليه ثواب كثواب الصدقة ، وبيَّن لهم ذلك بقوله (**إن**) لكم (**بكل**) أي بسبب كل (**تسبيحة**) أي قول سبحان الله (**صدقة**) أي أجرًا كأجر الصدقة (**و**) إن لكم بسبب (**كل تكبيرة**) أي قول الله أكبر (**صدقة و**) إن لكم بسبب (**كل تحميدة**) أي قول الحمد لله (**صدقة و**) إن لكم بسبب (**كل تهليلة**) أي قول لا إله إلا الله (**صدقة**) أي أجر كأجر الصدقة كما تقرر ، وعلم من ذلك أن لفظ كل في المواضع الثلاثة بالجر عطفًا على مدخول الباء في « بكل تسبيحة » . وصدقة منصوب على كونه اسم إن هذا هو المختار ، وفي بعض النسخ « كل » بالرفع على الابتداء في المواضع الثلاثة وصدقة خبر ، ويكون المعنى على ذلك : كل قول من هذه الأقوال صدقة ، أي حسنة .

وروي عن أم هانئ بنت أبي طالب - رضي الله تعالى عنها - أنها **قالت** : يا رسول الله علمني شيئًا أقوله وأنا جالسة ، فقال : « **قولي الله أكبر مائة مرة خيرٌ لك من مائة بدنة مجللة**[1] **متقبلة ، قولي سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس في سبيل الله ، قولي الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد إسماعيل تعتقيهم ، وقولي لا إله إلا الله مائة مرة لا يدركها شيء ولا يسبقها** »[2] .

وفي رواية أنه ﷺ قال لها : « **سبحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل ، واحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها في سبيل الله ، وكبِّري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة**[3] **متقبلة ، وهللي الله مائة تهليلة ، ولا أحسبه إلا قال تملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يرفع**

---

(1) **مجللة** : أي مغطاة بالجلال ، وهي ما يوضع على الدابة من قماش أو نحوه .

(2) **له شواهد** : رواه أحمد (6/ 492) ، والطبراني في « الكبير » (24/ 434) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (22/ 18) ، وقال **الهيثمي** في « المجمع » (10 / 92) : إسناده حسن ، **قلت** : وله شواهد سيأتي ذكر بعضها .

(3) **مقلَّدة** : **التقليد** : أن يعلَّق في عنق البدنة شيء ليعلم أنها هدي .

يومئذ لأحد مثل عملك ، إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به »[1] .

وفي الحديث : « **من كبَّر مائة ، وسبح مائة ، وهلَّل مائة ، كان له خيرًا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها »**[2] .

وروي مرفوعًا : « **من ضن** » أي : بخل « **بالمال أن ينفقه** » أي في وجوه الخير « **وبالليل أن يكابده** » أي يقاسي شدته في قيامه للتهجد « **فعليه بسبحان الله وبحمده** »[3] أي فليلزم قول ذلك بقلب حاضر ، فإنه يقوم له مقام الإنفاق والصلاة .

وعن شريح العابد - رحمة الله تعالى عليه - **قال** : بلغني أنه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق لأصاب كل واحد منهم خير[4] .

وحكي أن سيدنا سليمان ﷺ كان في موكبه والطير تظله والإنس والجن حوله ، فمر بعابد من بني إسرائيل ، **فقال** : قد أوتيت ملكًا عظيمًا ، **فقال** : تسبيحة في صحيفة أفضل ، ما أوتيت يذهب وتسبيحة تبقى ، أي يبقى ثوابها مدخرًا عند الله تعالى[5] .

وعن أبي الحسن الشاذلي - نفعنا الله تعالى به - أنه **قال** : إن أردت ألا يصدأ لك قلب ، ولا يلقاك همٌّ ولا كرب ، ولا يبقى عليك ذنب ، فأكثر من قول الباقيات

---

(1) **حسن** : رواه أحمد (6 / 344) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (844) ، وابن ماجه (3810) ، والحاكم (1 / 695) وصححه ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (2 / 277) ، والسيوطي كما في « فيض القدير » (4 / 87) ، وتقدم شاهد له في التعليق قبله .

(2) **لا يصح** : رواه البخاري في « الأدب المفرد » (636) ، وابن ماسي في « فوائده » ص 85 ، وعنه ابن الشجري في « الأمالي » (1 / 21) وفي سنده خالد بن يزيد العمري ، وهو ضعيف كما في « التاريخ الكبير » للبخاري (3 / 184) ، و« اللسان » (2 / 389) .

(3) **لا يصح رفعه** : رواه بهذا اللفظ تمام الرازي في « فوائده » (1 / 136) ، وبنحوه عند ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في « الدر المنثور » (5 / 397) وسنده منقطع ، **والصواب** أنه من قول التابعي الجليل عبيد بن عمير رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة (6 / 91) ، وأحمد في « الزهد » ص 379 ، وأبي نعيم في « الحلية » (3 / 268) ، وجاء في آخره : « . . . **فأكثروا من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** » ، وفي رواية : « . . . **فأكثروا من ذكر الله** » .

(4) روى في معناه حديث مرفوع عند الديلمي في « فردوس الأخبار » (3 / 350) ، ولكن **لا يصح** كما في « تنزيه الشريعة » لابن عراق (2 / 325) .

(5) رواه الدينوري في « المجالسة » ص 355 ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (22 / 275) عن أبي عمران الجوني رحمه الله .

الصالحات ، أي وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1] .

وورد في الحديث الشريف : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟** » **قالوا** : بلى يا رسول الله ، قال : « **ذكر الله** ﷻ »[2] .

وفي الصحيحين : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحي عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك** »[3] .

(**وأمر بالمعروف**) أي وإن لكم بسبب كل أمر بالمعروف (**صدقة و**) سبب كل (**نهي عن منكر صدقة**) وفي بعض النسخ رفع أمر ونهي على الابتداء ، وصدقة خبر ، والذي جوز الابتداء بهما مع كونهما نكرتين عملهما في الجار والمجرور ، وحكمة تنكيرهما الإشعار بأن كل فرد من أفرادهما صدقة ، وعرف المعروف ونكر المنكر لمناسبة لفظ كل منهما وإشارة لتعظيم الأول وتحقير الثاني .

ويدخل في الأمر بالمعروف الأمر بالإيمان وباتباع السنة ، ويدخل في النهي عن المنكر النهي عن الكفر وعن البدعة ، وأخرهما عما قبلهما رعاية للترقي من الأدنى إلى الأعلى ؛ لأنهما واجبان بخلاف ما قبلهما فنافلة ، والواجب أفضل من النافلة ، وقد نقل إمام الحرمين أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين ضعفًا .

فائدة : روى الترمذي - رحمه الله تعالى - عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - **قال** : قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ،**

---

(1) نقله عنه الشعراني في « الطبقات الكبرى » (1 / 297) .

(2) **صحيح** : رواه مالك (1 / 211) ، والترمذي (3377) ، وابن ماجه (3790) ، وأحمد (5 / 195) ، والحاكم (1 / 673) وصححه ، وأقره الذهبي ، وحسنه الهيثمي ، **انظر** : « فيض القدير » (3 / 115) .

(3) **صحيح** : رواه مالك (1 / 209) ، والبخاري (3119) ، ومسلم (2691) .

أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »[1] .

وروى الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - ، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - ، عن المصطفى ﷺ قال : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر** »[2] .

(**وفي**) أي وبسبب (**بضع**) حليلة (**أحدكم صدقة**) بالنصب عطفًا على اسم إن ، وبالرفع على الابتداء ، **والبضع** بضم فسكون : يطلق على الفرج وعلى الجماع ، ويصح إرادة كل منهما هنا ، لكن على الأول يكون على حذف مضاف تقديره : وفي وطء بضع إلخ ، وإنما يكون له في ذلك صدقة إذا قارنته نية صالحة كان قصد إعفاف نفسه أو زوجته عن الزنى ، أو مقدماته ، أو قصد حصول ولد يوحد الله تعالى ، أو يكثر به المسلمون ، أو يكون له سابقًا مهيأ لمصالحه إذا مات ، فصبر على فقده .

وقد قيل : إن سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه - كان يتزوج المرأة لا قصد له فيها إلا إرادة الولد للمكاثرة ، أو ليموت فيكون له أجره .

(**قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال**) لهم رسول الله ﷺ (**أرأيتم**) أي أخبروني عما (**لو وضعها**) أي شهوته (**في حرام**) وهو فرج غير حليلته (**أكان**) أي أثبت (**عليه وزر**) أي إثم ، فكأنهم قالوا نعم ، فقال لهم (**فكذلك إذا وضعها في الحلال**) وهو فرج حليلته (**كان له أجر**) أي فمثل حصول الوزر والإثم عليه بوضعها في الحرام حصول الأجر والثواب له بوضعها في الحلال ، ولفظ « **أجر** » روي بالرفع على أنه اسم كان وله خبرها ، وبالنصب على أنه الخبر والاسم ضمير يعود على الوضع المفهوم من وضعها وله حال من أجر .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ونفعه عميم (**رواه**) الإمام (**مسلم**) - رحمه الله تعالى - وفي رواية له : فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ **فقالوا** : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا ، فقال رسول الله ﷺ : « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** »[3] .

---

(1) **حسن** : رواه الترمذي (2169) ، وأحمد (5 / 388) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 84) ، و« السنن » (10 / 93) ، وحسنه الترمذي .

(2) **صحيح لغيره** : رواه الترمذي (1921) ، وأحمد (1 / 257) ، وابن حبان (458) وصححه .

(3) **صحيح** : رواه مسلم (595) ، والسراج في « مسنده » (870) ، وأبو عوانة في « مسنده » (1 / 558) .

وهذا مشعر بتفضيل الغني الشاكر ، وهو الذي يصرف في الخيرات ما زاد عن حاجته على الفقير الصابر ، وهو الذي لا يشتكي فقره ، وبه قال الجمهور ، واختاره العسقلاني والسيوطي وهو الأصح .

وقيل : إن الفقير الصابر أفضل ، وإليه ذهبت الصوفية .

وقد ورد عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - **قال** : بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً ، **فقال** : يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك ، **فقال** : « مرحبًا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم الله » **فقال** : يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله ، **وفي رواية** : ذهبوا بالجنة ، هم يحجون ولا نقدر عليه ، ويتصدقون ولا نقدر عليه ، ويضيفون ولا نقدر عليه ، فإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرًا لهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **بلِّغ الفقراء عني أن لمن صبر منهم واحتسب ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء ، أما الخصلة الأولى : فإن في الجنة غرفًا من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير ، والخصلة الثانية : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام ، والخصلة الثالثة : إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصًا ، وقال الغني مثل ذلك ، لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب ، وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها** »[1] ، فرجع إليهم الرسول وأخبرهم بذلك ، **فقالوا** : رضينا .

ثم إن محل الخلاف في أفضلية الغني الشاكر على الفقير الصابر إنما هو فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر ، بأن كان إذا استغنى قام بجميع وظائف الغني ؛ من البذل والإحسان والمواساة وأداء حقوق المال وشكر الملك الديان ، وإذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر والقناعة .

وأما من يصلح حاله بالغنى فقط بأن يؤدي حق الله تعالى في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر ، فالغني أفضل اتفاقًا ، ومن يصلح حاله بالفقر فقط بأن يؤدي حق الله

---

(1) **لم نقف على سنده** : ذكره المكي في « قوت القلوب » (1 / 437) ، وعنه الغزالي في « الإحياء » (4 / 402) عن زيد بن أسلم به مرسلًا ، ولم أقف عليه عند غيرهما .

تعالى في حالة الفقر ولا يؤديه في حالة الغنى فالفقر أفضل اتفاقًا .

وورد مرفوعًا : « **أتاني جبريل فقال : يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لكفر ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لكفر ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو صححته لكفر ، ومن عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لكفر** »[1] .

نسأل الله تعالى السلامة بمنِّه وكرمه ، آمين .



(1) **لا يصح** : رواه الخطيب في « تاريخه » (6 / 14) ، وابن عساكر في « تاريخه » (16 / 410) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (1 / 44) **وقال** : لا يصح .

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، **قَالَ** : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْملُهُ علَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ علَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ** » .

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)[1] .

. . . .

(عن أبي هريرة) وتقدمت ترجمته **(رضي الله)** تعالى **(عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل سلامى)** مبتدأ ، وقوله الآتي من الناس صفته ، وجملة عليه صدقة خبر ، **والسلامى** بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مع قصر الألف : اسم للواحد والجمع ، فهو مما استوى واحده وجمعه ، **وقيل** : جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء وهي عظام الأصابع ، والمراد بها هنا المفاصل ، **والمعنى** : كل مفصل **(من الناس)** أي من كل واحد من الناس **(عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس)** شكرًا لله تعالى على جعله هذه المفاصل للعظام ليتمكن بها من التحرك .

وقد ورد أنها ثلاثمائة وستون مفصلاً ، فيطلب من كل أحد في كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة ، أي حسنة ، بعدد تلك المفاصل شكرًا لله تعالى كما علمت ، ورجاء اندفاع البلاء عنها ، فقد ورد : « **الصدقة على وجهها ، واصطناع المعروف ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة ، وتزيد في العمر ، وتقي مصارع السوء** »[2] أي تحفظ من كل أمر مكروه ديني أو دنيوي .

وحكي أنه كان في قوم صالح ﷺ رجل يؤذيهم ، **فقالوا** : يا نبي الله ادع الله تعالى عليه ، **فقال** : اذهبوا فقد كفيتموه ، وكان يخرج كل يوم يحتطب فخرج في هذا اليوم ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر واحتطب ، ثم جاء بحطبه سالمًا فلم يصبه

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2827) ، ومسلم (1009) ، وأحمد (2 / 316) .

(2) **ضعيف** : رواه أبو نعيم في « الحلية » (6 / 145) ، وابن الشجري في « الأمالي » (2 / 172) ، وإسناده ضعيف كما في « تنقيح القول الحثيث » لمحمد بن عمر نواوي ص 36 .

شيء ، فدعاه صالح عليه السلام **وقال له** : أي شيء صنعت اليوم ؟ **قال** : خرجت ومعي رغيفان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر ، **فقال صالح** – عليه الصلاة والسلام – : حل حطبك ، فحله ، فإذا فيه أسود ، أي ثعبان عظيم مثل الجذع عاض على جذر من حطب ، **فقال** : بهذا دفع عنك ، يعني بالصدقة[1] .

ونظير ذلك ما حكي أن قصارًا[2] في زمن عيسى عليه السلام كان يفسد على الناس أقمشتهم ، فسألوا عيسى عليه السلام أن يدعو عليه بالهلاك ، فأقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على رأسه ، فعجبوا من ذلك ، وأخبروا عيسى عليه السلام فطلبه فحضر برزمته ، **فقال له** : افتح رزمتك ففتحها فإذا فيها ثعبان عظيم قد ألجم بلجام من حديد ، فقال له عيسى – عليه الصلاة والسلام – : ما صنعت اليوم من الخير ؟ **فقال** : ما صنعت شيئًا إلا أن رجلاً نزل إلي من صومعته فشكا إليَّ جوعًا ، فدفعت له رغيفًا كان معي ، **فقال له عيسى** – عليه الصلاة والسلام – : إن الله تعالى قد بعث لك هذا العدو ، فلما تصدقت أمر الله تعالى ملكًا فألجمه بهذا اللجام .

(**تعدل**) روي بالفوقية والتحتية فيه وفي الأفعال بعده ، وأن مقدرة أي أن تعدل ، أو أن يعدل أي الإنسان المفهوم من الناس ، فحذفت أن فارتفع الفعل ، وهو في تأويل مصدر مبتدأ خبره قوله صدقة الآتي ، **والمعنى** : عدلك ، أي صلحك (**بين اثنين**) متحاكمين أو متخاصمين أو متهاجرين (**صدقة**) أي منك عليهما لوقايتهما ، أي حفظهما ، مما يترتب على المنافرة والمنازعة بينهما من قبيح الأقوال والأفعال .

وقد ثبت بالآيات والأحاديث النبويات أن **الإصلاح بين الناس** من أفضل القربات ، وما أحسن **قول القائل** :

إن الفضائل كلها لو جمعت ... رجعت بأجمعها إلى شيئين

تعظيم أمر الله جل جلاله ... والسعي في إصلاح ذات البين

أي [إزالة][3] العداوة والبغضاء .

---

(1) القصة عند أحمد في « الزهد » ص 96، وعنه ابن سمعون في « الأمالي » (1 / 124) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (1 / 257) ، **وانظره** في « الدر المنثور » (2 / 80) .

(2) **القصار** : هو الذي يقصر الثياب ، أي يبيضها .

(3) زيادة يقتضيها السياق.

وعن الحسن – رضي الله تعالى عنه – ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **أفضل الناس عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس** »[1] .

وقيل : إن جبريل عليه السلام تمنى أن يكون في الأرض يسقي الماء ويصلح بين المسلمين .

وحكي أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح ، وله امرأة صالحة تغزل قطنًا ، كان يأخذه منها ويبيعه كل يوم بدرهم ، فينفق نصفه عليهما ، ويشتري بنصفه الآخر قطنًا ، فرأى يومًا رجلين يقتتلان في السوق ويتشاتمان ، **فقال** : ما شأنكما ؟ **فقال أحدهما** : لي على هذا درهم ولا يعطينيه ، **فقال** : لا تقتتلا ، ودفع الدرهم الذي باع به القطن إلى صاحب الحق ، ورجع إلى امرأته ، **فقالت له** : لِمَ لَمْ تجئ بالطعام والقطن ؟ فحكى لها ما جرى ، فدعت له بالبركة ، وأثنت عليه ، وجمعت القطن الذي تطاير وتفرق في الدار واسود فغزلته ، وأخذه منها ليبيعه فلم يشتره أحد فرجع حزينًا ، فمر على سماك عنده سمكة منتنة لم يقبلها أحد ، **فقال له** : ما لي أراك حزينًا ؟ فحكى له ما حصل ، **فقال** : بعتك هذه السمكة بهذا الغزل ، فجاء بها إلى امرأته فشقت بطنها ، فإذا فيها لؤلؤة في صدف ، فذهب بها إلى رجل فقوَّمها بأربعين ألف درهم ، **وقال له** : أنت ضعيف من أين لك هذه ؟ **فقال** : رزقني الله تعالى بها ، فرق له وبعثه إلى آخر فقوَّمها بثمانين ألف درهم ، **وقال له** : من أين لك هذه وأنت ضعيف ؟ **فقال** : رزقني الله تعالى بها ، فرحمه وبعثه إلى آخر ، فباعها له بمائة وعشرين ألف درهم ، فذهب بها إلى امرأته فأتاهما سائل **فقالا** : مالنا كثير نعطيه نصفه ، فدفعا له نصفه فذهب السائل ، ورجع بالمال ، **وقال** : لست سائلاً ، وإنما أنا ملك من ملائكة السماء السابعة بعثني الله تعالى إليكما ، وهو **يقول** : شكرتماني في الشدة والرخاء جميعًا ، وأعطيتكما ذلك جزاء لصلحكما للرجل الذي يقاتل صاحبه بالدرهم ولكما جزاؤه الجنة .

(**وتعين الرجل**) أي وإعانتك الرجل (**في دابته**) أي فيما يتعلق بها (**فتحمله عليها**)

---

(1) ذكره القرافي في « الفروق » (4 / 8) بلا سند ، وهو مرسل ، ويشهد لمعناه ما روي عن أبي عمران الأنصاري من التابعين ، **قال** : سمعت من يقرأ الكتب إنه مكتوب في الإنجيل : « أفلح الذين يصلحون بين الناس ، أولئك خصائص الله من خلقه » .

رواه ابن أبي حاتم في « الزهد » ص 7 ، ونحوه في « التوبيخ والتنبيه » لأبي الشيخ ص 74 عن ثور ابن يزيد .

وفي نسخة فيحمل عليها ، وهو أعم من أن يحمل عليها الراكب أو المتاع ، وحمل الراكب أعم من أن يُحمل كما هو أو يعينه في الركوب (**أو ترفع له عليها متاعه صدقة**) والإتيان بأو إما للشك من الراوي وإما للتنويع .

(**والكلمة الطيبة صدقة**) كقولك لأخيك المسلم : كيف أصبحت؟ كيف أمسيت حياك الله ، لقد أحسنت جوارنا أو ضيافتنا ، وكالسلام عليه ، وتشميته إذا عطس ، والشفاعة له ، ونحو ذلك مما فيه سرور وتألف للقلوب .

وقد ورد مرفوعًا : « **أفضل الصدقة صدقة اللسان** » **قيل** : يا رسول الله وما صدقة اللسان؟ قال : « **الشفاعة تفك بها الأسير ، وتحقن بها الدم ، وتجر بها المعروف إلى أخيك ، وتدفع عنه كربته** »[1] .

ويحتمل أن المراد بالكلمة الطيبة الباقيات الصالحات ، ويحتمل أن يراد بها كل ثناء على الخالق أو المخلوق .

(**وبكل خطوة تمشيها**) وفي رواية تخطوها (**إلى الصلاة صدقة**) كل مبتدأ والباء فيه زائدة وخبره صدقة ، **والخطوة** بفتح الخاء : النقلة الواحدة من المشي ، **والمعنى** : وكل نقلة قدم في الذهاب إلى الصلاة في موضع الجماعات صدقة .

وفي الحديث : « **إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج عامدًا إلى المسجد** » أي محل الجماعة « **لا ينزعه** » أي لا يخرجه « **إلا الصلاة لم تزل رجله اليسرى تمحو عنه سيئة ، وتكتب له اليمنى حسنة حتى يدخل المسجد** » أي محل الجماعة ، « **ولو يعلم الناس ما في العتمة والصبح** » أي ما في صلاة العشاء والصبح في جماعة من جزيل الثواب « **لأتوهما** » أي لسعوا إلى فعليهما « **ولو حبوًا** »[2] أي زاحفين على الركب .

وفي الحديث أيضًا : « **إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة** » أي ينتظرها

---

(1) **ضعيف** : رواه ابن الأعرابي في « معجمه » (4 / 420) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » ص 160، وفي « الكبير » (7 / 230) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (2 / 243) ، وسنده ضعيف كما قال العراقي في « تخريج الإحياء » (1 / 501) ، والهيثمي في « المجمع » (8 / 194) .

(2) **صحيح وله شواهد** : رواه الطبراني في « الكبير » (12 / 355) ، والحاكم (1 / 338) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 65) ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، **وقال الهيثمي في** « المجمع » (2 / 29) : رجاله موثقون ، **وانظر** : « فيض القدير » (1 / 321) .

« **كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات** »[1] .

والظاهر أن مثل المشي إلى الصلاة المشي إلى الاعتكاف والطواف وتدريس العلم واستماعه وعيادة المريض ، وغير ذلك من وجوه الطاعات .

(**وتميط**) بضم أوله وفتحه أي تنحي وتزيل (**الأذى**) أي ما يؤذي المارة كقذر وشوك وحجر وحيوان مخوف ، وقوله : (**عن الطريق**) متعلق بتميط ، وقوله : (**صدقة**) أي منك على المخلوقات ؛ لأنه نفع عام ، وقد روي أن رجلاً رأى غصن شوك في الطريق فنحاه ، أي أزاله ، فشكر الله له ذلك فغفر له .

وعن أبي برزة - رضي الله تعالى عنه - **قال** : قلت : يا نبي الله علمني شيئًا أنتفع به ، قال : « **اعزل الأذى عن طريق المسلمين** »[2] .

واستحب بعضهم الإتيان بكلمة التوحيد عند إزالة الأذى ، وهو ظاهر إن كان غير نجاسة ، وإلا فلا يستحب بل يكره .

واعلم أنه كما يطلب إزالة الأذى عن الطريق يطلب ترك إلقائه فيها ، ويصح أن يكون ذلك داخلاً في الحديث بأن يقال معنى « **تميط الأذى** » تزيله حقيقة أو حكمًا بأن تترك إلقاءه ، وروى البيهقي - رحمه الله تعالى - عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رجلاً رأى في النوم **قائلاً يقول له** : بشر عائذ بن عمرو المزني[3] بالجنة ، فلم يفعل ، فأتاه في الثانية فلم يفعل ، فأتاه في الثالثة فلم يفعل ، فأتاه في الرابعة ، **فقال له** : لم ذلك ؟ **قال** : إنه لا يلقي أذاه في طريق المسلمين[4] .

وكان عائذ - رضي الله تعالى عنه - ممن بايع تحت الشجرة ، وكان لا يخرج من داره ماء إلى الطريق لا من مطر ولا من غيره ، وكان إذا مات له سنور ، أي قط دفنه في داره ولا يخرجه اتقاء أذى الناس[5] .

---

(1) **صحيح** : رواه أحمد (4 / 157) ، وابن خزيمة (1492) ، وابن حبان (2045) ، والحاكم (1 / 331) وصححوه .

(2) **صحيح** : رواه مسلم (2618) ، وابن ماجه (3681) ، وأحمد (4 / 420) .

(3) هو **عائذ بن عمرو بن هلال المزني** ، أبو هبيرة البصري ، صحابي جليل ممن بايع تحت الشجرة ، توفي سنة 61 هـ . **انظر** : « الإصابة » (3 / 609) ، « طبقات ابن سعد » (7 / 31) .

(4) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (7 / 518، 519) .

(5) **انظر** : « الإصابة » (3 / 609) .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ، وقاعدة من قواعد الدين (**رواه البخاري ومسلم**) في صحيحيهما - رحمة الله تعالى عليهما - وفي بعض طرق مسلم : « **يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى** »[1] أي يكفي عن هذه الصدقات كلها ، عن هذه الأعضاء كلها ، ركعتان من الضحى ؛ لخصوصية فيها وسر لا يعلمه إلا الله تعالى ورسوله ﷺ .

ومما جاء في فضلها أنها تجلب الرزق ، وتنفي الفقر ، وأنها تعدل عند الله تعالى حجة وعمرة متقبلتين ، وأن من قرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي عشر مرات ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ، استوجب رضوان الله تعالى الأكبر[2] .

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **إن في الجنة بابًا يقال له الضحى ، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى ، هذا بابكم فادخلوه برحمة الله** »[3] .

فينبغي المحافظة عليها ، وما اشتهر بين العوام من أن من صلاها ثم قطعها يعمى أو يموت أولاده لا أصل له ، بل هو مما ألقاه الشيطان في أذهانهم ليحرمهم من الخير الكثير ، وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان ، ووقتها من ارتفاع الشمس كرمح إلى الزوال .

خاتمة : ورد في الحديث أن : « **من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك ، لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر ذلك اليوم ، ومن قالها حين يمسي فقد أدرك شكر ليلته** »[4] .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (720) ، وأحمد (5 / 178) ، والبيهقي (3 / 47) .

(2) ذكره السيوطي في « الحاوي في الفتاوي » (1 / 44) ، وعنه الهيثمي في « الفتاوى الفقهية » (1 / 196) وعزياه إلى الأصبهاني .

(3) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الأوسط » (5 / 195) ، والخطيب في « تاريخه » (14 / 206) ، وابن الجوزي في « العلل » (1 / 468) **وقال** : لا يصح .

(4) **حسن** : رواه أبو داود (5073) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 5) ، وابن حبان (861) وصححه ، **وقال النووي** في « الأذكار » ص 65 : إسناده جيد ، وحسنه الحافظ في « أمالي الأذكار » .

الحديث السابع والعشرون

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ** » .

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)[1] .

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رضي الله عنه ، **قَالَ** : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « **جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟** » قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : « **اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ** » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدَي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالدَّارِمِيِّ ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[2] .

. . . .

وهو في الحقيقة حديثان ، لكنهما لما تواردا على أمر واحد كانا كالحديث الواحد ، فجعل الثاني بمنزلة الموضح للأول (**عن النواس**) بفتح النون وتشديد الواو آخره سين مهملة (**ابن سمعان**) بكسر السين أشهر من فتحها (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) كان ينبغي للمصنف أن يقول عنهما ؛ لأن سمعان له صحبة ، ولما وفد عليه ﷺ دعا له بالبركة ومسح ناصيته[3] .

وكان ابنه النواس هذا من أصحاب الصُّفَّة ، وسكن الشام ، وكان **يقول** : أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة أي العود إلى الوطن إلا الأسئلة التي كانت ترد على المصطفى ﷺ من بعض أصحابه ، فإقامته تلك السنة كانت لأجل أن يتفقه في الدين بسماع تلك الأسئلة وأجوبتها ، وروى له سبعة عشر حديثًا ، وقد تزوج

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (2553) ، والترمذي (2389) ، وأحمد (4 / 182) .

(2) **حسن بشواهده** : رواه أحمد (4 / 228) ، والدارمي (2533) ، والحارث في « مسنده » (60) ، وفي سنده ضعف وانقطاع ، لكن له شواهد بمعناه تراجع في « الترغيب » للمنذري (2 / 351) ، « مجمع الزوائد » (1 / 175) ، وقد حسنه المنذري والنووي في « الأذكار » ص 326 ، **وانظر** كلام ابن رجب عليه في « جامع العلوم والحكم » ص 251 .

(3) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر ، **وقال** : وفي إسناده من لا يعرف .

انظر : « الإصابة » (3 / 182) .

النبي ﷺ أخته من أمه وهي أسماء بنت النعمان التي تعوذت من رسول الله ﷺ .

وحاصل القصة أن أباها قدم على النبي ﷺ مسلمًا ، **فقال** : يا رسول الله ألا أزوجك أجمل أيم[1] في العرب؟ كانت تحت ابن عم لها فتوفي عنها ، وقد رغبت فيك وخطبت إليك ، فتزوجها رسول الله ﷺ ، وأرسل مع أبيها مالك بن ربيعة الساعدي ليحضرها له ، ولما قدمت المدينة دخل عليها نساء فرحين بها وخرجن من عندها ، فذكرن جمالها وشاع ذلك بالمدينة ، **وقيل لها من بعض النساء** : إن كنت تريدين أن تحظي[2] عند رسول الله ﷺ فاستعيذي منه فإنه يرغب فيك ، فلما دخلت عليه أغلق الباب ، وأرخى الستر ، ومد يده إليها ، **فقالت** : أعوذ بالله منك ، فقال رسول الله ﷺ : « **عذت بمعاذ** »[3] بفتح الميم أي بالذي يستعاذ به ويلتجأ إليه ، ثم خرج فأرسلها إلى أهلها ، ولما وصلت إليهم تصايحوا ، **وقالوا** : إنك لغير مباركة فما دهاك ؟ أي أصابك ، **قالت** : خدعت ، فأقامت في أهلها محتجبة حتى ماتت في خلافة عثمان - رضي الله تعالى عنه - ، **وقيل** : إنها ذهب عقلها ، **وقيل** : إنها ماتت كمدًا .

(**عن النبي ﷺ**) أنه (**قال** : **البر**) بكسر الباء اسم جامع لأنواع الخير وكل فعل مرضي (**حسن الخلق**) أي التخلق بالأخلاق الحسنة الشريفة ، والتأدب بآداب الله تعالى التي شرعها لعباده ، من امتثال أمره وتجنب نهيه ، **وما أحسن ما قيل** : البر شيء هين : فعل جميل وكلام لين ، وهو في تزكية النفس كالبر بالضم في تغذية البدن .

وقال بعضهم : إن الدين كله في حسن الخلق .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم**

---

(1) الأيم : هي التي لا زوج لها .

(2) تحظي عند رسول الله : يقال : حظيت المرأة عند زوجها : سعدت به ودنت من قلبه وأحبها .

(3) رواه ابن سعد في « الطبقات » (8 / 144) ، والحاكم في « المستدرك » (4 / 39) بهذا السياق ، **وقال الذهبي** : سنده واهٍ ، وضعفه ابن حجر في « التلخيص » (3 / 132) من طريق ابن سعد ، لكن أصل الحديث ثابت في الصحيحين أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها **قالت** : أعوذ بالله منك ، فقال لها : « **لقد عذت بعظيم ؛ الحقي بأهلك** » وقد ذكر أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شراحيل .

انظر : البخاري (4955) ، (4956) ، (5314) ، ومسلم (2007) ، مع « الإصابة » (6 / 442) ، « فتح الباري » (9 / 359) .

الإيمان : علم يرد به جهل الجاهل ، وورع يحجزه عن المحارم ، وخلق يداري به الناس »[1] .

وحكي عن عاصم بن المصطلق أنه **قال** : دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما - فأعجبني سمته وحسن رؤيته ، فأثار ، أي هيج وأظهر ، مني الحسد ما كان يجنه ، أي يخفيه ، صدري لأبيه من البغض ، **فقلت** : أنت ابن علي ابن أبي طالب ؟ **قال** : نعم ، فبالغت في شتمه وشتم أبيه ، فنظر إلي نظر عاطف رءوف ، **فقال** : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [سورة الأعراف : 199] .

فقرأ إلى قوله : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف : 201] .

ثم **قال** : خفض عليك ، أي هون الأمر عليك ، أستغفر الله لي ولك ، إنك لو استعنتنا لأعناك ، ولو استرشدتنا لأرشدناك .

قال : فندمت على ما فرط مني ، أي سبق ، **فقال** : لا تثريب ، أي لا عتب عليك ، يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين ، أمن أهل الشام أنت ؟ **قلت** : نعم ، **قال** : حياك الله وبياك وعافاك ، تبسط لنا في حوائجك وما يعرض لك تجد عندنا أفضل ظنك إن شاء الله تعالى .

قال عاصم : فضاقت علي الأرض بما رحبت ، ووجدت أنها قد ساخت بي ثم انسللت منه لواذًا ، أي مختبأ مستترًا بشيء ، وما على الأرض أحب إلي من أبيه ومنه[2] .

(**والإثم**) أي الذنب (**ما حاك**) بالحاء المهملة وتخفيف الكاف ، أي تردد ، وأثَّر اضطرابًا قلقًا ونفورًا (**في النفس**) **وفي رواية** : في نفسك ، وفي أخرى في صدرك ، وهذا في حق من نور الله قلبه وألهمه الصواب (**وكرهت أن يطلع عليه الناس**) أي

---

(1) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الصغير » (2 / 21) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 338) ، والرافعي في « أخبار قزوين » (3 / 24) ، وسنده ضعيف كما في « مجمع الزوائد » (10 / 283) ، « فيض القدير » (3 / 303) ، وهو بمعناه مُروى عن جمع من التابعين ، منهم : وهيب المكي ووهب بن منبه ، كما في « الحلية » (10 / 47) ، و « شعب الإيمان » للبيهقي (6 / 338، 339) .

(2) الخبر في « تاريخ دمشق » لابن عساكر (43 / 224) ، ومختصره لابن منظور (5 / 474) .

عظماؤهم الذين يستحيا منهم كالعلماء والصلحاء ؛ وذلك لأن النفس بطبعها تحب الاطلاع على خيرها وتكره الاطلاع على شرها ، ولها شعور من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته أو تذم ، ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الإقدام على ما يضرها ، كالسارق تغلبه الشهوة على السرقة وهو خائف من الوالي أن يقطع يده ، والمراد بالكراهة هنا الكراهة الدينية ، فلا عبرة بالكراهة العادية ، كمن يكره أن يرى وهو يأكل حياءً أو بخلًا .

ثم إن هذا الحديث (**رواه مسلم**) في كتاب البر والصلة من صحيحه ، وهو من جوامع كلمه ﷺ وعليه مدار الإسلام .

(**وعن وابصة**) بكسر الموحدة وفتح الصاد المهملة (**بن معبد**) بفتح الميم والموحدة (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) قدم على رسول الله ﷺ سنة تسع مع عشرة من قومه فأسلموا ، وكان - رضي الله تعالى عنه - قارئًا بكاء ، عمَّر إلى قرب التسعين ، وكان ساكنًا في الرقة ، بفتح الراء ، قرية بالشام ، ومات بها ، ودفن عند منارة جامعها .

(**قال : أتيت رسول الله ﷺ فقال : جئت**) هذا استفهام تقريري حذفت همزته تخفيفًا أي أجئت (**تسأل عن البر**) أي والإثم ، ففي الكلام اكتفاء (**قلت** : **نعم**) وفي هذا معجزة كبرى للنبي ﷺ ، حيث أخبره عما في نفسه قبل أن يتكلم به .

وفي بعض الروايات : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد ألا أدع شيئًا من البر والإثم إلا سألته عنه ، وإذا عنده جمع ، فذهبت أتخطى الناس ، **فقالوا** : إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ ، أي تنح عنه ، **فقلت** : دعوني أدنو منه ، فقال لي : « **ادن يا وابصة** » فدنوت حتى مست ركبتاي ركبتيه ، فقال : « **يا وابصة أخبرك بما جئت تسأل عنه - أو تسألني ؟** » أي أخبرك بذلك ابتداءً أو بعد أن تسألني عنه ، **قلت** : بل أنت تحدثني ، أي ابتداء ، يا رسول الله ، فهو أحب إلي ، قال : « **جئت تسأل عن البر والإثم ؟** » **قلت** : نعم ، (**قال**) رسول الله ﷺ : (**استفت قلبك**)[1] **وفي رواية** : نفسك ، أي اطلب الفتوى من قلبك أو من نفسك ، فإن للنفس شعورًا بما تحمد عاقبته أو تذم كما تقدم ،

---

(1) هذا لفظ رواية أحمد (4 / 228) ، وأبي يعلى (3 / 161 ، 162) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (5 / 386) ، والطبراني في « الكبير » (22 / 148) .

وذلك في حق الملهم للصواب كما مر .

حكي أن العارف بالله تعالى أبا الحسين النوري[1] بضم النون ، سئل عن مسائل ، فالتفت يمينًا وشمالاً ، ثم أطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأجاب بجواب صحيح ، فسئل عن التفاته ، **فقال** : سألت ملك اليمين فلم يجبني ، ثم ملك الشمال فلم يجبني ، فسألت قلبي فأخبرني بما أجبت به[2] .

(البر ما اطمأنت) أي سكنت **(إليه)** وفي نسخة عليه **(النفس واطمأن إليه القلب)** ذكر ذلك بعد ما قبله للتأكيد ؛ لأن طمأنينة القلب من طمأنينة النفس **(والإثم ما حاك في النفس)** أي أثر فيها اضطرابًا **(وتردد في الصدر)** أي القلب ، والجمع بين هذا وما قبله للتأكيد أيضًا **(وإن)** وفي رواية : ولو ، وهو غاية لمحذوف ، والتقدير : فالتزم العمل بما في قلبك وإن **(أفتاك الناس)** أي بخلافه ، وللقصد بذلك المبالغة ؛ ولذا أكده بقوله **(وأفتوك)** لأن الفتوى غير التقوى والورع ، ولأن المفتي ينظر للظاهر فربما يعلم الإنسان من نفسه ما لا يعلمه المفتي .

وفي رواية عن واثلة بن الأسقع أنه **قال** : رأيت النبي ﷺ بمسجد الخيف ، **فقال لي أصحابه** : إليك يا واثلة ، يعنون تنح عن وجه رسول الله ﷺ ، فقال النبي – عليه أفضل الصلاة والسلام – : « **دعوه فإنما جاء ليسأل** » **قال** : قلت يا رسول الله عليك السلام بأبي أنت وأمي لتفتينا بأمر نأخذه عنك بعد موتك ، يعني من الحلال والحرام ، فقال : « **لتفتينك نفسك** » **قال** : قلت : وكيف بذلك ؟ قال : « **أن تدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون** » **قال** : قلت : وكيف لي بذلك ؟ قال : « **أن تضع يدك على قلبك ، فإن الفؤاد يسكن على الحلال ولا يسكن على الحرام** »[3] .

وتقدم غير مرة أن ذلك في حق من تنور قلبه وألهم للصواب .

---

(1) **أبو الحسين أحمد بن محمد النوري** ، زاهد متصوف ، متكلم ، أحد أئمة التصوف ، صحب السري وابن أبي الحواري ، وكان من أقران الجنيد .
توفي سنة 295 هـ . **انظر** : « الحلية » (10 / 249) ، « البداية والنهاية » (11 / 106) .

(2) القصة ذكرها الهيثمي في « الفتاوى الحديثية » ص 238 ، وتبعه المناوي في « فيض القدير » (4 / 508) وفيها من الشطح ما لا يخفى إن صحت القصة إلى قائلها .

(3) **ضعيف** : رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » ص 53، وأبو يعلى (13 / 477) ، والطبراني في « الكبير » (22 / 78) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (62 / 358) بسند ضعيف كما قال ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » ص 251 .

ومن ثم **قيل** : إن على قلب المؤمن الكامل نورًا يتقد ، فإذا ورد عليه الحق التقى هو ونور القلب ، فامتزجا ، فاطمأن القلب ونعش ، وإذا ورد عليه الباطل نفر نور القلب ، ولم يمازجه ، فاضطرب القلب .

ونقل عن الغزالي - رحمه الله تعالى - أنه **قال** : لم يرد المصطفى ﷺ أن كل أحد يستفتي نفسه ، وإنما ذلك لوابصة في واقعة تخصه ؛ لأن الله تعالى وهب له نورًا يفرق به بين الحق والباطل ، فوثق ﷺ بذلك النور وخاطبه بذلك ، وهذا من جميل عوائده ﷺ مع صحبه ، فإنه كان يخاطب كلًّا منهم على حسب حاله ، ويلحق به كل من شرح الله تعالى صدره بنور اليقين ، بحيث جعل له ملكة الإدراك القلبي ، وقوي على التفرقة بين الوارد الرحماني والوسواس الشيطاني[1] .

وحكي عن بعض العارفين أنه أتاه رجل يريد السلوك ، فأدخله الخلوة ، وتركه أيامًا ، ثم دخل عليه **فقال له** : كيف ترى صورتي ؟ **قال** : صورة خنزير ، **فقال** : صدقت ، ثم تركه في الخلوة مدة ، ودخل عليه فسأله كذلك ، **فقال** : صورة كلب ، ثم كذلك إلى أن **قال** : أراك صورة القمر ليلة كماله ، **فقال** : صدقت الآن كمل حالك وصلحت أن ترجع إلى قلبك وأن تستفتي نفسك وإن أفتاك المفتون ، وأخرجه من الخلوة .

وقال بعضهم[2] : من غض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، وعمَّر باطنه بالمراقبة ، وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته ، أي ظنه .

وأخرج الطبراني بإسناد حسن وابن عدي عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** ﷻ »[3] .

---

(1) ذكره المناوي في « فيض القدير » (1 / 495) ، ونحوه لأبي طالب المكي في « قوت القلوب » (1 / 202، 262) .

(2) هو **شاه الكرماني** أحد الزهاد العباد ، **انظر** كلامه في « الرسالة القشيرية » ص 268 ، « مدارج السالكين » (2 / 484) ، « روضة المحبين » كلاهما لابن القيم .

(3) **فيه بحث** : رواه البخاري في « تاريخه الكبير » (7 / 354) ، والترمذي (3127) ، والعقيلي في « الضعفاء » (4 / 129) ، والطبراني في « الأوسط » (3 / 312) و« الكبير » (8 / 102) وابن عدي في « الكامل » (4 / 207) ، وأبو الشيخ في « الأمثال » (126) ، (127) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 331 ، 332) من طرق ، وحكم ببطلانه ، وضعفه الترمذي وغيره ، ومال إلى تحسينه السيوطي ، **وقال الخطيب** : المحفوظ أنه من قول عمرو بن قيس الملائي أحد زهاد الكوفة وعبَّادهم . =

والفراسة ، بكسر الفاء وفتحها ، الاطلاع على ما في الضمائر ، **وقيل** : هي سواطع أنوار تلمع في القلب تدرك بها المعاني .

وهي قسمان : قسم يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه ، ومن ذلك ما قيل أن امرأة حاكمت زوجها إلى بعض العارفين فوجدته مشغولاً بالعبادة ، فلما فرغ **قال** : يا جاهلة بمقدار ما جنيته اعترفي بذنبك وأعلمي زوجك بجنايتك ، فإن السكران الذي واقعك في ليلة كذا وزوجك قائم يدعوك قد أحبلك وستلدين بعد شهرين خلقًا مشوهًا ، فكان كذلك .

ونقل عن أنس - رضي الله تعالى عنه - **أنه قال** : دخلت على عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - وكنت لقيت امرأة في الطريق نظرت إليها نظرًا شديدًا وتأملت محاسنها ، **فقال** : يدخل علي أحدكم وآثار الزنى ظاهرة في عينيه ، أما علمت أن زنى العين النظر ، لتتوبن وإلا عزرتك ، **فقلت له** : أوحي بعد رسول الله ﷺ ؟ **فقال** : لا ، ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة ، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ : « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** » ؟ وعندما دخلت رأيت ذلك في عينك[1] .

والقسم الثاني : يحصل بالاستدلال بهيئات الإنسان وألوانه وأقواله وأفعاله ، ومن ذلك ما حكي أن الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - كان جالسًا في المسجد ، فدخل رجل يدور على النائمين ، **فقال الشافعي للربيع** : قم ، فقل لهذا ذهب لك عبد أسود مصاب بإحدى عينيه ، **قال** : فقمت فأخبرته ، **فقال** : أين هو ؟ **فقلت له** : اسأل الشافعي عنه ، فذهب إليه ، **وقال له** : يا سيدي أين عبدي ؟ **فقال له** : تجده في الحبس ، فذهب الرجل فوجده ، **فقلت للشافعي** : أخبرنا عن هذا الأمر فقد حيرتنا ، **فقال** : رأيت رجلًا داخلًا من باب المسجد يدور بين النائمين ، **فقلت** : إنه يطلب هاربًا ، ورأيته يجيء إلى السودان دون البيض ، **فقلت** : هرب له عبد أسود ، ورأيته يجيء إلى ما يلي العين اليسرى ، **فقلت** : إنه مصاب بإحدى عينيه ، **قلنا** : فما يدلك

= **انظر** تفصيل ذلك في : « المقاصد الحسنة » للسخاوي ص 59 ، 60 ، « اللآلئ المصنوعة » (2 / 278) ، « تنزيه الشريعة » (2 / 305) ، « تاريخ بغداد » (3 / 191 ، 192) .

(1) **لم أقف عليه مسندًا** : ذكره القشيري في « رسالته » ص 272 ، والغزالي في « الإحياء » (3 / 25) ، وابن عربي في « الفتوحات المكية » (2 / 233) ، ولم أقف عليه مسندًا .

أنه في الحبس ، قال : ذكرت أن العبيد إذا جاعوا سرقوا ، وإذا شبعوا فسقوا .

ثم إن هذا الحديث (**حديث حسن**) وفي نسخة صحيح (**رويناه**) أي نقلناه (**في**) هي بمعنى من أو عن ، ويجوز أن تكون باقية بحالها متعلقة بمحذوف حال من هاء رويناه ، **والتقدير** : رويناه حال كونه مندرجًا في جملة الأحاديث المذكورة في (**مسندي**) بفتح النون تثنية مسند (**الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي**) رحمهما الله تعالى .

أما **أحمد بن حنبل** فهو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين المتبوعين الآن ، وهو مجمع على جلالته ، وأمانته ، وورعه ، وزهادته ، وحفظه ، ووفور عقله ، وسيادته ، قدمت به أمه وهي حاملة به من « مروز » بعد وفاة أبيه بها إلى بغداد ، فولدته بها سنة مائة وأربع وستين ، وكان تلميذًا للإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - **وقال فيه** : خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من الإمام أحمد .

وكان يكثر الدعاء للشافعي ، ويمشي بجانب حماره ، ويذاكره وهو راكب ، وكان يحيي الليل كله من وقت كونه غلامًا .

وكان له في كل يوم وليلة ختم ، وكان إذا جاع أخذ كسرة يابسة فنفضها من الغبار وبلّها بماء وأكلها بملح ، وإذا اشتهى طعامًا طبخ له عدس بشحم في فخارة .

وجاءته زكاة يومًا فردها ، **فقيل له** : إن أولادك عراة! **فقال** : العري خير لهم من أوساخ الناس ، وإنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار .

وحمل إليه ثلاثة أكياس ، في كل كيس ألف دينار ، **وقيل له** : استعن بذلك على عائلتك ، **فقال** : لا حاجة لي فيها ، أنا في كفاية ، ولم يقبل منها شيئًا .

وكان - رضي الله تعالى عنه - يحفظ ألف ألف حديث ، وأخذ عنه رجال كثيرون ، منهم البخاري ومسلم وأبو داود - رحمهم الله تعالى - وقد جمع في مسنده أربعين ألف حديث .

ومات ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين عن سبع وسبعين سنة ، ولما مات صاح الناس ، وارتفعت أصواتهم بالبكاء ، وأغلقت بغداد لمشهده ، وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس نحو عشرة آلاف - نفعنا الله تعالى به .

وأما الدارمي فهو بكسر الراء نسبة إلى دارم بن مالك من تميم واسمه عبد الله بن عبد الرحمن ، ولد سنة إحدى وثمانين ومائة ، ومات سنة خمس وخمسين ومائتين .

وكان إمام أهل زمانه في العلم والورع ، وكان حافظًا ، روى عنه مسلم وأبو داود والترمذي وأبو زرعة ، وكان من أصحاب الكرامات ، ومسنده لطيف[1] ، وغالبه صحيح .

وقول المصنف (**بإسناد حسن**) أي ليس في رجاله من يوصف بالضعف ، وفي نسخة بإسناد جيد أي صحيح .



(1) تتابع جمع من المتأخرين على إطلاق لفظ المسند على كتاب الدارمي ، مع أنه مصنف على الأبواب ، لا على مسانيد الصحابة ، **فالصواب** تسميته بـ « **السنن** » .

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ ، **قَالَ**: وَعَظَنَا رسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، **فَقُلْنَا** : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَأَنَّها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا ، قَالَ : « **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** » .

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ) .

وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

. . . .

(**عن أبي نجيح**) بفتح النون وكسر الجيم وآخره حاء مهملة (**العرباض**) بكسر العين المهملة وسكون الراء بعدها موحدة وآخره معجمة (**بن سارية**) بسين مهملة ومثناة تحتية ، وفي نسخة زيادة السلمي بضم ففتح من بني سليم (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) أسلم قديمًا ، وكان **يقول** : أنا رابع الإسلام ، أي رابع من أسلم ، وكان من أهل الصفة ، وهم زهاد من الصحابة فقراء غرباء ، كانوا يأوون إلى صفة في آخر مسجد النبي ﷺ ، وهي كما تقدم مكان مظلل يبيتون فيه ، وكانوا يقلون ويكثرون .

نزل الشام وسكن حمص ، وكان من العابدين البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ .

أي إلى الغزو ﴿ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا ﴾ .

أي انصرفوا ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [سورة التوبة : 92] .

وكان من المشتاقين إلى الله تعالى ، يحب أن يقبض إليه ، فكان **يقول في دعائه** : اللهم كَبُرَ سنّي ، وَوَهَنَ عظمي ، أي ضعف ، فاقبضني إليك .

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (4607) ، والترمذي (2676) ، وابن ماجه (42) ، وأحمد (4 / 126) ، وكذا ابن حبان (5) ، والحاكم (1 / 174) وصححاه وكذا الذهبي .

مات في الشام سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان ، ومروياته أحد وثلاثون حديثًا ، منها ما ذكره عنه المصنف أنه **(قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة)** من الوعظ ، وهو النصح والتذكير بالعواقب ، أي أتى لنا بكلام دال على التخويف بطريق النصيحة والتذكير بالعواقب لأجل ترقيق القلوب ، والتنوين في موعظة للتعظيم والتفخيم ، أي موعظة عظيمة بليغة .

(وجلت) بكسر الجيم ، أي خافت **(منها القلوب ، وذرفت)** بفتح الذال المعجمة والراء ، أي سالت **(منها العيون)** أي دموعها ، وفي ذلك إشارة إلى أن تلك الموعظة أثرت في نفوسهم ، وأخذت بمجامعهم ظاهرًا وباطنًا ، وهذا دليل على كمال معرفتهم ومراعاتهم لربهم .

وقد ورد في الحديث : « **لا يلج النار** » أي لا يدخلها « **من بكى من خشية الله ﷻ حتى يعود اللبن في الضرع** »[1] .

وورد أيضًا : « **ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله ، أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله** »[2] .

وقال كعب الأحبار – رضي الله تعالى عنه – : « والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على وجهي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب »[3] .

ثم إن هذه الموعظة كانت بعد صلاة الصبح لما في رواية الترمذي : وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ، أي بالغ فيها بالإنذار والتخويف لأجل ترقيق القلوب ، وكان ﷺ يقع ذلك منه أحيانًا لا دائمًا مخافة سآمتهم ومللهم ، فتندب الموعظة والمبالغة فيها ؛ لأن لها وقعًا في النفس ، وتأثيرًا في القلب خصوصًا إذا صدرت من قلب ناصح سليم من الأدناس والقبائح ، **فقد قيل** : إن الواعظ إذا لم يكن مقاله كفعله لا ينتفع بوعظه .

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (1633) ، والنسائي (6 / 12) ، وأحمد (2 / 505) ، وكذا الحاكم (4 / 288) وصححه وأقره الذهبي .

(2) **حسن** : رواه عبد الرزاق (11 / 188) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 314) ، والقضاعي في « مسنده » (1308) بهذا اللفظ ، وهو عند الترمذي (1669) بنحوه وحسنه .

(3) رواه ابن أبي شيبة (7 / 226) ، وأبو نعيم في « الحلية » (5 / 366) .

وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - : قرأت في التوراة إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب ، أي زلقت ولم تثبت ، كما يزل ، أي يزلق ، القطر ، أي المطر ، عن الصفا[1] ، أي الحجارة الملس .

وقيل : من وعظ بقوله ضاع كلامه ، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه .

وحكي أنه لما جاء أبو حفص الكبير[2] من العراق إلى بخارى ، اجتمع عليه أهلها وطلبوا منه أن يقرأ درسًا فأجابهم ، فزينوا له المسجد ، ووضعوا له سريرًا ، فلبس لبس القضاة ، **فقالت له امرأته** : إلى أين تذهب ؟ **فقال** : لأعظ الناس ، **فقالت** : هل عملت بما علمت حتى تخرج إلى الناس فتعظهم ؟ **فقال** : رميتني بسهم نافذ ، وخرج إلى الناس **فصاح فيهم** : انصرفوا فإني وجدت في الدار معلمًا أحتاج إلى علمه ، ومكث يعبد الله تعالى ويستعمل العلم ثلاث سنين ، فلما تمت اجتمع الناس إليه وسألوه أن يجلس لهم ، فشاور امرأته ، **فقالت** : هل عملت بما علمت ؟ **قال** : عملت أكثره ، **فقالت** : هل تعرف لنفسك خصمًا ؟ فتفكر ، **فقال** : كنت أطوف في المزارع فوجدت بقعة كراث[3] فأخذت حزمة منها فأكلتها فلا أعرف لنفسي غير هذا ، **فقالت** : أرض خصمك ، فطلب صاحب البقعة فوجده مجوسيًا ، فأخبره واستحله فلم يجعله في حل ، **فقال له** : لك علي عشرة دراهم ، فلم يرض ، **فقال** : لك علي عشرة آلاف درهم واجعلني في حل ، **فقال** : حتى أستأذن أهل بيتي ، **فقال له أهله** : إن هذا الدين حق حتى يعطيك الرجل عشرة آلاف درهم لأجل حزمة كراث فادخل في دينه ، فأخبر المجوسي بعض المجوس فتبعه سبعون منهم ، وجاءوا حتى وقفوا على باب أبي حفص ، فخاف من كثرتهم ، **فقالوا له** : اعرض علينا الإسلام ، فأسلموا كلهم ، ثم جلس للناس وتكلم أولاً بهذه الحكاية - رحمة الله تعالى عليه .

وقيل لأبي القاسم الحكيم - رحمه الله تعالى - : ما بال علماء زماننا لا تتعظ الناس

---

(1) رواه أحمد في « الزهد » ص 323، وأبو نعيم في « الحلية » (6 / 288) ، والخطيب في « اقتضاء العلم » ص 61 .

(2) هو **الإمام الجليل أحمد بن حفص المعروف بأبي حفص الكبير البخاري** ، شيخ الحنفية في عصره .
انظر : « طبقات الحنفية » (1 / 67) ، « تاج التراجم » ص 94 .

(3) **الكراث** : عشب معمّر من الفصيلة الزنبقية ، تخرج منها أوراق مفلطحة ، وله رائحة قوية ، ومنه الكرّاث المصري . وهو كرّاث المائدة . **انظر** : « المعجم الوسيط » (2 / 813) .

بمواعظهم كما كان السلف ؟ **فقال** : إن علماء السلف كانوا أيقاظًا والناس نيام فينبه الأيقاظ النيام ، وعلماء زماننا نيام والخلق موتى ، فكيف ينبه النائم الميت !

(قلنا) وفي نسخ : فقلنا: **(يا رسول الله كأنها)** أي تلك الموعظة **(موعظة مودع)** بكسر الدال المهملة المشددة ، أي شخص يودع أصحابه وأحبابه ، ولعلهم فهموا ذلك من مبالغته في الموعظة واستقصائه فيها فوق العادة ، فاستزادوه أن يرشدهم إلى ما فيه صلاح الحال والمآل ، حيث قالوا له: **(فأوصنا)** بفتح الهمزة أي وصية كافية جامعة لمهمات الدين والدنيا .

(قال : أوصيكم بتقوى الله ﷻ) بدأ بها لأنها زاد الآخرة وكافلة لمن تمسك بها بسعادة الدارين ؛ إذ هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك ، وقد أوصى الله تعالى بها الأولين والآخرين حيث قال :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [سورة النساء : 131] .

وأنشد بعضهم :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد[1] كما كان أرصدا

(والسمع والطاعة) أي وأوصيكم بالسمع والطاعة ، أي لولاة الأمور في غير ما فيه إثم ؛ لحديث : « **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** »[2] ، **(وإن تأمر عليكم عبد)** أي على سبيل الفرض والتقدير ، إذ العبد لا تجوز ولايته ؛ فالمراد المبالغة في السمع والطاعة له ، وإن كان ممن لا تجوز ولايته ، لأن في مخالفته إثارة فتنة ، ويصح أن يكون هذا من قبيل الإخبار بالغيب ، يعني أن نظام الشريعة يختل حتى يتولى على الناس العبيد ذكورًا كانوا أو إناثًا ، وقد حصل ذلك فتولى السلطنة بمصر كافور الإخشيدي[3] ،

---

(1) **لم ترصد** : أي لم تعد .

(2) **صحيح** : رواه الطبراني في « الكبير » (18 / 170) ، والبزار (5 / 356) ، والحارث في « مسنده » ، زوائد الهيثمي (602) ، وبلفظ مقارب عند أحمد (1 / 131) ، وابن حبان (4568) وصححه .

(3) هو **أبو المسك كافور بن عبد الله الحبشي الصوري الإخشيدي** أمير مشهور حكم مصر ، كان أديبًا عارفًا باللغة فصيحًا ناظمًا ، وكان ذكيًا ذا دهاء حسن السياسة ، توفي سنة 357 هـ .

انظر : « خريدة القصر » (12/ 216) للأصبهاني ، « وفيات الأعيان » (4/ 99) ، « مختصر تاريخ دمشق » (6/ 349) .

وكان عبدًا حبشيًا خصيًا ، اشتراه سيده بثمانية عشر دينارًا ، **وقال فيه بعض الوعاظ** : من هوان الدنيا على الله تعالى أنه أعطاها لخصي ، فرفع إلى كافور ليعاقبه فرسم له بخلعة ومائة دينار ، ووقعت زلزلة عظيمة في أيامه ففزع الناس منها ، **وقال بعض الشعراء** :

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدلكم طربًا[1]

فأجازه كافور بألف دينار .

وتولت ملك مصر أيضًا جارية يقال لها شجرة الدر[2] ، ولم يل مصر في الإسلام امرأة قبلها ، وأقامت في المملكة ثلاثة أشهر فوقع في سلطنتها اضطراب ، وأرسل الخليفة المعتصم يعاتب أهل مصر في توليتها ، فتزوجها الأمير عز الدين إيبك التركماني ، ونزلت له عن السلطنة .

(**فإنه**) وفي بعض النسخ « **وإنه** » أي الشأن (**من يعش**) بالجزم فمن شرطية ، وفي بعض النسخ يعيش بالياء ، فمن موصولة أي الذي يعيش (**منكم**) أي بعدي (**فسيرى**) أي يعلم (**اختلافًا كثيرًا**) وفي رواية ابن ماجه : « **اختلافًا شديدًا** » أي بين الناس من ظهور الفتن والبدع ، وقد وجد ذلك فهو من معجزاته ﷺ ، فقد صح أنه كشف له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم (**فعليكم بسنتي**) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر ، أي فإذا رأيتم هذا الاختلاف فعليكم بسنتي ، أي الزموا التمسك بطريقتي وسيرتي ، وهي ما بينه ﷺ من الأحكام الاعتقادية والعملية .

قال عبد الرحمن بن زيد[3] : لقي ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - رجلاً محرمًا وعليه ثيابه ، **فقال** : انزع عنك هذا ، **فقال الرجل** : اقرأ علي بهذا آية من كتاب الله تعالى ، **قال** : نعم .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [سورة الحشر : 7] .

---

(1) كذا في الأصل ، وفي المصادر التي بين أيدينا جاء شطره الثاني **بلفظ** : « . . . ولكنها رقصت من عدله فرحًا » . **انظر** : « وفيات الأعيان » (4 / 103) ، و« حسن المحاضرة » (1 / 188) للسيوطي ، وعزاه إلى محمد ابن القاسم بن عاصم شاعر الحاكم .

(2) حاكمة مصر المتوفاة سنة 655 هـ .

(3) كذا في الأصل زيد ، وهو خطأ **وصوابه** يزيد ، وهو **عبد الرحمن بن يزيد النخعي** ، روى عن ابن مسعود وعثمان ، وهو ثقة مات سنة 83 هـ ، **وانظر** « تقريب التهذيب » ص 353 ، « الكاشف » (1 / 649) .

فامتثل ونزع ثيابه[1] .

(**وسنة الخلفاء**) أي وعليكم بطريقة الخلفاء ، جمع خليفة ، وهو من قام مقام غيره (**الراشدين**) جمع راشد ، وهو من عرف الحق واتبعه (**المهديين**) بتشديد الياء الأولى ، جمع مهدي ، وهو من هداه الله إلى الصواب ، والمراد بهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن - رضي الله تعالى عنهم - فقد ورد : « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكًا عضوضًا** »[2] أي شديدًا فيه عسف وظلم ، وقد تمت بولاية الحسن - رضي الله تعالى عنه .

وإنما قرن سنتهم بسنته لعلمه أن سنتهم ، أي طريقتهم ، التي يستخرجونها من الكتاب والسنة مأمونة من الخطأ .

وقد ورد أن رجلًا حلف أنه لا يطأ زوجته حينًا ، فأفتاه أبو بكر بأن الحين الأبد ، وعمر بأنه أربعون سنة ، وعثمان بأنه سنة واحدة ، وعلي بأنه يوم وليلة ، فعرض الرجل ذلك على رسول الله ﷺ فدعاهم ، فقال لأبي بكر : « **ما دليلك على أن الحين الأبد ؟** » **قال** : قوله تعالى في حق قوم يونس : ﴿ فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [سورة الصافات : 148] .

أي أبقيناهم متمتعين بما لهم إلى يوم القيامة .

وقال لعمر : « **ما دليلك على أن الحين أربعون سنة ؟** » **قال** : قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ [سورة الإنسان : 1] .

الإنسان : آدم ألقيت طينته على باب الجنة أربعين عامًا .

وقال لعثمان : « **ما دليلك على أنه عام ؟** » **قال** : قوله تعالى : ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم : 25] .

---

(1) **انظر الأثر في** « ذم الكلام » للهروي (2 / 88) ، « تفسير الثعالبي » (9 / 277) ، « تفسير القرطبي » (18 / 17) ، « تخريج الآثار » للزيلعي (3 / 440) .

(2) **حسن** : أصله عند الترمذي (2226) ، وأحمد (5 / 220) ، والنسائي في « الكبرى » (5 / 47) ، وابن حبان (6943) وصححه ، وسنده حسن لكن آخره بلفظ : « . . . **ثم يكون بعد ذلك ملكًا** » .

• أما لفظ « **عضوضًا** » فقد ورد في حديث آخر بلفظ : « **إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ، ثم تكون رحمة وخلافة ، ثم كائنًا ملكًا عضوضًا ، ثم كائنًا عتوًا وجبرية وفسادًا في الأرض** » رواه الطيالسي (228) ، والطبراني في « الكبير » (1 / 156) وأبو يعلى (2 / 177) بسند ضعيف .

أي تعطي النخلة ثمرها كل عام .

وقال لعلي : « ما دليلك على أنه يوم وليلة ؟ » قال : قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [سورة الروم : 17] .

أي سبحوه **بمعنى** صلوا له حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح ، فقال ﷺ : « **أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** »[1] وأمر الرجل أن يأخذ بقول علي تخفيفًا عليه .

هذا ومذهب مالك موافق لما أفتى به عثمان ، ومذهب أبي حنيفة وأحمد ستة أشهر ، ومذهب الشافعي حمل الحين على مضي لحظة من الزمن ، فإذا حلف لا يكلمه حينًا بر بمضي أقل زمان[2] ، ومحل ما ذكر إذا لم ينو شيئًا معينًا ، فإن نوى شيئًا معينًا حمل عليه باتفاق الأربعة ، وإنما حث ﷺ على التمسك بطريقة هؤلاء الخلفاء ؛ لأن ما عرف عنهم أو عن بعضهم أولى بالاتباع مما عرف عن بقية الصحابة إذا وقع الخلاف فيه ، وهذا إنما هو في حق المقلد في تلك الأزمنة القريبة من زمن الصحابة ، أما في زماننا فلا يجوز تقليد غير الأربعة المشهورين ولو من أكابر الصحابة ؛ لأن مذاهب الأربعة قد حررت ، وعرفت قواعدها ، واستقرت أحكامها ؛ بخلاف غيرهم ، وحمل ذلك السبكي على الإفتاء والقضاء ، أما في عمل الإنسان لنفسه فيجوز ، ولذا قال بعضهم :

وجاز تقليد لغير الأربعة ... في حق نفسه ففي هذا سعة

لا في قضاء مع إفتاء ذكر ... هذا عن السبكي الإمام المشتهر[3]

---

(1) **ضعيف جدًا** : رواه عبد بن حميد (783) ، والآجري في « الشريعة » (4 / 1691) ، وابن عدي في « الكامل » (2 / 377) ، والقضاعي في « مسنده » (2 / 275) ، وجزم بضعفه ابن عبد البر في « جامع العلم » (2 / 90) ، وابن الملقن في « البدر المنير » (9 / 586) ، وابن حجر في « التلخيص » (4 / 190) ، والزيلعي في « تخريج الآثار » (2 / 230) .

● **تنبيه** : لم يأت ضمن روايات الحديث القصة المذكورة في معنى « الحين » .

(2) **انظر** مذاهب العلماء في ذلك عند الجصاص « مختصر اختلاف العلماء » (3 / 263) ، المرغياني في « الهداية شرح البداية » (2 / 86) ، ابن قدامة في « المغنى » (10 / 40) .

(3) **انظر** : « حاشية قليوبي وعميرة » (1 / 13، 14) .

(**عضّوا**) بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة (**عليها بالنواجذ**) بالذال المعجمة ، **قيل** : هي الأنياب ، **وقيل** : آخر الأضراس ، والقصد المبالغة في شدة التمسك بسنته وسنة الخلفاء من بعده ، ولم يقل عليهما ، بل وحَّد الضمير إشارة إلى أنهما شيء واحد ؛ لأن سنتهم كسنته في وجوب الاتباع ، (**وإياكم ومحدثات**) كلاهما منصوب بفعل مضمر ، **والتقدير** : باعدوا أنفسكم واحذروا محدثات (**الأمور**) بفتح الدال ، أي الأمور المحدثة أي المخترعة في الدين المخالفة للشريعة (**فإن**) ذلك بدعة ، وإن (**كل بدعة ضلالة**) أي خلاف الحق أي باطل .

وجاء في بعض روايات هذا الحديث : « **فإن كل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار** »[1] يعني صاحبها ، من فاعل ومتبع ، وهذا في غير البدعة الحسنة التي ترجع إلى أصل شرعي .

وقد قيل : إن البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة الأولى :

واجبة : كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع ، وكالاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة : كالنحو والصرف واللغة ، وكتمييز صحيح الأحاديث من سقيمها ، والرد على نحو المعتزلة .

الثانية : محرمة : كالمكوس ، والمظالم ، وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح لها ، والاشتغال بمذاهب أهل الضلال المخالفين لما عليه أهل السنة .

الثالثة : المندوبة : كبناء الربط ومدارس العلم الشرعي ، وتدوين المذاهب ، وتصنيف العلوم المستحسنة شرعًا ، وتقرير القواعد ، وكثرة التفريع ، وتتبع كلام العرب وأوراد أهل الطريق ، واصطناع مولد المصطفى ﷺ ، وإظهار الزينة والسرور به .

الرابعة : المكروهة : كزخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف ، والتبليغ حيث بلغ المأمومين صوت الإمام .

الخامسة : المباحة : كاتخاذ المناخل والملاعق ، والتوسعة في لذيذ المآكل والمشارب والمساكن .

---

(1) **صحيح** : رواه النسائي (3 / 188) ، وابن خزيمة (1785) ، والآجري في « الشريعة » (1 / 399) ، وأبو نعيم في « الحلية » (3 / 189) وصححه .

وقيل : إن أول من تنافس في الأطعمة الكثيرة والخبز الحوارى ، بضم الحاء وشد الواو وفتح الراء مقصورًا ، أي الأبيض ، والملابس الفاخرة معاوية لما ولي الشام من قبل عمر - رضي الله تعالى عنهما - ، وكانوا قبل ذلك لا ينخلون الدقيق ولا يتنافسون في شيء من المآكل وغيرها ، فلما بلغ ذلك عمر توجه إلى الشام حتى صار منها على مرحلتين لقيه معاوية وترجَّل له ، وقبَّل رجله في الركاب ، ولم يزل في ركابه ماشيًا وهو يخلع من ملبوسه شيئًا بعد شيء ، حتى لم يبق إلا شعاره وسراويله ، وأجهده العرق ، وكان جسيمًا كبير البطن ، **فقال بعض الصحابة** : رفقًا يا أمير المؤمنين بمعاوية ، **فقال له منكرًا** : وأين معاوية ؟ فقبَّل ركابه ثانيًا ، **وقال له** : ها أنا ذاك ، **قال** : ما ظننت إلا أنك علج[1] من علوج الشام ، فبكى ، **وقال** : يا أمير المؤمنين أنت من الصحابة الذين يعرفون مواقع الوحي ، ويتبعون آثار الهدى ، وإن أهل الشام لا يرضيهم إلا ما شهدت لقرب عهدهم بالإسلام ، أي فأنا محتاج إلى هذا ، فعفا عنه ، **وقال له** : لا آمرك ولا أنهاك ، أي أنت أعلم بحالك .

ثم إن هذا الحديث حديث جليل ، وفيه علوم كثيرة (**رواه أبو داود والترمذي وقال**) أي الترمذي (**حديث**) أي هذا حديث (**حسن صحيح**) وفي بعض النسخ الاقتصار على حسن ، وتقدم الكلام على الترمذي .

وأما أبو داود فاسمه سليمان بن الأشعث ، وكان شافعيًا ومن فرسان الحديث ، **قال بعضهم** : كان يفي بمذاكرة مائة ألف حديث ، فلما صنف كتاب السنن وقرأه على الناس صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف يتبعونه ولا يخالفونه .

قال شارحه الخطابي : لم يصنف في علم الحديث مثله ، وهو أحسن وضعًا وأكثر فقهًا من الصحيحين ، فينبغي الاعتناء به وبمعرفته التامة ؛ فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله .

ونقل عنه أنه **قال** : كتبت خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها السنن أربعة آلاف وثمانمائة .

---

(1) **العلج** : هو الرجل القوي الضخم من كفار العجم .

ومناقبه - رضي الله تعالى عنه - كثيرة ، وقد اتفق العلماء على الثناء عليه ووصفه بالحفظ التام والعلم الوافر والإتقان والورع والدين والفهم الثاقب ، أي الذكي ، في الحديث وغيره .

وقال بعض الحفاظ : خلق أبو داود في الدنيا للحديث ، وفي الآخرة للجنة .

وروي أنه كان في سفينة فسمع عاطسًا على الشط حمد ، فاكترى قاربًا بدرهم فذهب فيه حتى جاء إليه فشمته ثم رجع فسئل عن ذلك ، **فقال** : لعله أن يكون مجاب الدعوة ، فلما رقدوا **سمعوا قائلًا يقول** : يا أهل السفينة إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم . ولد سنة اثنتين ومائتين ، وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين - رحمه الله تعالى .



الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ ، **قَالَ** : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ : « **لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ** ، ثُمَّ قَالَ : **أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ** ، **ثُمَّ تَلاَ** : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ **حَتَّى بَلَغَ** : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 16 - 17] **ثُمَّ قَالَ** : « **أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟** » **قُلْتُ** : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « **رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلاَمُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ** » ، ثُمَّ قَالَ : « **أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟** » **قُلْتُ** : بَلَى يَا نَبِيَّ الله ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ : « **كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا** » . **قُلْتُ** : يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : « **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ** - أَوْ : **عَلَى مَنَاخِرِهِمْ** - **إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟** » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

. . . .

(**عن معاذ بن جبل رضي الله**) تعالى (**عنه**) وتقدم الكلام عليه (**قال** : **قلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة**) أي يكون سببًا في دخولي إياها لا من حيث ذاته ، بل من حيث قبوله بمحض فضل الله تعالى ؛ الذي به دخول الجنة ، وبذا يجمع بين هذا وبين حديث البخاري : « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله** » **قالوا** : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته** »[2] كما تقدم .

ولا يبعد أن يكون **المعنى هنا** : يدخلني الله به الجنة ، أي بسبب قبوله ، **والمراد** دخولها من غير سابقة عذاب بدليل قوله : (**ويباعدني من النار**) وفي رواية الإمام أحمد : إني أريد أن أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني ، قال : « **سل**

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (2616) ، وابن ماجه (3973) ، وأحمد (5/ 231) ، والنسائي في « الكبرى » (6/ 428) ، وكذا الحاكم (2 / 447) وصححه ، وأقره الذهبي .

(2) **متفق عليه** : رواه البخاري (6098) ، ومسلم (2816) ، وأحمد (2 / 256) .

عما شئت » قال : أخبرني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك غيره .

وفي رواية : إني أريد أن أسألك عن أمر ويمنعني عنه مكان هذه الآية[1] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [سورة المائدة : 101] .

قال : « **ما هو يا معاذ ؟** » **قلت** : ما العمل الذي يدخلني الجنة وينجيني من النار ؟

وفيه دليل على طلب الإيجاز مع حصول الفائدة ، وعلى شدة اعتنائه بالعمل الصالح وعظيم فصاحته ، فإنه أوجز وأبلغ ، ولهذا حمد النبي ﷺ مسألته واستعظمها حيث (**قال**) له : (**لقد سألت**) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ، والتقدير : والله لقد سألت ، وفي نسخة : **لقد سألتني** ، (**عن عظيم**) أي عن عمل عظيم ، أي متعسر لصعوبته على النفوس وعدم وفائها غالبًا بما يطلب له ، وفيه من الوسائل والمقاصد الواجبة والمندوبة وأجلها الإخلاص (**وإنه**) أي العمل المذكور (**ليسير**) أي هين (**على من يسره الله عليه**) أي سهله لديه بتوفيقه وتهيئة أسبابه له ، وشرح صدره إليه ، وإعانته عليه .

ثم بين هذا العمل بقوله : (**تعبد الله**) أي هو أن تعبد الله ، فحذفت أن ، ورجع الفعل إلى رفعه ، **ومعنى تعبد الله** : توحده ، بدليل قوله : (**لا تشرك به شيئًا**) فإنه تأكيد له ، ويحتمل أن يكون المعنى : تأتي بأنواع العبادة حال كونك مخلصًا لله .

وقيل : **إن للعبادة ثلاث درجات** :

الأولى : أن يأتي بها طمعًا في الثواب وهربًا من العقاب .

الثانية : أن يأتي بها ليتشرف بعبادة خالقه ويتلذذ بطاعته .

الثالثة : أن يأتي بها حياءً من الله وامتثالاً لأمره وتأدية لشكره ، ويرى نفسه مقصرًا ويكون قلبه مع ذلك خائفًا ، وهذه أعلى المراتب .

(**وتقيم الصلاة**) هو وما بعده من عطف المغاير على المعنى الأول لتعبد ، ومن عطف الخاص على العام على المعنى الثاني ، **والمراد بالصلاة** : الصلاة المكتوبة ، **ومعنى إقامتها** الإتيان بها في أوقاتها كاملة الواجبات والآداب .

---

(1) **مكان هذه الآية** : أي مكانتها وعظم قدرها .

(**وتؤتي الزكاة**) أي المفروضة كما في رواية ، أي تدفعها لمستحقيها أو للإمام ليوصلها لهم .

(**وتصوم**) شهر (**رمضان**) أي تمسك عن المفطرات في أيامه .

(**وتحج البيت**) أي تقصده لأداء النسك ، وتأتي به إن استطعت إليه سبيلاً .

(**ثم قال**) ﷺ : (**ألا أدلك**) أي أرشدك (**على أبواب الخير**) أي طرقه وأسبابه الموصلة إليه ، وألا للعرض وهو الطلب بلين ورفق ، **والمعنى** : عرضت ذلك عليك فهل تحبه ، وفيه غاية التشويق إلى ما سيذكره له ، وهو قوله :

(**الصوم جنة**) بضم الجيم وتشديد النون ، أي وقاية لصاحبه من استيلاء الشهوة والغفلة عليه في الدنيا ، ومن عذاب النار في الآخرة ؛ فينبغي للإنسان الإكثار منه ما استطاع ، خصوصًا في الأيام المؤكد صومها ؛ كيوم الاثنين والخميس وعرفة وعاشوراء وستة شوال والأشهر الحرم .

وورد في الحديث : « **أفضل الصوم صوم أخي داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا** »[1] .

وأدنى درجات الصوم الكف عن المفطرات ، وأوسطها أن يضم إليه كف الجوارح عن المحرمات ، وأعلاها أن يضم إليهما كف القلب عما سوى الله الذي أبدع المخلوقات .

(**والصدقة تطفئ الخطيئة**) أي تمحو أثرها إن كانت من الصغائر المتعلقة بحق الله ﷻ ، أما الكبيرة فلا يمحوها إلا التوبة ، وأما حق الآدمي فلا يمحوه إلا رضا صاحبه ، وعبر بالإطفاء لمقابلته بقوله : (**كما يطفئ الماء النار**) ولأن الخطيئة يترتب عليها العقاب الذي هو أثر الغضب ، والغضب يستعمل فيه الإطفاء ، **يقال** : طفئ غضب فلان وانطفأ غضبه ، وخصت الصدقة بذلك لتعدي نفعها ، ولأن الخلق عيال الله ، وهي إحسان إليهم ، والعادة أن الإحسان إلى عيال شخص يطفئ غضبه .

وقد ورد أن : « **صدقة السر تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء** »[2] ، ولذا كان

---

(1) **متفق عليه** : رواه البخاري (1079) ، ومسلم (1159) .

(2) سبق تخريجه .

بعضهم يحمل الخبز على ظهره بالليل ويتبع به المساكين .

والصدقة تشمل إعطاء النقد وغيره ، وقد سئل ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : أي الصدقة أفضل ؟ **قال** : الماء[1] .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « **من سقى مسلمًا شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ، ومن سقى مسلمًا شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها** »[2] .

وورد أيضًا : « **كل معروف صدقة ، وما أنفق الرجل على أهل بيته كتب له صدقة ، وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة ، وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله ، والله ضامن إلا ما كان في بنيان أو معصية** »[3] .

وفسرت وقاية العرض بما يعطى للشاعر وذي اللسان المنقى ، **والمراد بالبنيان** : الزائد عن الحاجة .

وروي أنه ﷺ ذبح شاة فتصدق بلحمها غير الذراع ، ثم دخل البيت فقال : « **هل بقي منها شيء ؟** » يريد أن يتصدق به ، **فقالوا** : والله ما بقي منها إلا الذراع ، فقال : « **والله كلها بقيت إلا الذراع** »[4] .

(**وصلاة الرجل**) خص بالذكر ، لأن السائل رجل وإلا فمثله المرأة ، وقوله : (**من جوف الليل**) أي في أثنائه ، فمن بمعنى في ، وبها عبر في بعض النسخ ، وحذف الخبر هنا إشعارًا بأن لها فضلًا كثيرًا وأجرًا غزيرًا لا يدرك كنهه ولا يمكن التعبير عنه ،

---

(1) ورد ذلك في حديث مرفوع عنه ﷺ من رواية سعد بن عبادة عند أبي داود (1681) ، والنسائي (6 / 254) ، وابن حبان (3348) ، وعند الطبراني في « الأوسط » (1011) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا ، وقد أعل بالانقطاع كما في « الترغيب » للمنذري (2 / 42) ، و« المجموع » للنووي (6 / 237) ، **وقال النووي** : هو من أحاديث الفضائل ويعمل فيها بالضعيف ، فبهذا أولى .

(2) **ضعيف** : رواه ابن ماجه (2474) ، والطبراني في « الأوسط » (6 / 349) ، وابن عدي في « الكامل » (2 / 307) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 87) ، وسنده ضعيف كما في « البدر المنير » (7 / 78) لابن الملقن ، والعراقي في « طرح التثريب » (6 / 159) ، والبوصيري في « الزوائد » (3 / 81) .

(3) **ضعيف** : رواه الدارقطني (3 / 28) ، والحاكم (2 / 57) ، والقضاعي في « مسنده » (94) ، والبيهقي في « الآداب » (ص157) ، وضعفه الذهبي .

(4) **رجاله ثقات** : رواه الترمذي (2470) ، وابن أبي شيبة (2 / 352) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (3 / 120 ، 121) واللفظ له ، **وقال الهيثمي في** « المجمع » (3 / 109) : رجاله ثقات ، وصححه الترمذي .

أي وصلاة الرجل في جوف الليل لا تعلم نفس ما أخفي لصاحبها ، ولذا استشهد بالآية ، كما قال الراوي : (**ثم تلا**) أي قرأ النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ . **ومعنى تتجافى** : تتنحى وترتفع جنوبهم عن المضاجع ، أي مواضع الاضطجاع للنوم ﴿ يَدْعُونَ ﴾ أي يعبدون ﴿ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من سخطه ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في رحمته ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ من المال ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ [سورة السجدة : 16] .

أي يتصدقون : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ أي ما تقر وتفرح به عيونهم سرورًا من الثواب ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة : 17] .

وجمهور المفسرين على أن ما في هذه الآية كناية عن كثرة النفل بالليل ، فإنهم أخفوا أعمالهم فجوزوا بما أخفي لهم من قرة أعين ، وإنما يتم إخفاؤه بالصلاة في جوف الليل المصرح به في هذا الحديث .

وجاء في الخبر : « **إن الله تعالى يباهي الملائكة بقوّام الليل في الظلام ، يقول : انظروا إلى عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم أحد غيري ، اشهدوا أني أبحتهم دار كرامتي** »[1] .

وعن أسماء بنت يزيد مرفوعًا : « **يحشر الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة ، فينادي مناد : أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يؤمر بالناس إلى الحساب** »[2] .

وعن عكرمة ، عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – مرفوعًا : « **من انتبه من نومه فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر نظر الله إليه ، فإن توضأ غفر له ، فإن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة ، وقل هو الله أحد عشر مرات غفر الله له البتة** » **قال عكرمة** : والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من ابن عباس ، **وقال ابن عباس** : والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من

---

(1) نقله النووي في « شرح الأربعين » ص 26 .

(2) رواه هناد في « الزهد » (176) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد » (341) ، والدينوري في « المجالسة » (108) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 169) بسند ضعيف .

رسول الله ﷺ ، وقال النبي ﷺ : « **والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من جبريل** » ، **وقال جبريل** : والله الذي لا إله إلا هو لقد قال الله ذلك[1] .

وفي الحديث : « **إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام** »[2] .

واعلم أنه يحصل فضل قيام الليل بصلاة ركعتين لخبر : « **من قام من الليل ولو قدر حلب شاة كتب من قوام الليل** »[3] .

وورد : « **من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته ، فصليا ركعتين جميعًا كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات** »[4] ، أي وقد أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا .

واختلف في أفضل أجزاء الليل ، والصحيح الذي دلت عليه الأحاديث أنه إن جزأه نصفين فالنصف الثاني أفضل ، أو أثلاثًا فالثالث أفضل ، أو أسداسًا فالرابع والخامس أفضل ، وهذا هو الأكمل على الإطلاق ؛ لأنه الذي واظب عليه النبي ﷺ ، وقال فيه : « **أفضل الصلاة صلاة أخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه** »[5] .

ثم إن المتنفل بعد النوم يقال له متهجد ، ويشفع في أهل بيته ، كما نقل عن أبي الوليد النيسابوري – رحمه الله تعالى .

(**ثم قال**) ﷺ : (**ألا أخبرك برأس الأمر**) أي أعلى الدين (**وعموده**) أي ما هو له بمنزلة العمود للبيت (**وذروة سنامه**) بتثليث الذال المعجمة وفتح السين أي أعلاه والجمع بينهما للمبالغة ؛ إذ الذروة من كل شيء أعلاه ، وسنام الشيء أعلاه (**قلت : بلى**) أي أخبرني (**يا رسول الله ، قال** : « **رأس الأمر الإسلام** ») أي النطق

---

(1) ذكره الصفوري في « نزهة المجالس » (1 / 134) بغير عزو ، ولم أجده عند غيره .

(2) سبق .

(3) لم أجده بهذا السياق ، ولعل أصله ما روي مرفوعًا : « **لا تدعن صلاة الليل ولو حلب شاة** » رواه الطبراني في « الأوسط » (4 / 251) ، ونحوه عند أبي يعلى (5 / 80) وسنده ضعيف ، وأصله ما روي عن الحسن البصري رضي الله عنه : « **صلوا من الليل ولو قدر حلب الشاة** » رواه ابن أبي شيبة (2 / 72) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 162) .

(4) **صحيح** : رواه أبو داود (1451) ، وابن ماجه (1335) ، وابن حبان (2568) ، وأبو يعلى (2 / 360) وصححه ابن حبان .

(5) **صحيح** : رواه البخاري (1079) ، ومسلم (1159) ، والنسائي (3 / 214) .

بالشهادتين ، كما جاء في رواية لأحمد أن رأس الأمر « **أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله** »[1] وإنما كان ذلك هو الرأس لأنه لا أثر للدين بدونه ، كما أنه لا أثر لحياة الحيوان بدون رأسه ، يعني أن الشخص إذا لم يقر بالشهادتين لم يكن له من الدين شيء أصلاً ، وإذا أقر بهما حصل له أصل الدين (**وعموده الصلاة**) أي المفروضة ؛ لأنها المقيمة لمنار الإسلام ، فإذا أتى بها العبد قوي دينه كما يقوى البيت بالعمود .

(**وذروة سنامه الجهاد**) أي من حيث إن به يظهر الإسلام ، ويعلو على سائر الأديان ، ويطلق الجهاد على مجاهدة النفس وكفها عن الشهوات ، ومنعها عن الاسترسال في اللذات ، ويلزم من ذلك فعل الأوامر واجتناب المناهي ، وهذا هو الجهاد الأكبر ، **وقيل** : إنه المراد هنا ؛ لأنه جعل الجهاد أعلى شيء في الدين ، وهو بهذا المعنى أفضل من جهاد الكفار ؛ لأنه فرض كفاية ، ومجاهدة النفس فرض عين ، وبها تتفجر ينابيع الحكمة من القلب .

(**ثم قال**) ﷺ : (**ألا أخبرك بملاك ذلك**) الأمر (**كله**) بكسر الميم كما هو الرواية ، أي بما يملكه ويضبطه ، أو بما يقوم به ، بمعنى أنه إذا وجد كانت تلك الأعمال كلها على غاية الكمال ؛ إذ هي غنيمة ، وكف اللسان عن المحارم سلامة ، والسلامة في نظر العقلاء مقدمة على الغنيمة ، والمقصود بيان فضيلة كف اللسان عن الأمور التي توجب غضب الملك الديان ، أي القهار .

(**قلت : بلى يا رسول الله**) أخبرني (**فأخذ**) النبي ﷺ (**بلسانه**) الباء زائدة ، **والمعنى** أمسك لسان نفسه بيده ، والحكمة في ذلك المبالغة في الزجر (**وقال**) وفي نسخة فقال ، **وفي أخرى** : ثم قال : (**كف عليك هذا**) بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة ، أي امنعه من التكلم بما لا يعنيك ؛ لأن آفته عظيمة ، **وقد قيل** : إنه صغر جرمه بكسر الجيم وعظم جرمه بضمها أي ذنبه .

وقيل في الحكمة : لسانك أسدك إن أطلقته فرسك ، أي أهلكك ، وإن أمسكته حرسك .

---

(1) **انظر** : « مسند أحمد » (5 / 231) .

وفي المثل : يقول اللسان كل يوم للعين : كيف أصبحت ؟ فتقول : بخير إن سلمت منك .

ثم إن في الكلام حذف مضاف ، **والمعنى** : كف عليك جنس هذا ؛ لأن إشارته - عليه الصلاة والسلام - للسانه ومعاذ لا يكفه ، وإنما يكف جنسه من حيث تحققه في لسانه هو ، **وقيل** : إن النبي ﷺ أخذ بلسان معاذ ، وعليه فلا حذف ؛ لأن اسم الإشارة عائد عليه .

قال معاذ - رضي الله تعالى عنه - : (**قلت : يا رسول الله**) وفي نسخة : يا نبي الله (**وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟**) هذا استفهام تعجب واستغراب (**فقال**) له رسول الله ﷺ : (**ثكلتك أمك**) بمثلثة أوله وكاف مكسورة ولام مفتوحة ، أي فقدتك ، وهذا معناه الأصلي ، وليس مرادًا ؛ وإنما القصد منه التعجب وتعظيم الأمر ، **وقيل** : إنه من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب في المخاطبات للتأديب والتنبيه من الغفلة ، كتربت يداك ، أي لصقت بالتراب من شدة الفقر ، **أو يقال** : إن الموت لما كان لابد منه لكل أحد كان الدعاء به كلا دعاء .

(**وهل**) استفهام إنكاري ، بمعنى النفي ، أي ما (**يكب**) بفتح الياء وضم الكاف أي يلقى (**الناس**) يوم القيامة (**في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم**) شك من الراوي (**إلا حصائد ألسنتهم**) أي ما تكلمت به من الإثم ، وهذا الحكم وارد على الأغلب والأكثر ؛ لأنك إذا اختبرت الناس لم تجد أحدًا حفظ لسانه عما يوجب دخوله النار إلا النادر من الأبرار .

والمعنى : معظم ما يلقي الناس في نار جهنم حصائد ألسنتهم ، جمع حصيدة بمعنى محصودة ، من حصد الزرع إذا قطعه ، **والمراد** ما تلفظه الألسن وتقطعه من الكلام القبيح ؛ كالكفر والكذب والشتم والغيبة والنميمة وغير ذلك .

وروي عن أبي وائل قال : ارتقى ابن مسعود الصفا فأخذ بلسانه ، **فقال** : يا لساني قل خيرًا تغنم ، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أكثر خطايا ابن آدم من لسانه** »[1] .

---

(1) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » ص 54 ، والشاشي في « مسنده » (602) ، والطبراني في « الكبير » =

وروي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى لها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار** »[1] .

وفي الحديث : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يعلم أنها تقع حيث تقع ، فيكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة** »[2] ، أو قال : « **يهوي بها في النار سبعين خريفًا** » أي عامًا .

فينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** »[3] .

وكان السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم على غاية من حفظ اللسان :

حكي عن عمر - رضي الله تعالىٰ عنه - أنه كان يجعل في فيه حجرًا ليمنعه من الكلام فيما لا يعنيه[4] .

وحكي عن أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - أنه فعل ذلك اثنتي عشرة سنة ، حتى تعوَّد قلة الكلام ، وكان لا يخرج الحجر من فمه إلا عند الصلاة والأكل والنوم ، وكان **يقول** : ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله تعالى[5] .

وحكي عن بعض الأكابر أنه كان قاعدًا مع أحد أصحابه فأتاه ابنه من المكتب ، **فقال** : حفظت لوحي أقعد أو أمشي ألعب ؟ فلم يجبه فكرره ، **فقال له صاحبه** : ألا تقول له يلعب ؟ أليس اللعب يصلح الصبيان ؟ **قال** : ما أريد أن يكون في صحيفتي اذهب فالعب ، فإن فعل لا أمنعه .

= (10 / 197) ، وأبو الشيخ في « فوائده » ص 52، وأبو نعيم في « الحلية » (4 / 107) ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (3/ 342) وكذا قال العراقي في « تخريج الإحياء » (3/ 106) ، **وانظر** : « مجمع الزوائد » (10/ 300) .

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (4 / 23) ، وابن ماجه (3970) ، وأحمد (2 / 236) ، وكذا ابن حبان (2706) ، والحاكم (4 / 640) وصححاه ، وكذا الذهبي .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (6113) ، والترمذي (2319) ، وابن ماجه (3969) .

(3) **صحيح** : رواه مالك (2 / 929) ، والبخاري (5672) ، ومسلم (47) .

(4) ، (5) انظر هذه الآثار في « الرسالة القشيرية » ص 159 ، « مرقاة المفاتيح » للقارى (10 / 493) .

وقال بعضهم : ثلاثة أشياء تقسي القلب : الضحك من غير عجب ، والأكل من غير جوع ، والكلام من غير حاجة .

ثم إن هذا الحديث أصل عظيم متين ، وقاعدة من قواعد الدين (**رواه الترمذي**) في جامعه (**وقال : حديث حسن صحيح**) .



الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بن نَاشِبٍ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ الله تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ حُدودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا** » .

(حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ وَغَيْرُهُ)[1] .

. . . .

(**عن أبي ثعلبة**) بفتح المثلثة (**الخشني**) بضم المعجمة الأولى وفتح الثانية وكسر النون نسبة إلى خشينة بالتصغير قبيلة معروفة (**جرثوم**) بضم الجيم والمثلثة وإسكان الراء بينهما (**ابن ناشر**) بنون وشين معجمة مكسورة ثم راء ، وفي اسمه واسم أبيه أقوال غير ذلك ، (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) كان من مشاهير الصحابة ، وممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة سنة ست من الهجرة ، وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ خرج بألف وأربعمائة ، **وقيل** : وخمسمائة ؛ لزيارة البيت ، فصده المشركون ، أي منعوه ، فأرسل إليهم عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - ليبلغهم أنه ﷺ لم يأتهم مقاتلًا ولا محاربًا ، وإنما جاءهم زائرًا للبيت ومعظمًا له ، فحبسوه عندهم ، فأشاع إبليس - لعنه الله تعالى - أنهم قتلوه ورفع به صوته ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ، فقال ﷺ : « **لا نبرح**[2] **حتى نناجزهم الحرب**[3] » ، ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت ، فاتفقوا مع رسول الله ﷺ على أن يموتوا ولا يفروا من مقاتلة أهل مكة[4] .

---

(1) **حسن بشواهده** : رواه الدارقطني (4 / 183) ، والطبراني في « الكبير » (22 / 221) ، وابن المقرئ في « معجمه » (1 / 473) ، والحاكم (4 / 129) ، والبيهقي (10 / 12) ، وصححه ابن كثير في « تفسيره » (1 / 278) ، وحسنه النووي في « الأذكار » ص 327 ، والحافظ ابن السمعاني ، كما في « جامع العلوم » لابن رجب ص 276 ، وله شواهد بمعناه ، كما ذكر ابن حجر في « الفتح » (13 / 266) ، وفي « المطالب العالية » (12 / 416) .

(2) **لا نبرح** : أي لا نذهب عنهم .

(3) **حتى نناجزهم الحرب** : أن نقاتلهم ونشتبك معهم .

(4) **انظر** ذلك في « سيرة ابن هشام » (4 / 283) ، « الطبقات الكبرى » لابن سعد (2 / 97) ، « تاريخ خليفة بن خياط » ص 82 .

ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا ، وأرسلوا عثمان - رضي الله تعالى عنه - ، وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الفتح : 18] .

وسميت بيعة الرضوان لما في هذه الآية من رضا المولى ﷻ عنهم بسببها .

وحكي عن جرثوم المذكور أنه كان **يقول** : إني أرجو ألا يخنقني الله كما أراكم تخنقون عند الموت ، فبينما هو يصلي إذ قبض وهو ساجد ، فرأت ابنته في النوم أن أباها قد مات ، فاستيقظت فزعة **فنادت** : أين أبي ؟ **قيل لها** : في مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فأتته فوجدته ساجدًا فحركته فسقط ميتًا ، وكان ذلك بالشام سنة خمس وتسعين[1] ، ومروياته أربعون حديثًا ، منها ما ذكره المصنف عنه **(عن رسول الله)** **وفي نسخة** : عن النبي (ﷺ) أنه **(قال : إن الله)** تعالى **(فرض فرائض)** أي أوجبها على عباده ، وألزمهم القيام بها ، وهي شاملة لفرائض الأعيان : كالصلوات الخمس والزكاة والصوم في رمضان والحج ، والكفاية : كصلاة الجنازة ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(فلا تضيعوها) بتشديد التحتية المكسورة ، ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها ، أي لا تتركوها ولا تتهاونوا في أدائها ، بل قوموا بها كما فرضت عليكم ، ولا تؤخروها عن أوقاتها .

وقد صح أنه - عليه الصلاة والسلام - رأى ليلة الإسراء قومًا تُرضخ رءوسهم ، أي تدق وتكسر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر ، أي يؤخر ، عنهم ذلك ، **فقال** : من هؤلاء يا جبريل ؟ **قال** : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ، وما ظلمهم الله شيئًا[2] .

(وحدَّ) بفتح الحاء وتشديد الدال المهملتين ، أي بيَّن وعيَّن **(حدودًا)** جمع حد ، وهو

---

(1) **انظر القصة في** : « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور (8 / 315) ، « سير أعلام النبلاء » (2 / 570) ، « الإصابة » (7 / 58) .

(2) **منكر** : رواه الطبري في « تهذيب الآثار » (1 / 434) ، وفي « تفسيره » (15 / 7) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (2 / 398) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (1 / 277) ، **وقال** : تفرد به أبو جعفر الرازي ، وليس هو بالقوي ، والحديث منكر يشبه كلام القصاص .

لغةً : الحاجز بين الشيئين ، **وشرعًا** : عقوبة مقدرة من الشارع تزجر وتمنع عن المعصية .

والمعنى : أن الله تعالى جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم وتمنعكم عما لا يرضاه ، وقد ورد : « **حدٌّ يقام في الأرض خير من مطر أربعين صباحًا** »[1] .

وذكر العلماء أنه لا يجوز تعطيل الحد بمال يؤخذ من العاصي ، وأن ذلك يكون سببًا لسقوط حرمة السلطان وسقوط قدره من القلوب .

واعلم أن الحدود متنوعة :

منها : **حد الزنى** : وهو الرجم إن كان الفاعل محصنًا ، والجلد مائة ، والتغريب إلى مسافة القصر عامًا إن كان غير محصن .

ومنها : **حد السرقة** : وهو قطع اليد اليمنى في أول مرة ، والرِّجل اليسرى في المرة الثانية ، واليد اليسرى في المرة الثالثة ، والرجل اليمنى في المرة الرابعة ، وقطع اليد يكون من الكوع ، والرِّجل من الكعب .

ومنها : **حد شرب الخمر** : وهو أربعون جلدة .

ومنها : **حد القذف بالزنى** : وهو ثمانون جلدة .

(**فلا تعتدوها**) أي لا تتركوها ولا تتجاوزوا القدر الذي قدره الشارع فيها ، فلا تزيدوا عليه ولا تنقصوا عنه ، وأما ما روي من أن عمر - رضي الله تعالى عنه - جلد شارب الخمر ثمانين فهو اجتهاد منه لزيادة التنكيل[2] ، حيث أكثر الناس الشرب في زمنه ، فما زاده تعزير لا حد .

(**وحرم أشياء**) أي منع من قربانها وارتكابها ؛ كشهادة الزور وأكل مال اليتيم والربا وعقوق الوالدين . (**فلا تنتهكوها**) أي لا ترتكبوها ولا تقربوا منها .

حكي عن بعض السلف[3] -رضي الله تعالى عنه- أنه **قال** : رأيت المعاصي

---

(1) **حسن** : رواه النسائي (8 / 76) ، وابن ماجه (2537) ، وأبو يعلى (10 / 496) ، وابن حبان (4397) ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (3 / 117) .

(2) **انظر** ذلك في « الأحكام » لابن حزم (4 / 547) ، « فتح الباري » (12 / 72) ، « نهاية الرتبة » ص 104 .

(3) ذكر ذلك عن أبي الحسين بن سمعون من فقهاء الحنابلة (توفي سنة 387 هـ) .
انظر كلامه في « تاريخ بغداد » (1 / 275) ، « طبقات الحنابلة » لأبي يعلى (2 / 156) ، « الأنساب » للسمعاني (3 / 304) .

تزري ، أي تعيب ، صاحبها وتحقره فتركتها مروءة ، فصارت ديانة .

وعن ابن شبرمة [1] -رحمه الله تعالى- أنه **قال** : العجب ممن يحتمي من الحلال[2] مخافة الداء ولا يحتمي من الحرام مخافة النار[3] .

(وسكت عن أشياء) أي لم ينزل حكمها على نبيه ﷺ **(رحمة لكم)** أي لأجلكم ، يعني أنه لم يحرم تلك الأشياء فيعاقب على فعلها ، ولم يوجبها فيعاقب على تركها ؛ لأجل رحمته ورأفته بكم وتخفيفًا عنكم .

وقوله : **(غير نسيان)** حال من السكوت المفهوم من سكت ، أي حال كون السكوت عنها بمعنى عدم إنزال الحكم فيها غير نسيان لأحكامها ؛ لأن النسيان مستحيل عليه سبحانه وتعالى ، فقد قال عز شأنه : ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [سورة طه : 52] .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [سورة مريم : 64] .

وإذا كان الأمر كذلك **(فلا تبحثوا عنها)** أي لا تفحصوا عن أحوالها ولا تفتشوا على أحكامها ، بل احكموا بالبراءة الأصلية ، والحل في المنافع والحرمة في المضار ، وهذا النهي يحتمل اختصاصه بزمنه ﷺ لقوله تعالى : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [سورة المائدة : 101] .

لأن السؤال قد يكون سببًا لنزول ما فيه تشديد من إيجاب أو تحريم .

وقد قال ﷺ : « **إن أعظم المسلمين جرمًا** » بضم الجيم ، أي ذنبًا « **من سأل عن شيء لم يحرم فحُرم لأجل مسألته** »[4] .

ويحتمل بقاؤه على عمومه لأنه من التعمق والتنطع ، أي التشديد في الدين والبحث عما لا يعني .

---

(1) **عبد الله بن شبرمة الضبي** ، قاضي الكوفة وفقيهها ، الإمام الثقة المحدِّث ، المتوفى سنة 144 هـ .
انظر : « الكاشف » (1 / 560) ، « تاريخ الإسلام » (9 / 193) ، « الثقات » لابن حبان (8 / 364) .

(2) في المصادر التي بين أيدينا : « **الطعام** » بدل « **الحلال** » .

(3) **انظر الخبر في** : « أنساب الأشراف » (4 / 65) ، « المجالسة » ص 36 ، « أدب الدنيا والدين » ص 116 ، « الأمالي » (2 / 386) .

(4) **صحيح** : رواه البخاري (6859) ، ومسلم (3358) .

وقد صح : « **هلك المتنطعون** »[1] ، **والمتنطع** : البحاث عما لا يعنيه .

وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : « **إياكم والتنطع ، إياكم والتعميق** »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** »[3] .

قالوا : ومن البحث عما لا يعني البحث عن أمور الغيب التي أمرنا بالإيمان بها ، ولم تبين كيفيتها ، فهو مذموم ؛ لأنه قد يؤدي إلى الحيرة والشك ، ويرتقي إلى التكذيب ، ومن ثم قال إسحاق بن راهويه[4] - رحمه الله تعالى : لا يجوز التفكر في الخالق ولا في المخلوق[5] بما لم يسمع فيه ، كأن يقال في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الإسراء : 44] .

كيف تسبيح الجماد ؟ لأنه تعالى أخبر به فيجعله كيف شاء بما شاء ، فإن لم يكن التفكر بهذه المثابة كان من أعلى العبادات .

ومنه ما نقله ابن العماد[6] في « كشف الأسرار » من أن المقداد بن الأسود - رضي الله تعالى عنه - **قال** : دخلت على أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - فسمعته **يقول** : قال رسول الله ﷺ : « **تفكر ساعة خير من عبادة سنة** » ، ثم دخلت على ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - ، فسمعته **يقول** : قال رسول الله ﷺ : « **تفكر ساعة خير من عبادة سبع سنين** » ، ثم دخلت على أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - فسمعته **يقول** : قال رسول الله ﷺ : « **تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة** » ، **قال المقداد**

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (2670) ، وأبو داود (2670) ، وأحمد (1 / 386) .

(2) رواه عبد الرزاق (11 / 252) ، والدارمي (142) ، والمروذي في « السنة » (85) .

(3) سبق .

(4) في الأصل : **قال ابن إسحاق** ، وهو خطأ ، والتصحيح من « جامع العلوم والحكم » لابن رجب ص 286 .

(5) لفظ إسحاق بن راهويه رحمه الله في هذا الشطر ، كما ينقله ابن رجب : « . . . ويجوز للعباد أن يتفكروا في المخلوقين بما سمعوا فيهم ولا يزيدون على ذلك ؛ لأنهم إن فعلوا تاهوا . . . وليس ولا يجوز أن يقال : كيف تسبيح القصاع والخبز والثياب ، وقد صح العلم فيهم أنهم يسبحون ، فذلك إلى الله أن يجعل تسبيحهم كيف شاء ، وليس للناس أن يخوضوا في ذلك إلا بما علموا ولا يتكلموا في ذلك وشبهه إلا بما أخبر الله ولا يزيدوا على ذلك . . . » « جامع العلوم والحكم » لابن رجب ص 286 .

(6) **أحمد بن عماد بن محمد** ، شهاب الدين الأقفهسي المصري ، فقيه ، شافعي ، أصولي ، لغوي ، من كبار علماء الشافعية في عصره ، له : « كشف الأسرار عما خفي من الأفكار » ، توفى سنة 808 هـ .
انظر : « طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (4 / 16) ، « إنباء الغمر » لابن حجر (5 / 313) .

- رضي الله تعالى عنه - : فدخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا ، فقال : « **صدقوا** » ، ثم قال : « **ادعهم إلي** » ، فدعوتهم ، فقال لأبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - : « **كيف تفكرك ؟** » وفيما ذا قال في قوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة آل عمران : 191] الآية ؟ أي ليستدلوا به على قدرة خالقهما . قال : « **تفكرك خير من عبادة سنة** » ، ثم سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن تفكره : **فقال** : تفكري في الموت وهول المطلع يعني يوم القيامة ، فقال : « **تفكرك خير من عبادة سبع سنين** » ، ثم قال لأبي بكر - رضي الله تعالى عنه - : « **كيف تفكرك ؟** » **قال** : تفكري في النار وفي أهوالها ، وأقول : يا رب اجعلني يوم القيامة من العظم بحال تملأ النار مني حتى يصدق وعدك ولا تعذب أمة محمد ﷺ في النار ، فقال : « **تفكرك خير من عبادة سبعين سنة** »(1) ، ثم قال : « **أرأف أمتي بأمتي أبو بكر** » رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين .

ثم إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ .

قال بعضهم : وليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه منه ، ولهذا **قال السمعاني** : من عمل به فقد حاز الثواب وأمن من العقاب .

وهو (**حديث حسن رواه الدارقطني وغيره**) ، وتقدم في الخطبة أن الدارقطني بفتح الدال المهملة والراء منسوب لدار القطن حارة كبيرة ببغداد ، وأن اسمه علي بن عمر وهو صاحب السنن والعلل والأفراد وغيرها ، وكان أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع ، **قيل له** : هل رأيت مثل نفسك ؟ **فقال** : قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [سورة النجم : 32] ، فألح عليه **فقال** : لم أر أحدًا جمع مثل ما جمعت .

وقال فيه القاضي أبو الطيب : إنه أمير المؤمنين في الحديث ، **وقال البرقاني** : أملى عليَّ كتاب العلل من حِفْظه ، رحمه الله تعالى .

---

(1) لم أهتد إليه بهذا السياق وهذا الطول ، وقد ورد عند أبي الشيخ في « العظمة » مرفوعًا عن أبي هريرة ﷺ : « **فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة** » ، ولا يصح رفعه كما قال العراقي ، وثبت عن الحسن البصري ، وأبي الدرداء من قوله : « **تفكر ساعة خير من قيام ليلة** » وهو الأشبه بالصواب .

انظر : « حلية الأولياء » (6 / 271) ، « تاريخ دمشق » (47 / 150) ، « تخريج الإحياء » للعراقي (4 / 409 ، 410) ، « الدر المنثور » للسيوطي (2 / 409 ، 410) .

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ ﷺ ، **قَالَ** : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ؛ فَقَالَ : « **ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ** » .

(حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ)[1] .

. . . .

(**عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي**) بكسر العين المهملة نسبة إلى جده ساعدة ، وكان اسم سهل حزنًا[2] ، فسماه النبي ﷺ سهلًا[3] ، (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) وفي نسخة عنهما ، وهي أولى ؛ لأن أباه له صحبة ، روي أنه تجهز ليخرج إلى بدر فمرض فمات ، وكان سن ولده سهل يوم وفاة النبي ﷺ خمس عشرة سنة ، ومات بالمدينة سنة ثمان وثمانين ، **وقيل** : سنة إحدى وتسعين ، وهو آخر صحابي مات بها .

ومروياته مائة حديث وثمانية وثمانون حديثًا ، منها ما ذكره عنه المصنف ، وهو أنه (**قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله دلني**) بضم الدال المهملة وفتح اللام المشددة ، أي أرشدني (**على عمل**) أي صالح جامع للفضائل ومانع عن الرذائل (**إذا عملته**) بكسر الميم (**أحبني الله**) أي رضي عني وأحسن إلي (**وأحبني الناس**) أي حصل لهم الشفقة علي ، وأرادوا منفعتي ، والرواية في أحبني بفتح التحتية وإن كان يجوز إسكانها عربية .

واعلم أن محبة الناس لشخص تابعة لمحبة الله تعالى ، فإذا أحبه ألقى محبته في

---

(1) **حسن بشواهده** : رواه ابن ماجه (4102) ، والطبراني في « الكبير » (6 / 193) ، والحاكم (6 / 193) ، وفي إسناده راوٍ متروك ، لكن شواهده عند الصيداوي في « معجم الشيوخ » ص 312 ، والبيهقي في « الشعب » (7/ 344) ، وأبي نعيم في « الحلية » (8 / 41) ، وابن عساكر في « تاريخه » (10 / 199) ، وجزم بتحسينه جمع ، منهم المنذري ونقله عن شيوخه في « الترغيب » (4 / 75) ، والنووي في « الرياض » (472) ، والعراقي كما في « المقاصد الحسنة » للسخاوي ص 106 .

(2) حزنًا : **الحزونة** : الصعوبة والخشونة .

(3) ذكر ذلك ابن حبان في « الثقات » (3 / 168) ، وعنه الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (3 / 200) .

قلوب خلقه ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل ، فقال : إني أحب فلانًا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض** »[1] .

(**فقال**) رسول الله ﷺ للرجل : (**ازهد في الدنيا**) أي أعرض عنها ، ولا تبال بإقبالها وإدبارها ، ولا تأخذ منها إلا ما لابد منه من الحلال (**يحبك الله**) بفتح الموحدة المشددة ؛ لأن الله تعالى يحب من أطاعه ، ومن طاعة الله ﷻ عدم الالتفات إلى الدنيا بل هو الطاعة التامة .

وقد كان رسول الله ﷺ على غاية من الإعراض عنها مع تمكنه من التوسع فيها . روي أنه كان يلبس المرقع والصوف ، ويأكل خشن الطعام ، ويجلس على الأرض بلا حائل ، ويأكل عليها ويقول : « **إنما أنا آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد** »[2] .

وكان يمر عليه شهران ولا يوقد في بيوته مصباح ولا نار لطبخ ، وإنما كان طعامهم التمر والماء .

وكان له جيران لهم غنم فيرسلون له من لبنها ، وكان يبيت الليالي المتتابعة طاويًا هو وأهله لا يجدون عشاء .

ودخل عليه عمر – رضي الله تعالى عنه – وهو مضطجع على حصير قد أثرت في جنبه الشريف ، متكئًا على وسادة من جلد حشوها ليف وليس عليه إلا إزار ، فبكى عمر – رضي الله تعالى عنه – فقال له رسول الله ﷺ : « **ما يبكيك يا عمر ؟** » **فقال** : ذكرت كسرى وقيصر عدوَيْ الله في الخز[3] والقز[4] والحرير والديباج ،

---

(1) **صحيح** : رواه مالك (2 / 953) ، والبخاري (3037) ، ومسلم (2637) .

(2) **حسن بشواهده** : رواه الطبراني في « الكبير » (8 / 200) ، وأبو يعلى (8 / 318) ، وله شواهد مرسلة عند عبد الرزاق (10 / 415 ، 417) ، وابن سعد في « طبقاته » (1 / 371) ، وابن أبي شيبة (7 / 78) ، وعن ابن عمر موصولاً عند أبي الشيخ في « تاريخ أصبهان » (2 / 243) ، وحسنه الهيثمي في « المجمع » (9 / 19) ، وابن حجر في « التلخيص » (3 / 126) ، **وانظر** : « البدر المنير » لابن الملقن (7 / 445 ، 446) .

(3) **الخزُّ**: ما يُنسجُ من صوف وإبريسم.

(4) **القزُّ**: الحرير على الحال التي يكون عليها عندما يصنع.

وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا! فقال : « **أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟** » **قال** : بلى ، قال : « **فهو كذلك ، أولئك عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا** »[1] .

وفي « **الشفاء** » **أن جبريل قال له** ﷺ : إن الله يقول لك : أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبًا وتكون معك حيث ما كنت؟ فأطرق ساعة ، ثم قال : « **يا جبريل ما لي وللدنيا! الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، وقد يجمعها من لا عقل له** » ، **فقال له جبريل** : ثبتك الله بالقول الثابت ، وفي رواية : « **أريد أن أجوع يومًا فأصبر ، وأشبع يومًا فأشكر** »[2] .

وورد عنه ﷺ أنه قال : « **لو كانت الدنيا تساوي** » وفي رواية : « **تعدل** » « **عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء** »[3] .

وما ألطف **قول بعضهم** :

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسنٍ إذًا لم يكن فيها معاش لظالمِ
لقد جاع فيها الأنبياء كرامةً وقد شبعت فيها بطون البهائمِ[4]

وفي الحديث : « **إذا أحب الله عبدًا حماه عن الدنيا ، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء** »[5] .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2336) ، ومسلم (1479) ، والترمذي (3318) .

(2) ذكره عياض في « الشفا » (1 / 113) بهذا اللفظ ، وهو ملفق من حديثين : **الأول** من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعًا بلفظ : « عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، قلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا . . . » إلى آخره ، رواه الترمذي (2347) ، وأحمد (5 / 254) ، والبيهقي في « الشعب » (2 / 172) بسند ضعيف ، **وشطره الآخر** : « الدنيا دار من لا دار له . . . » ، رواه أحمد (6 / 71) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 375) بسند ضعيف ، وقد روي هذا الشطر عن عبد الله بن مسعود ﷺ من قوله عند البيهقي في « الشعب » (7 / 375) ، وجوَّد إسناده العراقي في « تخريج الإحياء » (3 / 164) .

(3) **صحيح** : رواه الترمذي (2320) ، وابن أبي عاصم في « الزهد » ص 63 ، والبزار في « مسنده » (15 / 9) ، وصححه الترمذي وغيره .

(4) **انظر** البيتين عند القرطبي في « تفسيره » (16 / 88) .

(5) **صحيح** : رواه الترمذي (2036) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد » (4 / 13) ، وكذا ابن حبان (669) ، والحاكم (4 / 230) وصححاه ، وكذا الذهبي .

وقال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى - : ترك الدنيا شديد وترك الجنة أشد منه ، وإن مهر الجنة ترك الدنيا[1] .

وقال بعض السلف : لو كانت الدنيا لؤلؤة تفنى والآخرة خرقة تبقى ، لكان ينبغي للعاقل أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى ، فكيف والأمر بالعكس!

وقال الفضيل بن عياض - رحمة الله تعالى عليه : جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد[2] .

وهو كما **قال سفيان بن عيينة** : ثلاث أحرف زاي وهاء ودال ، فالزاي ترك الزينة ، والهاء ترك الهوى ، والدال ترك الدنيا بجملتها .

ثم إن الحامل على الزهد فيها أشياء :

منها : استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى ، ومنقصة للدرجات عنده ، كما صح عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - : لا يصيب أحد من الدنيا شيئًا إلا نقص من درجاته عند الله .

ولهذا كان بعض العارفين إذا رأى في مطبخه أسباب المعيشة حزن ، وإذا قل شيء فيه أو عدم فرح .

ومنها : أنها موجبة لطول الحبس والوقوف في الموقف العظيم والسؤال عن شكر نعيمها ، وأن حلالها حساب وحرامها عذاب .

ومنها : كثرة الذل والتعب في تحصيلها ومزاحمة الأراذل في طلبها .

ومنها : كثرة غبونها ، أي خداعها ، وسرعة تقلبها وفنائها .

ومنها : حقارتها عند الله تعالى وبغضه لها ، ومن ثم قال **الفضيل بن عياض** - نفعنا الله تعالى به - : لو أن الدنيا بحذافيرها ، أي بجملتها ، أي جميعها ، عرضت علي حلالاً لا أحاسب بها لقذرتها كما تتقذر الجيفة[3] .

---

(1) نقله الغزالي في « الإحياء » (4 / 543) ، ونقله السلمي في « تفسيره » (2 / 400) عن الجنيد رحمه الله .

(2) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » ص 280 ، **وانظره في** « قوت القلوب » لأبي طالب المكي (1 / 429) ، و« الزهد » لابن الأعرابي ص 43 ، « الزهد الكبير » للبيهقي ص 133 .

(3) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » ص 107، وفي « المتمنين » ص 56 ، وأبو نعيم في « الحلية » (8 / 89) .

وحكي أن سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، كان له أربعة آلاف كلب تحرس غنمه ، **في** عنق كل كلب طوق من الذهب ، فسئل لم فعل ذلك ؟ **فقال** : لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب ، فدفعتها لطلابها[1] .

ومنها : أن تركها موجب لرفع الدرجات وحلول رضوان الله تعالى الأكبر في دار الكرامات ، وذكر العلماء أنه يحرم الفرح بالدنيا لأجل المباهاة والتفاخر والكبر ، ويحرم الحزن على فواتها إن أدى إلى الاعتراض على الله تعالى أو الوقوع في عرض أحد ، وورد مرفوعًا : « **من أسف** » أي حزن : « **على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة ، ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة** »[2] .

وقال بعضهم : لما أخذت الدنيا من إبليس اغتم لها فصار ملعونًا ، ولما أعطيها قارون فرح بها فصار تحت الأرض مسجونًا ، ونبينا ﷺ لما عرضت عليه لم يأخذها ، ولما ردها لم يغتم لها ، فصار إلى ما صار .

وحكي أن عيسى ﷺ خرج سائحًا وأخذ معه رغيفًا ، فتبعه يهودي ومعه رغيفان ، **فقال له عيسى** : تشاركني في طعامي ؟ **قال** : نعم ، ثم لما رأى معه رغيفًا واحدًا ندم ، ولما أراد الأكل جاء برغيف ، **فقال له عيسى** : ما فعلت بالآخر ؟ **قال** : ما كان معي إلا رغيف واحد ، فأكلا .

ثم سارا فوجد عيسى رجلاً أعمى فدعا له فرد الله عليه بصره ، **فقال** : يا يهودي بحق الذي أراك الأعمى بصيرًا ما فعلت برغيفك ؟ **فقال** : ما كان معي إلا واحد .

ثم مر بمقعد ، أي مكسح ، فدعا له فإذا هو صحيح ، **فقال** : بحق الذي أراك المقعد صحيحًا من أكل الرغيف الثالث ؟ **قال** : ما كان معي إلا واحد .

ثم وجد نهرًا فأخذ بيد اليهودي ومر به على الماء ، **فقال** : بحق الذي أمشاك على الماء من أكل الرغيف ؟ **فقال** : والله ما كان معي إلا واحد .

---

(1) ذكره الغزالي في « سر العالمين » ص 43 ، **وقال** : ورد في « لطائف الحكايات » ، وعنه الصفوري في « نزهة المجالس » (1 / 234) ، وقد ورد عن علي ﷺ **قال** : « الدنيا جيفة ، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب » .

انظر : « قوت القلوب » (1 / 407) ، « حلية الأولياء » (8 / 238) .

(2) **ضعيف** : رواه أبو عبد الله الرازي في « مشيخته » ص 273 ، وفي سنده عمرو بن بكر السكسكي ، وهو ضعيف .
انظر : « الكاشف » (2 / 72) ، « الضعفاء الكبير » (3 / 258) .

ثم مر بظبي ترعى فدعا عيسى غزالة فأقبلت فذبحها فأكلا منها ، ثم دعا لها بالحياة ، فقامت ، **فقال** : يا يهودي بحق الذي أحياها من أكل الرغيف ؟ **قال** : ما كان معي إلا واحد .

ثم دخلا قرية فنزل عيسى في أعلاها ونزل اليهودي في أسفلها ، وكان قد سرق عصا عيسى ، **فقال** : الآن أحيي الموتى بها ، **ونادى** : الطبيب الطبيب ، فأدخلوه على الملك وهو مريض فضربه بالعصا فقتله ، **فقال** : الآن أحييه ، فضربه ثانيًا **وقال** : قم فلم يقم ، فأخذوا اليهودي وصلبوه ، فبلغ عيسى خبره فأدركه **فقال** : أنا أحيي لكم صاحبكم ، واتركوا لي صاحبي ، فدعا للملك بالحياة فأحياه الله تعالى ، **فقال لليهودي** : بحق من أحيا الملك من أكل الرغيف ؟ **فقال** : والله ما كان معي إلا واحد .

ثم سارا فدخلا قرية خربة فوجدا فيها ثلاث لبنات من ذهب ، **فقال عيسى** : تقسم ذلك على عدد الرغفان واحدة لي وواحدة لك ، وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث ، **فقال** : أنا أكلته وأنت تصلي ، وصار كلما أراد أخذ لبنة ثقلت عليه ، فقال له عيسى : دعه ، فسار ونفسه تطالبه به .

ثم مر باللبنات ثلاثة أنفس ، فذهب أحدهم ليأتي بطعام فجعل فيه سمًّا ليأخذ اللبنات كلها ، فلما جاء قتله الاثنان وأكلا الطعام ، فماتا .

ثم مر عليهم عيسى واليهودي ، **فقال عيسى** : انظر يا يهودي هكذا الدنيا تصنع بأهلها ، ثم دعا لهم فأحياهم الله تعالى وتابوا عن حب الدنيا ، وأما اليهودي **فقال** : أعطني المال ، **قال** : خذه ، فهو حظك من الدنيا والآخرة ، فخسف الله به وبالذهب[1] .

وورد في الحديث : « **حب الدنيا رأس كل خطيئة** »[2] . **والله لا يحب الخطايا ولا أهلها** .

---

(1) القصة عند ابن عساكر في « تاريخه » (47 / 395) ، والأبشيهي في « المستطرف » (2 / 606) ، و« الدر المنثور » للسيوطي (2 / 220) .

(2) **مرسل** : روي عن الحسن البصري مرسلًا ، وعن مالك بن دينار من قوله ، وروي من قول عيسى عليه السلام ، ولا يثبت من قوله ﷺ .

انظر : « الزهد » لابن أبي الدنيا ص 10 ، 499 ، و« الحلية » (6 / 388) ، « تاريخ دمشق » (47 / 428) ، « التذكرة في الأحاديث المشتهرة » للزركشي ص 122، « المقاصد الحسنة » للسخاوي ص 296 ، « كشف الخفا » للعجلوني (1 / 412) .

ونقل عن ابن المنكدر - رحمه الله تعالى - أنه **قال** : تجيء الدنيا يوم القيامة تتبختر في زينتها ، **فتقول** : يا رب اجعلني لأخس عبادك دارًا ، **فيقول الله تعالى** : لا أرضاك له ، اذهبي فكوني هباءً منثورًا[1] ، **وفي رواية فيقول لها** : اذهبي إلى النار ، **فتقول** : يا رب ومن يحبني معي ، **فيقول لها** : ومن يحبك ، فتأخذهم جميعًا إلى النار .

واعلم أن محبتها المذمومة هي الميل إلى شهواتها المحرمة والمكروهة ، وهي وإن كانت محبوبة للإنسان بطبعه تصير عند من وفقه الله تعالى وبصَّره بآفاتها كالجيفة ، وأما عند غيره فهي مزخرفة مزينة .

ومثَّل هذا الغزالي - رحمه الله تعالى - بإنسان صنع حلوًا من أعلى السكر وعجنه بسم قاتل ، وأبصر ذلك رجل ولم يبصره آخر ، ووضعه بينهما ، فمن أبصر ذلك زهده ، وغيره يغتر بظاهره فيحرص عليه ، أي فيأخذه ، ويأكل منه فيهلكه .

وأما الميل إلى مباحاتها وتحصيلها لفعل الخير فليس مذمومًا ، فقد ورد : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح ، يصل به رحمًا ويصنع به معروفًا** »[2] .

وقد اختلف العلماء : هل الأفضل طلب الدنيا لفعل الخير أو تركها؟ فرجحت طائفة الأول ، وطائفة الثاني ، وجمع بينهما بحمل الأول على من وثق بجمعها من الحلال وصرفها في الخير ، والثاني على من لم يثق بذلك .

وما ألطف قول عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لِتَبِرِ تركك للدنيا أبر .

وانقسم الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - قسمين ، قسمًا وهو الأكثر ترك تحصيلها واشتغل بالعلم والعبادة ، وقسمًا حصلها ، وكان خازنًا لله تعالى فيها ؛ كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله تعالى عنهما .

روي أن عثمان جهز غزوة تبوك بألف بعير وسبعين فرسًا ، وأتى إلى المصطفى ﷺ بعشرة آلاف دينار ، فصبها بين يديه ، فجعل ﷺ يقلبها بيده ويقول : « **غفر الله لك**

---

(1) **انظر** الأثر عند ابن أبي الدنيا في « الزهد » ص 71 ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (1 / 4) .

(2) **صحيح** : رواه أحمد (4 / 197) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (299) ، وكذا ابن حبان (3211) ، والحاكم (2 / 3) ، وصححاه ، **وقال الذهبي** : على شرط مسلم ، أما جملة : **يصل به رحمًا** . . . إلى آخره ، فلم ترد ضمن طرق هذا الحديث ، وإنما ذكره محمد بن الحسن الشيباني في « كتاب الكسب » ص 59 دون سند .

يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة »[1] .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة لم يكن بها ماء عذب إلا بئر رومة ، فاشتراها عثمان - رضي الله تعالى عنه - بعشرين ألف درهم ، **وفي رواية** : بخمسة وثلاثين ألف درهم ووقفها .

وأعتق عبد الرحمن بن عوف ثلاثين ألفًا ، وتصدق على عهد المصطفى ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف دينار ، ثم بمثلها ، ثم بخمسمائة فرس ، ثم بألف وخمسمائة راحلة ، وكان أهل المدينة عيالاً عليه ، ثلث يقرضهم ، وثلث يقضي ديونهم ، وثلث يصلهم خيره .

وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة ، أي بستان ، فبيعت بأربعمائة ألف ، وأوصى بخمسين ألف دينار وألف فرس في سبيل الله تعالى .

(**وازهد فيما عند الناس**) أي أعرض عما في أيديهم من الدنيا (**يحبك الناس**) ، أي لأنهم منهمكون على محبتها بالطبع ، فمن زاحمهم عليها أبغضوه ، ومن زهد فيها وتركها لهم أحبوه .

وقال الحسن : لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دنياهم ، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه[2] .

وقال بعضهم :

الناس إخوانك ما لمْ تكن تطمع فيما عندهم من حُطامْ
فإن تعرَّضت لأموالهم كنت عدوًّا لهم والسلامْ

وقال أعرابي لأهل البصرة : من سيدكم ؟ **قالوا** : الحسن ، **قال** : بم سادكم ؟ **قالوا** : احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم ، **فقال** : ما أحسن هذا![3] .

وسأل كعب الأحبار عبدَ الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى

---

(1) **فيه مقال** : رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (1 / 456) ، والآجري في « الشريعة » (1485) ، وابن عدي في « الضعفاء » (1 / 340) ، **وقال** : غير محفوظ ، وأبو نعيم في « فضائل الخلفاء » ص 136 مرسلاً .

(2) رواه أحمد في « الزهد » ص 267 ، وأبو نعيم في « الحلية » (3 / 20) ، **وانظره في** « جامع العلوم » لابن رجب ص 300 .

(3) ذكره ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » ص 301 .

عنهم - ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعدما حفظوه وعقلوه ؟ **فقال** : يذهبه الطمع ، وشره النفس ، وطلب الحاجات إلى الناس ، **فقال** : صدقت[1] .

وقال **أبو الحسن الشاذلي** - نفعنا الله تعالى به - : دخل علي بالمغرب بعض الكبراء ، **فقال** : ما أرى لك كبير عمل ، فبم فقت الناس وعظموك ؟ **فقلت** : بخصلة واحدة تمسكت بالإعراض عنهم وعن دنياهم .

وقال بعضهم :

تـورَّع عـن سـؤال الـخـلـق طـرًّا[2] وسـل ربًّـا كـريـمًـا ذا هـبَـات[3]

ودع زهـرات دنـيـاك الـلـواتـي تـراهـا لا مـحـالـة ذاهـبـات

وقال آخر :

أرى الـزُّهـاد فـي روح وراحـة قـلـوبـهـم عـن الـدنـيـا مـزاحـة

إذا أبـصـرتـهـم أبـصـرت قـومًـا مـلـوك الأرض سـيـمـتـهـم سَـمـاحـة

ثم إن هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، وهو (**حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة**) ، وابن ماجه اسمه محمد بن يزيد القزويني ، وماجه بفتح الميم والجيم وبينهما ألف وفي آخره هاء ساكنة وقفًا ووصلًا ؛ لأنه اسم أعجمي ، لقب لأبيه ، وقيل اسم لأمه ، وكان من أكابر الحفاظ ، ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وتسعين ومائتين - رحمة الله تعالى عليه .



(1) أصله عند الدارمي (1 / 152) ، وابن عبد البر في « جامع العلم » (2 / 6) ، وعياض في « الإلماع » ص 231 ، وابن عساكر في « تاريخه » (50 / 171) واللفظ له .

(2) **طرًّا** : أي جميعًا .

(3) **هبات** : عطايا وإحسان متواصل .

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ** » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ[1] ، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا . وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّإِ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلاً ، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا .

. . . .

(**عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري**) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ، نسبة إلى جده خدرة بن عوف ، **وقيل** : نسبة إلى قبيلة من الأنصار اسمها خدرة (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) وفي نسخة صحيحة : **عنهما** ، وهي أولى ؛ لأن أباه مالكًا كان صاحبيًا من شهداء أحد ، وهو الذي استقبل رسول الله ﷺ وامتص دمه حين جرح وجهه الشريف ، فقال ﷺ حين مصه وازدرده ، أي بلعه : « **من سره أن ينظر إلى من لا تمسه النار فلينظر إلى مالك بن سنان** »[2] .

وكان ولده سعد صغيرًا يوم أحد فرد ، فخرج فيمن يتلقى رسول الله ﷺ حين رجع من أحد ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : « **سعد بن مالك** » **فقال** : نعم بأبي أنت وأمي

---

(1) **حسن بطرقه** : رواه مالك (2 / 745) ، وأحمد (1 / 313) ، والشافعي في « مسنده » ص 224 ، وابن ماجه (2341) ، والطبراني في « الأوسط » (1/ 90 ، 307) ، والدارقطني (3/ 77) ، (4/ 227) ، والحاكم (2 / 66) ، وصححه ، وكذا الشافعي ، وحسنه ابن الصلاح وغيره .

انظر : « مصباح الزجاجة » (3 / 48) ، « الدراية » (2 / 282) ، « المقاصد الحسنة » ص 727 ، « خلاصة البدر المنير » لابن الملقن (2 / 438) ، « أسنى المطالب » للبيروتي ص 324 .

(2) ذكره بهذا السياق البرهان الحلبي في « السيرة الحلبية » (2 / 515) ، والذي في كتب السنة المسندة بلفظ : « **من سره أن ينظر إلى من خالط دمي دمه فلينظر إلى مالك بن سنان** » رواه ابن أبي عاصم في « الآحاد » (4 / 124) ، والطبراني في « الكبير » (6 / 34) ، والحاكم (3 / 649) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (5 / 2456) ، **وقال ابن الملقن** : في إسناده مجاهيل ، **وقال الذهبي** : إسناده مظلم .

انظر : « البدر المنير » (1 / 481) .

يا رسول الله ، فدنا منه وقبل ركبته ، فقال له : « **آجرك الله في أبيك لأنه قتل شهيدًا** »[1] كما مر .

وغزا سعد مع رسول الله ﷺ ثنتي عشرة غزوة أولها الخندق ، وكان من الرماة المشهورين وهو معدود من أهل الصفة ، وكان من فضلاء الصحابة وعلمائهم ، وروي عنه أنه **قال** : أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرًا من الجوع ، **فقالت امرأتي** : ائت النبي ﷺ فاسأله فقد أتاه فلان فأعطاه وفلان فأعطاه ، **فقلت** : لا ، حتى لا أجد شيئًا ، فطلبت فلم أجد شيئًا ، فأتيت النبي ﷺ وهو يخطب فأدركت من قوله : « **من يستغن** » ، أي يظهر الغنى « **يغنه الله** » ، أي يرزقه الغنى عن الناس ، « **ومن يستعفف** » أي يكف عن الحرام والسؤال « **يعفه الله** » بتشديد الفاء ، أي يرزقه الله العفة ، بأن يعطيه ما يستغني به عن السؤال ، قال : « **فما سألت أحدًا بعده ، وما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منَّا** »[2] .

مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وله أربع وتسعون سنة ، ودفن بالبقيع ، ومروياته ألف ومائة وسبعون حديثًا ، منها ما ذكره المصنف عنه وهو (**أن رسول الله ﷺ قال : لا ضرر ولا ضرار**) بفتح الضاد المعجمة في الأول وكسرها في الثاني ، وكل منهما مبني على فتح آخره كما هو الرواية ، وخبر لا محذوف ، أي في ديننا أو في شريعتنا .

ومعنى : « **لا ضرر** » لا يضر أحد غيره ، **ومعنى** : « **ولا ضرار** » : لا يجازيه على إضراره بل يعفو عنه ويصفح ؛ فإن العفو أقرب للتقوى ، **وقيل معناه** : لا يجازي من يضره بزيادة عن مثل فعله ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة البقرة : 194] .

وقيل : **الضرر** : ما يضر به الإنسان غيره وينتفع هو به ، **والضرار** : أن يضره من غير أن ينتفع .

---

(1) ذكره الواقدي في « المغازي » (1 / 220) ، وابن عساكر في « تاريخه » (20 / 285) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (6 / 144) .

(2) **صحيح** : رواه أحمد (3 / 44) ، وعلي بن الجعد في « مسنده » (1281) ، وأبو نعيم في « الحلية » (7 / 203) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 267) ، وهو صحيح .

وقيل بالعكس .

وقيل : الأول نهي للشخص عن تعاطي ما يضر نفسه ، والثاني نهي له عن فعل ما يضر غيره .

وقيل : الأول عبارة عن منع ما ينفع الغير ، والثاني عبارة عن فعل ما يضر به .

وظاهر هذا الحديث تحريم سائر أنواع الضرر ما قل منها وما كثر ؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم ، فاحذر يا أخي أن تؤذي أحدًا أو تضره في نفسه أو أهله أو ماله أو عرضه ؛ فإن ذلك ظلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [سورة طه : 111] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه ، وألا يظن به إلا خيرًا** »[1] .

وذكر العلماء جملة من أنواع الظلم والضرر فيجب اجتنابها ، منها : المكس ، وأكل مال اليتيم ، والمماطلة في دفع الحق الذي عليه مع القدرة على وفائه ، وظلم المرأة في صداق أو نفقة أو كسوة ، وعدم إيفاء الأجير حقه ، وإيذاء المؤمنين بالنهب أو الضرب أو السب ونحو ذلك .

وروي عن مجاهد أنه **قال** : إن لجهنم ساحلًا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت ، أي الإبل ، وعقارب كالبغال ، فإذا استغاث أهل النار ، **قالوا** : الساحل ، فإذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام ، فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم تكشطها كشطًا ، **فيقولون** : النار النار ، فإذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب ، فيحك أحدهم جسده حتى يبدو ، أي يظهر عظمه ، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعًا ، **قال** : يقال : يا فلانِ هل تجد هذا يؤذيك ؟ **فيقول** : وأي أذى أشد من هذا! **قال** : يقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين[2] .

---

(1) ذكره الشافعي في « الرسالة » ص514 بهذا اللفظ ، وأصله عند ابن ماجه (802) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (2 / 396) ، **وقال البوصيري** في « الزوائد » (4 / 164) : في إسناده مقال ، ونحوه في « تخريج الإحياء » للعراقي (4 / 146) ، ولشطره الأول شاهد عند مسلم (2564) ، وأبي داود (4882) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : « . . . **كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه** » .

(2) رواه ابن المبارك في « الزهد » (330) ، وابن أبي الدنيا كما في « الترغيب » (4 / 258) للمنذري عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه .

وعن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - **قال** : يؤخذ بيد العباد أو الأمة يوم القيامة ، فينادى به على رءوس الخلائق : هذا فلان ابن فلان ، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه ، **قال** : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ، ثم قرأ : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : 101] .

قال : فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء ، ولا يغفر من حقوق الخلق شيئًا ، فينصب العبد أي يقام ، ويرفع للناس ، ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : ائتوا إلى حقوقكم .

قال : **فيقول العبد** : يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوفيهم حقوقهم ؟ **فيقول الله لملائكته** : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته ، فإن كان وليًّا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله له حتى يدخله الجنة به ، وإن كان عبدًا شقيًّا ولم يفضل له شيء ، **فتقول الملائكة** : ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه ، **فيقول الله تعالى** : خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلى سيئاته ، ثم صكوا له صكًّا ، أي اكتبوا له كتابًا ، إلى النار[1] ، نسأل الله تعالى السلامة منها بجاه النبي المختار .

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم عليه مدار الإسلام ، وهو (**حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهم**) كالحاكم في مستدركه ، والبيهقي في شعبه ، وظاهره أن الكل رووه من حديث أبي سعيد ، وليس كذلك ، بل ابن ماجه رواه من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت .

وقوله : (**مسندًا**) هو ما اتصل سنده من راويه إلى النبي ﷺ .

(**ورواه**) الإمام (**مالك في**) كتابه (**الموطأ**) بضم ففتح فتشديد مهملة فهمزة أو ألف ، **قيل** : إنه ألفه في أربعين سنة ، ولما تم اتهم نفسه بالإخلاص فيه ، فألقاه في الماء ، **وقال** : إن ابتل فلا حاجة لي به ، فلم يبتل منه شيء ، **وقال** : عرضت كتابي هذا ، يعني الموطأ ، على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة ، فكلهم واطئوني ، أي وافقوني عليه ، فسميته الموطأ .

ورأى بعضهم المصطفى ﷺ في منامه ، **فقال له** : يا رسول الله حدثني بعلم أحدث

---

(1) ذكره الثعلبي في « تفسيره » (3 / 309) ، والرازي في « تفسيره » (10 / 84) ، والقرطبي في « تفسيره » (5 / 196) .

به عنك ، **فقال** ﷺ : إني قد أوصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم ، ألا وهو الموطأ .

(**عن عمرو بن يحيى**) أي يحيى بن عمار التابعي (**عن أبيه ، عن النبي** ﷺ) .

وقوله : (**مرسلًا**) هو عند المحدثين ما حذف من سنده الصحابي ؛ ولذا قال المصنف : (**فأسقط**) أي حذف مالك أو يحيى من السند (**أبا سعيد**) الخدري - رضي الله تعالى عنه - ، وفي نسخة ذكر قوله مرسلًا عقب قوله في الموطأ .

(**وله**) أي لهذا الحديث (**طرق**) أي أسانيد ضعيفة (**يقوي بعضها بعضًا**) ، **وفي نسخة** : يقوي بعضها ببعض ، **وفي أخرى** : يتقوى بعضها ببعض .

واعلم أن مالكًا راوي هذا الحديث هو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين المتبوعين الآن ، حملت به أمه ثلاث سنين ، وولدته سنة ثلاث وتسعين ، وكان من أتباع التابعين ، وعليه حمل حديث يوشك أن يضرب الناس آباط المطي في طلب العلم فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة .

وقال فيه الشافعي : مالك أستاذي ، وعنه أخذت العلم ، وما أحد أمنَّ عليَّ من مالك ، وجعلت مالكًا حجة بيني وبين الله تعالى ، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ، أي المضيء ، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم بحفظه وإتقانه وصيانته .

وقال فيه أبو حنيفة : ما رأيت أعلم بسنة رسول الله ﷺ من مالك بن أنس .

وقال أيضًا : والله ما رأيت أسرع بجواب صادق وزهد تام من مالك بن أنس .

وحكي أن امرأة غسَّلت ميتة فالتصقت يدها بفرج الميتة ، فتحير الناس كيف يصنعون ، هل يقطعون يد الغاسلة أو فرج الميتة ، ثم سئل مالك عن ذلك ، **فقال** : سلوها ما قالت لما وضعت يدها على فرجها ؟ ، فسألوها ، **فقالت** : قلت : طالما عصى هذا الفرج ربه ، **فقال مالك** : هذا قذف ، اجلدوها ثمانين جلدة تخلص يدها ، ففعلوا فخلصت ، ولذا نودي لا يفتى ومالك بالمدينة .

ومناقبه - رضي الله تعالى عنه - كثيرة ، وقد أجمع العلماء على أمانته ، وجلالته ، وعظم سيادته ، وتبجيله ، وتوقيره ، والإذعان له في الحفظ والتثبت وتعظيم حديث رسول الله ﷺ .

حكي أنه كان إذا أراد أن يحدِّث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، واستعمل الطيب ، وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ، فقيل له في ذلك ، **فقال** : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ .

وقيل : إنه كان يحدِّث فلدغته عقرب في ستة عشر موضعًا ، فتغير لونه واصفر ، ولم يقطع حديث رسول الله ﷺ ، ولما فرغ أخبر أنه صبر إجلالاً لرسول الله ﷺ .

مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة ، ودفن في البقيع ، وبني عليه قبة ، وبجانبه قبر نافع مولى ابن عمر - رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

ونقل عن الشافعي أنه قال : قالت لي عمتي ، ونحن بمكة ، رأيت الليلة قائلاً يقول : مات أعلم أهل الأرض ، فحسبنا فرأينا ذلك ليلة موت مالك - رحمه الله ورضي عنه[1] .



(1) **انظر هذه المادة في** : « الانتقاء » لابن عبد البر ص 18 - 43 ، « ترتيب المدارك » (1 / 33) ، « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (2 / 383) ، « سير أعلام النبلاء » (8 / 48) .

الحديث الثالث والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي ، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ** » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي السُّنَنِ ، وَغَيْرُهُ هَكَذَا ، وَبَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[1] .

. . . .

(**عن ابن عباس رضي الله**) تعالى (**عنهما**) وتقدم الكلام عليه (**أن رسول الله** ﷺ **قال : لو يعطى الناس**) أي ما يدعونه (**بدعواهم**) أي المجردة عن الإثبات ، يعني لو أن كل من ادعى على غيره بشيء عند الحاكم يعطى له بمجرد دعواه بلا شهود ولا إثبات (**لادعى رجال أموال قوم ودماءهم**) يعني لأخذوا أموالهم وسفكوا دماءهم ، فعبَّر بادعى بدل أخذ وسفك ؛ لأن الدعوى سبب للأخذ والسفك .

(**لكن البينة على المدعي**) بتخفيف لكن كما هو الرواية ، والكلام جار على معنى النفي ؛ لأن لو تفيد النفي ، أي لا يُعطى الناس بدعواهم المجردة ، لكن بالبينة يعطوْن ، وهي على المدعي فإن لم يكن معه بينة فلا يصدق ولا يحكم له في دعواه ، بل يكون القول قول المدعى عليه بيمينه ، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله : (**واليمين على من أنكر**) فيحلفه القاضي ، فإن امتنع عن اليمين ردت على المدعي ، فيحلف إن اختار ذلك ، ويستحق ما ادعاه بيمينه .

ويجب الاحتراز عن اليمين الكاذبة وشهادة الزور ، فقد جاء في الوعيد عليهما أحاديث كثيرة ، منها : قوله ﷺ : « **من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرَّم عليه الجنة** » قيل : يا رسول الله وإن كان شيئًا يسيرًا ، قال : « **وإن كان قضيبًا** (أي عودًا) **من أراك** »[2] .

---

(1) **حسن** : رواه البيهقي (10 / 252) بهذا اللفظ ، وهو عند البخاري (4277) ، ومسلم (1711) بلفظ مقارب ، وفي آخره : « . . . **لكن اليمين على المدعَى عليه** » .

(2) **صحيح** : رواه مالك (2 / 727) ، ومسلم (137) ، والنسائي (8 / 246) ، وأحمد (5 / 260) .

ومنها ما ورد : « **لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار**[1] »[2] .

وفي الصحيحين : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا ؟** » ، **قلنا** : بلى يا رسول الله ، قال : « **الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وقول الزور وشهادة الزور** » فمازال يرددها حتى قلنا : ليته سكت[3] ، شفقة عليه ؛ لئلا يتعب من التكرار .

ويجب الاحتراز أيضًا من دفع الرشوة وأخذها ، فقد ورد في الحديث : « **لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما** »[4] .

والرشوة : هي ما يبذل لقاضي السوء ليحكم بغير الحق أو ليمتنع من الحكم بالحق .

وقد حكي أن القضاة في زمن بني إسرائيل كانوا ثلاثة ، فأرسل الله لهم ملكًا يمتحنهم ، فوجد رجلًا على ماء يسقي بقرة وخلفها عجلة ، فدعاها الملك وهو راكب فرسًا ، فتبعتها العجلة فتخاصما ، فقالا : بيننا القاضي ، فجاءا إلى القاضي الأول ، فدفع إليه الملك درة ، أي جوهرة ، **وقال له** : احكم بأن العجلة لي ، **قال** : بماذا أحكم ؟ **قال** : أرسل الفرس والبقرة والعجلة ، فإن تبعت الفرس فهي لي ، فتبعتها ، فحكم بها له .

وأتيا إلى القاضي الثاني فحكم كذلك ، وأخذ درة .

وأما القاضي الثالث فدفع له الملك درة ، **وقال له** : احكم بيننا ، **فقال** : إني حائض ، **فقال الملك** : سبحان الله أيحيض الذكر ؟ **فقال له القاضي** : سبحان الله أتلد الفرس بقرة ؟ وحكم بها لصاحبها[5] .

وقيل : إن الحكم في زمن سيدنا إبراهيم ﷺ كان بالنار ، فكان المحقُّ يدخل

---

(1) **تجب له النار** : أي يستحق دخولها .

(2) **لا يصح** : رواه ابن ماجه (2373) ، وابن عساكر في « تاريخه » (57 / 65) ، **وقال البوصيري** : هذا إسناد ضعيف ، **انظر** : « مصباح الزجاجة » (3 / 55) .

(3) **صحيح** : رواه البخاري (5918) ، ومسلم (87) ، والترمذي (1901) .

(4) **صحيح** : هو عند أحمد (5 / 279) ، وابن أبي شيبة (4 / 457) ، والطبراني في « الكبير » (2 / 93) ، والحاكم (4 / 115) ، وفي شطره الأخير : **والرائش** ، يعني-الذي يمشي بينهما ، وبدونها أخرجه أبو داود (3580) ، والترمذي (1337) ، وابن ماجه (2313) ، وابن حبان (5077) ، وصححه وكذا الترمذي وغيره .

(5) القصة عند الصفوري في « نزهة المجالس » (2 / 296) .

يده فيها فلا تحرقه ، والمبطل إذا أدخل يده فيها أحرقته .

وكان الحكم في زمن سيدنا موسى عليه السلام بالعصا ، فكانت تسكن للحق وتضطرب للباطل .

وكان الحكم في زمن سيدنا سليمان عليه السلام بالريح فكانت تسكن للحق ، وترفع المبطل ثم تسقطه على الأرض .

وكان الحكم في زمن ذي القرنين بالماء ، فكان إذا جلس عليه المحقُّ جمد ، وإذا جلس عليه المبطل ذاب .

وكان الحكم في زمن داود عليه السلام بسلسلة مدلاة من السماء عند الصخرة التي في بيت المقدس ، فكانوا يأتون إليها ، فمن كان محقًّا تناولها بيده وإلا فلا يتناولها ، فاتفق أن أودع رجل جوهرة ثمينة عند رجل ، وغاب عنه مدة طويلة ، ثم جاء يطلبها فأنكرها ، **فقال له** : امض معي إلى السلسلة نتحاكم عندها ، فعمد الذي هي عنده إلى عصا فنقرها ووضع الجوهرة فيها ، وسد عليها سدًّا خفيًّا ، وجاء يتوكأ عليها ، فلما حضر عند السلسلة ، **قال لصاحب الجوهرة** : خذ عصاي معك حتى أتناول السلسلة ، فأخذها منه ، فتقدم الرجل إلى السلسلة ، **وقال** : اللهم إن كنت تعلم أن الوديعة التي كانت عندي قد دفعتها لصاحبها فقرب مني السلسلة ، ومد يده فتناولها ، فتعجب صاحبها من ذلك ، **وقال الناس** : قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم ، ولما رجعا من عند داود عليه السلام أخذ الرجل العصا من صاحب الجوهرة ، فلما أصبح داود عليه السلام رأى السلسلة قد رفعت ، وصار الحكم من حينئذ بالبينة على المدعي واليمين على من أنكر[1] .

تتمة : حكي أن رجلاً دخل مكانًا خربًا ، فوجد فيه قتيلاً ، فلما رآه الناس مع القتيل أخذوه ، **وقالوا** : إنه قد قتله ، فأحضروه للقتل ، **فقال** : اصبروا علي حتى أصلي ركعتين ، فلما فرغ من صلاته ، **قال** : إلهي أنت نهيتنا عن كتمان الشهادة وما لي شاهد غيرك ، فانظر إلى ضعفي وعجزي ، فخرج من بين القوم رجل **فقال** : خلوا سبيله فأنا القاتل ، **فقالوا له** : ما الذي حملك على الإقرار بالقتل ؟ **فقال** : نوديت في سري :

---

(1) أصل هذه القصة مرويٌّ عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا سند منقطع ، فضلاً عن كونها من الإسرائيليات ، **انظرها في** : « أمالي ابن سمعون » (1 / 293) ، « تفسير البغوي » (1 / 235) ، « نهاية الأرب » للنويري (14 / 46) ، « حياة الحيوان الكبرى » للدميري (1 / 408 ، 409) .

يا هذا إنه قد طلب منا الشهادة ، فإن أقررت وإلا كشفنا عن حالك ، فما أمكنني إلا الإقرار بالقتل ، **فقال ولد المقتول** : قد عفوت عن القاتل .

وحكمة كون البينة على المدعي واليمين على من أنكر ، أن جانب المدعي ضعيف لدعواه خلاف الأصلِ ، فطلب منه الحجة القوية وهي البينة ، وجانب المنكر قوي لموافقته للأصل وهو براءة الذمة ، فاكتفي منه بالحجة الضعيفة وهي اليمين ، فجعلت القوية في جانب الضعيف ، والضعيفة في جانب القوي ليتعادلا .

ثم إن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، **وقيل فيه** : إنه فصل الخطاب الذي أعطيه سيدنا داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وهو (**حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا**) أي بهذا اللفظ المذكور ، والبيهقي اسمه أحمد بن الحسين ، بلغت تصانيفه نحو الألف ، واعتنى بجمع نصوص الشافعي وتخريج أحاديثها ، حتى **قال فيه إمام الحرمين** : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي ، فإن له على الشافعي المنة .

وتقدم في الخطبة أنه ولد ببيهق سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، ونقل إلى بيهق فدفن بها ، وهي قرية على عشرين فرسخًا من نيسابور .

(**وبعضه**) أي بعض هذا الحديث المذكور (**في الصحيحين**) ، أي صحيحي البخاري ومسلم ، ولفظهما عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : « **لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه** »[1] .



(1) سبق .

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، **قَالَ** : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** » .

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)[1] .

. . . .

(**عن أبي سعيد الخدري**) وتقدم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى**) أي علم (**منكم منكرًا**) أي شيئًا ينكره الشرع ويقبحه (**فليغيره**) أي يزيله (**بيده**) وجوبًا عينيًا إن انفرد بالعلم ، وكفائيًا إن شاركه غيره ، وليس له التجسس والبحث واقتحام الدور ، أي دخولها بالظنون ؛ فإن أخبره ثقة بمن اختفى بمنكر فيه انتهاك حرمة يفوت تداركه كالزنى والقتل اقتحم له الدار وجوبًا ، وإن لم يكن فيه انتهاك حرمة فلا تجسس ولا اقتحام .

وحكي أن سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه - كان يعسُّ بالمدينة ، أي يطوف بالليل ، يحرس الناس ، ويكشف أهل الريبة ، أي أهل السوء ، فسمع صوت رجل في بيت يتقيأ ، فتسور عليه ، فوجده وعنده امرأة وخمر ، **فقال له** : يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟! **فقال** : يا أمير المؤمنين لا تعجل ، فإن كنت عصيت الله في واحدة ، فقد عصيته أنت في ثلاث ، **قال** : وما هن ؟ **قال** : تجسست ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [سورة الحجرات : 12] .

وأتيت البيوت من ظهورها ، وقد أمرنا الله بإتيانها من أبوابها ، ودخلت غير بيتك من غير أن تستأذن وتسلم وقد أمرنا الله بذلك ، **فقال له سيدنا عمر** : صدقت ، واستغفر لنا ، **فقال** : غفر الله لنا ولك يا أمير المؤمنين ، **فقال له سيدنا عمر** : هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ **قال** : نعم والله يا أمير المؤمنين ، لئن عفوت عني لا

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (49) ، والترمذي (2172) ، والنسائي (8 / 111) ، وابن ماجه (1275) ، وأحمد (3 / 20) .

أعود لمثلها أبدًا ، فعفا عنه ، وخرج وتركه[1] .

ونقل عن الغزالي أنه قال : لا يجوز استراق السمع على دار ليسمع صوت الأوتار ، ولا الدخول فيها لرؤية المعصية ، إلا أن تظهر ظهورًا يعرفه من هو خارج كصوت آلة اللهو والسكارى[2] .

هذا ، وإنما يجب إزالة المنكر باليد إذا لم يخف على نفسه ضررًا ، وإلا فلا يجب ، بل يسن ، ولا ينافيه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [سورة البقرة : 195] .

لأنه مخصوص بغير ما فيه إزالة المنكر ، ولذا كان السلف الصالح يتعرضون لإزالته ولا يبالون بالأخطار ؛ كما حكي أن زاهدًا كسر ملاهي مروان بن الحكم ، فأمر أن يلقى بين يدي الأسود ، فأدخلوه في موضعها ، فافتتح الصلاة فجاءه جميع ما في ذلك المكان من الأسود ، وصارت تلحسه بألسنتها ، وهو يصلي ولا يبالي بها ، فلما أصبح مروان ، قال : ما فعل بزاهدنا ؟ انظروا هل أكلته الأسود؟ فوجدوها قد استأنست به ، فتعجبوا من ذلك ، وأخرجوه[3] .

وحكي عن أبي عتاب أنه كان يسكن مقابر بخارى ، فدخل يومًا المدينة ليزور أخًا له في الله تعالى ، فوجد غلمان أميرها نصر بن أحمد خارجين من داره بالملاهي ، فرفع رأسه إلى السماء ، واستعان بالله تعالى ، وحمل عليهم بعصاه ، فولوا منهزمين إلى دار الأمير ، وأخبروه ، فدعاه الأمير ، **وقال له** : أما علمت أن من يخرج على السلطان يتغدى في السجن ؟

فقال له أبو عتاب : أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران .

فقال له الأمير : من ولاك الحسبة ؟

فقال له : وأنت من ولاك الإمارة ؟

فقال : ولاني الخليفة .

---

(1) الأثر عند أبي هلال العسكري في « الأوائل » ص 43، والآبي في « نثر الدرر » (2 / 25) ، والأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (2 / 774) .

(2) **انظر** أصل كلامه في « إحياء علوم الدين » (2 / 329) .

(3) **انظر** ذلك في « بريقة محمودية » للخادمي (5 / 66) ، « نصاب الاحتساب » للسنامي ص 209 .

فقال له : وأنا ولاني الحسبة رب الخليفة .

فقال : وليتك الحسبة بسمرقند .

قال : عزلت نفسي عنها .

قال : العجب من أمرك تحتسب حين لم تؤمر ، وتمتنع حين تؤمر!

قال : لأنك إذا وليتني عزلتني ، وإذا ولاني ربي لم يعزلني أحد .

فقال الأمير : سل حاجتك .

قال : حاجتي أن ترد علي شبابي .

فقال : ليس ذلك إليَّ [سل أخرى] .

قال : حاجتي أن تكتب إلى مالك خازن جهنم ألا يعذبني .

فقال : ليس ذلك إليَّ [سل أخرى] .

قال : حاجتي أن تكتب إلى رضوان خازن الجنة أن يدخلني الجنة .

فقال : ليس ذلك إليَّ [سل أخرى] .

قال : فأنا مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها لا أسأله حاجة إلا أجابني إليها .
فخلى الأمير سبيله ، فذهب[1] .

(**فإن لم يستطع**) أي فإن لم يقدر على التغيير بيده (**فبلسانه**) أي فليغيره بقوله ، كأن يأمره بترك المنكر ، ويوبخه على فعله ، أو يهدده إن لم يتركه ، ويتوعده بإحضار أعوان السلطان ، أو يذكره بالله وأليم عقابه ؛ مع لين أو إغلاظ ، بحسب ما يقتضيه الحال ، وما يكون أنفع .

وقد يبلغ بالرفق ما لا يبلغه بغيره ، حكي أن رجلاً أكثر من شرب الخمر بالشام ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فكتب له .

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة غافر : 1 - 3] .

---

(1) **انظر** أصل النقل في « نصاب الاحتساب » للعلاّمة السنامي ، وما بين المعقوفتين ساقط من الأصل ، وزدناه من المرجع السالف الذكر .

فترك الرجل الخمر وتاب منها[1] .

وحكي أن فقيهًا رأى شخصًا كشف فخذه في الحمام ، فحركه برجله على وجه الاحتقار ، **وقال له** : غط فخذك يا قليل الدين ، فنزع المئزر من وسطه ورماه ، **وقال له** : ما عدت أجلس إلا عريانًا حقارة فيك يا فقيه ، فالتفت إليه شخص **فقال له بشفقة ولين** : يا أخي أنت من ذوي المروءات ، ولا يعرف أحد عذرك في كشف نفسك ، وقد غرت عليك أن يراك من يكرهك مكشوفًا فيزريك ، **فقال له** : جزاك الله خيرًا ، وستر نفسه .

وحكي عن بعضهم أنه كان يجتمع ببعض الأمراء ، وكان يلازم لبس الحرير ، **فقال له** : يا أمير بكم الذراع من هذا الحرير ؟ **قال** : بدينار ، **فقال له** : إن في الصوف ما كل ذراع منه بدنانير ، وإن مماليكك وخدمك يشاركونك في لبس الحرير ، ولا يليق بشهامتك ومقامك أن يساووك ، فاعدل إلى الصوف ، فإنه أعلى وأغلى ، مع ما فيه من السلامة من العقاب الأخروي ، فاستحسن كلامه وترك لبس الحرير ، **ولو قال له ابتداءً** : هذا حرام فاتركه ، لم يفد .

والرفق واجب فيمن لا ينفع معه إلا الرفق كالجاهل ، ومن يخاف شره ، وذلك لأنه أقوى في الامتثال .

وقد حكي أن الملك الظاهر بيبرس[2] غضب على وزيره ، وعزم على قتله ، ولم يقبل فيه شفاعة أحد ، فبلغ ذلك الشيخ محيي الدين ابن عربي[3] - نفعنا الله تعالى به - فدخل عليه ، **فقال له** : يا مولانا السلطان نحن من جملة رعيتك ، ولا نرى أن بحر عفونا يضيق عن العفو عن آلاف ممن خالفوا أمرنا ، فكيف يضيق عفو مولانا السلطان

---

(1) **انظر** أصل الأثر عند عبد الرزاق (9 / 245) ، والبيهقي في « السنن » (9 / 105) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (25 / 303) .

(2) هو **الملك المظفر بيبرس الجاشنكير** ، كان من مماليك المنصور قلاوون ، فمازال يترقى في المناصب حتى تولى سلطنة مصر والشام ، وكانت له وقائع عظيمة مع التتار والصليبيين ، توفي سنة 676 هـ .
انظر : « البدر الطالع » للشوكاني (1 / 166) ، « الدرر الكامنة » (2 / 41) .

(3) **محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي** ، المعروف **بالشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي** ، مفسر ، زاهد ، أديب ، متكلم ، من كبار شيوخ التصوف ، له مقالات في الحلول والاتحاد طعن عليه بسببها ، توفي سنة 638 هـ .
انظر : « شذرات الذهب » (5 / 190- 202) ، « **الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر** » للشعراني ص 1 - 35 .

عن مثل واحد يخالف أمره ؟ فلما سمع ذلك عفا عن قتله ، وقضيت للشيخ عنده في ذلك اليوم حاجات كثيرة .

(**فإن لم يستطع**) أي فإن لم يقدر على التغيير بلسانه كأن خاف على نفس أو عضو أو مال أو إثارة فتنة (**فبقلبه**) أي فلينكره بقلبه ؛ بأن يكرهه ولا يرضى به ، ويعزم على أنه لو قدر على تغييره بفعل أو قول لفعل ، وهذا فرض عين على كل إنسان لقدرة كل أحد عليه بخلاف اللذين قبله .

(**وذلك**) أي الإنكار بالقلب (**أضعف الإيمان**) أي الأعمال ، لقدرة كل شخص عليه كما علمت .

وقيل : إن المراد أن ذلك أقل آثار الإيمان وثمراته ؛ إذ فيه الكراهة فقط ، وهي لا يحصل بها زوال مفسدة المنكر .

ونقل عن الشيخ الشعراني[1] - نفعنا الله تعالى به - أنه ذكر في « المنن » عن سيدي إبراهيم المتبولي[2] - عمنا الله تعالى ببركته - أن تغيير المنكر باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللسان في قلب ذلك المنكر عليه فيرجع عن ذلك المنكر ، وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم أن يكونوا ناهين لغيرهم ، فيتوجه أحدهم بقلبه إلى الله ﷻ في تغيير ذلك المنكر ، فينكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه ، فهذا هو التغيير حقيقة ، **وأما قول الإنسان** : اللهم إن هذا منكر لا أرضاه ، فليس فيه تغيير قلب[3] اهـ .

---

(1) **عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني** ، فقيه ، متصوف ، متكلم ، له مصنفات كثيرة ، منها : « الميزان » ، « الطبقات الكبرى » توفي سنة 973 هـ .

انظر : « اكتفاء القنوع » ص 168، « هدية العارفين » (5 / 641) .

(2) **إبراهيم بن علي بن عمر المتبولي القاهري الأحمدي** ، زاهد ، صالح متصوف اشتهر بكثرة إطعام الطعام والقيام على الفقراء ، توفي سنة 877 هـ .

انظر : « الضوء اللامع » (1 / 185) ، « نظم العقيان » للسيوطي ص 23 .

(3) **فيه نظر** ؛ لما ذكره غير واحد من الأئمة أنه روي عن بعض الصحابة أنه **قال** : إن الرجل إذا رأى منكرًا لا يستطيع تغييره فليقل ثلاث مرات : اللهم إن هذا منكر ، فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه .

نقله السمرقندي في « تفسيره » (1 / 261) ، والقرطبي في « تفسره » (1 / 261) ، وكرره ابن الحاج في « المدخل في إبطال البدع » (3 / 218) ، (4 / 49 ، 101) ، « والسنامي في نصاب الاحتساب » ص 101 .

وحكي عن سيدي معروف الكرخي[1] - رحمه الله تعالى - أنه كان قاعدًا على شاطئ الدجلة فمر عليه جماعة في زورق ، أي مركب صغيرة ، وهم يشربون الخمر ، ويغنون مع ضرب الأوتار ، **فقيل له** : أما ترى جراءة هؤلاء على الله تعالى؟ ادع الله عليهم يخلص المسلمين من شرهم ، فرفع يديه ، **وقال** : اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة ، **فقالوا له** : سألناك أن تدعو عليهم لا أن تدعو لهم ، **فقال** : إنما يفرحهم في الآخرة بتوبته عليهم في الدنيا ، وذلك لا يضركم .

فجاء الزورق في الوقت إلى البر ، ونزل الرجال في ناحية والنساء في ناحية ، وخرجوا إلى الله تائبين ، فكان منهم عباد وزهاد ببركة دعوة معروف - رضي الله تعالى عنه ونفعنا به[2] .

واعلم أنه قد وردت أحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، منها قوله ﷺ : « **لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم** »[3] .

ومنها قوله ﷺ : « **أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم** »[4] .

ومنها قوله ﷺ : « **ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا فلا يغيروا ، إلا يوشك** (أي يقرب) **أن يعمهم الله بعقابه** »[5] .

---

(1) **أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي** ، الإمام الزاهد الورع المتصوف ، كان معروفًا باستجابة الدعاء ، توفي سنة 200 هـ .

انظر : « الثقات » لابن حبان (9 / 206) ، « تاريخ بغداد » (14 / 57) ، « طبقات الصوفية » للأزدي ص 80 ، « الأعلام » للزركلي (7 / 269) .

(2) **انظر** القصة في « شعب الإيمان » للبيهقي (5 / 294) ، « الرسالة القشيرية » ص 174، « صفة الصفوة » (2/ 321) ، « طبقات الأولياء » لابن الملقن ص 47 .

(3) **حسن لغيره** : رواه البزار (1/ 292) ، والطبراني في « الأوسط » (2/ 99) ، والخطيب في « تاريخه » (13 / 92) بهذا اللفظ ، وفي سنده ضعف ، وهو مروي بنحوه عند الترمذي (2169) ، وأحمد (5 / 388 ، 391) ، وحسنه الترمذي والسيوطي . **انظر** : « فيض القدير » (5 / 260 ، 261) .

(4) **حسن** : رواه إسحاق بن راهويه في « مسنده » (864) ، وأحمد (6 / 159) ، وابن ماجه (4004) ، وابن حبان (290) وصححه ، وهو حسن .

(5) **صحيح** : رواه أبو داود (4338) ، (4339) ، وابن ماجه (4009) ، وأحمد (4 / 364، 366) ، وابن حبان (300) وصححه .

وقال جرير بن عبد الله – رضي الله تعالى عنه – : ما من قوم أعزاء على الناس ثم لم يغيروا منكرًا وهم قادرون ، إلا أذلهم الله ﷺ .

وقال أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه – : من سمع أحدًا يفعل منكرًا ولم ينهه جاء يوم القيامة أصم مقطوع الأذنين .

وقال أبو أمامة – رضي الله تعالى عنه – : يحشر ناس من هذه الأمة على صورة القردة والخنازير بملاصقتهم أهل المعاصي وتركهم نهيهم وهم قادرون .

ثم إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين ، وظاهره أن الإنسان يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن لم يمتثل هو ذلك ، وهو كذلك **(رواه مسلم)** رحمه الله تعالى .



الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَنَاجَشُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ ، ولاَ يَخْذُلُهُ ، وَلاَ يَكْذِبُهُ ، وَلاَ يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ** » .

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)[1] .

. . . .

(**عن أبي هريرة رضي الله**) تعالى (**عنه**) وتقدم الكلام عليه (**قال : قال رسول الله** ﷺ : **لا تحاسدوا**) أصله بتاءين حذفت إحداهما تخفيفًا وكذا ما بعده .

والمعنى : لا يحسد بعضكم بعضًا ؛ فإن الحسد حرام من الكبائر ، وهو تمني زوال نعمة الغير ، سواء تمنى انتقالها إليه أم لا ، وقد تطابقت الملل وتوافقت على ذمه وقبحه ، وجاء في عدة أخبار وآثار أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، وورد أنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل .

وقال بعضهم : ليس شيء أضر من الحسد ، يصل بسببه إلى الحاسد خمس عقوبات : غم لا ينقطع ، ومصيبة لا يؤجر عليها ، ومذمة لا يحمد بها ، ويسخط عليه الرب ، ويغلق عنه أبواب التوفيق .

وقيل : إن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمر بها من شر الشيطان .

وحكي إن إبليس أتى باب فرعون فقرعه ، **فقال فرعون** : من هذا ؟ **فقال إبليس** : أنا ولو كنت إلهًا ما جهلتني ، **فقال له فرعون** : ادخل يا ملعون ، فلما دخل عليه **قال له فرعون** : أتعرف على ظهر الأرض أحدًا شرًا منك ومني ؟ **قال** : بلى ، **قال** : من هو ؟ **قال** : الحاسد ، وبالحسد وقعت في هذه المحنة ، إن لي صديقًا أجابني إلى كل ما دعوته من الشر ، **فقلت له** : قد وجب علي حقك فاسأل مني الحاجة ، **فقال** : يا إبليس

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (2564) ، وأحمد (2 / 277) ، والبيهقي (6 / 92) .

إن لجاري بقرة فأمتها ، **فقلت** : لا قوة لي على ذلك ، أتريد أن أعطيك عشر بقرات مكانها ؟ **فقال** : لا أريد إلا هلاكها ، فعلمت أن الحاسد شر مني ومنك[1] .

وقال بعضهم : الحاسد جاحد ؛ لأنه لا يرضى بقضاء الواحد ، وفي معنى ذلك **قيل** :

ألا قل لمن بات لي حاسدًا أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله كأنك لم ترض لي ما وهب[2]

ومن الحكمة : الحسود لا يسود أبدًا ، والبخيل تأكل أمواله العدا ، والكريم لا يضام أبدًا ، أي لا يحصل له ضيم ، أي ضرر ومشقة .

وحكي أن رجلاً صالحًا كان يجالس أمير المؤمنين المعتصم ، ويدخل عليه من غير استئذان وينصحه ، فغار منه الوزير فحسده ، **وقال في نفسه** : إن لم أقتل هذا الرجل أخذ بقلب أمير المؤمنين ، وأبعدني عنه ، فدخل يومًا على المعتصم **وقال له** : يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا الرجل يقول للناس أنك أبخر ، أي نتن الفم ، وأمارة ذلك أنه إذا قرب منك يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر ، **فقال** : انصرف حتى أنظر في ذلك .

فخرج وتلطف بالرجل حتى أتى به إلى منزله وطبخ له طعامًا وأكثر فيه من الثوم ، فلما أكل الرجل منه **قال له الوزير** : احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك ، فخرج الرجل وذهب إلى أمير المؤمنين ، ونصحه كعادته ، **فقال له** : ادن مني فدنا منه ، ووضع يده على فمه مخافة أن يشم رائحة الثوم منه ، **فقال المعتصم في نفسه** : إن الذي قاله الوزير عن هذا الرجل صدق ، وكان لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة ، فكتب له بخطه كتابًا لبعض عماله يذكر فيه : إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه .

فأخذ الرجل الكتاب ، وخرج ، فلقيه الوزير بالباب ، **فقال له** : ما هذا الكتاب ؟

---

(1) **انظر القصة في** « بريقة محمودية شرح الطريقة المحمدية » (3 / 349) للخادمي .

(2) ذكرهما الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (1 / 313) وعزاه إلى منصور الفقيه ، **وانظرهما في** « تحفة الحبيب » (1 / 28) ، « حلية البشر » (1 / 97) .

قال : خط الملك لي بصلة ، فظن الوزير أنه يحصل له مال كثير ، **فقال له** : ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار ؟ **فقال** : أنت الكبير والحاكم فافعل ما رأيته ، فأعطاه الوزير ألفي دينار ، وأخذ منه الكتاب وذهب به للعامل وسلمه له ، فقرأه ، **فقال للوزير** : إن في هذا الكتاب أني أذبحك ، **فقال** : إن الكتاب ليس لي ، الله ، الله في أمري حتى أراجع الملك ، **فقال** : ليس لكتاب الملك مراجعة ، وأمر بذبحه فذبح .

ثم بعد مدة تفكر الملك في أمر الرجل ، وسألَ عن الوزير فأخبر بأن له أيامًا ما رؤي ، وأن الرجل مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك ، وأحضر الرجل وسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير بشأن الكتاب ، **فقال له** : إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر ، **فقال الرجل** : معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أقول ذلك ، **قال** : فلم وضعت يدك على فمك ؟ **قال** : مخافة أن تشمه ، وحكى له ما حصل من أخذ الوزير له وإطعامه الثوم ، وأن ذلك كله مكر منه وحسد ، **قال له** : صدقت ، قاتل الله الحسد ، ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ، ثم خلع على الرجل ، واتخذه وزيرًا[1] .

وحكي أنه كان للإمام أبي حنيفة - رضي الله تعالى عنه - حساد ، فأرادوا إبطال كلمته ، فجعلوا لامرأة جعلًا على أن تدخله دارها ليلًا ، وتظهر للناس أنه أرادها بفاحشة ، فتعرضت له وقت السحر وهو ذاهب يريد صلاة الفجر في الجامع ، **وقالت له** : إن زوجي يريد الوصية وهو مريض وأخاف عليه الموت قبل ذلك ، فدخل معها فغلقت الأبواب ، وصاحت ، فجاء الحساد وأخذوا الإمام والمرأة إلى الوالي ، فأمر بسجنهما حتى تطلع الشمس ، فاشتغل الإمام بصلاته في السجن ، فندمت المرأة على ما صنعت معه ، وأخبرته بما قيل لها ، **فقال لها الإمام** : قولي للسجان إن لي حاجة وأريد أن أخرج وأعود إليك ، فإذا خرجت فاذهبي إلى أم حماد - يعني زوجته - وأخبريها بالقصة وأرسليها إليَّ وامضي أنتِ إلى شأنك ، ففعلتْ .

ولما حضرت زوجته وطلع النهار طلبهما الوالي ، **وقال للإمام** : أيحل لك أن تخلو بأجنبية ؟ **قال** : عليّ بفلان ، يعني أبا زوجته ، فلما حَضَرَ ، **قيل له** : من هذه ؟

---

(1) انظر القصة في « فنون العجائب » للنقاش ص 239، « الإحياء » (3/ 188) ، « بدائع السلك » لابن الأزرق (1/ 533) .

فكشف وجهها فإذا هي ابنته ، **فقال** : هذه ابنتي زوّجتها لهذا الإمام ، فعند ذلك أظهر الله تعالى حُجَّته وأعلى كلمته ، **فقال في ذلك** :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهلُ الفضل قد حُسِدُوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرُنا غيظًا بما يجدُ[1]

وقال بعضهم :

دَعِ الحسود وما يلقاه من كمده يكفيك منه لهيب النَّار في كبده
إن لمتَ ذا حَسَدٍ فرَّجْتَ كُرْبَته وإن سكتَّ فقد عذَّبته بيده[2]

وقال آخر :

اصبر على حسد الحسو د فإنَّ صبرك قاتله
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله[3]

وهذا كله في الحسد الحقيقي .

وأمَّا الحسد المجازي فهو غير مذموم ، وعرَّفوه بأنه تمني حصول مثل ما لأخيه من النعمة من غير أن تزول عنه ، والمبادرة إلى الكمال الذي شاهده في غيره ليلحقه أو يجاوزه ، ويُسمَّى غبطة ، وعليه حُمِلَ حديث : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها الناس** »[4] . يعني ليس شيء من الدنيا حقيقًا بالغبطة إلا هاتان الخصلتان : العلم وإنفاق المال في سبيل الله تعالى . وهي ، أي الغبطة ، مباحة في الأمور الدنيوية وسُنَّة في الدينية .

(**ولا تناجشوا**) بجيم وشين معجمتين من النجش ، **وهو لغةً** : الإثارة والإغراء ،

---

(1) **انظر ذلك في** « العقد الفريد » (2 / 162) ، « الأمالي في لغة العرب » (2 / 201) للقالي ، « أخبار أبي حنيفة » للصيمري ص 66 .

(2) **انظر** البيتين في : « نفح الطيب » للمقري (5 / 561) « غذاء الألباب » للسفاريني (2 / 223) .

(3) **انظر** البيتين في : « العقد الفريد » (2 / 162) ، « أدب الدنيا والدين » للماوردي ص 334، « المنهج المسلوك في سياسة الملوك » للشيرازي ص 428 .

(4) **متفق عليه** : رواه البخاري (73) ، (1343) ، ومسلم (816) .

وشرعًا : الزيادة في المبيع لا لرغبة في شرائه ؛ بل لأجل غرور غيره .

والمعنى : لا يزد بعضكم في ثمن شيء معروض للبيع ليغرّ غيره ، ويثير رغبته لمشتراه ، وهو حرام لما فيه من الإيذاء والغش . ولا فرق في ذلك بين أن يكون المبيع ليتيم أو لغيره ، ولا بين أن يبلغ القيمة أو لا ، ومع هذا فيصح البيع خلافًا لمالك ، ولا خيار للمشتري لتفريطه بعدم تأمّله وسؤال أهل الخبرة . ولا تحرم الزيادة لمن له رغبة في الشراء . ويجوز فتح باب القيمة لعارف بها .

ثم إن تفسير النجش بما ذُكِرَ هو ما عليه الأكثر . **وقيل** : المراد به هنا النهي عن إغراء بعضهم بعضًا على الشر والخصومة . **وقيل** : المراد به التنافر ، أي لا ينفر بعضكم بعضًا ، كأن يسبه أو يعمل معه شيئًا ينفر منه .

(**ولا تباغضوا**) أي لا يبغض بعضكم بعضًا بتعاطي أسباب البغض ؛ كالشتم والضرب ومنع النفع ، فالبغض حرام إذا كان لغير الله تعالى . أما إذا كان لله تعالى وهو ما يكون لأجل المعصية فليس بحرام ، بل هو واجب ، ومن كمال الإيمان ؛ لخبر : « **من أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان** »[1] . ولا ينبغي احتقار العاصي ، وإنما المطلوب الإنكار عليه ونهيه عن ارتكاب ما يخالف الشرع .

ونُقِل عن سيدي علي الخوّاص[2] - رحمه الله تعالى - أنه **قال** : عداوتنا لأفعال من أمرنا الحق تعالى بعداوته عداوة شرعية ، وعداوتنا لذاته عداوة طبيعية ، والسعادة في الشرعية لا في الطبيعية .

والظاهر أن مراده بالعداوة : الكراهة .

وقال سيدي عبد القادر الجيلي[3] - نفعنا الله تعالى به - : إذا وجدت في قلبك

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (4681) ، والطبراني في « الكبير » (8 / 134) ، والحاكم (2 / 178) ، وصحّحَهُ وأقرّه الذهبي .

(2) **هو علي الخوّاص البرلسي** ، متصوف متكلم ، صاحب كرامات مشهورة عند الصوفية ، توفي سنة 939 هـ .
انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » للشعراني ص 490 ، « شذرات الذهب » (8 / 233) .

(3) **عبد القادر بن موسى الجيلاني** أو الجيلي ، فقيه ، محدِّث ، متصوف تنسب إليه الطريقة القادرية ، له مصنفات كثيرة ، منها : الفتح الرباني ، الغنية لطالبي طريق الحق . توفي سنة 561 هـ .
انظر : « البداية والنهاية » (12 / 252) ، « معجم المؤلفين » (2 / 200) .

بُغْضَ شخص أو حُبّه ، فاعرض أعماله على الكتاب والسُّنَّة ، فإن كانت مكروهة فيهما فاكرهه ، وإن كانت محبوبة فيهما فأحبّه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة ص : 26] .

وقال الشعراني – رحمه الله تعالى – : حقيقة الحب في الله ألا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء[1] .

وقال الغزالي – رحمة الله تعالى عليه – : من أحب عالمًا أو عابدًا أو أحبّ شخصًا راغبًا في علم أو عبادة أو خير ، فإنما أحبه لله وفي الله ، وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبّه .

وقيل : معنى « **لا تباغضوا** » : لا تُوقِعُوا العداوة والبغضاء بين المسلمين ، فيكون نهيًا عن النميمة ، وهي نقل كلام بعض الناس إلى بعض على جهة يترتَّب عليها الإفساد بينهم ، وهي محرّمة إجماعًا ، ويجب – كما قال الغزالي – على كُلّ من حُمِلت إليه نميمة ستّة أمور :

الأول : ألاَّ يصدّقه أي النَّمّام .

الثاني : أن ينهاه عن ذلك .

الثالث : أن يُبغضه في الله .

الرابع : ألاَّ يظنّ بالمنقول عنه السوء .

الخامس : ألاَّ يتجسَّس على تحقيق ذلك .

السادس : ألاَّ يحكي ما نمّ له به .

وقال الشاذلي – عمنا الله تعالى ببركاته – : إذا نقلَ إليك أحد كلامًا عن صاحب لك ، **فقل له** : يا هذا أنا من صحبة أخي وودّه على يقين ، ومن قولك على ظن ، ولا يُترك يقين لظن[2] .

وقال الشيخ أفضل الدين – رحمه الله تعالى – : إذا نقل إليكم أحد كلامًا في

---

(1) **انظر** أصل النقل في « الطبقات الكبرى » للشعراني ص 187 ، 188 .

(2) « الطبقات الكبرى » للشعراني ص 389 .

عرضكم عن أحد فازجروه ، أي الناقل ، ولو كان أعزّ إخوانكم ، **وقولوا له** : إن كنت تعتقد فينا هذا الأمر فأنت ومن نقلت عنه سواء ، بل أنت أسوأ حالاً منه لأنه لم يسمعنا ذلك ، وأنت أسمعته لنا ، وإن كنت تعتقد أن هذا الأمر باطل في حقّنا وبعيد عنا ، فما فائدة نقله إلينا ؟

وقال رجل لوهب بن منبه – رضي الله تعالى عنه – : شَتَمَكَ فلان ، **فقال له** : أما وجد إبليس رجلًا يرسله غيرك!

(ولا تدابروا) أي لا تتكلموا في أدبار إخوانكم بالغيبة والبهتان ، أي الكذب والافتراء .

وقيل : إنَّ المعنى لا يُدبر بعضكم عن بعض معرضًا عنه وتاركًا إعانته ونصره ؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى المعاداة والتقاطع والهجران ، وقد جاء في الحديث : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » .

وفي رواية : « **لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا** »[1] .

وأخرج مسلم وغيره : « **تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس ، فيغفر الله** ﷻ **في ذلك اليوم لكل امرئ لا يُشرك بالله شيئًا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء** (أي عداوة) **يقول : اتركوا هذين حتَّى يصطلحا** »[2] .

وأخرج الطبراني وغيره : « **يطلع الله تعالى إلى جميع خَلْقه ليلة النصف من شعبان فيغفرُ لجميع خَلْقه إلا لمشرك أو مشاحن** »[3] .

ويجوزُ الهجرُ لغرض شرعي ؛ كفسق وابتداع وإيذاء وزجر وإصلاح دين الهاجر أو المهجور .

(ولا بيع بعضُكم على بيع بعض) بأن يقول للمشتري في زمن الخيار : افسخ هذا

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (5718) ، (5727) ، ومسلم (2559) ، (2560) .

(2) **صحيح** : رواه مسلم (2565) ، والترمذي (747) ، وأحمد (2 / 268) .

(3) **صحيح** : رواه ابن ماجه (1390) ، والطبراني في « الكبير » (20 / 108) ، و« الأوسط » (7 / 36) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 382) ، وابن حبان (5665) وصحَّحَهُ .

البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص منه ، ونظيره الشراء على الشراء بأن يقول للبائع في زمن الخيار : افسخه وأنا أشتريه منك بأغلى . والنهي للتحريم لما فيه من الإيذاء الموجب للتباغض .

(**وكونوا عباد الله**) أي يا عباد الله (**إخوانًا**) أي اكتسبوا ما تصيرون به إخوانًا من حُسْن المعاشرة وفعل المؤلفات وترك المنفرات .

وقال القرطبي : كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة .

وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله تعالى – : من شَرْط الصدق في الأخوّة أن يُكْرِمَ الشخص أخاه إذا افتقر أكثر مِمّا كان حال الغنى .

(**المسلم أخو المسلم**) أي في الدِّين .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات : 10] .

أي يجمعهم دين واحد .

وذكر العلماء أن الأخوة الدينية أعظم من الأخوة النسبية ؛ لأنَّ الأولى ثمرتُها أخروية باقية ، والثانية ثمرتها دنيوية فانية .

(**لا يظلمه**) أي لا يُدْخِل عليه ضررًا في نفسه أو دينه أو عِرْضه أو ماله ؛ لأنَّ ذلك يُنافي أخوة الإسلام ، وقد قال ﷺ : « **الظلم ظلمات يوم القيامة** »[1] .

وقال بعضهم :

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كنت مُقْتَدِرًا ... فالظُّلْمُ ترجعُ عقباه إلى النَّدمِ

تنامُ عيناكَ والمظلومُ مُنْتَبِهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تَنَمِ

وقيل : إنَّ الظلم يُذْهِبُ البركة ، فقد حُكي أنَّ مَلِكًا من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخفٍ من الناس ، حتى نزل على رجل له بقرة ، فراحت عليه تلك البقرة ، أي جاءته ، من المرعى ، فحلبت ، فإذا حلابُها مقدار حلاب ثلاثين بقرة ، فحدَّث الملكُ نفسه بأخذها .

---

(1) **متفق عليه** : رواه البخاري (2315) ، ومسلم (2579) .

فلما كان الغد غدت البقرة إلى مرعاها ثم راحت فحلبت ، فنقص لبنُها على النصف ، وجاء مقدار خمس عشرة بقرة ، فدعا الملك صاحبها ، **فقال** : أخبرني عن بقرتك أرَعَتِ اليوم في غير مرعاها بالأمس؟ وشربت من غير مشربها بالأمس ؟ **فقال** : ما رعت في غير مرعاها بالأمس ولا شربت من غير مشربها بالأمس ، **فقال** : ما بال حلابها على النصف ؟ **فقال** : أرى الملك همَّ بأخذها فنقص لبنُها ، فإن الملك إذا ظلم أو همّ بالظلم ذهبت البركة . **قال** : وأنت من أين يعرفك الملك ؟ **قال** : هو كما قلت لك .

فعاهد الملك ربَّه ألا يظلم ولا يأخذ البقرة ، فغدتْ فرَعَتْ ، ثم راحت فحلبتْ ، فإذا لبنُها قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة ، فاعتبر الملك ، **وقال في نفسه** : أرى الملك إذا ظلم أو همّ بالظلم ذهبت البركة ، لا جرم لأعدلن فلأكونن على أفضل العدل[1] .

(**ولا يخذله**) بفتح المثناة التحتية وسكون الخاء وضم الذال المعجمتين ، أي لا يترك نصرته ولا نصيحته .

وقد قال ﷺ : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » **قيل** : كيف أنصره ظالمًا ؟ **قال** : « **تحجزه** » أي تمنعه « **عن الظلم ، فإنَّ ذلك نصره** »[2] .

وورد مرفوعًا : « **ما من امرئ يَخْذُلُ امرأ مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته** »[3] .

وورد أيضًا : « **من أذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذلَّه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة** »[4] .

---

(1) هذا أثر مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (2 / 157) ، وأبي نعيم في « فضيلة العادلين » ص 173 ، 174 ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 53) .

(2) **صحيح** : رواه البخاري (2312) ، (6552) ، والترمذي (2255) ، وأحمد (3 / 201) .

(3) **فيه مقال** : رواه أبو داود (4884) ، وأحمد (4 / 30) ، والطبراني في « الكبير » (5 / 105) ، وفي سنده جهالة .

انظر : « عون المعبود » (13 / 156) .

(4) **فيه مقال** : رواه أحمد (3 / 487) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (428) ، **وقال الهيثمي في** « المجمع » (7 / 267) : فيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف .

وفي الحديث : « **قال الله تعالى : وعزّتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ، ولأنتقمنّ ممَّن رأى مظلومًا يقدر على أن ينصره فلم يفعل** »[1] .

وفي الحديث أيضًا : « **أمر الله بعبدٍ من عباده أن يُضرب في قبره مائة جلده ، فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت جلدة واحدة ، فامتلأ عليه قبره نارًا ، فلما ارتفع عنه وأفاق ، قال : علام جلدتموني؟ قالوا : إنك صلَّيت صلاة بغير طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره** »[2] .

(**ولا يكذبه**) بفتح الياء المثناة من تحت وتخفيف الذال المعجمة المكسورة ، وضبطه المصنف بضم فسكون ، والأول أشهر ، أي لا يخبره بأمر على خلاف الواقع لأنه غش وخيانة .

وقد جاء في الحديث : « **إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلًا من نتن ما جاء به** »[3] .

وورد أن أعرابيًا **قال للنبي** ﷺ : إني أريد أن أُسْلِم ولكن أحبُّ الزنى والخمر والسرقة والكذب ، ولا أستطيع ترك الجميع فأمرني بترك خصلة . فقال النبي ﷺ : « **دع الكذب** » فصار كلما همَّ بزنى أو سرقة أو غيرهما ، **قال** : كيف أصنع إن سألني النبي ﷺ ؟ فإن صدقته حدّني وإن كذبته فقد خنت عهده على ترك الكذب ، فكان تركه سببًا لترك الفواحش كلها[4] .

وما ألطف قول بعضهم :

الصدقُ في أقوالنا أقوى لنا ... والكذبُ في أفعالنا أفعى لنا

---

(1) **فيه مقال** : رواه الطبراني في « الأوسط » (1/ 15) ، و« الكبير » (1/ 157) ، وتمام الرازي في « فوائده » (2/ 12) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (2 / 5) ، وفي سنده مجاهيل ، كما في « مجمع الزوائد » (7 / 267) ، و« الترغيب » للمنذري (3 / 132) .

(2) **إسناده جيد** : رواه الطحاوي في « مشكل الآثار » (8 / 218) ، وعنه ابن عبد البر في « التمهيد » (23 / 299) ، وإسناده جيد ، وأشار إليه المنذري في « الترغيب » (3 / 132) من طريق أبي الشيخ في « التوبيخ » مضعفًا له .

(3) **ضعيف جدًا** : رواه الترمذي (1972) ، والطبراني في « الصغير » (853) ، و« الأوسط » (7 / 245) ، وفي سنده راوٍ متروك .
انظر : « تحفة الأحوذي » (6 / 92) .

(4) **لا يعرف له سند** : ذكره الآبي في « نثر الدر » (6 / 343) ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (1 / 376) ، وابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » (6 / 217) بغير عزوٍ ، ولم أجده عند غيرهم .

وهـم يـقـولـون هـم أشـيـاخـنـا فما لهم قد يفعلوا أشيا خنا[1]

واعلم أنَّ لفظة « **ولا يكذبه** » ليست في كثير من نسخ المتن ولا في مسلم ، فلعلها وقعت في غير روايته[2] ، كذا قاله العلاَّمة السُّحَيْمي[3] .

فائدة : ذكر بعضهم أن الكذب خمسة أقسام : واجب لإنقاذ مال مسلم أو نفسه ، وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ، ومندوب وهو الكذب للكفار إن المسلمين أخذوا في أهبة الحرب إذا قصد بذلك إرهابهم ، ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبًا لنفسها ، ومباح وهو الكذب للإصلاح بين الناس .

وينبغي لمن اضطر إلى الكذب أن يعدل إلى المعاريض ما أمكن ؛ حتى لا يُعوِّدَ نفسه على الكذب .

وقد ورد في الخبر : « **إنَّ في المعاريض لمندوحة** (أي غنية) **عن الكذب** »[4] .

والمعاريض : جمع معراض ، والمراد به اللفظ المحتمل لمعنى بعيد فيراد ويُترك القريب .

ومن ذلك ما جاء أنَّ أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - كان خَلْفَ النبي ﷺ حين هاجر معه ، فتلقّاه ناس يعرفونه ولا يعرفون النبي ﷺ ، **فقالوا له** : من هذا ؟ **فقال** : يهديني السبيل[5] ، فظنوا أنه يعني هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير .

---

(1) **أشيا خنا** : أي أشياء فاحشة مشينة .

(2) وقعت لفظة : « **ولا يَكْذِبُهُ** » عند الترمذي (1927) ، والبزار في « مسنده » (15 / 335 - رقم 8891) من حديث أبي هريرة .

(3) **أحمد بن محمد بن علي السحيمي** ، فقيه ، شافعي ، محدِّث ، له : « لباب الطالبين بشرح الأربعين » ، « شرح على المواهب » . توفي سنة 1178 هـ .

انظر : « عجائب الآثار » (1 / 264) ، « معجم المطبوعات » (2 / 1012) ، « هدية العارفين » (5 / 177) .

(4) **ضعيف مرفوعًا** : رواه أبو الشيخ في « الأمثال » (230) ، وابن عدي في « الكامل » (3 / 96) ، والقضاعي في « مسنده » (1011) ، وسنده ضعيف .

لكن رُوي عن عمران بن حصين وعمر رضي الله عنهما من قولهما عند البخاري في « الأدب » (857) ، وهناد في « الزهد » (1378) ، والطبري في « تهذيب الآثار » (3 / 144، 145) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (7 / 370) ، والبيهقي في « الشعب » (4 / 203) ، وصحَّح وقفه ، **فقال** : الموقوف هو الصحيح .

(5) **انظر** الأثر في « طبقات ابن سعد » (1 / 235) ، وابن أبي شيبة (7 / 346) ، والبخاري (3699) .

وحُكي أن الحجاج **قال لبعض الصحابة** : ما تقول فيَّ ؟ **فقال له** : أنت القاسط العادل . **فقال الحاضرون** : قد أثنى عليك ، **فقال** : لا ، إنما أراد بالقاسط الجائر ، وبالعادل العادل عن الحق .

وعلَّم بعض الصالحين خادمه أن يقول لمن سأل عنه : ما هو هون ، ويريد الهون المعروف . وقصده بذلك الهروب من الناس .

(**ولا يحقره**) بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وكسر القاف ، أي لا يستصغر شأنه وينظر إليه بعين الاحتقار ؛ لأنه ربما كان عند الله تعالى خيرًا منه وأفضل .

وقد قال المشايخ : من نَظَرَ إلى أخيه بعين الاحتقار عُوقِبَ بالذل .

وقال الغزالي - رحمه الله تعالى - : لا تستصغر أحدًا من الخلق حيًّا كان أو ميتًا فتهلك ؛ لأنك لا تدري هل هو خير منك أم لا ؟ وإن كان فاسقًا فلعلك يُخْتَم لك بمثل حاله ويُختم له بالصلاح[1] .

وقال بعضهم : لا تحتقر غيرك فإنه ربما صار عزيزًا وصرت ذليلاً فينتقم منك .

وقيل في هذا المعنى :

لا تهين الفقير علَّك أن تركع يومًا والدهر قد رفعه

(**التقوى**) أي سببها الحامل عليها وهو خوف الله تعالى (**هاهنا**) يعني في القلب الذي هو في الصدر ، ويصحُّ أن يراد بالتقوى هنا الإخلاص . **والمعنى** : الإخلاص محله القلب (**ويشير**) أي النبي ﷺ (**إلى صدره ثلاث مرات**) وفي نسخة : ثلاث مرار بكسر الميم . وهذه الجملة من كلام أبي هريرة الراوي ، وعدل عما يقتضيه الظاهر من الإتيان بالماضي إلى الإتيان بالمضارع إشارة لاستحضار تلك الحالة ، وكانت الإشارة إلى الصدر لأنه محل القلب .

(**بحسب امرئ**) الباء زائدة ، وحسب بسكون السين مبتدأ بمعنى كافي ، وقوله : (**من الشر**) أي من خصاله . وقوله : (**أن يحقر**) في تأويل مصدر خبر المبتدأ .

---

(1) **انظر** : « إحياء علوم الدين » للغزالي (2 / 211) .

والمعنى : يكفي المرء من خصال الشر ورذائل الأخلاق احتقاره (**أخاه المسلم**) لأنه ذنب عظيم .

وقد جاء أن إبليس احتقر آدم فباء بالخسران الأبدي ، وفاز آدم بالعز الأبدي ، وشتان ما بينهما ، **وما أحسن ما قيل** :

مـن عَـظَّـم الـنـاس عـظَّـمـوه وفـاز بـالـفَـضْـلِ والـرئـاسـة
ومـزْدَرِيـهـم لـو كـان مِـسْـكًـا لـقـيـل : فـي أصـلـه نـجـاسـة

(**كل المسلم**) مبتدأ . وقوله (**على المسلم**) متعلّق بقوله (**حرام**) وهو الخبر . وقوله (**دمه**) بدل من المبتدأ ، بدل بعض من كل ، وهو وما بعده على حذف مضاف ، أي سفك دمه (**وماله**) أي أخذه (**وعرضه**) أي هتكه وذمه والوقوع فيه بالغيبة ونحوها .

وقد ورد أنه ﷺ لما أُسري به مرَّ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشُون ، بضم الميم ، أي يخدشون ، ويجرحون بها وجوههم وصدورهم ، فقال : « **من هؤلاء يا جبريل ؟** » قال : **هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**[1] .

وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس .

ورُوي أن امرأة قصيرة دخلت على النبي ﷺ ، فلما خرجت قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - : ما أفصح كلامها لولا أنها قصيرة ، فقال لها رسول الله ﷺ : « **اغتبتِها يا عائشة** »[2] **قالت** : ما قلت إلا ما فيها ، فقال : « **ذكرت أقبح ما فيها** » ثم قال : « **من كف لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله عثرته يوم القيامة** »[3] ، « **ومن ذب عن أخيه**

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (4878) ، وأحمد (3 / 224) ، والطبراني في « الأوسط » (1 / 7) ، وفي « مسند الشاميين » (2 / 68) ، وهو صحيح .

(2) ذكره بمعناه ، وأصله عند إسحاق بن راهويه في « مسنده » (3 / 921) ، وأبو الشيخ في « التوبيخ » (199) ، وأحمد (6 / 136) ، مختصرًا بسند صحيح .
وانظر : « تخريج الإحياء » (3 / 113) .

(3) روى هذا القدر ابن المبارك في « الزهد » (745) ، والقضاعي في « مسنده » (455) ، ونحوه عند ابن أبي الدنيا في « الصمت » (21) وهو حسن .

فحقيق على الله تعالى أن يعتقه من النار »[1] .

ثم إن قوله : « **كل المسلم على المسلم** » إلخ ، وهو المقصود الأعلى من الحديث وما سبق كالتمهيد له . وهو حديث عظيم الفوائد ، ومن جوامع كلمه ﷺ **(رواه مسلم)** رحمه الله تعالى ونفعنا به .



(1) هذا القدر بنحوه عند الترمذي (1931) ، وأحمد (6 / 449) ، والبيهقي في « الشعب » (6 / 111) بلفظ : « **من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة** » وحسّنَهُ الترمذي وغيره .

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ ، وَذَكَرَهُم اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ** » .

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذا اللفظ)[1] .

. . . .

(**عن أبي هريرة**) وتقدَّم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنه ، عن النبي ﷺ قال : من نفّس**) بتشديد الفاء ، أي فرّج وكشف وأزال بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعائه (**عن مؤمن كربة**) أي شدة ومصيبة (**من كرب الدنيا**) أي شدائدها ومصائبها (**نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**) أي منعها عنه ، وحفظه منها مجازاة ومكافأة له على فعله بجنسه .

وورد مرفوعًا : « **من أجرى الله على يديه فرجًا لمسلم فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة** »[2] .

وورد أيضًا : « **من فرّج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط ؛ ليستضيء بضوئهما عالم لا يحصيهم إلا رب العزة** »[3] .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (2699) ، والترمذي (2945) ، وابن ماجه (225) ، وأحمد (2 / 252) .

(2) **ضعيف** : رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (6 / 174) ، والنرسي في « ثواب قضاء حوائج الإخوان » ص 73 ، 83 ، وابن عساكر في « تاريخه » (27 / 365) ، وفي سنده متروك .

انظر : « فيض القدير » (6 / 28) ، « أطراف الغرائب » لابن طاهر المقدسي (3 / 6) .

(3) **باطل** : رواه الطبراني في « الأوسط » (4 / 386) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (2 / 27) ، والخطيب في « تاريخه » (12 / 52) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (3 / 528) ، وأشار المنذري إلى ضعفه في « الترغيب » (2 / 22) ، **وقال الذهبي** في « السير » (13 / 416) : حديث باطل .

وفي الحديث : « **من سرّه أن ينجيه الله من كُرَب يوم القيامة فلينفِّس عن مُعْسِر أو يضع عنه** »[1] .

وفيه أيضًا : « **من أشبع جائعًا ، أو كسا عريانًا ، أو آوى مسافرًا ، أعاذه الله من أهوال يوم القيامة** »[2] .

وفيه أيضًا : « **من قضى لأخيه المسلم حاجة في الدنيا قضى الله له [اثنتين وسبعين] حاجة من حوائج الآخرة أدناها المغفرة** »[3] .

فائدة : أخرج البخاري في « الأدب » عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : قال : « **من نزل به همّ أو غمّ أو كرب ، أو خاف من سلطان ، فدعا بهؤلاء استجيب له : أسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، وأسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع ورب العرش الكريم ، وأسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن إنك على كل شيء قدير ، ثم يسأل الله حاجته** »[4] .

(**ومن يسَّر على معسر**) وهو من ركبه الدَّينُ وتعسَّر عليه قضاؤه ، والتيسير عليه يكون بصدقة أو قرض أو إبراء أو إنظار إلى ميسرة (**يسر الله**) تعالى (**عليه في الدنيا والآخرة**) أي سهَّل عليه أموره ومطالبه فيهما ؛ مجازاة ومكافأة له بجنس عمله كما مر .

وقد جاء في الحديث : « **من أراد أن تُستجاب دعوته وتُكشف كربته فليفرّج عن معسر** »[5] .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (1563) ، والبيهقي (5 / 356) ، وأبو عوانة (3 / 344) .

(2) لم أقف عليه بهذا السياق ، ولكن في « علل الحديث » لابن أبي حاتم (1 / 217) (2 / 179) : « من أشبع جائعًا في يوم سغب أدخله الله يوم القيامة من باب من أبواب الجنة لا يدخل منه إلا من فعل مثل ما فعل » **قال أبو حاتم** : كأنه موضوع .

(3) **لا يصح** : رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (11 / 175) ، والطيوري في « الطيوريات » (7 / 649) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (2 / 512) ، **وقال** : لا يصح ، وانظره في « اللآلئ المصنوعة » للسيوطي (2 / 73) ، و« الفوائد المجموعة » للشوكاني ص 75 . وما بين المعقوفتين ساقط من الأصل ، مثبت في المصادر المشار إليها .

(4) **فيه مقال** : رواه البخاري في « الأدب المفرد » (709) ، وفيه : سكين بن عبد العزيز ، ضعَّفه أبو داود وغيره ، وأبوه عبد العزيز بن قيس ، **قال أبو حاتم** : مجهول .
انظر : « تهذيب الكمال » (11 / 209) ، (18 / 185) ، « الجرح والتعديل » (5 / 392) .

(5) **ضعيف** : رواه أحمد (2 / 23) ، وعبد بن حميد (826) ، وأبو يعلى (10 / 78) ، وفيه زيد العمي ، وهو ضعيف .

ورُوي : « **من أنظر معسرًا أو وضَعَ عنه أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظِلَّ إلا ظلّه** »[1] .

وفي رواية : « **وقاه الله من فيح جهنم** »[2] أي شدة غليانها وحرّها .

وورد : « **لا يحلُّ دَيْنُ رجل مسلم فيؤخّره إلا كان له بكل يوم صدقة** »[3] .

وروى الشيخان أنَّ رجلًا كان يداين النَّاس ، **وكان يقول لفتاه** : إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنّا ، فلقي الله ﷻ فتجاوز عنه[4] .

وقيل : إن المراد بالمعسر ما هو أعم من المدين ، ليشمل كلَّ من وقع في صعوبة أو شدة وتعسّر عليه الخلاص منها ، وحينئذ يدخل في التيسير السعي في تخليص من حُبِسَ ظلمًا والإفتاء لمن ضايقه أمر بما يخلّصه منه ولو من غير مذهبه .

(**ومن ستر مسلمًا**) أي ستر عورته أو عيوبه وزلاته ، خصوصًا من ليس معروفًا بالفساد والشَّرّ (**ستره الله**) تعالى (**في الدنيا والآخرة**) بألاَّ يفضحه ولا يعاقبه على ما فرط منه .

وفي الحديث : « **من كسا مسلمًا عاريًا كساه الله من خُضْر الجنة** »[5] أي من ثيابها الخضر .

وفيه أيضًا : « **لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة** »[6] .

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (3006) ، والترمذي (1306) ، وأحمد (2 / 359) ، وابن حبان (5044) .

(2) **فيه بحث** : رواه أحمد (1 / 327) بهذا السياق ، **وقال المنذري في** « الترغيب » (2 / 23) : إسناده جيد ، وذكر له شاهدًا عند ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » بنحوه ، وفي سنده عند أحمد « نوح بن جعونة » وهو مجهول .
انظر : « اللسان » لابن حجر (6 / 172) ، « تعجيل المنفعة » ص 425 ، « الجرح والتعديل » (8 / 485) .

(3) **صحيح** : رواه الطبراني في « الكبير » (18 / 240) بهذا اللفظ ، وبنحوه عند أحمد (5 / 360) ، والحاكم (2 / 34) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 538) بلفظ : « **من أنظر مُعْسِرًا كان له بكل يوم صدقة** » ، وصححه الحاكم والذهبي .

(4) **صحيح** : رواه البخاري (1972) ، ومسلم (1562) ، والنسائي (7 / 318) .

(5) **لا يصح رفعه** : رواه أبو داود (1682) ، والترمذي (2449) ، وأحمد (3 / 13) ، وأبو يعلى (2 / 360) ، وصحّح الترمذي وقفه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(6) **ضعيف** : رواه عبد بن حميد (885) ، والطبراني في « الأوسط » (2 / 131) ، وأبو الشيخ في « التوبيخ » (117) ، وفيه خالد بن إياس ، وهو متروك كما في « العلل المتناهية » لابن الجوزي (2 / 787) ، و« تخريج الإحياء » للعراقي (2 / 198) .

وورد : « **من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته** »[1] .

وحُكي أن رجلاً نام ليلة فرأى النبي ﷺ في منامه ، **فقال له** : يا فلان قُمْ من منامك فسافر إلى بلدة كذا فاسأل بها عن فلان المعداوي ، فأقرئه مني السلام ، **وقل له** : أنت رفيق رسول الله ﷺ في الجنة . فلما استيقظ من منامه سافر إليه فوجده لم يعمل خيرًا في نهاره فأعلمه بذلك ، وسأله عن عمله ، **فقال له** : تزوجت امرأة فلما دخلت بها ولدت عندي ولدًا من أول ليلة فسترت عليها ولم أفضحها ، وأخذت الولد وجئت به للجامع ، وجلست أنتظر الناس ، فلما حضروا لصلاة الصبح تسارعوا إلى أخذ الولد فحلفتُ بالطلاق ما يأخذه إلا أنا فأخذته ورددته إلى أمه ، فربّته وسترت عليها .

(والله في عون العبد) الواو للاستئناف ، وفي زائدة في الخبر ، وعون بمعنى معين ، والإضافة بمعنى اللام . **والمعنى** : والله معين للعبد أي إعانة كاملة ؛ وذلك بأن يؤيده ويُيَسِّر عليه قضاء حوائجه . **(ما كان العبد)** وفي نسخة ما دام العبد أي مدة كونه ، أو مدة دوامه **(في عون أخيه)** أي في الدين ، والإعانة تكون بالقلب أو البدن أو المال أو الجاه .

قال بعضهم :

فُرِضَتْ عليَّ زكاةُ ما ملكتْ يدي وزكاةُ جاهي أن أُعِينَ وأَشْفَعَا

وفي الحديث : « **من سعى في حاجة أخيه المسلم قُضيت له أو لم تُقْضَ ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان : براءة من النار وبراءة من النفاق** »[2] .

وحُكي أنَّ الحسن البصري – رحمه الله تعالى – بعث جماعة من أصحابه في حاجة لرجل ، **وقال لهم** : مروا بثابت البناني فخذوه معكم ، فأتوا ثابتًا ، **فقال** : إني معتكف ، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه ، **فقال** : قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك

---

(1) **صحيح بشواهده** : رواه ابن ماجه (2546) بسند فيه ضعف ، لكن له شواهد كثيرة عند أحمد (2 / 274) ، والطبراني في « الأوسط » (1 / 63) ، وأبو الشيخ في « التوبيخ » (115) .

(2) **لا يصح** : ذكره المنذري في « أربعون حديثًا في اصطناع المعروف » ص 41 ، **وقال ابن طاهر** في « التذكرة » ص 69 : موضوع ، وذكره ابن حجر في « الفتح » (10 / 451) ط : دار الفكر ، **وقال** : سنده ضعيف .

في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة ؟ فرجعوا إلى ثابت فأخبروه فترك اعتكافه وذهب معهم[1] .

ورُوي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعًا : « **أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله ﷺ سرور تدخله على كل مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دَينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا . ومن كف غضبه ستر الله عورته . ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخُلُق ليفسد العمل كما يُفسد الخلُّ العسل** »[2] .

وحُكي أن سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه - كان يتعاهد الأرامل ، فيستقي لهن الماء بالليل ، ورآه طلحة داخلًا بيت امرأة ليلًا فدخل عليها نهارًا ، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة ، أي مكسحة ، **فقال لها** : ما يصنع هذا الرجل عندك ؟ **قالت له** : منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يصلح شأني ويُخرج الأذى عني ويقمُّ لي بيتي ، أي يكنسه[3] .

ورُوي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - مرفوعًا : « **إذا أراد الله بعبد خيرًا صيَّر حوائج الناس إليه** »[4] أي جعله ملجأ لحاجاتهم الدنيوية والأخروية ، ووفقه للقيام بها وكساه ثوب المهابة والقبول ، وسدَّده فيما يفعل ويقول .

(**ومن سلك**) أي دخل (**طريقًا**) حسيًا كان أو معنويًا ، كالجلوس للتدريس أو

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في : « قضاء الحوائج » ص 89 ، وفي ص 48 عن الحسن ، **قال** : لأن أقضي لأخ حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف شهرين .

وانظر : « الدر المنثور » (1 / 486) .

(2) **حسن** : رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » ص 47، وأبو الشيخ في « التوبيخ » ص 51 ، وأبو نعيم في « الحلية » (6 / 348) ، والطبراني في « الأوسط » (6 / 139) ، و« الكبير » (12 / 453) ، وهو حسن بشواهده .

انظر : « الصحيحة » (906) .

(3) الأثر في « حلية الأولياء » (1 / 48) ، و« صفة الصفوة » (1 / 281) .

(4) **فيه مقال** : ذكره ابن سمعون في « الأمالي » (1 / 35) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (2 / 901) ، وضعَّفه العراقي في « تخريج الإحياء » (3 / 238) .

التأليف ، يعني مَنْ تسبب بأي سبب كان (**يلتمس**) أي يطلب ويحصل (**فيه**) أي الطريق ، أي في غايته أو بسببه (**علمًا**) أي شرعيًا بتعلّم أو تعليم أو تصنيف (**سهل الله**) تعالى له به ، أي بذلك السلوك المفهوم من سلك (**طريقًا إلى الجنة**) أي أرشده إلى سبيل الهداية والطّاعة الموصِّلَيْن إلى الجنة ، أو أنه يجازيه على فعله بتسهيل دخول الجنة ، بحيث لا يحصل له مشقة من مشاق يوم القيامة .

زاد في رواية : « ولعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد »[1] ، ولو أن عابدًا مات في الإسلام ما نقص من الإسلام إلا شخصه ، ولو أن عالمًا مات لفقدته عامة الناس ، وما نقص عالم من الأرض إلا ثُلِمَ في الإسلام ثَلَمة[2] « لا يسدها أحد ما اختلف الليل والنهار »[3] « ألا وإنَّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع »[4] ، « ولمداد جرَتْ به أقلام العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء »[5] ، « وليودَّنَّ رجال قُتِلُوا في سبيل الله أن يبعثهم الله يوم القيامة علماء لما يرون من فَضْل أهل العلم »[6] ، فمن أصاب علمًا فقد أصاب خير الدنيا والآخرة ، ومن آذى العلماء فقد بارز الله تعالى بالمحاربة .

---

(1) هو من قول ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه أبو الشيخ في « طبقات المحدثين » (1/ 459) ، وأبو نعيم في « الحلية » (9/ 57) ، ورُوِي مرفوعًا عند ابن ماجه (222) ، والترمذي (2681) وضعَّفَهُ .

(2) **الثلمة** : الكسر أو الخلل في الحائط ونحوه ، **ثُلِمَ السيف** : إذا انكسر .
انظر : « مختار الصحاح » ص 36 .

(3) هذا الشطر مروي عن الحسن البصري رحمه الله عند الدارمي (1 / 106) ، وأحمد في « الزهد » ص 262، والبيهقي في « الشعب » (2 / 268) ، عن الحسن عن ابن مسعود رضي الله عنه **قال** : « **موت العالم ثلمة لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار** » .

(4) هذا الشطر ورد ضمن حديث صحيح مرفوعًا عند أبي داود (3641) ، والترمذي (2682) ، وابن ماجه (223) ، وابن خزيمة (17) ، وابن حبان (1325) ، والحاكم (1 / 181) ، وصححوه .

(5) هذا الشطر ورد بمعناه مرفوعًا : « **إذا كان يوم القيامة يوزن مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء** » .
رواه السهمي في « تاريخ جرجان » ص 91، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (2 / 179) ، وابن عبد البر في « جامع العلم » (1 / 30) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (1 / 81) ، **وقال** : لا يصح . وضعَّفه العراقي في « تخريج الإحياء » (1 / 12) ، ورُوِيَ عن الحسن البصري من قوله وهو الأشبه بالصواب .
وانظر : « المقاصد الحسنة » للسخاوي ص 595 .

(6) ذكره الغزالي في « الإحياء » (1 / 8) ، وابن القيم في « مفتاح دار السعادة » (1 / 121) ، عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله .

وروى أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من أحبَّ أن ينظر إلى عُتَقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلّمين ، فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ، وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ، ويُمسي ويصبح مغفورًا له** »[1] .

وقال الشافعي - رحمه الله تعالى - : من لا يحبُّ العلم لا خير فيه ، فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة ، فإنه حياة القلوب ومصباح البصائر[2] .

ولله در القائل :

وكلُّ فضيلة فيها سناء[3] وجدتُ العلمَ من هاتيك أسنى

فلا تعتدْ غير العلم ذخرًا فإنَّ العلم كنز ليس يفنى[4]

(**وما اجتمع قوم**) أي جماعة (**في بيت من بيوت الله**) تعالى ، أي مما بني لثوابه ورضاه كمسجد ومدرسة ورباط وألحق بها غيرها وأوثرت بالذكر لشرفها (**يتلون كتاب الله**) تعالى أي يقرءونه (**ويتدارسونه بينهم**) أي يتعهدونه ، **فقد قالوا** : إن الدراسة في الأصل التعهد للشيء ، وذلك شامل لجميع ما يتعلق بالقرآن من التعلم والتعليم والتفسير وتدارس بعضهم على بعض .

قال المصنف في « **التبيان** »[5] : وقراءة المدارسة جائزة حسنة ، وهي أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشرًا أو جزءًا أو غير ذلك ثم يسكت ، ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ الآخر وهكذا .

---

(1) **لا أصل له** : ذكره الرازي في « تفسيره الكبير » (2 / 165) ، وعنه الصفوري في : « نزهة المجالس » (2 / 313) **وقال ابن حجر نقلًا عن السيوطي** : كذب موضوع . كما في « الفتاوى الحديثية » ص 124، و« كشف الخفاء » (2 / 290) .

(2) أصله عند ابن عساكر في « تاريخه » (51 / 408) ، والنووي في « تهذيب الأسماء » (1 / 74) ، والشربيني في « الإقناع » (1 / 11) .

(3) **السَّناء** : الرفعة .

(4) ذكره الرملي في « غاية البيان » ص 19 .

(5) يقصد كتابه « التبيان في آداب حملة القرآن » للنووي ص 52 ، فصل في : « الإدارة بالقرآن » .

(**إلا نزلت عليهم السكينة**) أي الطمأنينة والوقار ، أي يخلق الله تعالى ذلك فيهم ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد : 28] والمراد بها طمأنينة الإيمان المفضي إلى رضوان الله تعالى (**وغشيتهم الرحمة**) أي غطّتهم وعمّتهم من كل جهة ؛ بحيث أنها استوعبت كلَّ ذنب تقدَّم منهم (**وحفَّتهم الملائكة**) أي أحاطت بهم ملائكة الرحمة ، وطافت حولهم لاستماع كتاب الله تعالى ، والتبرُّك به ، وتعظيمًا للتالين ، ومنعًا للشيطان أن يصل إليهم .

(**وذكرهم الله فيمن عنده**) أي أثنى عليهم في المقرّبين عنده من الملائكة وأرواح الأنبياء والشهداء والصالحين مباهاة بهم ، وإظهارًا لحالهم ، فالعندية عندية مكانة أي شرف لا عندية مكان لاستحالتها عليه سبحانه وتعالى .

ويُؤخذ من هذا الحديث ندب الاجتماع لتلاوة القرآن في المسجد ، لكن بشرط ألاَّ يجهر فيشوّش على مَنْ بالمسجد وإلا كُرِهَ للنهي عنه .

فقد رُوي أن النبي ﷺ سمعهم يجهرون بالقراءة في المسجد ، فقال : « **ألا إنَّ كلكم مناج ربه فلا يؤذينَّ بعضُكم بعضًا ولا يرفع بعضُكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة** »[1] .

وحُكي عن سعيد بن المسيب – رضي الله تعالى عنه – أنه سمع ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمر بن عبد العزيز – رضي الله تعالى عنه – يجهرُ بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت ، **فقال لغلامه** : اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض صوته ، **فقال الغلام** : إن المسجد ليس لنا ، وللرجل فيه نصيب ، فرفع سعيد صوته ، **وقال** : يا أيها المصلي إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفض ، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئًا ، فسكت عمر – رضي الله تعالى عنه – وخفّف ركعته ، فلما سلَّم أخذ نعليه وانصرف ، وهو يومئذ أمير المدينة[2] .

(**ومن بطّأ**) بتشديد الطاء المهملة أي قصّر (**به عمله**) أي القليل أو غير الكامل أو السيئ ، فأخّره عن رتبة أهل الكمال (**لم يسرع به نسبه**) أي لم ينفعه شرف نسبه ، ولم

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (1332) ، والنسائي في « الكبرى » (5 / 32) ، وأحمد (2 / 36) ، والحاكم (1 / 454) وصحّحه ، وكذا الذهبي .

(2) ذكره أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (1 / 110) ، والغزالي في « الإحياء » (1 / 278) .

ينجبر نقصه به ، فلا يلحقه برتب أصحاب الأعمال الكاملة ؛ لأن الإسراع إلى السعادة إنما هو بالأعمال الصالحة لا بالأنساب .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : 13] .

وقال نبيه - عليه الصلاة والسلام - : « **ائتوني يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا** »(1) .

وقال الغزالي - رحمه الله تعالى - : من ظنَّ أنه ينجو بتقوى أبيه ، كان كمن ظنَّ أنه يشبع بأكل أبيه ، ويُروى بشربه .

ثم ما تقرّر من عدم نفع النسب إنما هو قبل دخول الجنة ، أما بعده فينفعُ لما ورد في الحديث : « **إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقرّ بهم عينه** »(2) .

ونُقل عن النسفي أنه **قال** : كون النسب لا ينفع إنما هو في حق الكافر ، أما المؤمن فقد استثناه الله تعالى فقال : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء : 88 ، 89] .

أي خال عن الشرك .

وقال : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [سورة سبأ : 37] .

وقيل : إنَّ شرف النسب الذي لا ينفع هو ما كان من جهة الدنيا ، وحينئذ فلا ينافي ما ورد أنه ﷺ قال : « **وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ، ولي بالبلاغ ألا يعذّبهم** »(3) .

---

(1) **صحيح** : ذكره الرازي في « تفسيره » (4 / 71) بهذا السياق ، وأصله عند البخاري في « الأدب » (897) ، والطبراني في « الكبير » (18 / 12) ، وأبو يعلى (3 / 150) وفيه : « **يا معشر قريش : لا تجيئوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم ويجيء الناس بالآخرة ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا** » ، وهو حسن بشواهده .

(2) **لا يصح رفعه** : رُوي مرفوعًا عند ابن عدي في « الكامل » (6 / 42) ، والحاكم (2 / 509) ، وفيه ضعف كما **قال الذهبي** ، لكنه مروي عن ابن عباس ﷺ من قوله عند الصنعاني في « تفسيره » (3 / 247) ، وابن أبي حاتم في « العلل » (2 / 65) ، والنحاس في « الناسخ والمنسوخ » ص 690، والبيهقي (10 / 268) ، وهو الأشبه بالصواب .

(3) **منكر** : رواه ابن عدي في « الكامل » (5 / 48) ، والحاكم (3 / 163) وصحّحَهُ ، وتعقبه الذهبي بأنه منكر كما في « الميزان » (5 / 230) ، و« اللسان » (4 / 301) .

وقال ﷺ : « **والذي بعثني بالحق نبيًا لو أخذتُ بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم** »[1] .

وجاء في أحاديث « أن فاطمة – رضي الله تعالى عنها – أحصنت فرجها فحرّمها الله وذريتها على النار »[2] . وصحَّ أنه ﷺ خطب فقال : « **ما بال أقوام يقولون إن رحم محمد رسول الله لا ينفع قومه يوم القيامة ، بل إنَّ رحمي والله موصولة في الدنيا والآخرة** »[3] .

ثم إنَّ هذا الحديث موقعه عظيم ؛ لما فيه من البشارة والنذارة (**رواه مسلم بهذا اللفظ**) .

★ ★ ★

(1) **ضعيف** : رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (1139) ، والآجري في « الشريعة » (1764) ، والخطيب في « تاريخه » (9 / 438) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (1 / 286) ، **وقال** : لا يصح .

(2) **باطل** : رواه العقيلي في « الضعفاء » (3 / 184) ، والطبراني في « الكبير » (22 / 406) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (6 / 3190) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (1 / 317) ، **وقال** : لا يصح ، **وقال الذهبي** في « الميزان » : حديث منكر .

(3) **صحيح** : رواه أحمد (3 / 18) ، وأبو يعلى (2 / 433) ، والحاكم (4 / 84) وصحّحه ، وأقرّه الذهبي .

الحديث السابع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قَالَ : « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً** » .

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا)[1] بِهَذِهِ الْحُرُوف .

. . . .

فانظر يا أخي وفَّقنا الله وإيَّاك إلى عظيم لطف الله ، وتأمَّل هذه الألفاظ .

وقوله : « **عنده** » : إشارة إلى الاعتناء بها . وقوله : « **كاملة** » : للتأكيد وشدة الاعتناء بها . وقال في السَّيئة التي همَّ بها ، ثم تركها : « **كتبها الله عنده حسنة كاملة** » فأكَّدها بكاملة ، وإن عملها « **كتبها سيئة واحدة** » فأكَّد تقليلها بواحدة ولم يؤكِّدها بكاملة ، فلله الحمد والمنة ، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه ، وبالله التوفيق .

(**عن ابن عباس**) وتقدَّم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنهما**) أي عنه وعن أبيه (**عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه**) أي حالة كون هذا الحديث مندرجًا في جملة الأحاديث التي يرويها عن ربه . وظاهر هذا أنه من الأحاديث القدسية المنسوبة إلى كلام الله ﷻ ، ويحتمل أنه حديث نبوي ، ويكون قوله : (فيما يرويه عن ربه) ؛ معناه فيما يحكيه عن فضل ربه (**تبارك**) أي تعاظم وارتفع (**وتعالى**) أي تنزّه عن كل ما لا يليق به (**قال**) أي النبي ﷺ .

وقوله : « **إن الله كتب الحسنات والسيئات** » يحتمل أن يكون من قول الله تعالى ، فيكون التقدير ؛ **قال** : **قال الله تعالى** : **إن الله** . . . إلخ ، وعليه فالحديث قدسي . ويحتمل أنه من كلام النبي ﷺ يحكيه عن الله تعالى ، وعليه فليس الحديث قدسيًا .

ومعنى كونه **كتب الحسنات والسيئات** أنه قدّرها وأثبتها في سابق علمه ، أو أمر الحفظة بكتابتها في اللوح المحفوظ . **والحسنات** : ما يُحمد فاعلها ويتعلّق بها

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2126) ، ومسلم (131) ، وأحمد (1 / 310 ، 360) .

الثواب ، **والسيئات** : ما يُذمُّ فاعلها ويستحق العقاب .

(ثم بيَّن ذلك) أي فصَّل الذي أجمله في قوله : **كتب الحسنات والسيئات .** والضمير في بيَّن راجع إلى الله تعالى إن كان الحديث قدسيًّا ، وإلى النبي ﷺ إن كان نبويًّا ، فتكون هذه الجملة من كلام الراوي على الثاني ، ومن كلام النبي ﷺ على الأول . والبيان هو قوله : **(فمن همَّ بحسنة)** أي أرادها وصمّم على فِعْلها أو ترجّح عنده الفعل **(فلم يعملها)** بفتح الميم ، أي لم يأت بها لا بلسانه ولا بأركانه ، وهذا شامل لما إذا كان الترك لمانع أو لا **(كتبها الله)** تعالى **(عنده حسنة كاملة)** أي لا نقص فيها . ولو مرَّ على الشخص أزمنة متعددة وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فإن الله تعالى يكتب له حسنات بعدد تلك الأزمنة . قاله الشَّبرخيتي[1] ، وفضل الله واسع .

ومعنى **كتبها الله عنده** : أمر الحفظة بكتابتها في الصحيفة التي يعلمها ، فالعندية عندية شرف لا عندية مكان ؛ لأنه تعالى منَزّه عن المكان والزمان ، وعلم من هذا الحديث أنَّ من توضأ ثم ذهب إلى المسجد يريد الصلاة جماعة فوجد الناس قد صلّوا أعطاه الله ﷻ مثل أجر من صلَّى جماعة .

(وإن همَّ بها فعملها) بكسر الميم **(كتبها الله عنده عشر حسنات)** قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام : 160] .

وهذا أقل درجات التضعيف ، وقد تضاعف مضاعفة أخرى **(إلى سبعمائة ضعف)** بكسر الضاد المعجمة ، أي مثل **(إلى أضعاف كثيرة)** بحسب خلوص النية ، وزيادة الإخلاص ، وحضور القلب ، وتعدي النفع ونحو ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة البقرة : 261] .

وقال تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [سورة البقرة : 245] .

ونقل عن المصنِّف أنه **قال** : التضعيف بعشرة لابد منه بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلفه . والتضعيف بسبعمائة فأكثر إنما يحصل لبعض الناس على حسب

---

(1) **أبو إسحاق إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي** ، فقيه ، مالكي ، محدِّث ، له شرح على خليل ، وشرح على الأربعين النووية ، توفي غريقًا بالنيل سنة 1106 هـ .

انظر : « شجرة النور » (1 / 317) ، « الأعلام » للزركلي (1 / 73) .

مشيئته تعالى وذكر بعضهم أن اختلاف المضاعفة يكون باختلاف الأعمال :

فنوع يُضَاعَفُ بعشرة أمثاله كسبحان الله لحديث يأتي .

ونوع يُضَاعَفُ بخمسة عشر كصوم يومين من الشهر ؛ لقوله – عليه الصلاة والسلام – لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : « **صم يومين ، ولك ما بقي من الشهر** »[1] .

ونوع يضاعف بعشرين .

ونوع بثلاثين ؛ لقوله – عليه الصلاة والسلام – : « **من قال : سبحان الله فله عشر حسنات ، ومن قال : لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ، ومن قال : الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة** »[2] .

ونوع يضاعف بخمسين لخبر : « **من قرأ القرآن بإعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة** »[3] . **والمراد بإعرابه** : معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن ؛ لأن القراءة مع فقده ليست بقراءة فلا يُثاب عليها . وورد : « **من قرأ القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة** »[4] .

ونوع يضاعف بخمسمائة ؛ لحديث : « **صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في المسجد الذي يُجَمَّعُ فيه بخمسمائة صلاة** »[5] .

ونوع يضاعف بسبعمائة ونوع بسبعة آلاف ؛ لحديث : « **من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله فله بكل**

---

(1) **صحيح** : رواه مسلم (1159) ، والنسائي (4 / 212) ، وأحمد (2 / 225) بلفظ : « . . . **صم يومين ولك أجر ما بقي** » .

(2) **صحيح** : رواه أحمد (2 / 302، 310) ، والنسائي في « الكبرى » (6 / 210) ، والحاكم (1 / 693) وصححه ، **وانظر** : « الترغيب » (2 / 278) ، وفي أوّله : « **من قال سبحان الله كتب الله له عشرين حسنة** » .

(3) **فيه مقال** : رواه ابن عدي في « الكامل » (7 / 41) ، وتمام الرازي في « فوائده » (1 / 131) ، وابن الشجري في « الأمالي » (1 / 156) ، وفيه : « . . . **فله بكل حرف أربعون حسنة** » وفي سنده ضعفاء ، كما في « ذخيرة الحفاظ » لابن طاهر (4 / 2365) ، وذكره بلفظ المصنف الأصبهاني في « الحجة » (1 / 436) بغير سند .

(4) لم أجده في شيء من كتب الحديث ، وإنما ذكره النفراوي في « الفواكه الدواني على رسالة القيرواني » (2 / 329) بهذا اللفظ ولم يعزه لأحد .

(5) **ضعيف** : رواه ابن ماجه (1413) ، وفي سنده مجهول ، كما في « البدر المنير » لابن الملقن (9 / 513) ، و« فتح الباري » لابن رجب (2 / 581) ، و« الترغيب » للمنذري (2 / 140) .

درهم سبعة آلاف درهم »[1] ونوع يضاعف بألف ألف ، لقوله – عليه الصلاة والسلام : **« من دخل السوق فقال بصوت مرتفع : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، كتبَ الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وبنى له بيتًا في الجنة »**[2] . وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم – رضي الله تعالى عنهم – يدخلون السوق لنيل فضيلة هذا الذكر .

وقيل لأبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تعالى ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة ؟ **فقال** : سمعته يقول : « **إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة** »[3] .

وقد ورد : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا صمدًا ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ، إحدى عشرة مرة ، كتب الله له ألفي ألف حسنة ، ومن زاد زاده الله** »[4] .

واعلم أن من عظيم فضل الله تعالى على عباده المضاعفة بانتقال الحسنة من شخص إلى شخص آخر كمن تصدَّق على فقير بدرهم فتصدَّق به الفقير على ثالث ، وهو على رابع ، وهو على خامس ، وهو على سادس ، فيحسب للخامس عشرة ، وللرابع مائة ، وللثالث ألف ، وللثاني عشرة آلاف ، وللأول مائة ألف ، فكل واحد يعطى أجره وهو العشرة مضروبًا في أجر الذي بعده .

ومن عظيم فضل الله تعالى أيضًا أنه إذا حاسب من له حسنات متفاوتة المقادير جازاه

---

(1) **ضعيف** : رواه ابن ماجه (2761) ، وذكره المقدسي في « فضائل الأعمال » ص 98 ، **وقال البوصيري في** « الزوائد » (3 / 154) : سنده ضعيف .

(2) **حسن** : رواه الطيالسي (12) ، وأحمد (1 / 47) ، والدارمي (2692) ، وابن ماجه (2235) ، والترمذي (3428) ، والحاكم (1 / 721، 722) ، وحسَّنه المنذري في « الترغيب » (2 / 337) .

(3) **ضعيف** : رواه أحمد (2 / 296) ، وابن أبي الدنيا في « التوبة » ص 53 ، والطبري في « تفسيره » (5 / 91) ، وسنده ضعيف كما قال ابن كثير في « تفسيره » (1 / 300) .

(4) **ضعيف** : رواه عبد بن حميد في « مسنده » (529) ، وأبو نعيم في « الحلية » (3 / 157) ، وفي سنده فائد بن أبي الورقاء الكوفي ، وهو متروك .

انظر : « الكاشف » (2 / 119) ، « تهذيب الكمال » (23 / 137) .

بأجر أرفعها ، فإذا وجد في صحيفته حسنة بألف ألف ، كأن قال في السوق يرفع صوته : « لا إله إلا الله » إلى آخر ما تقدَّم جُوزي على سائر حسناته بحسبها .

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل : 97] .

(وإن همّ بسيئة فلم يعملها) بل تركها **(كتبها الله عنده حسنة كاملة)** أي لأن رجوعه عن هذا الهمِّ خير أي خير ، فجُوزي في مقابلته بحسنة . والمراد بكمالها عظم قدرها ، وهذا إذا تركها خوفًا من الله تعالى مع القدرة على فعلها ، وأما إذا تركها لتعطيل أسبابها فلا يكتب له ولا عليه شيء . قاله الشرنوبي[1] . **وذكر ابن حجر عن جماعة** : أن من سعى في معصية ما أمكنه ثم حال بينه وبينها قدر كتبت عليه[2] .

(وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) كما قال ﷻ : ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [سورة الأنعام : 160] .

وتقدم أنَّ الصغائر لو فعلها إنسان تغفر باجتنابه الكبائر وبفعله الحسنات ؛ من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك وأولى بالتوبة ، وأما الكبائر فلا تُغفر إلا بالتوبة .

واختُلِفَ فيما يكتب على ابن آدم ، **فقيل** : ما فيه ثواب أو عقاب ، وقيل : كل شيء حتى الأنين في المرض ، وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق : 18] .

وهما وصفان لكل من ملك الحسنات والسيئات ، فملك الحسنات يكتب الواجب والمندوب ، وملك السيئات يكتب الحرام والمكروه والمباح . ثم إذا كان يوم الخميس عُرِضَت الأعمالُ على الله تعالى فأقرّ منها ما كان من خير أو شر ، وألقى الباقي ، وهذا مما قيل في معنى قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة الرعد : 39] .

وقيل : إنَّ العبد إذا فعل حسنة بادر ملك اليمين إلى كتبها ، وإذا فعل سيئة قال ملك

---

(1) **عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبي الأزهري** ، فقيه ، مالكي ، متصوف ، له مؤلفات كثيرة ، منها : « شرح الأربعين النووية » ، « شرح على متن العزيّة » في الفقه . توفي سنة 1348 هـ .

انظر : « هدية العارفين » (5 / 621) ، « معجم المؤلفين » (2 / 308) .

(2) **انظر** أصل كلام ابن حجر في « فتح الباري » (11 / 326) ، ومعه كلام الهيتمي في « الفتح المبين في شرح الأربعين » ص 588 ، 589 .

اليسار لملك اليمين : أأكتب ؟ فيقول : لا ، لعله يستغفر أو يتوب ، فإذا مضى ست ساعات فلكية من غير توبة **قال له** : اكتب ، أراحنا الله منه . وتقدّم التنبيه على ذلك .

وقول ملك اليمين لآخر : أراحنا الله منه ، دعاء عليه بالموت ليتحوّلا عن مشاهدة المعصية ؛ لأنهما ينأذيان بذلك .

ثم إنِ هذا الحديث حديث عظيم دال على عِظَم فَضْل الله على خَلْقه ورأفته بهم **(رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف)** .

قال المصنف - رحمه الله تعالى - : **(فانظر)** أي تأمّل **(يا أخي)** أي في الدين ، وهو نداء تعطّف وشفقة ؛ ليكون أدعى للامتثال والقبول **(وفقنا الله)** تعالى **(وإياك)** أي أقدرنا على طاعته ، ثم النون يحتمل أن تكون للجمع ، وأنه أدرج معه من هو كنفسه من أحبابه وأصدقائه ، ويحتمل أن تكون للعظمة ، وأتى بها لأنه يجوز للإنسان تعظيم نفسه إذا بلغ درجة التأليف ، فقد ورد : « **ليس منا من لم يتعاظم بالعلم** »[1] .

وبدأ بنفسه لأنه يُندب للإنسان أن يقدّم نفسه في الأمور الدينية . **وقيل** : إنه يقدّم الدعاء للإخوان إيثارًا لهم ، وقد ورد في الحديث : « **إنَّ العبد إذا دعا لأخيه المسلم قال الله تعالى : عبدي وبك أبداً** »[2] فأي فضيلة تلتمس وراء هذه ، وهي كونه مبدوءة به في الإجابة .

وقوله : **(إلى عظيم لطف الله)** متعلّق بـ **(انظر)** ، وإضافة عظيم لما بعده من إضافة الصفة للموصوف ، أي إلى لطف الله العظيم ، وفي نسخة : **إلى عِظَم لطف الله** بكسر العين المهملة وفتح الظاء المعجمة ، أي إلى كثرة لطفه ، أي رفقه وبرّه بعباده ، حيث إنَّ من همَّ منهم بحسنة فلم يعملها يكتب له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا أو أكثر ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء ، فإن عملها كتبت واحدة فقط .

(وتأمل) أي تدبَّر **(هذه الألفاظ)** المشعِرة بأنَّ مقام الفضل أوسعُ من مقام العدل .

(وقوله) أي في الحسنة **(عنده إشارة إلى الاعتناء)** أي الاهتمام **(بها)** وشرف فاعلها **(وقوله : كاملة للتأكيد)** أي صفة مؤكدة **(ولشدة الاعتناء)** أي مزيد الاهتمام **(بها وقال في السيئة التي همّ بها ثم تركها : كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فأكَّدها**

---

(1) ذكره العدوي في « حاشيته على كفاية الطالب » (1 / 13، 34) ، **وقال** : ورد في الأثر .

(2) **صحيح** : ذكره بمعناه ، وأصله عند مسلم (2732) ، وأبو داود (1534) ، وابن ماجه (2895) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (625) .

بكاملة) أي اعتناء برفعة تاركها **(وإن عملها)** أي ، وقال : وإن عملها **(كتبها سيئة واحدة ، فأكّد تقليلها بواحدة ، ولم يؤكّدها بكاملة)** يعني أنه لم يصفها بكاملة ، بل بواحدة ، إشارة إلى تخفيفها .

(فلله الحمد) أي الثناء الجميل **(والمِنَّة)** بكسر الميم وتشديد النون ، أي النعمة ، من المنّ وهو الإنعام ، ويُطلق على تعداد النعم استكثارًا لها ، وهو من الله محمود وأما من غيره ما عدا الشيخ والوالد فمذموم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [سورة البقرة : 264] .

نعم لا بأس به إن كان لجلب مصلحة أو دفع مفسدة ، كأن وجد من المتصدّق عليه سبّ للمتصدق فيمنّ عليه ليكفَّه ، وما ألطف قول الزمخشري : طعم الآلاء أحلى من المنّ ، وهو أمرّ من الآلاء عند المن .

أراد بالآلاء الأولى النعم ، وبالثانية بوزن سحاب الشجر المرّ ، وبالمنّ الأول ما نزل من السماء قرين السلوى ، وبالثاني تعداد النعم .

ولبعضهم في ذلك مع حسن التورية :

إذا غَرَسْتَ جميلاً فاسْقِهِ غَدَقًا ... من المكارم كي ينمو لك الثَّمَرُ

ولا تشنه بِمَنٍّ إنَّهم ذكَرُوا ... من عادة المنِّ أن يُؤذَى به الشَّجَرُ

(سبحانه) أي تنزيهًا له تعالى عن كل ما لا يليق به **(لا نحصي ثناء عليه)** أي لا نقدر – معشر الخلائق – أن نُثني عليه ثناء موفيًا بنعمة من نعمه ، فكيف ونعمه علينا لا تحصى! ومكارم ألطافه لا تستقصى! **(وبالله)** أي بتيسيره **(التوفيق)** أي تسهيل ما يرضيه .

وأنا أقول كما قال بعضهم :

ربِّ إني بِجاه خير البرايا ... أرتجي لُطْفَكَ العميم لأنجو

فأنا العبد قد دعوت مجيدًا[1] ... ذا عطاء وللإجابة أرجو

ويقيني بأنَّ ظنِّي يقيني ... من خلاف النعيم والفضل مرجو

---

(1) **المجدُ** : نيل الشرف ، **ومَجد وأمجدَ** : كَرُمَ فِعاله ، **والمجيد** : الكريم المفضال ، أو الواسع الكرم .
انظر : « تاج العروس » (9 / 152) .

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ** ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)[1].

. . . .

(**عن أبي هريرة**) وتقدَّم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال**) يُعْلَمُ من هذا أنه من الأحاديث القدسية ، وقد وقع في رواية : عن أنس - رضي الله تعالى عنه - : أنَّ النبي ﷺ حدَّث به عن جبريل ﷺ ، عن الله ﷻ (**من عادى لي وليًا**) أي من اتَّخذه عدوًّا ، وفي رواية : « **من أهان لي وليًا** »[2] أي جعله مهانًا ؛ بأن آذاه وأغضبه بالقول أو الفعل ، وفي رواية لأحمد : « **من أذلَّ لي وليًا** »[3] وفي أخرى له : « **من آذى لي وليًا فقد استحل محارمي** »[4] .

وقوله : « **لي** » أصله صفة لقوله : « **وليًا** » فقدَّم عليه للاختصاص فصار حالاً ، وفيه إشارة إلى أن المحذَّر منه معاداة الولي من حيث ولايته ، أي من أجل كونه وليًّا لله لا مطلقًا ، فإنه لا مانع من الخصومة معه في نحو حق .

والولي : هو العارف بما يجب لله ، وما يجوز ، وما يستحيل ، المواظب على الطاعات ، المجتنب للمعاصي ، المُعْرِضُ عن التوغل في اللذَّات المباحة ؛ كالتوسع

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (6137) ، وابن حبان (347) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (696) ، وفي « السنن » (3 / 346) .

(2) روي عند الطبراني في « الكبير » (8 / 221) ، و« الأوسط » (1 / 192) ، وأبي نعيم في « الحلية » (8 / 318) .

(3) رواه أحمد (6 / 256) ، وابن عساكر في « تاريخه » (37 / 278) بسند فيه ضعف ، وأصله صحيح كما سبق .

(4) هذه الرواية عند القضاعي في « مسند الشهاب » (1457) ، والكلاباذي في « بحر الفوائد » (1 / 44) .

في لذيذ المآكل والمشارب والملابس دائمًا ، فلا يكون الولي إلا عالمًا ، **فلهذا قيل** : ما اتخذ الله من ولي جاهل ، ولو اتخذه لعلمه ولا يكون إلا عاملاً بعلمه .

وقال أبو يزيد البسطامي[1] - رحمه الله تعالى - : لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى تربَّع في الهواء فلا تقتدوا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحِفْظ الحدود وآداب الشريعة[2] .

وحُكِي عنه أنه سمع برجل اشتهر بالولاية والزهد ، فمشى إليه في أصحابه ، فدخل عليه في مسجد ، فرآه قد تنخّم في قِبلة المسجد ، فلم يُسلِّم عليه ، **وقال لأصحابه** : ارجعوا فإن الله لم يأمن هذا على أدب من آداب شريعته ، فكيف يأتمنه على أسراره ؟!

وقد قيل : من شرط الولي أن يكون محفوظًا ، كما أنه من شرط النبي أن يكون معصومًا ، والمراد بحفظ الولي أن يحفظه الله تعالى من تماديه في المعصية بأن يُلهمه التوبة ، فيتوب منها فورًا ، وإلا فلا تقدح في ولايته .

والمراد بالفورية : أنه يتوب قبل فراغ ست ساعات فلكية مدة انتظار الكتبة للتوبة فيها ، فإن لم يتب قبل فراغ ما ذكر فليس بولي بل هو مغرور .

ونُقِلَ عن المصنف أن **المراد بالولي هنا** : المؤمن ، وعليه فيكون معنى من عادى لي وليًا : من آذى مؤمنًا (**فقد آذنته**) بالمدّ وفتح المعجمة بعدها نون ، أي أعلمته (**بالحرب**) أي بلازمه وهو الهلاك . فليحذر الإنسان من التعرّض لكل مسلم .

وقد قال بعض العارفين : إيَّاك ومعاداة أهل لا إله إلا الله ؛ فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة ، وهم أولياء الله وإن أخطئوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئًا ، فإنَّ الله تعالى يتلقّاهم بمثلها مغفرة .

ورُوي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - **قال** : قال رسول الله ﷺ : « **من آذى**

---

(1) هو **طيفور بن عيسى بن سَرُوشَان** ، زاهد ، متصوف ، من كبار مشايخ القوم ، نُقِلَ عنه أشياء تخالف الشريعة ، لكن لم يُجْزَم بثبوتها عنه . توفي سنة 261 هـ .

انظر : « طبقات الصوفية » للأزدي ص 68 ، و« لسان الميزان » (3 / 214) ، « الميزان » (3 / 474) .

(2) نقله الذهبي في « الميزان » (3 / 474) ، وعنه ابن حجر في « اللسان » (3 / 214) .

مؤمنًا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ، ومن آذى الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

حكاية : رُوي أنَّ جرجيس عليه السلام كان من أنبياء بني إسرائيل ، وكان في زمانه ملك كثير الفساد ، فمنع الله تعالى عنه المطر ، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك ، فركب في عسكره حتى أتى إلى جرجيس ، فوجده في صومعته وهو يُكْثِرُ التسبيح والتقديس ، **فقال له** : يا جرجيس إني أُحَمِّلك رسالة إلى ربك ، **فقال له جرجيس** : وما هذه الرسالة ؟ **قال** : تقول لربك يأتينا بالمطر وإلا آذيته أذية يسمعُها سائر البشر ، فما منعنا المطر غيره .

فدخل جرجيس إلى محرابه وقد خرس من خوف الله تعالى عن جوابه ، فجاءه جبريل عليه السلام بأمر الله عز وجل ، **فقال له** : هات الرسالة التي معك على الوجه الذي قيل لك ، **فقال جرجيس** : إني أخاف من الله تعالى عند مقال ذلك القول ، **فقال له جبريل** : قل كما قال ، هكذا أمر الله العزيز المتعال ، **فقال جرجيس** : إنه قال : إن لم تأتنا بالمطر وإلا آذيته أذية يسمعها سائر البشر ، **فقال جبريل** : يا جرجيس ربُّك يقول لك : قل له بماذا تؤذيه ؟

فمضى جرجيس إليه ، وبلّغه الرسالة ، **فقال الملك** : لا قدرة لي على أذيته إلا من وجه واحد لأني ضعيف وهو قوي ، وأنا عاجز وهو قادر ، وإنما أوذي أحبابه ، ومن آذى أحبابه فقد آذاه .

فجاء جبريل ، **فقال** : يا جرجيس قل له : لا تفعل فنحن نأتيك بالمطر ، ثم جادت السماء بالسحاب وامتلأت الصحاري بالسيول من كل جانب مدة ثلاثة أيام ، وأمر الله النبات والزرع أن يطلع .

فلما رأى الملك ذلك أتى إلى جرجيس وهو في صومعته يُكثر من التسبيح والتقديس ، فخرج إليه **وقال له** : يا هذا ما تريد منا ؟ لم لا تشتغل بملكك عنا ؟ لا تحمّلنا مثل تلك الرسالة فإن فيها فظاعة[2] ، **فقال** : يا نبي الله ما أتيت حربًا بل سلمًا ،

---

(1) **ضعيف** : رواه الطبراني في « الصغير » (468) ، و« الأوسط » (4 / 61) ، والبيهقي في « الشعب » (3 / 101) ، وفي سنده متروك كما في « مجمع الزوائد » (2 / 179) .

(2) **فظاعة** : المفظع : هو الأمر الشديد الشنيع .

وقد انفتح بصري فإنَّ من عمل الإحسان مع عدوّه لأجل وليّه يجبُ أن تسجد الجباهُ لعظمته ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه .

(**وما تقرب إلي عبدي**) أي ما طلب القرب إليَّ ، أي إلى رضائي ورحمتي وثوابي (**بشيء**) أي عمل . وقوله : (**أحب**) صفة لشيء مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل ، ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو أحبّ (**إليّ**) أي أعظم ثوابًا (**مما**) أي من أداء ما (**افترضت**) وفي نسخة : افترضته (**عليه**) عينًا كان أو كفاية ؛ كالطهارات الواجبة ، والصلوات الخمس ، والزكوات ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وأداء الحقوق إلى أربابها ، وبر الوالدين ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاشتغال بالحرف المهمة وغير ذلك .

وإنما كان الفرض أحبَّ إلى الله تعالى لأنه أكمل من النفل ، من حيث إن الأمر به جازم متضمن للثواب على فِعْله والعقاب على تركه ، بخلاف النَّفْل ، فإنَّ الأمر به غير جازم ، فيُثابُ على فِعْله ولا يُعاقب على تركه . وقد ورد : أنَّ ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة .

(**ولا يزال**) وفي نسخة : وما يزال ، وفي أخرى : ومازال (**عبدي يتقرب إلي**) أي إلى فضلي ومغفرتي (**بالنوافل**) أي بفعلها زيادة عن الفرائض (**حتى أحبه**) بضم أوّله وفتح ثالثه ، أي حتى أملأ قلبه من معرفتي فتشرق عليه أنوار ولايتي .

وتقدَّم حديث عن أبي هريرة مرفوعًا وهو : « **إن الله تعالى إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل فقال : إني أحبّ فلانًا فأحببه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه ، فيحبه أهلُ السماء ، ثم يُوضع له القبول في الأرض** »[1] . أي يحدث له في القلوب مودّة ، ويزرع فيها مهابة فتحبه القلوب ، وترضى عنه النفوس من غير تودّد منه ولا تعرّض للأسباب التي تُكتسب بها مودّات القلوب من قرابة أو صداقة ، وإنما هو اختصاص منه تعالى لأوليائه ، **وفائدته** أن يستغفر له أهل السماء والأرض ، وينشأ عندهم هيبة وإعزاز له .

نكتة : **قال العلماء** : مثل الذي يأتي بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره ، كمثل رجل

---

(1) سبق تخريجه .

له عبدان ، فأعطى كلاًّ منهما درهمًا ليشتري له فاكهة ، فذهب أحدهما فاشترى فاكهة فوضعها في وعاء وطرح عليها ريحانًا ومشمومًا ثم جاء بها ، فوضعها بين يدي سيده ، وذهب الآخر فاشترى فاكهة فوضعها في حجره ثم جاء بها فوضعها على الأرض بين يدي السيد ، فكلٌّ واحد من العبدين قد امتثل لأمر سيده ، لكن أحدهما زاد الوعاء والمشموم فيصير أحبّ إلى السيد ، فمن فعلَ النوافل مع الفرائض يصير أحبّ إلى الله تعالى . **والنوافل** : هي التطوعات من سائر أصناف العبادات ، خصوصًا المؤكدات من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك .

تنبيه : علم مما تقرّر أنَّ المراد من التقرُّب بالنوافل أن تقع مع أداء الفرائض لا مع إخلال بها .

وقد قال بعض الأكابر : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

وقال الغزالي – رحمه الله تعالى – : المصلي لا تُقْبَلُ له نافلة حتى يُؤدِّي الفريضة .

وقال سلمان الفارسي – رضي الله تعالى عنه – : مثل الذي يُكثر الفضائل ولا يُكمل الفرائض كمثل تاجر خسر رأس ماله وهو يطلب الربح .

وبالجملة فالفرضُ كالأساس ، **والنفل** كالبناء عليه ، وحينئذ فلا يتحقَّقُ التقرُّب الذي يترتَّب عليه المحبة إلا بأداء الفرائض وزيادة النوافل عليها .

(**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**) بضم المثناة التحتية (**ويده التي يبطش بها**) بفتح المثناة التحتية وكسر الطاء المهملة كما هو الرواية (**ورجله التي يمشي بها**) اخْتُلِفَ في معنى ذلك ، **فقيل** : إنَّ الكلام على حذف مضاف ، والتقدير : كنتُ حافظ سمعه الذي يسمع به ، فلا يسمع إلا ما يحلّ سماعه ، وكنت حافظ بصره الذي يُبصر به ، فلا ينظر إلا ما يحل إبصاره ، وكنت حافظ يديه التي يبطش بها ، فلا يبطش بها إلا فيما يحلّ ، وكنت حافظ رِجْلِهِ التي يمشي بها فلا يمشي بها إلا فيما يحلّ المشي إليه .

وقيل : **إنَّ المعنى** : كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة .

وقيل : **إنَّ المعنى** : كنت كسمعه وبصره ويده ورجله في إيثاره أمري ، فهو يحبُّ طاعتي ويؤثر خدمتي ، كما يحبُّ هذه الجوارح .

وقيل غير ذلك . (**ولئن**) بلام القسم أي والله لئن (**سألني**) أي طلب مني أي شيء من أمور الدنيا والآخرة ، فحذف المعمول للتعميم ، وكذا يقال فيما بعده .

وقوله : (**لأعطينه**) باللام الواقعة في جواب القسم أي لأجيبنَّ دعوته ، وأعطينه الذي طلبه وسأله .

وفي بعض النسخ : « **وإن سألني أعطيته** » . والمعنى واحد .

حُكي عن العلاء بن الحضرمي - رضي الله تعالى عنه - أنه كان في سرية ، فعطشوا فصلَّى ، **وقال** : اللهم يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم ، إنَّا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثًا نشرب منه ونتوضأ ، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا غيرنا ، فساروا قليلاً فوجدوا نهرًا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملئوا أوعيتهم ، ثم ساروا ، فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر فلم ير شيئًا ، وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط[1] .

وحُكي أن قومًا خرجوا غزاة في سبيل الله تعالى ، وكان لبعضهم[2] حمار ، فمات الحمار ، وارتحل الناس ، فقام صاحبه وتوضّأ وصلّى ، **وقال** : اللهم إني خرجت مجاهدًا في سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأشهد أنك تحيي وتميت وتبعث من في القبور ، فأحي لي حماري ، فقام إلى الحمار وضربه ، فقام الحمار ينفض أذنيه ، فركبه ولحق أصحابه ، ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة[3] .

فإن قيل : إن جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا فلما يجابوا! أُجيب بأن الإجابة تتنوَّع ، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وهذا هو الغالب في حق من عمل بهذا الحديث ، وتارة يقع المطلوب ولكن يتأخر لحكمةٍ ، وتارة تقع الإجابة بغير المطلوب ، حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة ، أي عاجلة حاضرة ، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها ، وتارة يصرف الله عن الداعي سوءًا ، وقد تؤخّر

---

(1) رواه ابن فضيل في « الدعاء » ص 251 ، 252 ، وابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » ص 41 ، وأبو نعيم في « الحلية » (1 / 7) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (6 / 53) .

(2) **قال البيهقي** : هو نباتة بن يزيد النخعي .

(3) الخبر عند ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » ص 57 ، و« من عاش بعد الموت » ص 29 له ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (6 / 48 ، 49) **وقال** : إسناده صحيح ، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة ﷺ حيث يكون في أمته مثل هذا .

الإجابة إلى الآخرة ويكون ذلك خيرًا للداعي ، **فقد جاء** : أن الله تعالى يبعث عبدًا **فيقول له** : ما سألت شيئًا إلا أجبتُك فيه ، ولكن نجزتُ ، أي عجّلت ، لك البعض في الدنيا ، وما لم أنجزه في الدنيا فهو مُدَّخَرٌ لك ، فخذه الآن ، فيقول ذلك العبدُ : ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا .

وورد : أنَّ الله تعالى يُوقِفُ عبدًا بين يديه ، **فيقول له** : إني أمرتُك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعوني ؟ **فيقول** : نعم يا رب ، **فيقول** : أما إنك لم تَدْعُني بدعوة إلا استجيبت ، أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغمٍّ نزل بك أن أفرّج عنك ففرجتُ عنك ؟ **فيقول** : نعم يا رب ، **فيقول** : إني عجّلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا أن أفرّج عنك فلم ترَ فرجًا ؟ **فيقول** : نعم يا رب ، **فيقول** : إني ادَّخَرْتُ لك بها في الجنة كذا وكذا .

(**ولئن استعاذني**) بالنون بعد الذال المعجمة ، وفي رواية بالباء الموحدة ، والأول أشهر . **والمعنى** : والله لئن طلب مني أن أعيذه ممّا يخافه (**لأعيذنه**) أي لأجيرنه .

فائدة : رُوي عن معقل بن يسار - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلّون عليه حتى يُمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة** »[1] .

وروت خولة بنت حكيم - رضي الله تعالى عنها - عن النبي ﷺ أنه قال : « **من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يضرّه شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل** »[2] .

وحُكِي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا ، أي حسَّنها وزيّنها ؟ **قال** : أجاهده . **قال** : فإن عاد ؟ **قال** : أجاهده ؟ **قال** : هذا يطول ، ولكن أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع ؟ **قال** : أكابده ، أي أضيّق عليه وأردّه جهدي ، **قال** : هذا يطول عليك ،

(1) **ضعيف** : رواه الترمذي (2922) ، وأحمد (5 / 26) ، والطبراني في « الكبير » (20 / 229) ، وضعّفه الترمذي والنووي في « الأذكار » ص 186 .

(2) **صحيح** : رواه مسلم (2708) ، والترمذي (3437) ، وابن ماجه (3547) .

ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك[1] .

ثم إنَّ هذا الحديث جامع بين الشريعة والحقيقة (**رواه البخاري**) في صحيحه - رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

(1) ذكره القرطبي في « تفسيره » (7 / 348) .

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ** » .

(حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه والْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ وَغَيْرُهُمَا)[1] .

. . . .

(**عن ابن عباس**) وتقدَّم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنهما**) أي عنه وعن أبيه (**أن رسول الله ﷺ قال : إن الله**) تعالى (**تجاوز لي**) أي عفا وصفح وسامح لأجلي (**عن أمتي الخطأ**) وهو وقوع الشيء على خلاف ما يُراد ، كأن يرمي شخص إلى نحو شجرة فيصيب إنسانًا فيقتله ، فلا قود عليه ولا إثم . نعم تجب الدية على عاقلة المخطئ ، ويلزمه ضمان ما أتلفه من الأموال لدليل قام على ذلك .

(**والنسيان**) وهو عدم الذِّكر للشيء لذهول أو غفلة ، فمن فعل ذنبًا نسيانًا ، أو ترك طاعة كذلك فلا إثم عليه . ومن ذلك يُعلم أنه لا حرمة على من أكل أو جامع في نهار رمضان ناسيًا ، بل ولا يفطر بذلك . ومن نسي صلاة حتى خرج وقتها لم يأثم ، ولكن يجب عليه قضاؤها ، وتجب الإعادة على من صلّى محدثًا أو بنجس ناسيًا ، ويلزم الشخص ضمان ما أتلفه مع النسيان لدليل قام على ذاك نظير ما تقدّم .

وظاهر الحديث أنَّ التَّجاوز عن الخطأ والنسيان خاص بهذه الأمة كرامة لنبيها ﷺ ؛ ولذلك أمرنا أن نقول : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : 286] . طلبًا لإدامة هذه النعمة العظيمة .

وجاء أن بني إسرائيل كانوا إذا نسوا شيئًا مما أُمِروا به أو أخطئوا عجّلت لهم العقوبة ، فيحرم عليهم شيء مما كان حلالاً لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب .

---

(1) **صحيح** : رواه ابن ماجه (2043) ، (2045) ، والدارقطني (4 / 170) ، والطبراني في « الكبير » (11 / 133) ، وصحَّحه ابن حبان (7219) وغيره .

انظر : « تلخيص الحبير » (1 / 282) ، « فيض القدير » (2 / 267) .

وأفاد هذا الحديث أنَّ النسيان للحلف أو المحلوف عليه لا يحصل به حنث ولو بطلاق أو إعتاق ، ويُقاس عليه الجهلُ بالحلف أو المحلوف عليه ، لا فرق في ذلك بين الحالف وغيره ، لكن إن كان الفرض بالحلف الحثّ أو المنع لا مجرَّد التعليق وإلا ضرَّ مطلقًا . ويزيد الغير بأن يكون ممَّن يُبالي بحلف الحالف وإلا ضرّ مطلقًا أيضًا . ومتى انتفى الحنث لا تنحلّ اليمين على الأصح . نعم لو قال : لا أفعله لا ناسيًا ولا جاهلاً ، حنث بفعله مطلقًا وانحلت اليمين .

فائدة : ورد في الحديث الشريف عن أنس – رضي الله تعالى عنه – مرفوعًا : « **إذا نسيتم شيئًا فصلّوا عليَّ تذكروه إن شاء الله تعالى** »[1] .

وقوله : (**وما استكرهوا**) بالبناء للمجهول أي أقهروا (**عليه**) أي على فِعْلِه أو قَوْلِه فلا إثم على مَنْ صَدَرَ منه ذنبٌ بالقهر والإجبار عليه ، حتى لا يكفر من أكره على الردّة فتلفّظ بها ، أو فعل فعلاً مكفّرًا وقلبه مطمئن بالإيمان غير معتقد لما يقوله أو يفعله ، ويلزمه الإتيان بالمعاريض وبما يُوهم أنه كفر ، ما لم يُكره على الصَّريح بخصوصه ، ولو صبر حتى يُقتل كان أفضل ، ولا يحنث من حُمِل كرهًا وأدخل محلاًّ حَلَف لا يدخله ؛ كما لو أُكْرِهَ على الدُّخُول فدخل ، ومن أتلف مال غيره كرهًا فلا إثم عليه لكنه يضمنه ، وقرار الضمان على المكره بكسر الراء .

ويُستثنى من عموم هذا الحديث القتل فلا يُباح بالإكراه فيأثم فاعله ومن أكرهه ، ويُقتلان عند الشافعي – رضي الله تعالى عنه .

وقال أبو حنيفة – رضي الله تعالى عنه – : يُقتل المكرِه بكسر الراء دون المباشر .

وقال مالك وأحمد – رضي الله تعالى عنهما – : يُقتل المباشر فقط .

ويُستثنى أيضًا الزنى فلا يُباح بالإكراه[2] ، فيأثم فاعله على الأصح ، ولكن يسقط عنه الحد للشبهة .

ومن الإكراه عليه ما لو اضطرت امرأة لطعام وامتنع مالكه من بذله إلا بالزنى فيها ،

---

(1) **ضعيف** : رواه أبو موسى المديني كما في « **جلاء الأفهام** » ص 429 لابن القيم ، و« القول البديع » للسخاوي ص 227 ، وفي سنده جهالة .

(2) **انظر** تفصيل ذلك في « أسنى المطالب » للأنصاري (4 / 9) ، « مغني المحتاج » للخطيب (4 / 10) ، « الدر المختار » (6 / 137) مع حاشيته لابن عابدين .

فيحرم عليها تمكينه خلافًا لقول مالك - رضي الله تعالى عنه - : يجوز لها تمكينه ، وصبرها أفضل .

وقال أبو حنيفة - رضي الله تعالى عنه - : يرخص للمرأة الزنى بالإكراه الملجئ ؛ لأنَّ نسب الولد لا ينقطع ، والكلام في غير امرأة رُبِطَتْ وزُني بها ولا قدرة لها على الامتناع بوجه ، فهذه لا تأثم إجماعًا .

ثم إنَّ هذا الحديث (**حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما**) وهو حديث عظيم عامّ النفع .



الحديث الأربعون

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما **قَالَ** : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي ، وَقَالَ : « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما **يَقُولُ** : (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) .

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)[1] .

. . . .

(**عن ابن عمر**) وتقدَّم الكلام عليه (**رضي الله**) تعالى (**عنهما**) أي عنه وعن أبيه (**قال**) أي ابن عمر (**أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي**) أي تناوله بيده وقبض عليه ، وهو بفتح الميم وكسر الكاف والباء الموحدة وسكون كل من النون والياء التحتية ، مجمع العضد والكتف ، ويُروى بفتح الموحدة وتشديد الياء التحتية تثنية منكب ، وإنما فعل معه ذلك ليتفطّن لما يلقي إليه ، وفيه دليل على محبّته له ، إذ العادة الغالبة أن الشخص لا يفعل ذلك إلا مع من يميل إليه ويحبّه (**فقال**) أي النبي ﷺ (**كن في الدنيا**) أي في مدّة إقامتك بها (**كأنك غريب**) أي مشبهًا به يعني لا تركن إليها ، ولا تطمئن فيها ، ولا تتعلّق بها ؛ لأنك على جناح السفر منها إلى وطن إقامتك وهو الآخرة ، كالغريب الذي لا يستقر في دار الغربة ولا يسكن إليها بل لا يزال مشتاقًا إلى وطنه عازمًا على السفر إليه .

وقوله : (**أو عابر سبيل**) أي جائز طريق أرقى مما قبله في التباعد عن الدنيا ؛ لأنَّ الغريب قد يسكن بلد الغربة ويقيم فيها بخلاف عابر السبيل ؛ أي المارّ في الطريق ، فإنَّ شأنه ألاَّ يقيم ولا يسكن ، وأو بمعنى بل التي للإضراب .

والمعنى : كُنْ في الدنيا كغريب بل عابر سبيل ، وفي ذلك حثّ على احتقار الدنيا ، والفراغ منها ، والزهد فيها ، والاقتصار على أَخْذِ مقدار الضرورة المعينة على الآخرة .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (6053) ، وأحمد (2 / 132) ، وابن حبان (698) .

فعلى العاقل أن يقنع فيها بالبلغة والكفاف وهو ما يكون بقدر الحاجة ؛ لأنها في الحقيقة دار مرور وجسر عبور ، فقد **قال عيسى** - عليه الصلاة والسلام - : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

وقال سلمان الفارسي - رضي الله تعالى عنه - : « أمرني خليلي ﷺ ألا أتَّخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب »[1] .

وما أحسن ما قيل :

تسلَّ عن الدُّنيا وكن متجنِّبًا ... زخارفها واعتد للسير والسَّفر

ولا تلتمس منها سوى ستر عورةٍ ... وقوت كفاف وارض منها بما حضر

وإيَّاك يومًا يستميلك مالها ... فكم من غني بعد مالٍ قد افتقر

وما هي إلا دار يُسْرٍ وعسرةٍ ... وفرح وأحزانٍ وفي صفوها كدر

إذا جمعت شملاً سعت في فراقه ... وكم خرَّبت قصرًا وكم عمَّرت حُفَر

ولله در قوم قيل فيهم كما تقدَّم :

إنَّ لله عبادًا فطنا ... طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتنا

نظروا فيها فلما عرفُوا ... أنها ليست لحيٍّ وطنا

جعلوها لجَّةً واتَّخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفُنا

وحُكِي أنَّ رجلاً دخل على أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - **فقال** : يا أبا ذر ، أين متاعكم ؟ **فقال** : إنَّ لنا بيتًا نوجِّه إليه متاعنا . **فقال** : لابد من متاع ما دمت هاهنا ؟ **قال**: نعلم أن صاحب المنزل لا يدعنا فيه[2] .

وقال داود الطائي - رحمه الله تعالى - : إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدِّم كلَّ يوم زادًا لما بين يديك فافعل ، واقض ما أنت قاض من أمورك ، فكأنك بالرحيل وقد بغتك ،

---

(1) رواه العقيلي في « الضعفاء » (1 / 284) ، وأبو نعيم في « الحلية » (1 / 187) ، وفي « تاريخ أصبهان » (1 / 81) ، والطبراني في « الدعاء » (939) .

(2) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » ص128 ، وعنه الدينوري في « المجالسة » ص156 ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 378) .

فكيف يركن إلى الدنيا من يومه يهدم شهره ، وشهره يهدم سنته ، وسنته تهدم عمر ؟![1]

وقال بعضهم :

أيا من له في باطن الأرض حفرة أتأنسُ بالدنيا وأنت غريب ؟!

وما الدَّهر إلا كرّ يوم وليلة وما الموتُ إلا نازل وقريب

وقال آخر :

الموتُ في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عمّا يرادُ بنا

لا تطمئن إلى الدنيا وزينتها ولو توشحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبّة والجيران ما فعلوا ؟ أين الذين هم كانوا لنا سكنا ؟

سقاهم الموت كأسًا غير صافيةٍ فصيَّرتهُم لأطباق الثَّرى رهنا

ورُوي عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – مرفوعًا : « **يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء**[2] **، زرقاء ، أنيابها بادية ، مشوّه خلقها ، لا يراها أحد إلا كرهها ، فتشرفُ على الخلائق ، فيقال لهم : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفتها ، فيقال : هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها** »[3] .

ورُوي في خبر أنه يُؤمر بها فتُلقى في النار **فتقول** : يا رب أين أتباعي وأصحابي؟ فيلحقون بها[4] .

(**وكان ابن عمر رضي الله**) تعالى (**عنهما يقول**) في بعض وصاياه : (**إذا أمسيت**) أي دخلت في وقت المساء (**فلا تنتظر الصباح**) أي لا تنتظره في عمل من أعمال البر ، بل بادر بفعل الخيرات وتيقَّن أنك ميت قبل مجيء الصباح (**وإذا أصبحت**) أي دخلت في وقت الصباح (**فلا تنتظر المساء**) أي لا تمهل ولا تتكاسل عن عمل من أعمال

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » ص 442 ، وأبو نعيم في « الحلية » (7 / 345) ، والخطيب في « اقتضاء العلم العمل » ص 110 .

(2) **شمطاء** : أي شائبة ، والشمطُ : الشيب .

(3) ، (4) رواهما ابن أبي الدنيا في « الزهد » ص 69 ، 70 ، وابن الأعرابي في « صفة الزاهدين » ص 46 ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (7 / 387) .

البر ، بل بادر وأسرع بفعل ما تستطيعه من الطاعات ، ولا تنتظر مجيء المساء ؛ لأنه ربما يكون تأخيرها سببًا لفواتها وعدم استدراكها .

وبالجملة فينبغي للشخص أن يقصِّر أمله ، ويجعل الموت بين عينيه ، فينتظره في كل وقت ، ويترك الميل إلى غرور الدنيا ، ويُقْبِلَ على فِعْل الطاعات خوف أن يفجأه هازم اللذات .

وحُكي عن محمد بن واسع - رحمه الله تعالى - أنه كان إذا أراد النوم **قال لأهله** : « أستودعكم الله فلعلي لا أقوم من نومتي » .

وجاء في الحديث : « **لا يبيت أحدكم إلا ووصيته عند رأسه**[1] ، **فلعلّ أن يبيت من أهل الدنيا ويصبح في أهل الآخرة ، فكم من مستقبل يومًا أو عملًا لا يستكمله** »[2] .

وقال أبو نصر بن ودعان[3] - رحمة الله تعالى عليه - : قصرُ الأمل أصل كل خير ، كما أنَّ تطويله أصل كل شر ، فإن من يقدِّر في نفسه أنه لا يعيش غدًا لا يسعى لكفاية غدٍ ولا يهتم لها ، فيصير حرًّا من رقّ الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا ، ويكفيه كل شيء ، ومن قدّر أن يعيش عشر سنين مثلًا فإنه يصير عبدًا لهذه الأوصاف الذميمة ، ولا يكفيه شيء من الدنيا ، ولا يملأ بطنه وعينه إلا التراب .

وعن أبي زكريا التميمي[4] - رحمه الله تعالى - أنه **قال** : بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام ، إذ أُتي بحجر منقوش فطلب من يقرؤه فأُتي بوهب بن منبه - رحمة الله تعالى عليه - فقرأه ، فإذا فيه : « **ابن آدم إنك لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ، ولقصّرت من حرصك**

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري (2587) ، ومسلم (1627) ، وأبو داود (2862) ، بلفظ : « **ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده** » .

(2) الشطر الثاني لم أقف عليه مسندًا في شيء من كتب الحديث ، **لكن قوله** : « فكم من مستقبل . . . » مروي عن التابعي الجليل عون بن عبد الله من قوله عند ابن أبي شيبة (7 / 159) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » ص 56 ، وابن حبان في « روضة العقلاء » ص 28 .

(3) **هو محمد بن علي القاضي أبو نصر بن ودعان الموصلي** ، صاحب الأربعين الودعانية ، **قال السلفي** : هالك متهم بالكذب في الحديث .

انظر : « الكشف الحثيث » للعجمي ص 242 ، « لسان الميزان » (5 / 305) .

(4) كذا في الأصل ، **وفي المصادر الحديثية** : التيميّ .

وحيلك ، فإنما يلقاك غدًا ندمك إذا زلّت بك قدمُك ، وأسلمك أهلُك وحشمُك ، وتبرّأ منك الولدُ والقريبُ ، ورفضك الوالدُ والنسيبُ ، فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا في حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة »[1] .

وقال بعضهم : من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، والنشاط في العبادة ، ومن نسيه عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة ، أي تأخيرها ، وترك الرضا بالكفاف ، وهو ما يكون بقدر الحاجة كما تقدم ، والتكاسل في العبادة .

وقال بعضهم :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى كل خافقة[2] سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون

إذا ظفرت يداك فلا تقصر فإن الدهر عادته يخون[3]

(**وخذ من صحتك لمرضك**) أي اغتنم العمل الصالح في زمن صحتك قبل أن تمرض فتعجز عنه وتندم على ما فاتك منه ، **وقد قالوا** : إذا تعود الإنسان على العمل الصالح في صحته جرى له ثوابه في مرضه لخبر : « **إذا مرض العبد أو سافر** - أي وفاته - **بسبب ذلك ما وظفه على نفسه - كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا** »[4] .

وروي : « **إذا مرض العبد يقال لصاحب الشمال : ارفع عنه القلم** - أي فلا يكتب عليه صغائر - **ويقال لصاحب اليمين : اكتب له أحسن ما كان يعمل ، فإني أعلم به وأنا قيدته** »[5] أي لم يحصل منه تقصير .

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » ص 62 ، والنهرواني في « الجليس الصالح » ص 461 ، وأبو نعيم في « الحلية » (4 / 96) ، وابن عساكر في « تاريخه » (63 / 368) .

(2) **خافقة** : أي عاصفة .

(3) ذكر الثعالبي هذه الأبيات في « تفسيره » (4 / 364) ، وعزاها إلى أبي نصر بن منصور الكرجي الكاتب ، **وانظرها** في « التمثيل والمحاضرة » ص 53 للثعالبي ، و« أدب الدنيا والدين » للماوردي ص 249 .

(4) **صحيح** : رواه البخاري (2834) ، وأبو داود (3091) ، وأحمد (2 / 159) .

(5) **مرسل** : رواه ابن عساكر عن مكحول مرسلاً بهذا اللفظ ، كما في « الدر المنثور » (8 / 559) ، وروى بمعناه =

(**ومن حياتك**) أي وخذ من زمن حياتك (**لموتك**) وفي رواية : قبل موتك ، أي اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك ما دمت حيًا ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [سورة البقرة : 148] .

وقال عز شأنه : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران : 133] .

وورد أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه : « **اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** »[1] .

وسئل رسول الله ﷺ عن أكيس الناس ، أي أعقلهم ، فقال : « **أكثرهم للموت ذكرًا ، وأشدهم له استعدادًا ، أولئك هم الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة** »[2] .

وقال بعضهم : من كان غافلاً عن الآخرة حتى يأتيه الموت على غرة ، أي غفلة ، فإنه يجد لقدومه غمًا وحسرةً .

حكي أن رجلاً جمع مالاً عظيمًا ، ثم صنع يومًا طعامًا لأهله وقعد على سريره ، وهم بين يديه يأكلون ، وقد وضع رجلاً على رجل **وهو يقول لنفسه** : تنعمي فقد جمعت لك ما يكفيك ، فبينما هو كذلك إذ أقبل ملك الموت في زي مسكين ، فقرع الباب ، فخرج إليه بعض الغلمان ، **فقالوا له** : ما حاجتك ؟ **فقال لهم** : ادعوا لي سيدكم ، فانتهروه ، **وقالوا** : مثلك يخرج إليه سيدنا! **قال** : نعم ، فجاءوا فأخبروا

= عند الطبراني في « الصغير » (2 / 238) ، و« الأوسط » (8 / 271) ، وابن الجوزي في « العلل » (2 / 865) ، وضعفه ، وروي عن ثابت رضي الله عنه عند ابن المبارك في « الزهد » (2/ 62) وعند مسلم بن يسار عند ابن أبي شيبة (2/ 442) .

(1) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (111) ، والحاكم (4 / 341) ، والبيهقي في « الشعب » (7 / 263) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مسندًا ، وله شاهد مرسل عند ابن المبارك في « الزهد » (1 / 2) ، وابن أبي شيبة (7 / 77) بسند صحيح عن عمرو بن ميمون ، كما قال ابن حجر في « الفتح » (11 / 235) ، وحسنه العراقي في « تخريج الإحياء » (4 / 459) .

(2) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » ص 18 ، والطبراني في « الصغير » (2 / 189) ، و« الأوسط » (6 / 308) ، و« الكبير » (12 / 417) ، وحسنه المنذري في « الترغيب » (4 / 119) ، والهيثمي في « المجمع » (10 / 309) .

سيدهم بذلك ، **فقال** : هلا ضربتموه ، فعاد فقرع الباب قرعًا شديدًا فخرجوا إليه ، **فقال** : أخبروا سيدكم أني ملك الموت ، فلما سمعوا منه ذلك وقع على الجميع الذل ، ودخل عليه ملك الموت ، فأحضر أمواله ونظر إليها تحسرًا وتأسفًا ، **وقال** : لعنك الله من مال ، أشغلتني عن عبادة ربي ، فأنطق الله المال ، **وقال** : لم تسبني ؟ وقد كنت تدخل على الملوك بي وترد المتقين ، وقد كنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ، ولو كنت أنفقتني في سبيل الخير لنفعتك ، ثم قبض ملك الموت روحه وانصرف ، فنسأل الله تعالى من فضله أن يوفقنا لما يحب ويرضى بمنِّه وكرمه[1] .

ثم إن هذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل ، وفيه الحث على التفرغ من هموم الدنيا والاشتغال بأمور الآخرة .

(**رواه البخاري**) في صحيحه ، أي روى المذكور من الحديث وكلام ابن عمر رضي الله عنهما .



(1) ذكره الغزالي في « الإحياء » (4 / 468) ، والإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » ص 141 .

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﵄ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ** »[1] .

(حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ « الحُجَّةِ »[2] بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ) .

. . . .

(عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص) بحذف الياء وإثباتها **(رضي الله)** تعالى **(عنهما)** أي عن عبد الله وأبيه عمرو ؛ فإنهما صحابيان ، أسلم عبد الله قبل أبيه ، وكان رسول الله ﷺ يفضله عليه ؛ لأنه كان من علماء الصحابة وفضلائهم وزهادهم وعبادهم ، وكان كثير التلاوة للقرآن ، **وكان يقول** : لأن تدمع عيني دمعة من خشية الله ﷻ أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار .

وكان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويرغب عن جماع النساء ، أي يزهد فيه .

روي أن أباه زوجه امرأة من قريش ، ثم دخل عليها ، **فقال لها** : كيف وجدت زوجك ؟ **فقالت** : خير الرجال لم يعرف لنا فراشًا ، فأقبل عليه يعظه ، **وقال له** : زوجتك امرأة من قريش فتركتها ، ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاه له ، فأرسل إليه ﷺ فأتاه ، فقال له : « **أتصوم النهار ؟** » **قال** : نعم ، قال : « **وتقوم الليل ؟** » **قال** : نعم ، فقال ﷺ : « **لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني** »[3] أي ليس على طريقتي الكاملة .

---

(1) **فيه مقال** : رواه الطوسي في « الأربعين » ص 51 ، والفسوي في « الأربعين » ص 13 ، وابن أبي عاصم في « السنة » (1 / 12) ، والتيمي في « الحجة » (1 / 269) ، وفيه نعيم بن حماد شيخ البخاري ، وهو مختلف فيه ، والأكثر على عدم الاحتجاج به ؛ ولذا ضعف به الحديث ابن رجب في « شرح الأربعين » ص 387 ، **وقال ابن حجر في** « الفتح » (13 / 289) : « رجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين » ، هذا من ناحية سنده ، أما من حيث المعنى فهو ثابت بالكتاب وأدلة السنة الصحيحة .

(2) هو كتاب « **الحجة على تارك سلوك المحجة** » للإمام الحافظ نصر بن إبراهيم بن داود أبي الفتح المقدسي ، شيخ المذهب الشافعي بالشام ، وصاحب التصانيف مع الزهادة والعبادة . توفي سنة 490 هـ .
انظر ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرى » لابن السبكي (5 / 351) ، وترجمته في « العبر » للذهبي (3 / 331) .

(3) **صحيح** : رواه أحمد (2 / 158) ، والبيهقي (3 / 26) ، والطحاوي في « معاني الآثار » (1 / 279) بهذا السياق ، وبنحوه عند البخاري (4765) والنسائي (4 / 209) .

وكان – رضي الله تعالى عنه – من أكثر الناس أخذًا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ ، **ويقال** : إنه حفظ عن النبي ﷺ ألف مثل ، وقد عمي آخر عمره ، وكان مع أبيه إلى أن توفي أبوه بمصر ، ثم انتقل إلى الشام إلى أن توفي يزيد ، ثم انتقل إلى مكة ومات بها ، **وقيل** : مات بالشام ، **وقيل** : بالطائف ، **وقيل** : بمصر سنة خمس أو سبع أو تسع وستين عن اثنتين وسبعين ، أو اثنتين وتسعين سنة .

ويقال : إنه دفن في داخل خزانة المصاحف التي في مسجد أبيه عمرو – رضي الله تعالى عنهما – ، وكان قد شهد معه فتح الشام ، وكانت معه رايته يوم اليرموك ، **وقيل** : إن معاوية ولاَّه إمارة مصر سنتين بعد موت والده ، ومروياته سبعمائة حديث ، ولما أسلم أبوه كان النبي ﷺ يقربه لمعرفته وشجاعته ، وولاه غزوة ذات السلاسل ، وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح – رضي الله تعالى عنهم – ، ثم استعمله على عمان فمات ﷺ وهو أميرها ، ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر – رضي الله تعالى عنه – وفتح بلادًا كثيرًا كحلب وأنطاكية ، وهو الذي فتح مصر ، وكان أميرًا عليها ، ولما تولى عثمان – رضي الله تعالى عنه – الخلافة أبقاه نحو أربع سنين ثم عزله عنها .

ثم لما صار الأمر لمعاوية – رضي الله تعالى عنه – أقطعه إياها ، وتوفي – رضي الله تعالى عنه – بها وهو ابن تسع وتسعين سنة .

(**قال**) أي عبد الله بن عمرو (**قال رسول الله ﷺ** : **لا يؤمن أحدكم**) أي إيمانًا كاملاً (**حتى يكون هواه**) أي حبه وميله (**تبعًا**) أي تابعًا (**لما جئت به**) من الشريعة المطهرة ، **يعني** : لا يكمل إيمان أحد حتى يهوى بقلبه ، ويميل بطبعه إلى ما جاء به النبي ﷺ من الدين ، كميله لمحبوباته الدنيوية التي جبلت النفس على الميل إليها .

واعلم أنه لا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتها الشهوانية المطبوعة عليها إلا بمجاهدة وتصبر واحتمال مشقة حتى تطمئن النفس ، فإذا اطمأنت أحبت ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ ، ونشأ عن هذه المحبة امتثال الأوامر ، واجتناب المناهي ، والرضا بالقضاء والقدر .

خاتمة : روي عن حذيفة بن قتادة[1] – رضي الله تعالى عنه – أنه **قال** : كنت في مركب فكسرت بنا ، فوقعت أنا وامرأة على لوح ، فمكثنا سبعة أيام ، **فقالت المرأة** : أنا عطشانة ، فسألت الله تعالى أن يسقيها ، فنزلت عليها من السماء سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت ، فرفعت رأسي أنظر إلى السلسلة فرأيت رجلًا جالسًا في الهواء متربعًا ، **فقلت** : ممن أنت ؟ **قال** : من الإنس ، **قلت** : فما الذي بلغك هذه المنزلة ؟ **قال** : آثرت مراد الله تعالى على هواي فأجلسني كما تراني[2] .

وعن وهب بن منبه – رضي الله تعالى عنه – أنه **قال** : كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما إلى أن مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر إذا هما برجل يمشي في الهواء ، **فقالا** : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ **قال** : بيسير من الدنيا ، فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني الله إليه ، ولزمت الصمت ، فإن أقسمت على الله أبر قسمي ، وإن سألته أعطاني[3] .

وما أحسن قول بعضهم :

إذا طالبتك النفس يومًا بشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما ... هواها عدو والخلاف صديق[4]

وقيل لبعض الحكماء : من الملوك ؟ **فقال** : من ملك هواه واتبع رضا مولاه .

وحكي عن بعضهم أنه كان يطوف بالبيت ، فنظر إلى امرأة جميلة ، فمشى إلى جانبها ، ثم **قال** :

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت له : دع أحدهما تنل الآخر[5] .

---

(1) **حذيفة بن قتادة المرعشي** ، زاهد عابد ، صحب الثوري ، وذكره ابن حبان في « الثقات » **وقال** : توفي سنة 207 هـ . **انظر** : « الحلية » (8 / 267) ، « الثقات » (8 / 216) ، « المنتظم » (10 / 162) .

(2) ذكرها ابن الجوزي في « ذم الهوى » ص 21 ، وفي « صفة الصفوة » (4 / 270) .

(3) ذكرها ابن أبي الدنيا في « الصمت » ص 311 ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » ص 21 ، وفي « التبصرة » له (2 / 284) .

(4) **انظر** البيتين في « أمالي ابن سمعون » (2 / 139) ، و« فصل المقال بشرح الأمثال » للبكري (1 / 320) .

(5) **انظر** ذلك في « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني (22 / 226) ، و« أدب الدنيا والدين » للماوردي ص 24 ، وعزا البيتين لعلي بن عبد الله الجعفري .

ثم إن هذا الحديث مع وجازته يصلح أن يقال فيه إنه كل الإسلام ؛ لإفادته أن من كان هواه تابعًا لجميع ما جاء به النبي ﷺ فهو المؤمن الكامل ، ومن أعرض عن جميع ما جاء به ومنه الإيمان فهو الكافر ، وأما من تبع البعض فإن كان ما تبعه أصل الدين وهو الإيمان دون ما سواه فهو الفاسق وعكسه المنافق .

وبيَّن المصنف مرتبة هذا الحديث فقال : (**حديث صحيح رويناه**) أي نقلناه حالة كونه (**في كتاب الحجة بإسناد صحيح**) ، وهذا الكتاب ألَّفه الأصفهاني في عقائد أهل السنة ، **وقيل** : إن مؤلفه المقدسي .



الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسٍ ﷺ **قَالَ** : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي** .

يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي .

يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

. . . .

(**عن أنس رضي الله**) تعالى (**عنه**) وتقدم الكلام عليه (**قال** : **سمعت رسول الله ﷺ يقول** : **قال الله تعالى** : **يا ابن آدم**) يعلم من ذلك أنه حديث قدسي ، والنداء فيه عام لكل من يتأتى نداؤه (**إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك**) يصح أن تكون ما مصدرية ظرفية لقوله : « **غفرت** » ، ويصح أن تكون شرطية ، وعلى كل فالواو في ورجوتني للحال ، **والمعنى على الأول** أني غفرت لك ذنوبك مدة دعائك في حال رجائك إياي ، **والمعنى على الثاني** أنك إن دعوتني مع رجائك إياي غفرت لك .

(**على ما كان منك**) أي مع ما حصل منك من الذنوب الكثيرة ، فعلى بمعنى مع ويصح أن تكون زائدة ، وما كان منك مفعول غفرت ، ويصح أن تكون بمعنى الباء متعلقة بقوله الآتي ولا أبالي ، **والمعنى** : ولا أبالي بما كان منك ، ويصح أن تكون على بابها متعلقة بمحذوف ، **والتقدير** : غفرت لك غفرانًا مشتملاً ومستعليًا لسعته على ما كان منك .

وقوله : (**ولا أبالي**) أي ولا أكترث بذنوبك ، ولا يعظم علي كثرتها ، وقد ورد في

---

(1) **صحيح** : رواه الترمذي (3540) ، والبزار في « مسنده » (13 / 247) ، وأبو نعيم في « الحلية » (2 / 231) والمقدسي في « المختارة » (4 / 399) ، وحسَّنه الترمذي ، وله شواهد من حديث أبي ذر وابن عباس ﷺ عند أحمد (5 / 167) ، والدارمي (2788) ، والطبراني في « الصغير » (2 / 82) ، و« الكبير » (12 / 19) .

الحديث : « **إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة ؛ فإن الله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء** »[1] .

أي فالقليل والكثير والجليل والحقير عنده سواء ؛ لأنه تعالى لا حجر عليه فيما يفعله ، ولا معقب لحكمه ، ولا مانع لتفضله ، ولأن جرائم العباد في جنب عظمة رحمته كذرَّة صغيرة بل أقل منها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأعراف : 156] .

ولله در القائل :

إذا كنت الكريم فلا أبالي ... ولو بلغت ذنوبي القطر عدًا

فكم من مذنب في الناس مثلي ... بعفوك في لهيب النار عدى

واعلم أن الدعاء بلا واسطة من خصوصيات هذه الأمة ، وأما الأمم الماضية فكانوا يذهبون إلى أنبيائهم ليسألوا لهم ، وقد روى معمر عن قتادة - رضي الله تعالى عنه - أنه **قال** : أعطيت هذه الأمة ثلاثًا لم يعطها إلا نبي ، **كان يقال للنبي** : اذهب فليس عليك حرج ، **وقال لهذه الأمة** : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج : 78] .

أي ضيق بتكليف ما يشق عليكم القيام به .

وكان يقال للنبي : أنت شهيد على قومك ، **وقال لهذه الأمة** : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [سورة البقرة : 143] .

وكان يقال للنبي : سل تعط ، **وقال لهذه الأمة** : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : 60][2] .

فإن قلت : قد ثبت أن القلم جف بما هو كائن ، فما ثمرة الدعاء؟ أجيب بأن الدعاء من جملة ما تعبدنا الله تعالى به ، وما في علم الله غائب عنا ؛ فلذا كان العبد على جناحي الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية ، وأجيب أيضًا بأن القضاء نوعان : قضاء مبرم وقضاء معلق ، فطلب الدعاء لأجل الثاني ، وبفرض كونه لم يصادفه يحصل به للداعي ثواب .

---

(1) **صحيح** : رواه البخاري في « الأدب المفرد » (607) ، وابن حبان (896) ، والطبراني في « الدعاء » (77) ، والبيهقي في « الدعوات » (330) ، وصححه ابن حبان .

(2) **أثر قتادة** : أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (3 / 41) ، والطبري في « تفسيره » (17 / 209) ، وذكره النحاس في « معاني القرآن » (4 / 435) .

وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رحمهما الله تعالى - : هل يعصي من يقول لا حاجة لنا إلى الدعاء ؛ لأنه لا يرد ما قدر وقضى ؟ **فأجاب** : من زعم أنه لا يحتاج إلى الدعاء فقد كذب وعصى ، **ويلزمه أن يقول** : لا حاجة لنا إلى الطاعة والإيمان ؛ لأن ما قضاه الله تعالى من الثواب والعقاب لابد منه ، وما يدري هذا الأحمق أن الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا والآخرة على الأسباب ، ومن ترك الأسباب بناء على أن ما سبق به القضاء لا بد منه لزمه ألا يأكل إذا جاع ، ولا يشرب إذا عطش ، ولا يلبس إذا برد ، ولا يتداوى إذا مرض ، وأن يلقى الكفار بلا سلاح ، ويقول في ذلك كله : ما قضاه الله تعالى لا يرد ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل .

وذكر الغزالي - رحمة الله تعالى عليه - أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء ، كما أن الماء سبب لخروج النبات ، والترس سبب لدفع السهام ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء عدم حمل السلاح ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [سورة النساء : 102] .

ثم إن **الدعاء له آداب** : منها تحري الأوقات الفاضلة ، وتقديم الوضوء والصلاة والتوبة ، واستقبال القبلة ، ورفع الأيدي ، والاعتراف بالذنب ، وخفض الصوت ، وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ ، وجعل الصلاة في وسطه وختمه بها وبآمين ، وألا يخص نفسه بالدعاء بل يعمم ، وأن يحسن ظنه بالله ويرجو منه الإجابة ، فقد ورد في الحديث القدسي : « **أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء** »[1] .

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : والله الذي لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده[2] .

وما أحسن قول بعضهم :

يا فاتحًا لي كل باب مرتجى … إنِّي لعفو منك عني مرتجي

فامنن علي بما ينيل سعادتي … فسعادتي طوعًا متى تأمر تجي

وأخرج ابن المبارك وأحمد والطبراني عن معاذ بن جبل - رضي الله تعالى عنه - أن

---

(1) **صحيح** : رواه أحمد (3 / 491) ، والدارمي (2731) ، وابن حبان (633) ، والحاكم (4 / 268) وصححاه ، وكذا الذهبي .

(2) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (2 / 9) ، وذكره الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » ص 145 .

رسول الله ﷺ قال : « **إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول ما يقولون له ؟** » قلنا : نعم يا رسول الله ، قال : « **فإن الله تعالى يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك ، فيقول : قد وجبت لكم مغفرتي** »[1] .

قال بعضهم : والرجاء حسن الظن بالله في قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت منها ، وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والإصرار على المخالفات فأمن وغرور وقد نهي عنه .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : إن مثل الراجي مع الإصرار على المعصية كمثل من رجا حصادًا وما زرع ، أو ولدًا وما نكح[2] .

وقال عبد الله بن المبارك - رحمه الله تعالى ونفعنا به - :

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ... إن السفينة لا تجري على اليبس[3]

وقال ابن المقري - رحمة الله تعالى عليه - :

تقول مع العصيان ربي غافر ... صدقت ولكن غافر بالمشيئة

وربك رزاق كما هو غافر ... فلم لا تصدق فيهما بالسوية

على أنه بالرزق كفل نفسه ... لكل ولم يكفل لكل بجنة

ولم ترض إلا السعي فيما كفيته ... وإهمال ما كلفته من وظيفة

تسيء به ظنًا وتحسن تارة ... على حسب ما يقضي الهوى بالقضية[4]

وكان سفيان الثوري - رحمه الله تعالى - **يقول** : أرجى الناس للنجاة أخوفهم على نفسه .

ومن ثم قيل : من علامة الرجاء حسن الطاعة .

---

(1) **فيه مقال** : رواه أحمد (5 / 238) ، والطيالسي (564) ، والطبراني في « الكبير » (20 / 125) ، وضعفه العراقي في « تخريج الإحياء » (4 / 529) .

(2) **انظر** كلام ابن الجوزي مفصلاً في « كشف المشكل » (3 / 323) .

(3) **انظر** ديوان عبد الله بن المبارك ص 9 ، و« بستان الواعظين » لابن الجوزي ص 165 ، وقد عزاه إلى أبي العتاهية .

(4) **انظر** الأبيات في « المحاضرات في اللغة والأدب » للحسن بن مسعود اليوسي ص 137 ، 138 .

وقيل : إنه لا بد لتحقق الرجاء من الخوف .

فيجب على الشخص أن يجمع بينهما ليسلم ، ولا يقتصر على أحدهما دون الآخر ؛ لأنه ربما يفضي الرجاء إلى المكر ، والخوف إلى القنوط ، وكل منهما مذموم .

وفي الحديث الشريف : « **أقسم الخوف والرجاء ألا يجتمعا في أحد في الدنيا فيريح ريح النار ، ولا يفترقا في أحد في الدنيا فيريح ريح الجنة** »[1] .

والمختار عند المالكية تغليب الخوف إن كان صحيحًا والرجاء إن كان مريضًا ، **والراجح عند الشافعية** استواؤهما في حق الصحيح ، بأن ينظر تارة إلى عيوب نفسه فيخاف ، وتارة ينظر إلى كرم الله تعالى فيرجو ، وأما المريض فيكون رجاؤه أغلب من خوفه ؛ لقوله ﷺ : « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى** »[2] ، **وقال الإمام الشافعي** - رضي الله تعالى عنه - في مرض موته :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته   بعفوك ربي كان عفوك أعظما[3]

(**يا ابن آدم لو بلغت**) أي وصلت (**ذنوبك عنان السماء**) بفتح العين المهملة وتخفيف النون ، أي السحاب ، وأضيف إلى السماء لكونه في جهتها ، **وقيل** : هو اسم لما عنَّ لك من السماء ، أي ظهر لك إذا رفعت بصرك إليها ، **والمعنى** : لو كثرت ذنوبك وملأت الأرض والفضاء حتى وصلت بفرض كونها أجسامًا إلى السحاب أو ما ظهر من السماء (**ثم استغفرتني**) أي طلبت مني مغفرتها (**غفرت لك**) إياها ، غير مبال بكثرتها ، وذلك لأن كرم الله تعالى وفضله ورحمته لا تتناهى ، فهي أكثر وأوسع مما ذكر .

وحقيقة الاستغفار : اللهم اغفر لي ، **ويقوم مقامه** : أستغفر الله ؛ لأنه خبر بمعنى الطلب .

---

(1) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (2 / 5) ، والطبراني ، كما في « الجامع الكبير » (2 / 43) ، والديلمي في « فردوس الأخبار » (1 / 403) .

(2) **صحيح** : رواه مسلم (2877) ، وأحمد (3 / 325) ، وابن حبان (636) .

(3) **انظر ذلك في** : « مروج الذهب » (2 / 46) ، « طبقات الفقهاء » ص188 للشيرازي ، « الأمالي » لابن الشجري (2 / 413) .

وفي الحديث : « **من قال : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف** »[1] ، أي من صف المسلمين في قتال الكفار .

وفي بعض الآثار : إن الاستغفار يجيء يوم القيامة محدقًا بأعمال الخلائق ، له أنين حول العرش ، **يقول** : إلهي ، حقي حقي .

وقال إبراهيم بن أدهم : ما ألهم الله تعالى عبدًا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه[2] .

وعد السيوطي - رحمه الله تعالى - من خصائص هذه الأمة أن الله يغفر لهم ذنوبهم بالاستغفار .

وقيل : إن المراد بالاستغفار في الحديث : التوبة ، **ولها شروط خمسة** :

الأول : الإقلاع عن الذنب ، أي تركه ، فقد ورد : « **المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه** »[3] .

الثاني : الندم عليه ؛ بأن يتحزن ويتوجع على فعله ، ويتمنى كونه لم يفعله ، ولابد أن يكون الندم عليه من حيث كونه ذنبًا ، فلا يصح الندم لإضراره ببدنه ، أو هتك عرضه ، أو صرف ماله أو نحو ذلك ، وأما الندم للخوف من النار أو للطمع في الجنة ففيه خلاف ، والصحيح أنه يكفي .

الثالث : العزم والتصميم على ألا يعود إليه ما عاش كما لا يعود اللبن إلى الضرع .

الرابع : وقوعها أي التوبة قبل الغرغرة ، أي قبل بلوغ الروح الحلقوم ، وهي حالة النزع التي ييأس فيها الشخص من الحياة .

الخامس : وقوعها قبل طلوع الشمس من مغربها .

فإن كان الذنب يتعلق بآدمي زيد :

---

(1) **صحيح** : رواه أبو داود (1517) ، والترمذي (3577) ، والحاكم (1 / 692) وصححه .

(2) انظر الأثر في « الإحياء » (1 / 313) .

(3) **الأصح وقفه** : رواه البيهقي في « الشعب » (5 / 436) ، وسنده ضعيف من ناحية الرفع ، كما قال العراقي وغيره ، والأشبه أنه موقوف ، رأى من كلام ابن عباس رضي الله عنهما .

انظر : « الترغيب » (4 / 49) ، « تخريج الإحياء » (4 / 47) .

شرط سادس : وهو رد الظلامة إلى صاحبها ، أو تحصيل البراءة منه إن قدر ، فيجب عليه أن يرد ما غصبه أو سرقه مثلاً لصاحبه أو وارثه ، أو رد البدل إن كان المأخوذ تالفًا ، فإن عجز عن المالك أو وارثه دفعه لحاكم ثقة ، فإن تعذر صرفه فيما يشاء من المصالح بنية غرم بدله إن وجد مستحقه ، فإن أعسر عزم على الأداء عند قدرته ، فإن مات قبله فالمرجو من فضل الله أن يعوض المستحق ، ويجزئه الاستحلال ، بأن يطلب من صاحب الظلامة أن يبرئه بعد أن يذكر له ما حصل منه ؛ لأن الإبراء عندنا – معاشر الشافعية – يشترط فيه العلم بالمبرأ منه .

ويعلم من ذلك أن من اغتاب شخصًا وأراد الاستحلال منه فلابد أن يذكر له اللفظ الواقع منه ، ومن وقع عنده لاختلاف الغرض بذلك ، فلا أثر للتحليل مع الجهل بما حلل منه ، خلافًا لما ذهب إليه المالكية والحنفية من أنه لا يجب التفصيل مع طلب الإبراء ، فإن تعذر الاستحلال لموت المغتاب أو تعسر لغيبته الطويلة استغفر له ، كما أنها إذا لم تبلغه يكفي فيها الندم والاستغفار له ، بل لا يجوز إعلامه حينئذ ، فقد **قال ابن المبارك** – رحمه الله تعالى – : لا تؤذه ، فإذا بلغته بعدم الندم والاستغفار له لم يضر لخبر ابن عدي : « **إذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له فإنها كفارة له** »[(1)] .

وقال الشعراني – نفعنا الله تعالى به – : ينبغي لمن يعلم من نفسه أن عليه للناس حقوقًا في المال والعرض ، وتعذر رضاهم ، أن يقرأ مع حضور سورة الإخلاص اثنتي عشرة مرة والمعوذتين كل ليلة ، ويهدي ثوابهن في صحائف أولئك الناس ، وكيفية الإهداء أن يقول اللهم صل وسلم على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وآله ، وأثبني على ما قرأته ، واجعله في صحائف من له عليَّ تبعة من عبادك من مال وعرض .

واعلم أنه لا يشترط في التوبة التلفظ بالاستغفار خلافًا لبعضهم ، حيث **قال** : إنها لا تتم إلا به ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ [سورة هود : 3] .

ويدل للأول حديث : « **ما علم الله تعالى من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر منه** »[(2)] .

---

(1) **موضوع** : رواه ابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (3 / 247) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (2 / 307) ، وحكما ببطلانه ، وكذا الذهبي في « الميزان » (3 / 306) ، وابن طاهر في « ذخيرة الحفاظ » (1 / 282) .

(2) **ضعيف جدًا** : رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » ص 20 ، والطبراني في « الكبير » (8 / 319) ، والحاكم في « المستدرك » (4 / 282) ، وفي سنده متروك كما قال الذهبي ، والمنذري في « الترغيب » (4 / 49) .

ولا يشترط أيضًا مفارقة مكان المعصية خلافًا للزمخشري ، وكذا لا يشترط تجديد التوبة كلما ذكر المعصية خلافًا للقاضي أبي بكر الباقلاني .

ومحل الخلاف ما لم يتهيج ويفرح ويلتذ بذكر المعصية أو سماعها ، وإلا وجب التجديد اتفاقًا .

واختلف في التوبة النصوح التي تكفر السيئات وتبدلها بحسنات ، **فقيل** : هي أن يتوب الشخص ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع .

وقيل : **يجمعها أربعة أشياء** : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيئ الخلان ، أي الأصدقاء .

وقيل : **إن علاماتها ثلاث** : قلة الطعام ، وقلة الكلام ، وقلة المنام .

وقيل : **علاماتها** : مخالفة الهوى ، وكثرة البكا ، ومكابدة الجوع والظمأ .

ثم إن الأخبار والآثار الواردة في التوبة كثيرة ، منها ما أخرجه الأصبهاني أنه ﷺ قال : « **إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه** » أي محاله من الأرض « **حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب** »[1] .

وحكي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبدَ الله تعالى عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين سنة ، ثم إنه نظر في المرآة ، فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك ، **فقال** : إلهي أطعتك عشرين سنة ، ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك تقبلني ؟ **فسمع قائلًا يقول** ولا يرى شخصه : أحببتنا فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك .

وحكي أن سبب توبة الفضيل بن عياض - رضي الله تعالى عنه - أنه عشق جارية ، فواعدته ليلة ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها ؛ إذ سمع قارئًا يقرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الحديد : 16] .

فرجع القهقرى **وهو يقول** : بلى والله قد آن ، فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة **وبعضهم يقول لبعض** : إن فلانًا يقطع الطريق (يعنونه) **فقال الفضيل** : أراني بالليل

---

(1) **فيه مقال** : رواه ابن عساكر في « التوبة » ص 35 ، والأصبهاني في « الترغيب » (751) ، وأشار المنذري إلى ضعفه في « الترغيب » (4 / 48) .

أسعى في معصية الله تعالى ، وقومًا من المسلمين يخافونني ، اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام[1] .

(**يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض**) بضم القاف أشهر من كسرها ، أي بقرب ملئها أو بملئها ، وهو أبلغ في سعة العفو (**خطايا**) أي ذنوبًا (**ثم لقيتني**) أي بعد موتك حال كونك (**لا تشرك بي شيئًا**) بأن كنت معتقدًا توحيدي ، ومصدقًا برسولي محمد ﷺ ، وبما جاء به وهو الإيمان (**لأتيتك**) أي جازيتك (**بقرابها مغفرة**) أي لغفرتها لك ، وعبَّر بقرابها للمشاكلة ، وإلا فمغفرة الله سبحانه وتعالى أعظم وأوسع من ذلك .

وظاهر الحديث حصول المغفرة للخطايا وإن لم يصحبها استغفار ، ولا مانع منه إلا أنه ليس عامًّا لكل أحد ، بل لمن شاء الله تعالى له ذلك كما لا يخفى .

ثم إن هذا الحديث أرجى حديث في السنة (**رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح**) وفيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجوده ، لكن لا يجوز لأحد كما قال بعضهم أن يغتر به ، وينهمك في المعاصي ، وإنما القصد منه بيان كثرة مغفرته تعالى لئلا ييأس المذنبون منها بكثرة الخطايا .

وروي عن كعب الأحبار - رضي الله تعالى عنه - أنه قال : « **أوحى الله تعالى إلى موسى** عليه السلام **: يا موسى آليت ، أي حلفت ، على نفسي قبل أن أخلق السموات والأرض والدنيا والآخرة أنه من لقيني وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه ، كتبت له براءة وعتقًا من النار ، وأوصيت ملك الموت عند قبض روحه أن يكون أرفق به من والديه ، وأوصيت منكرًا ونكيرًا إذا دخلا عليه في قبره ألا يروعاه ، وأوسع له في قبره وأؤنسه من وحشة قبره ، ولا يسألني يوم القيامة عن شيء إلا أعطيته إياه** »[2] .

وفي خبر مسند[3] : « **أن رجلًا يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت ، فإذا**

---

(1) **انظر القصة في** : « شعب الإيمان » (5 / 468) ، « تاريخ دمشق » (48 / 383) ، « تفسير القرطبي » (17 / 251) .

(2) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (6 / 34) .

(3) لم أهتد إليه بهذا اللفظ ، وقد روي معناه عن معمر ، **قال** : يؤمر برجل إلى النار فيلتفت فيقول : يا رب ما كان هذا ظني بك ، قال : وما ظنك بي ؟ فقال : كان ظني بك أن تغفر لي ولا تعذبني ، قال تعالى : فإني عند ظنك بي . رواه عبد الرزاق في « تفسيره » (3 / 186) ، والطبراني في « تفسيره » (24 / 110) .

بلغ نصف الطريق التفت ، فإذا بلغ ثلثي الطريق التفت ، فيقول الله تعالى : ردوه ، ثم يسأله فيقول : لم التفت؟ فيقول : لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [سورة الكهف : 58] . **فقلت : لعلك تغفر لي ، فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك :** ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : 135] ، **فقلت : لعلك تغفر لي ، فلما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك :** ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [سورة الزمر : 53] . **فازددت طمعًا ، فيقول الله ﷻ : اذهب فقد غفرت لك »** . فنسأل الله تعالى من فضله بجاه النبي وآله وصحبه أن يغفر لنا ذنوبنا ، ويستر في الدارين عيوبنا .

وهذا آخر ما سهَّل الله تعالى جمعه على حسب الإمكان مع اشتغال البال بالهموم والأحزان ، وإني أقول كما **قال بعضهم** :

يا من غدا ناظرًا فيما جمعت وقد ... أضحى يردد في أفنائه النظرا

سألتك الله إن عاينت من خطأ ... فاستر علي فخير الناس من سترا

وأطلب من الله تعالى أن يمنَّ بقبوله ، وينفع به كما نفع بأصوله ، وحسبي الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد تم هذا الجمع بعون الله تعالى في يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين من هجرة سيد ولد عدنان ، على يد الفقير الفاني محمد بن عبد الله الجرداني ، الدمياطي الشافعي ، عامله الله بلطفه الخفي ، وغفر له ولوالديه ومشايخه والمسلمين بجاه خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد ، النبي المعظَّم ، ﷺ ما لاح بدر التمام ، وفاح مسك الختام .

وتم نقل هذا في : 2 / صفر الخير / سنة 1328 هجرية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

تمّ الكتاب والحمد لله

فهرس أحاديث الأربعين النووية

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة